الدولة الحضارية الحديثة

وعي المشكلة... وعي الحل

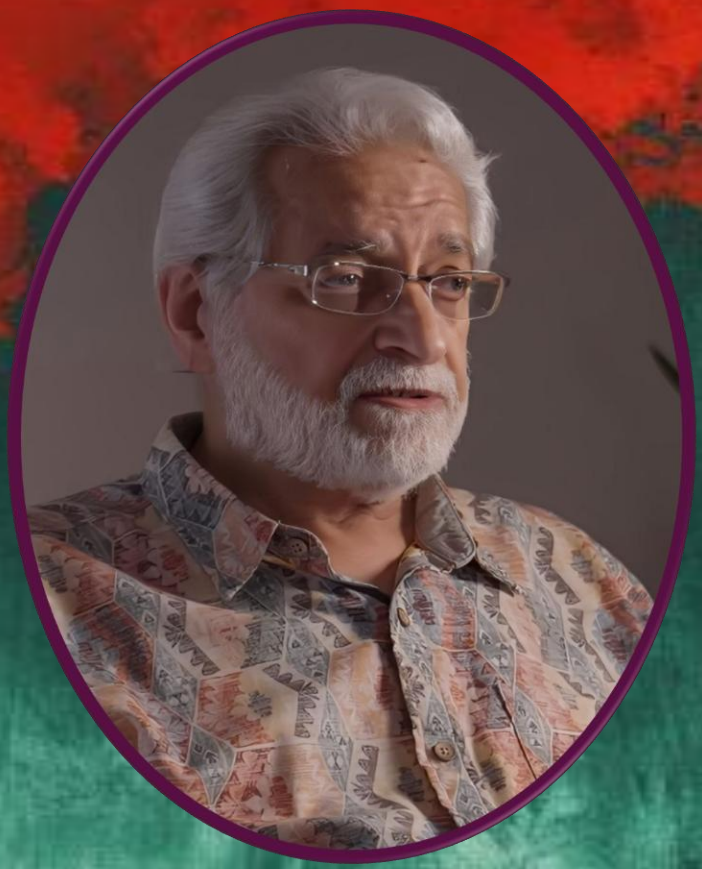

محمد عبدالجبار الشبوط

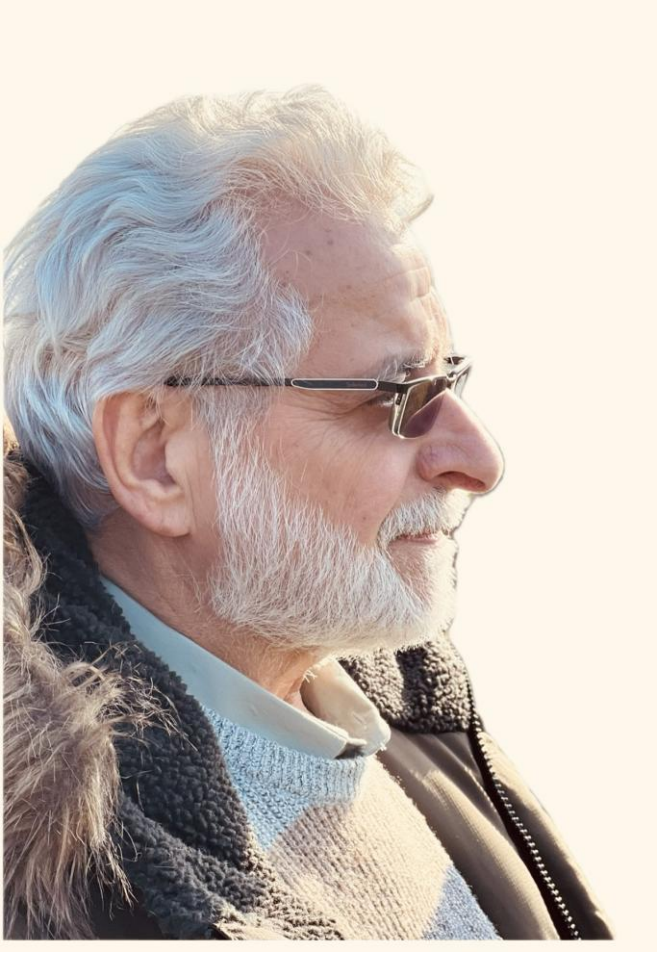

لندن ٢٠٢٤

المحتويات

١. مقدمة
٢. تمهيد: الوعي الحضاري
٣. الفصل الاول: وعي المشكلة .. وعي الحل
٤. الفصل الثاني: الدولة الحضارية الحديثة: تعريفها وأسسها
٥. الفصل الثالث: فكرة الدولة الحضارية الحديثة
٦. الفصل الرابع: المركب الحضاري ومنظومة القيم العليا
٧. الفصل الخامس: الامتداد التاريخي
٨. الفصل السادس: تطور الدولة
٩. الطائفية السياسية
١٠. الدولة الاستبدادية المتخلفة والدولة الديمقراطية المتقدمة.
١١. في العقل السياسي
١٢. في الشرعية السياسية
١٣. الديمقراطية
١٤. هيجل والدولة الحضارية الحديثة
١٥. الهوية الوطنية والهويات الفرعية
١٦. المواطنة والدين
١٧. امنيات
١٨. التنمية ودور الحكومة و الشعب فيها
١٩. تطور منظومة القيم (؟)
٢٠. سؤال النهضة
٢١. سؤال التخلف
٢٢. التخلف والدين
٢٣. الحضارة المؤمنة والحضارة الوثنية
٢٤. التعايش السلمي
٢٥. المستبد المصلح
٢٦. العبودية الطوعية
٢٧. شكل الدولة والحكومة في الاسلام
٢٨. الحياة الاقتصادية

---

٢٩. ملحق ١: رؤية قرانية
٣٠. ملحق ٢: الدلالات السياسية لقصة موسى في القران
٣١. ملحق ٣ خطأ الاحزاب العراقية
٣٢. ملحق ٤ ماليزيا
٣٣. ملحق ٥ الرهبانية
٣٤. الخاتمة: امل

مقدمة

هذا الكتاب مجموعة مقالات كتبت في أزمان متفرقة وأماكن مختلفة وتناول موضوعات متعددة. فهو ليس كالكتب المنهجية التي تبدأ بالفصل الاول وتنتهي بالفصل الأخير بناء على خطة محكمة وتسلسل منطقي. لكن المقالات المتفرقة التي تحتويها دفتا الكتاب تدور كلها حول فكرة واحدة او محور واحد ينتظمها كالخيط الرفيع احيانا والخيط السميك احيانا أخرى؛ تلك هي فكرة الدولة الحضارية الحديثة التي أخذت اكتب عنها منذ سنوات بعدما آلت اليه احوال الدولة العراقية إلى ما آلت اليه منذ تأسيسها قبل مئة عام. فكرة الدولة الحضارية الحديثة ليست جديدة على الناس ولا هي من بنات افكاري خاصة؛ انما استقيتها من استقراء تاريخي للفترة منذ ظهور اول دولة مدينة في اريدو في العراق هبطت عليها الملوكية من السماء كما يقول ثبت الملوك السومري في عام ٥٤٠٠ قبل الميلاد إلى اليوم. وعليه يكون التاريخ وبالمقدار الذي نعرفه هو المصدر الأساسي لفكرة ونموذج الدولة الحضارية الحديثة، هذا اضافة الى تجارب شعوب اخرى سارت في هذا الطريق وحققت نجاحات متفاوتة في نموذج الدولة الحضارية الحديثة، الامر الذي يجعل فكرة الدولة الحضارية الحديثة مفهوما مشككا: وحدة المفهوم وتعدد المصاديق.

ما أزعمه وأنسبه إلى نفسي في هذه الفكرة هو ان نموذج الدولة الحضارية الحديثة يمثل اتجاها تاريخيا عاما الذي هو بدوره سنة تاريخية من النوع الثالث، على اعتبار ان السنن الحتمية هي النوع الاول والسنن الشرطية هي النوع الثاني حسب تقسيمات السيد محمد باقر الصدر، استنباطا من القران الكريم.

الغرض من إصدار هذا الكتاب، وهو الثاني من نوعه حيث صدر شقيقه بعنوان الهندسة السياسية، هو تسهيل اطلاع الراغبين من القراء على مجموعة مقالات الدولة الحضارية الحديثة التي كتبتها بعد صدور الكتاب الاول، راجياً ان يكون الكتابان خطوة تمهيدية لكتابة بحوث اكثر دقة وعمقا وشمولية لنموذج الدولة الحضارية الحديثة وإمكانية ومستلزمات إقامتها في العراق.

عنوان الكتاب يختصر فكرته. التخلف الحضاري هو جوهر المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأمنية الخ التي يعاني منها العراق والعراقيون، و نموذج الدولة الحضارية الحديثة هو الحل لهذه المشكلة، مرحليا على الأقل.

انا مدين في الكثير من افكار الكتاب إلى رجال عظام أمثال السيد علي السيستاني من الأحياء، ومن الأموات رحمهم الله السيد محمد باقر الصدر والسيد محمد آلصدر و الشيخ النائيني وصاحب الميزان في تفسير القرآن السيد محمد حسين الطباطبائ والشيخ محمد مهدي شمس الدين والسيد محمد حسين فضل الله والسيد محمد بحر العلوم وجان جاك روسو وأرسطو وأفلاطون وهيجل وماركس وانجلز وراولز

والأصدقاء الأحياء عمار البغدادي وغانم جواد وسامي البدري وحميد رياح وجبار موسى ومصطفى عيادة وحمزة ومحسن الشبوط والسيدة اسماء والانسة الاء مع حفظ الألقاب العلمية و غيرهم كثيرون مما لا يسعني إحصاؤهم كلهم. هذا اضافة الى التجربة العملية التي تعد احد المصادر المهمة للمعرفة الميدانية.

تمهيد
الوعي الحضاري السليم

الوعي هو نظرة خاصة الى الواقع الاجتماعي ينتج عنها تصرف.
النظرة الخاصة تنبثق من ثقافة ومعرفة.
والنظر الى الواقع يتطلب معرفة علمية به.
والتصرف عمل.
فالوعي، اذاً، هو معرفة وعمل، يجسدان حساسية خاصة اتجاه الواقع المعاش، رفضا او قبولا، شعوريا وفعليا.
والوعي الحضاري هو ماكان انعكاسا لمنظومة القيم الحضارية الحافة بالمركّب الحضاري وعناصره الخمسة وامتدادا لها.
الوعي الحضاري السليم يرفض البطالة مثلا، لانها تعبير عن تعطيل علاقة العمل المنتج بين الانسان والطبيعة.
وهذا خلل حاد في المركب الحضاري.
والحل الحضاري هو اعادة ادخال الانسان في علاقة عمل منتج مع الطبيعة.
اشغال الانسان بعمل زائف غير منتج من اجل الراتب فقط ليس حلا حضاريا، انما هو بطالة مقنعة.
الوعي الحضاري يرفض الاستبداد والدكتاتورية لانهما تعطيل لاهم قيمة تخص العنصر القيادي الاساسي في المركب الحضاري اي الانسان، وهذه القيمة هي الحرية، المتفرعة من استخلاف الانسان في الارض من قبل الله .وهذا خلل حاد في المركب الحضاري. والاستخلاف تخويل للبشرية صلاحية قيادة الكون، وحكم نفسها بنفسها، في حين ان الدكتاتورية والاستبداد تسلب هذا الحق من البشرية وتحرمها منه.
والحل هو المزيد من الحرية وحق تقرير المصير والديمقراطية.
والوعي الحضاري يرفض التقليد الاعمى والخرافات لانه تعطيل لاهم ما لدى الانسان، العنصر الاساس في المركب الحضاري، وهو العقل.
والحل لا يكون بمزيد من الخرافات، والمعتقدات المنافية للعقل، وانما بالمزيد من التحرر العقلي، والتفكير المستقل، وتحري العلم والمنطق في المعتقد.
الوعي الحضاري السليم يرفض النظرة الدونية للمرأة، وتهميشها في الحياة، والتعامل معها وكأنها اداة المتعة الجنسية للرجل. فهذا تعطيل عددي ونوعي لنصف العنصر الاساسي في المركب الحضاري، اي الانسان. وهذا خلل حاد في المركب الحضاري. والحل ليس بالتحلل من القيم الحضارية الحاكمة لعناصر المركب الحضاري، وانما في تثبيت مبدأ المساواة والكرامة وحق تقرير المصير للرجل والمرأة، وفتح الباب امام انخراط المرأة في علاقات انتاجية مع الطبيعة، ومع الانسان الاخر.
والوعي الحضاري يرفض التخلف لانه خلل حاد في المركب الحضاري.
والوعي الحضاري السليم يرفض القبول بالاسوأ تخلصا من السيء. فالضغط الذي يشكله وجود الواقع السيء ليس سببا يدفع الى القبول بالبديل الاسوأ. الاستبدال ينبغي ان يكون نحو الافضل بالمنظور الحضاري وليس العكس.
والحل يمكن باصلاح هذا الخلل الحاد اينما وجد.
هذه بعض مفردات الوعي الحضاري السليم، الذي يختلف عن الوعي السطحي، او الوعي الزائف.

السياق الحضاري

نحن بحاجة الى بناء وعي حضاري civilizational awareness لدى ابناء المجتمع.
ومنشأ الحاجة يكمن في ضرورة تزويد المجتمع بالقدرة على فهم ووضع الحدث التاريخي في سياقه الحضاري و حمايته من في الوقوع في الخطأ، في النظرة او في التصرف، ازاء وقائع الحياة. هذا باعتبار ان الوعي عبارة عن رؤية خاصة، تستند الى معرفة معينة، وينتج عنها تصرف او موقف. ولا يحتاج الامر الى كثير جهد لنشخص ان هذا الوعي الحضاري ليس متوفرا بما يكفي لتحقيق المطلوب: تجنب الخطا وانتاج الصواب. وغياب او تدني مستوى الوعي الحضاري من مفردات التخلف الحضاري العام، ومن فروعه التخلف الثقافي. وكغيره من الاشياء المطلوبة، فان بناء الوعي الحضاري ينبغي ان يتم في المدرسة، اضافة الى مراكز انتاج الثقافة والوعي الاخرى. وعلى هذا ينبغي ان يكون من اهداف النظام التربوي غرس الوعي الحضاري لدى الاجيال الناشئة.
من بين متطلبات بناء الوعي الحضاري بناء تصور واقعي للسياق الحضاري civilizational context. واقول واقعي لابعاد الصفة الايديولوجية او العقائدية المسبقة للسياق. وتكون الرؤية واقعية اذا انتزعت من متابعة علمية وموضوعية لحركة الانسان في الزمان والمكان في اطار القيم الحاكمة او الدافعية لهذه الحركة. والسياق الحضاري هو هذه الحركة بالذات. حركة الانسان لتحسين ظروف حياته بالارتباط بمنظومة قيم معطاة.
يتحقق بناء الوعي الحضاري بالاستناد الى السياق التاريخي، اي القدرة على وضع الحدث التاريخي في هذا السياق الحضاري، بمعنى الكشف عن موضع الحدث التاريخي في السياق الحضاري، الكشف عن هذه العلاقة سواء كانت سلبية ام ايجابية. وبذا يكون السياق الحضاري العام، الذي يمارس في ضوئه تفهم الحدث، هو المسؤول فهم الحدث ومعرفة دلالاته واضفاء المعنى عليه.
سواء اخذنا قصة روبنسون كروزو لدانيل ديفو او حي بن يقظان لابن طفيل كنماذج لفهم السياق الحضاري، او بدمجهما معا، لامكننا التوصل الى حقيقة ان الانسان يبادر، فور ادراكه لوجوده، الى القيام بامرين: الاول، فهم ما حوله؛ والثاني، تحسين شروط حياته. وهذا المقدار من المعرفة موضع اتفاق. سوف اتخذ هذه المعلومة طريقا الى فهم السياق الحضاري.
يقول القران في واحدة من اياته ذات العلاقة المباشرة بموضوع حديثنا هنا: ان الله "خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً". والابتلاء هو الاختبار والامتحان. والغاية هي العمل الحسن. والعمل الحسن هو العمل الذي يسهم في تحسين حياة الانسان. ومنذ ظهر الانسان على الارض وهو في عمل مستمر ومتواصل من اجل تحسين حياته وظروف انتاجه. وهذا ما شكل السياق الحضاري للبشرية. وصار بمقدورنا اليوم ان نسرد مخترعات الانسان واكتشافاته من اختراع الادوات الحجرية، واكتشاف النار، واكتشاف الزراعة، واختراع العجلة، واختراع الكتابة، وقيام القرية والمدينة، ودولة المدينة، والدولة، والامبراطورية، واكتشاف النفط، واختراع الورق، والمطبعة، والعجلة البخارية، والنزول الى القمر، وفك الشفرة الوراثية DNA، والذهاب بعيدا في الفضاء، ورسم خارطة الكون، واخيرا اتفاق البشرية على منظومة اهداف التنمية المستدامة.
ولكل من هذه المفردات موقعها ودورها في السياق الحضاري وفي تكامل هذا السياق. وكل هذا مما يندرج تحت عبارة "ليبلوكم احسن عملا".
السياق الحضاري ليس خطا مستقيما في التصاعد، انما هو خط متعرج في تفاصيله، يصعد مرة ويهبط مرة، لكن المحصلة النهائية تصاعدية. دور الوعي الحضاري ان يخبرنا عن الحدث موضوع الدراسة والتحليل هل هو ضمن قائمة الصعود ام ضمن قائمة الهبوط. وطبيعي ان نقول ان اي حدث يجسد القيم الحضارية العليا او يحسّن من طبيعة الحياة او يزيد من معرفة الانسان بنفسه او بما حوله انما هو بلاء حسن، والعكس بالعكس.

بناء منظومة القيم

تميزت بعثات الانبياء منذ ادم او ادريس او نوح الى محمد (ص) بانها عملية تراكمية لبناء منظومة القيم العليا الحافة بالمركب الحضاري واصلاح حالات الخلل التي تحصل فيه.
والقران الكريم، وهو الكتاب السماوي الاخير، يقدم وثيقة متكاملة لهذه العملية الكبرى التي استمرت عدة الاف من السنين.
يبدأ القران الكريم ببيان عناصر تكوين المجتمع البشري وهي: الانسان والارض والعلاقة بين الانسان والانسان، وبين الانسان والطبيعة. وهذا ما نصت عليه الاية التالية في سورة البقرة: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً".
فالانسان هو العنصر الاول والفاعل في بناء الجماعة البشرية، ومركزه في الارض هو: خليفة الله في الارض. وهذا المنصب ليس مخصصا لشخص واحد يدعيه، انما هو لعموم البشر، مع الاحتفاظ بوضع استثنائي خاص للمعصومين. والخليفة هو من يقام مقام المستخلِف. وللاستخلاف ثلاثة معانٍ هي: (١) الحلول مكان الله في الزمان وهذا غير ممكن. (٢) الحلول مكان الله في المكان، وهذا غير ممكن. (٣) القيام بمقام الله. ولله مقامان: (١) الخلق والتدبير، وهذا غير ممكن ايضا. (٢) الحكم والتشريع، وهذا هو المقصود بالاستخلاف. ولهذا فهم السيد الصدر من هذه الاية ان الله سبحانه وتعالى اناب البشرية في قيادة الكون واعمار الارض، ومنه يتفرع حق البشرية في حكم نفسها بنفسها، وعدم جواز الاستيلاء على الحكم بدون رضا الجماعة البشرية، والانفراد به واحتكاره من قبل فرد او جماعة. ولهذا قال الامام علي للناس حين عرضوا عليه الخلافة فيما رواه الطبري في تاريخه:"يا ايها النَّاسُ -عَنْ مَلإٍ وَإِذْنٍ -إِنَّ هَذَا أَمْرُكُمْ لَيْسَ لأَحَدٍ فِيهِ حَقٌّ إلا مَنْ أَمَّرْتُمْ".
ويؤكد القران على ان الارض (بكل افاقها) هي ميدان استخلاف الانسان وحركته ونشاطه، كما في اية سورة الاعراف: "قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ".
وتقوم العلاقة بين الانسان والانسان على اساس العدل والمساواة والحرية والتعاون والتسامح والعيش المشترك والحوار والسلم والقبول بالاخر. وجامع ذلك كله قوله تعالى في سورة النحل: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ"، وقوله تعالى في سورة المائدة: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ".
وهدف علاقة الانسان بالارض هو الاستمتاع بخيراتها وثرواتها، بالعدل والانصاف. وتقوم هذه العلاقة على اساس العلم والعلم. ومن ذلك قوله تعالى في سورة البقرة: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ"، وقوله تعالى في سورة الملك: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ".
وهذه العلاقة المعنوية قد تكون ثلاثية الاطراف: الانسان والانسان والارض، وقد تكون رباعية الاطراف: الانسان والانسان والارض والله. وتثير العلاقة الرباعية اشكالية هنا، فكيف يكون الله، الكائن المطلق المتعالي على الزمان والمكان، طرفا في علاقة مع اطراف نسبية محكومة بالزمان والمكان؟
والجواب: ان دخول الله على العلاقة الرباعية ليس علاقة عددية، وانما علاقة قيمية.
وبهذا تتشكل منظومة القيم الحضارية العليا الحافة بالمركب الحضاري و التي بشر بها القران الكريم. وفي مقدمة هذه القيم: التوحيد ونفي الشرك، استخلاف الانسان، الحرية والمسؤولية، العدل، المساواة، التعاون، التعايش، السلام، القبول بالاخر، الحوار على كلمة سواء، الدعوة والموعظة بالتي هي احسن، كما ذكرنا اعلاه. ولكل من هذه القيم ماهية واحدة، ومصاديق متنوعة، وقوانين تنفيذية متحولة بحسب الزمان والمكان.

ولم تسر البشرية في تمثلها لهذه القيم على خط واحد، فقد حصلت انحرافات عديدة على طول التاريخ البشري، مما يؤدي الى حدوث خلل في المركب الحضاري، وهنا يأتي دور الانبياء والاوصياء والمصلحين من اجل اصلاح هذا الخلل، وهذا جوهر ما نفهمه من
قول الامام الحسين:"وقول الامام الحسين: "انما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي".
و قول النبي شعيب في سورة هود:"قَالَ: يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي، وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ؛ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ، وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ."
تلخص هذه الاية الدور التاريخي للانبياء، وهو الاصلاح على اساس منظومة القيم الحضارية التي جاءوا بها عن الله سبحانه وتعالى.
وهذه الاية هي مقطع من نص طويل يتضمن الرسالة الإصلاحية للنبي شعيب في قومه اهل مدين. ويقول النص كما جاء في سورة هود:
"وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (84)وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ (85)بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (86)قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (87) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ).(88)سورة هود(
ونستطيع ان نفهم من هذا النص ان رسالة النبي شعيب الإصلاحية ذات مضمون اقتصادي. والقران عرض نماذج مختلفة لرسالات الانبياء الإصلاحية حيث تتحد هذه الرسالات في الدعوة الى عبادة الله من جهة، وتتنوع في المحتوى الظرفي الخاص للرسالة باختلاف المجتمع المخاطَب بها من جهة ثانية. فنجد ان رسالة النبي لوط اخلاقية، ورسالة النبي موسى-هارون سياسية. ورسالة النبي محمد شاملة لكل هذه الجوانب.
والاصلاح ضرورة اجتماعية دائمة .فالمجتمعات البشرية، ومنها المجتمع العراقي الحالي، بحاجة دائما الى الدعوات الإصلاحية بسبب النقص الطبيعي في الانسان. فمادام الانسان معرضا للنقص والخطأ فهو بحاجة دائمة الى من يصلح اخطاءه ونواقصه. ويقوم بهذه المهمة الاجتماعية الإصلاحية فريق من الناس نسميهم "النخبة الواعية ."وشرط هؤلاء امران. الاول ان يصلحوا انفسهم اولا، والثاني ان تكون دعوتهم الإصلاحية وفق منظومة القيم العليا الحافة بالمركب الحضاري؛ لان منظومة القيم العليا هي الدليل الهادي للعمل الاصلاحي وليس الاجتهادات الفردية الظرفية المتغيرة بتغير المصالح والدوافع والانطباعات. الدعوة الاصلاحية وفق منظومة القيم توصل الى الهدف، فيما الدعوات التي لا تستهدي بمنظومة القيم ماهي الا دوران في حلقة مفرغة لا تنتج الاصلاح المطلوب. ان منظومة القيم العليا هي البوصلة التي تضبط مسار الحركة الاصلاحية وبدونها سوف تضل الحركة الاصلاحية طريقها. وهذا امر ثابت تاريخيا ويمكن اثباته تجريبيا فلا نقاش فيه.
وهذا ينطبق على الدعوات الاصلاحية في العراق. فلابد لها من بوصلة حاكمة. وهذه البوصلة هي الدولة الحضارية الحديثة بوصفها الاطار المؤسساتي لمنظومة القيم العليا الحافة بالمركب الحضاري. وما عدا ذلك عبث لا جدوى منه.

مصطلحات وتعابير

استخدم و بشكل متكرر ومكثف عددا من الكلمات المفردة او المركبة والتعابير والمصطلحات التي تتحرك في اطار فكرة الدولة الحضارية الحديثة. وفي مقدمة هذه الالفاظ ما يلي:

الدولة الحضارية الحديثة: ونقصد بها الدولة القائمة على اساس منظومة القيم العليا الحافة بالمركب الحضاري وعناصره المختلفة. وهي كغيرها من الدول تتالف من العناصر التقليدية المعروفة اي الارض والسكان والحكومة، لكنها تختلف عن غيرها بمنظومة القيم العليا التي تتبناها. الدولة الحضارية الحديثة تمثل اتجاها تاريخيا تراكميا قابلا للقياس وهي حصيلة التقدم البشري منذ فجر الحضارة الى اليوم وامتدادا الى المستقبل البعيد.

الحضارة/ الحضارية: الحضارة في الاصل هي نتاج تفاعل الانسان مع الطبيعة. ويتم هذا التفاعل على اساس المعادلة التالية:

ح=مxق

حيث ح: الحضارة، م: المركب الحضاري، ق: القيم العليا

اما الحضاري/ الحضارية فتشير الى الارتباط بالمنظومة القيمية للفعل الفردي او الاجتماعي.

الحديثة/ الحداثة: تشير الى مواكبة الدولة الحضارية (اي القيمية) لعصرها، وانفتاحها على منتجات المجتمعات الاخرى في عصرها. والحداثة تعني التجدد والتغير المستمرين، لان لكل عصر حداثته. فلا تتجمد الحداثة عند مرحلة ما. في عصرنا الراهن ترتكز الحداثة على العلم الحديث والتكنولوجيا والمعرفة المتجددة في كل مجالات الحياة.

المركَّب الحضاري (بتشديد الكاف وفتحها) فهو العبارة الجامعة للعناصر الخمسة الأساسية التي تنتج الحضارة وتقوم عليها الدولة حين يتم تشغيلها على اساس منظومة القيم العليا. والعناصر الخمسة هي: الانسان والارض والزمن والعلم والعمل. غني عن البيان ان الانسان هو العنصر القائد والمحوري في المركب الحضاري. إستخدم السيد محمد باقر الصدر هذا التركيب اللغوي في كتاباته.

منظومة القيم العليا: هي المباديء او قواعد ومؤشرات السلوك التي تحيط بالمركب الحضاري وعناصره الخمسة. واصل هذه المنظومة ما جاء به الانبياء في فجر الحضارة الانسانية، وكذلك ما قدمه المفكرون والفلاسفة عبر الزمن وصولا الى وثائق الامم المتحدة وخاصة الاعلان العالمي لحقوق الانسان ومصفوفة اهداف التنمية المستدامة التي تشكل اجماعات بشرية على مفردات منظومة القيم العليا. هناك منظومات قيمية فرعية تتعلق بكل عنصر من عناصر المركب الحضاري، فضلا عن القيم العليا المشتركة.

التخلف الحضاري: هو خلل حاد او اختلالات حادة في المركب الحضاري ومنظومة القيم العليا الحافة به. وينتج عن هذه الاختلالات الكثير من الظواهر السلبية او المشكلات في المجتمع كالفساد والبطالة وانخفاض الانتاجية والاستبداد وغير ذلك. لا يمكن اصلاح هذه الظواهر السلبية دون معالجة الاختلالات التي سببتها في المركب الحضاري.

الاقلية المبدعة: هذا التركيب اللغوي في الاساس من ابتكارات الفيلسوف البريطاني توينبي. ونعني به مجموعة الاشخاص الذين يملكون وعيا مبكرا للمشكلة الحضارية، ويملكون رؤية علمية لحلها، ولديهم الايمان بقدرتهم على معالجة هذه المشكلة. وتضم الاقلية المبدعة الفلاسفة والمفكرين والكتاب والادباء والشعراء والاعلاميين والعلماء ورجال الدين والفنانين ورجال الاعمال وغيرهم من الجنسين.

الفصل الاول
وعي المشكلة ... وعي الحل

اولا، وعي المشكلة

تتعالى الاصوات المطالبة بالاصلاح والتغيير. وللناس الحق في ذلك. ولا داعي لسرد الاسباب الداعية لذلك. ولكن التغيير يتطلب، من بين امور اخرى كثيرة لن اذكرها الان، وعي المشكلة اولا، ووعي الحل ثانيا. والوعي يعني المعرفة الصحيحة بالمشكلة، والمعرفة الصحيحة بالحل. الوعي بالمشكلة يعني تشخيص المشكلة بشكل دقيق، كما يفعل الطبيب حين يشخص المرض. وعلى اساس التشخيص الدقيق للمشكلة يتم وضع الحل او تشخيص الدواء.

ولما كانت كل المشكلات التي نعاني منها في مختلف مجالات الحياة هي عبارة عن ظواهر اجتماعية، وجب تحليل المكونات الاولى للمجتمع والانطلاق منها في تشخيص المشكلة وتحليلها ثم تحديد الحل.

المجتمع في بنيته الاولى مؤلف من افراد ومنظومة علاقات تربط الافراد فيما بينهم من جهة، وتربط الافراد بالطبيعة من جهة ثانية. واستنادا على هذه البنية الاولية يتالف تاليا المركب الحضاري للمجتمع والدولة. والمركب الحضاري هو منظومة القيم العليا الحافة بعناصر المركب الحضاري الخمسة، وهي: الانسان والطبيعة والزمن والعلم والعمل. وحين نحلل اية مشكلة اجتماعية او سياسية او أقتصادية الخ سوف نجد انها تَمُتُّ بصلة ونسب الى المركب الحضاري. المشكلة هي تعبير كاشف عن وجود خلل ما في المركب الحضاري. المشكلة هي المظهر الخارجي او الافراز الجانبي لهذا الخلل في المركب الحضاري. وظيفة الوعي ان يكتشف الرابط بين المظهر الخارجي للمشكلة وبين الخلل الحاصل في المركب الحضاري.

ومن الضروري ان نعي ان الاختلالات الحاصلة في المركب الحضاري ليست وليدة اليوم، وان كان بعضها وليد اليوم. فقد تعرض المركب الحضاري في المجتمع العراقي، ربما منذ نهايات العصر العباسي الاول، الى جملة اختلالات تفاقمت وتراكمت بمرور الزمن وكان من نتائجها، على سبيل المثال، سقوط بغداد تحت الاحتلال المغولي عام ١٢٥٨، وسقوط المجتمع في مستنقعات التخلف الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي والعلمي، وتسلط مستبدين متخلفين على الدولة امثال صدام حسين، وصولا الى ما وصلت اليه الدولة العراقية الان من فشل وتفاهة وعدم كفاءة. ولذا نحتاج ان نعي انه مثلما حصلت الاختلالات في المركب الحضاري عبر زمن طويل فان اصلاحها ربما يتطلب زمنا طويلا ايضا.

وبامكان القاريء تطبيق هذه الفكرة على اي مشكلة من مشكلات المجتمع العراقي، مثل مشكلات الاستبداد وانخفاض انتاجية المجتمع والبطالة والخرافة والجهل. وسوف يجد ان هذه المشكلات مرتبطة عضويا باختلالات في المركب الحضاري ادت الى ظهورها، مثل الاختلال في موقف المجتمع من مسالة الحرية وحق الشعوب في تقرير مصيرها وامامة او امارة المتغلب، او موقف المجتمع من العمل، وخاصة العمل في الارض وزراعتها، والعمل الجماعي، والاهتمام بالعلم والمعرفة، والعقلانية، والفهم الحضاري للدين، وخاصة القيم الحضارية العليا التي اكد عليها القران الكريم الذي يتلى كل يوم في مجالس المسلمين، وهكذا.

هذا التشخيص السليم للمشكلة، اي وعي المشكلة، سيكون الاساس السليم لتشخيص الحل. اما انعدام هذا الوعي، او بناء الحل خارجه، فسوف لن يساعد في حل المشكلة ولعله يُسهم في مفاقمتها و اعاقة حلها وهدر الجهود المبذولة في هذا السياق. وهذا ما تعرضت له الجهود الاصلاحية التي شهدها المجتمع العراقي بما في ذلك محاولات علاء الدين عطا ملك الجويني (١٢٢٦-١٢٨٣) ومحاولات الوالي العثماني مدحت باشا (١٨٢٢-١٨٨٤)، وظهور الاحزاب العقائدية مثل الحزب الشيوعي وحزب الدعوة، وصولا الى التظاهرات الاحتجاجية

في شهر تشرين الاول من عام ٢٠١٩. كل هذه الجهود والمحاولات تمت خارج الوعي الدقيق بطبيعة المشكلة وجوهرها، اي وعي الخلل في المركب الحضاري ومنظومة القيم العليا الحافة بعناصره الخمسة. لذا جاءت الحلول كمن يدور حولها دون ان ينفذ الى صميمها وجوهرها.

ثانيا، وعي الحل

بما ان جوهر المشكلة التي يواجهها المجتمع العراقي يتمثل في الخلل في المركب الحضاري ومنظومة القيم العليا الحافة بعناصره الخمسة، فان حل المشكلة يجب ان يعالج هذا الخلل. وهذا ما سوف اطلق عليه اسم "الحل الحضاري"، وهذا هو الوعي الخاص للحل الذي اقدمه للقراء. وعي الحل هو معرفة العلاج الصحيح للمشكلة.
وبناء على هذا التشخيص، يجب ان ينطلق الحل من المركب الحضاري ومنظومة القيم الحافة به، اي تفعيل المركب الحضاري على ضوء وهدي قيم عليا صالحة تضمن عدم وقوع الخلل، او تضمن علاجه اذا حصل. وهذا يعني ان الحل الحضاري سيكون على وجهين، وقائي وعلاجي.
في الوجه الوقائي يقوم الحل بالحيلولة دون وقوع الخلل في المركب الحضاري اصلا. والحل يكون صحيحا ومجديا اذا كان قادرا على منع لو تقليل احتمالية وقوع الخلل في المركب الحضاري ومنظومة القيم العليا الحافة به. فليس المطروح هنا معالجة الخلل حين يقع، فقط، وانما توفير البيئة المناسبة لمنع وقوع الخلل اصلا ايضا. والبيئة المناسبة عنوان عريض واسع يشمل الكثير من المفردات منها القانون والمؤسسات والتربية والثقافة العامة والخدمات والادارة والعلم الخ.
اما في الوجه العلاجي، فان الحل يقوم بمعالجة الخلل في حال حصوله رغم الاجراءات الوقائية. والعلاج هنا يكون ايضا بالاستناد الى منظومة القيم العليا الحافة بالمركب الحضاري، وليس منعزلا عنها. ذلك اننا نتحدث عن كيان كبير جدا اسمه المجتمع والدولة، وهو مبني على اساس منظومة قيم عليا، واصلاح اي خلل جزئي يكون على اساس هذه المنظومة ذاتها.
كما ان الحل يتحرك على مستويين: المستوى الكلي الذي يشمل كل بناء الفرد والمجتمع والدولة، والمستوى الجزئي الذي يعالج كل مسألة بذاتها سواء في الوجه الوقائي او العلاجي. والامر كما وصفه الحديث الصحيح المروي عن النبي محمد (ص):"مَثَلُ المُؤْمِنِينَ في تَوادِّهِمْ، وتَراحُمِهِمْ، وتَعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَداعَى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى."
ولا تقدم الاطروحات التي لم تشخص المشكلة كما فعلنا علاجا لمشكلات المجتمع بهذه الطريقة، بسبب عدم توفر الوعي الصحيح للمشكلة. لكن وعينا الحضاري لها مكننا من وضع اليد على الجانب الوقائي والعلاجي، والكلي والجزئي. وهذه النظرة تجعل من حل مشكلات الافراد والمجتمع والدولة امرا ممكنا، وتكون جهود الحل وفق هذه الرؤية مجدية ولا تتضمن اكلافا ضائعة وجهودا مهدورة.
وتقدم اطروحة الدولة الحضارية الحديثة الحل الحضاري لمشكلات المجتمع من النواحي الاربع السابق ذكرها، بل ان الحل الحضاري يتجسد حصريا بفكرة الدولة الحضارية الحديثة؛ فمن الناحية الكلية الشمولية والوقائية فان كل منظومة او هندسة الدولة الحضارية الحديثة، وركائزها، ومؤسساتها توفر البيئة الصالحة القادرة على القضاء على/ او الحد من/ احتمالية وقوع الفساد في الدولة، اي الخلل في جانبيه البنيوي والوظيفي، وهذا ما نشاهده اليوم في الدول التي حققت درجات عالية في السلّم الحضاري. ومن الناحية الموضعية فان الدولة الحضارية الحديثة تعالج كل مشكلة بالعودة الى مواضع الخلل في المركب الحضاري التي انتجت المشكلة. وتقدم بالتالي حلولا حضارية للمشكلات القائمة.
وهذا كله لان الدولة الحضارية الحديثة هي، بالتعريف، الاطار الكلي الجامع الدي يحقق افضل اشتغال للمركب الحضاري وعناصره الخمسة في اطار منظومة القيم العليا الحافة بالمركب الحضاري. وهذا الامر يشكل بحد ذاته ضمانا وقائيا شاملا من وقوع الخلل، و يضمن علاجا صحيحا للخلل في حال وقوعه

الدولة الحضارية الحديثة

يتجسد الحل الحضاري في الدولة. فالدولة ضرورة في المجتمع، وهي الاطار العام والحاضنة الكلية التي يلجأ اليها الفرد والمجتمع لحل مشكلاتهما. وغياب الدولة يمثل خللا كبيرا في المركب الحضاري، لان غيابها يعني الفوضى. ولكي تكون الدولة حلا يجب ان تكون دولة حضارية حديثة. فالدولة الحضارية الحديثة هي "الحل الحضاري"، و هذا العنوان ليس شعارا عقائديا ولا سياسيا ولا حزبيا وليس اسم علم. غاية ما في الامر انه وصف للدولة التي تقوم على اساس الصيغة الحديثة لمنظومة القيم العليا التي تضمن اشتغال عناصر المركب الحضاري الخمسة على افضل وجه محقق لوفرة الانتاج وعدالة التوزيع و السعادة وحفظ كرامة الانسان وتكامله. وما ذلك الا لأن هذه الدولة تتعامل مع "الجينات" المسببة للمشكلات الحياتية التي تواجه الانسان، وتعالجها، وتقيم مؤسساتها وبرامجها ومؤسساتها على اساس "الجينات الصالحة" وهي القيم العليا الحافة بالانسان والطبيعة والزمن والعلم والعمل. تمثل هذه القيم مؤشرات للسلوك التي يتم على مستوى الفرد والمجتمع والدولة، وتخلق بالتالي البيئة المناسبة لنمو الجينات الصالحة، وتعطيل الجينات الفاسدة، كما يصورها القران الكريم بقوله:"قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا". الدولة الحضارية الحديثة هي الحل لانها توفر البيئة اللازمة لمنع الاختلالات في المركب الحضاري ومنظومة القيم الحافة بعناصره الخمسة.

وتحقق الدولة الحضارية الحديثة ذلك من خلال ركائزها الاساسية ممثلة في المواطنة والديمقراطية والقانون والمؤسسات والعلم الحديث. ولما كان الانسان هو علة الفساد وسبب الاصلاح في نفس الوقت فان الدولة الحضارية الحديثة تعنى بتنشئة مواطنيها التنشئة الصالحة واللازمة لقيامهم بدورهم الايجابي في المركب الحضاري، من حيث العلم والمهارة والالتزام بالقانون وقيم المواطنة الفعالة ومنظومة الحقوق والواجبات. ويتم ذلك، من بين طرق اخرى، عن طريق النظام التربوي الحديث الذي تنفذه المدارس في الدولة الحضارية الحديثة. وهدف المدرسة هو تخريج مواطنين قادرين ومؤهلين من حيث التربية والعلم والمهارة على ان يكونوا مواطنين فعالين يشاركون بايجابية في بناء المجتمع الصالح وتعظيم انتاجيته وتحقيق التعاون والتكافل الاجتماعي. ولهذا يحتل العلم الحديث دورا مهما في حياة الناس في ظل الدولة الحضارية الحديثة. فالعلم الحديث هو الوسيلة الافضل لاستثمار الطبيعة واستخراج ثرواتها وتحقيق التقدم في الزراعة والصناعة والانتاج وتنظيم المجتمع وتسهيل الاجراءات وتحسين حياة الناس. وتشجع الدولة البحث العلمي والاكتشاف والاختراع والابتكار. وتمنع الدولة الحضارية الحديثة الاستبداد والاحتكار واستغلال المناصب الحكومية والاثراء غير المشروع واساءة استخدام المال العام. وهذا كله في الجانب الوقائي، الكلي، اما في الجانب العلاجي الجزئي فان الدولة الحضارية تتوصل الى حل المشكلات التي يتعرض لها المجتمع مثل الفساد او ضعف الانتاجية، او غير ذلك من خلال رؤية حضارية منبثقة بالاساس من منظومة القيم العليا الحافة بالمركب الحضاري، وقد قدمت في مقالات سابقة نماذج لهذه المعالجات الحضارية من خلال منظومة القيم العليا.

وبينت ان مشكلة البطالة، على سبيل المثال، تعبر عن وقوع خلل حاد في العنصر الخامس من عناصر المركب الحضاري، وهو العمل. فالبطالة تعني ان هذا العنصر خرج من المركب الحضاري وتعطل دوره. ويجب البحث الدقيق عن اسباب هذا الخلل ومعالجتها مباشرة. ومن الطبيعي ان المعالجة لا تكون بزج الناس في الجهاز الاداري للدولة المتخم بالموظفين؛ لان هذا لا يعيد الحياة الى العنصر الخامس، وانما هو بطالة مقنعة، وزيادة الاعباء المالية الدولة بدون مردود انتاجي. انما يتمثل الحل الحضاري لهذه المشكلة باعادة دمج العنصر الخامس، اي العمل، بالمركب الحضاري، ضمن علاقة انتاجية مع الارض، عبر العلم. وذلك بزج اليد العاملة، مثلا، في مشاريع زراعية، تستثمر الارض، وفي مشاريع التربية الحيوانية، وفي مشاريع صناعية متفرعة عنها مثل صناعة الالبان، وتعليب المنتجات الزراعية، وما شابه. بهذه الطريقة يحقق الحل الحضاري هدفين في آن واحد: توفير فرص عمل للعاطلين، وزيادة انتاجية المجتمع.

ثالثا، ما العمل؟

اذاً المشكلة الجوهرية هي الخلل الحاد في المركب الحضاري للمجتمع ومنظومة القيم العليا الحافة بعناصره الخمسة، اي الانسان والارض والزمن والعلم والعمل.
والحل هو الدولة الحضارية الحديثة. ومع ان الدولة الحضارية الحديثة هي اتجاه تاريخي عام، او سنة تاريخية من النوع الثالث حسب تصنيف السيد محمد باقر الصدر، الا ان تحققها في الواقع الخارجي متوقف على عمل الانسان، الذي هو العنصر الاول والعامل الرئيسي في المركب الحضاري.
واذاً فان الثمرة الحقيقية والنتيجة المنطقية لوعي المشكلة ووعي الحل هو ان يُترجم الوعيان الى عمل. ولا حاجة لتذكير قارئي القران الكريم بالمساحة الكبيرة التي يشغلها العمل في القران، خاصة في تكرار صيغة "الذين امنوا وعملوا الصالحات" التي وردت ١٠ مرات؛ ونستطيع القول الان ان عبارة "الذين امنوا" تتضمن اولئك الذين امتلكوا وعيا للمشكلة وحلها، ثم قرنوا هذا الوعي بالعمل، وهو العمل الذي يؤكد القران الكريم انه لن يضيع سدى، وانه سوف يحقق اهدافه واغراضه، كما في قوله تعالى:"فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ".
وهذا النوع من العمل ينطلق على ايدي من وصفهم توينبي بالاقلية المبدعة، فهم عدد قليل من الناس كان لهم السبق في امتلاك وعي المشكلة ووعي الحل، وامتلكوا ثقة عالية بالنفس والقدرة على التغيير، وعليهم تقع مسؤولية توعية بقية الناس، وقيادة عملية التغيير الحضاري واقامة الدولة الحضارية الحديثة. ويختلف هؤلاء عن العسكريين الذين يقومون بالانقلابات العسكرية، وعن السياسيين الذين ينشغلون في الصراع حول السلطة.
الاقلية المبدعة تعمل على اعادة تشكيل المركب الحضاري في اطار منظومة القيم العليا الحافة به بهدف اقامة الدولة الحضارية الحديثة انطلاقا من المعادلة التاريخية الحضارية التالية:
الحضارة=المركب الحضاري+منظومة القيم العليا
وغني عن الذكر ان الاقلية المبدعة يجب ان تعمل وفق قانون او مبدأ التعاون الذي يشير اليه القران الكريم بقوله:"وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ". والتعاون يعني العمل الجماعي، وتقسيم المهام، والتخلي عن جزء من الفردية، الخ.
ويجب ان اذكر هنا ان بعض افراد الاقلية قد يعزفون عن العمل الجماعي التعاوني لاسباب شتى، وهذا يُحدث خللا يجب معالجته اما باقناعهم بالعمل التعاوني الجماعي، او بالاستفادة من انتاجهم الحضاري دون الحاجة الى دمجهم شخصيا بالعمل الجماعي، لكي نتجنب حرمان العملية الحضارية من نتاجاتهم في مختلف المجالات.
وتتطلب هذه العملية و خطة او استراتيجية طويلة الامد، وذلك لان العملية الحضارية تستغرق وقتا طويلا ولا تتم في ليلة وضحاها. وهذا يتطلب توطين النفس، والصبر، وعدم الملل والضجر، او استعجال النتائج وحرق المراحل، وربما الاصابة بعد ذلك باليأس والاحباط.
ولا شك في ان التربية والتعليم والمدرسة تلعب دورا كبيرا في العملية الحضارية، ويتفرع عن هذه النقطة الكثير من المسائل الفرعية التي سوف تذكر في حينها.
وتبرز مسألة القيادة كاحدى الامور التي تشغل بال العاملين. والقيادة تعني اناطة سلطة القرار بيد عدد من الاشخاص. ويكفي ان اقول في هذه المرحلة ان الاشخاص المهيئين للقيادة يبرزون ويتعينون في مجرى العمل، ومن ثم يجري تنصيبهم بطريقة ديمقراطية. ولا تحتاج الاقلية المبدعة الى اشغال نفسها بهذا الامر في وقت مبكر من عملها.
اخيرا، يمكن، في مجتمع يأخذ بالحد الادنى من الديمقراطية، اي الانتخابات الدورية، ان تأخذ الاقلية المبدعة بوجهة النظر القائلة بامكانية تحقيق بعض مفردات التغيير من خلال الدولة القائمة نفسها.

الفصل الثاني
الدولة الحضارية الحديثة:
تعريفها واسسها

الدولة الحضارية الحديثة مفهوم يشير إلى دولة تتمتع بتطور اقتصادي واجتماعي وسياسي متقدم، تعتمد على مجموعة من القيم والمبادئ الحديثة مثل حقوق الإنسان والحريات الفردية والعدالة الاجتماعية. تتمتع الدولة الحضارية الحديثة بمؤسسات قوية ونظام سياسي ديمقراطي يحمي حقوق المواطنين ويوفر التعليم الجيد والرعاية الصحية والخدمات الأخرى للمواطنين. كما تكون للدولة الحضارية الحديثة قوة اقتصادية قوية وتمكنها من المشاركة في الاقتصاد العالمي والتعامل مع التحديات العالمية المعاصرة مثل التغير المناخي والهجرة والإرهاب. تعتبر الدولة الحضارية الحديثة مؤشرًا على التقدم والتحضر والازدهار في المجتمعات البشرية.

اسس الدولة

تقوم الدولة الحضارية الحديثة على الأسس التالية: المواطنة، الديمقراطية، المؤسسات، القانون، والعلم الحديث. هذه الأسس تمثل الركائز الأساسية للدولة الحضارية الحديثة التي تهدف إلى تحقيق الاستقرار والتقدم في المجتمع. سنقدم شرحاً لكل من هذه الأسس على التوالي:

الأساس الأول هو المواطنة. تعني المواطنة أن هناك حقوقاً ومسؤوليات لكل فرد يعيش في الدولة. يتمتع المواطن بحقوق مدنية أساسية مثل الحق في الحياة والحرية الشخصية والمساواة أمام القانون. بالإضافة إلى ذلك، فإن المواطنة تلتزم الفرد بواجبات ومسؤوليات تجاه المجتمع، من بينها دفع الضرائب واحترام القانون والمشاركة في الحياة العامة.

الديمقراطية هي الأساس الثاني للدولة الحضارية الحديثة. الديمقراطية تعني حكم الشعب، حيث يتمتع المواطنون بحق التصويت والمشاركة في صنع القرار. يتم اختيار الحكومة والممثلين السياسيين من قبل الشعب في انتخابات حرة ونزيهة. بالإضافة إلى ذلك، فإن الديمقراطية تضمن حماية حقوق الأقليات وتعزز التعايش والسلم الاجتماعي.

الأساس الثالث هو المؤسسات. المؤسسات هي الهياكل المنظمة التي تدير شؤون الدولة والمجتمع. تضمن المؤسسات توفير الخدمات الأساسية للمواطنين مثل الصحة والتعليم والبنية التحتية. كما تعمل المؤسسات على فرض نظام قانوني وتنظيم الاقتصاد وتعزيز العدالة والمساواة وحقوق الإنسان.

القانون هو الأساس الرابع للدولة الحضارية الحديثة. يهدف القانون إلى تنظيم العلاقات بين الأفراد وحماية حقوقهم وضمان العدالة. يتم تطبيق القانون بشكل متساوٍ ومنصف على جميع المواطنين بغض النظر عن جنسيتهم أو خلفيتهم. بالإضافة إلى ذلك، فإن القانون يعمل على منع الفساد والظلم وتعزيز سيادة القانون واحترامه.

أما الأساس الخامس فهو العلم الحديث. يلعب العلم دورًا هامًا في تقدم الدولة الحضارية الحديثة. يعزز العلم التطور التكنولوجي والاقتصادي ويسهم في تطوير المهارات والمعرفة لدى المواطنين. يعتمد العلم على البحث والتجارب العلمية ويسعى إلى فهم الظواهر الطبيعية وتطوير التكنولوجيا وتحسين الحياة البشرية.

باختصار، تقوم الدولة الحضارية الحديثة على الأسس المذكورة، حيث تهدف إلى تحقيق المواطنة والديمقراطية وتوفير المؤسسات المنظمة وتطبيق القانون بشكل عادل واحترام العلم وتطوره. تلك الأسس هي أساس الاستقرار والتطور والتقدم في الدولة الحضارية الحديثة التي تسعى لتحقيق رفاهية المواطنين وتعزيز التعاون والتماسك الاجتماعي.

المواطنة

يمكن لمفهوم المواطنة أن يساهم في بناء الدولة الحضارية الحديثة عن طرق عدة:
1. المشاركة السياسية: يشمل ذلك المشاركة في الانتخابات والدفاع عن الحقوق والمطالب العامة. يساعد هذا المشاركة في تحقيق المساواة والعدالة في المجتمع، وتحقيق مصلحة الجميع.
2. احترام القانون: يعني ذلك أن يكون لدى المواطن الالتزام بالقوانين واللوائح المعمول بها في الدولة. تعزز احترام القانون الاستقرار وتعزز الثقة بين المواطنين والحكومة.
3. المشاركة المدنية: يمكن للمواطن المساهمة في المشاريع والبرامج التي تهدف إلى تطوير مجتمعه. على سبيل المثال، يمكنه المشاركة في برامج التعليم والصحة والبنية التحتية والسياحة والثقافة.
4. الاحترام المتبادل: يعني ذلك أن يكون لدى المواطن الاحترام للتنوع الثقافي والاجتماعي والديني للآخرين في المجتمع. يساهم هذا في تعزيز التعايش السلمي والتفاهم بين الأفراد.
5. المسؤولية الاجتماعية: يشمل ذلك أن يكون لدى المواطن الاهتمام بمصلحة المجتمع بشكل عام وأن يسعى للمساهمة في حل المشاكل وتحقيق التنمية المستدامة.

من خلال ممارسة هذه القيم والمبادئ واتباعها، يمكن لمفهوم المواطنة أن يساهم في بناء دولة حضارية حديثة تكون مزدهرة ومتقدمة في مختلف المجالات.

الديمقراطية

تسهم الديمقراطية في بناء الدولة الحضارية الحديثة من خلال عدة طرق:
1. تعزيز المشاركة الشعبية: تمكن الديمقراطية المواطنين من المشاركة في صنع القرارات الحكومية والسياسية التي تؤثر في حياتهم. هذا يعزز الوعي الحضاري ويمكن الناس من التأثير على السياسات التي تعزز التقدم والتطور.
2. حماية حقوق الإنسان: تعتبر الديمقراطية حارسًا لحقوق الإنسان والحريات الأساسية. ومن خلال احترام وتعزيز حقوق الإنسان، يتم بناء دولة حضارية تحترم كافة تصورات الناس وتعمل على تعزيز التعايش والتسامح.
3. تعزيز العدالة والمساواة: تحترم الديمقراطية حاجة الجميع إلى العدالة والمساواة في فرص الحياة. من خلال ضمان المساواة في الوصول إلى الخدمات والفرص والموارد الحضرية، يمكن للديمقراطية أن تساهم في بناء دولة حضارية تعزز التنمية المستدامة وتحد من الفقر.
4. تشجيع الابتكار والتطور: يتيح النظام الديمقراطي للمجتمع فرصًا للابتكار والتطور الاقتصادي عن طريق ضمان حرية الاختلاف والتنافس في الأعمال التجارية والأفكار. يعزز هذا النظام الديناميكي الابتكار والتطور في مجالات مثل التكنولوجيا والعلوم والصناعة، مما يسهم في بناء دولة حضارية حديثة ومتقدمة.
5. الاعتراف بقيمة التنوع: يؤمن النظام الديمقراطي بقيمة التنوع والاحترام المتبادل بين الثقافات والمعتقدات. وبتشجيع التفاعل والحوار بين الأفراد والمجموعات المختلفة، يمكن للديمقراطية تعزيز التسامح والفهم المتبادل، وبالتالي بناء دولة حضارية تسعى لتحقيق السلام والاستقرار.

بشكل عام، يعزز النظام الديمقراطي نمو الدولة الحضارية الحديثة من خلال تعزيز المشاركة الشعبية وحماية حقوق الإنسان وتعزيز العدالة والمساواة وتشجيع الابتكار والتطور والاعتراف بقيمة التنوع.

المؤسسات

توجد عدة طرق يمكن للمؤسسات أن تسهم في بناء الدولة الحضارية الحديثة، بما في ذلك:

1. التعليم والتثقيف: يمكن للمؤسسات أن تسهم في بناء الدولة الحضارية من خلال توفير التعليم والتثقيف الجيد للمجتمع. يمكنها توفير فرص التعليم المجاني والنوعي، بالإضافة إلى تنظيم الدورات التدريبية وورش العمل لزيادة المعرفة والمهارات.
2. الابتكار والتكنولوجيا: يمكن للمؤسسات أن تسهم في بناء الدولة الحديثة من خلال الاستثمار في الابتكار والتكنولوجيا. يمكنها تطوير برامج البحث والتطوير، وتوفير الدعم المالي والتقني للمشاريع الابتكارية والشركات الناشئة.
3. دعم الاقتصاد المستدام: يمكن للمؤسسات أن تسهم في بناء الدولة الحضارية من خلال دعم الاقتصاد المستدام والمسؤول. يمكنها تطبيق السياسات والممارسات التي تحسن الاستدامة البيئية والاقتصادية والاجتماعية، وتشجيع المشاريع والأعمال التجارية التي تعتمد على الموارد المتجددة وتحافظ على التوازن البيئي.
4. المسؤولية الاجتماعية: يمكن للمؤسسات أن تسهم في بناء الدولة الحضارية عن طريق تبني المسؤولية الاجتماعية. يمكنها المساهمة في حل المشكلات الاجتماعية والبيئية، وتوفير فرص العمل للمجتمع المحلي، وتعزيز حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية، وتوفير برامج المساعدة والتنمية للمناطق المحرومة.
5. التعاون والشراكة: يمكن للمؤسسات أن تسهم في بناء الدولة الحضارية من خلال التعاون والشراكة مع الحكومة والمجتمع المحلي والمؤسسات الأخرى. يمكنها تبادل المعرفة والخبرات والموارد، والعمل معاً على تحقيق الأهداف الاستراتيجية والتنمية المستدامة.

باختصار، يمكن للمؤسسات أن تسهم في بناء الدولة الحضارية الحديثة من خلال الاستثمار في التعليم والتثقيف، والابتكار والتكنولوجيا، ودعم الاقتصاد المستدام، والمسؤولية الاجتماعية، والتعاون والشراكة.

القانون

يمكن للقانون أن يسهم في بناء الدولة الحضارية الحديثة بالعديد من الطرق، بما في ذلك:

1. تعزيز العدل وحقوق الإنسان: يمكن للقانون أن يضمن العدل وحقوق الإنسان بتحقيق المساواة أمام القانون والحماية من التمييز العنصري أو الديني أو الجنسي أو الطبقي. ضمان حقوق الإنسان الأساسية يمكن أن يؤدي إلى تعزيز الكرامة البشرية والمساواة والتسامح والتعايش السلمي في المجتمع.
2. المساهمة في تطوير الحوكمة الجيدة: يمكن للقانون أن يساعد في بناء نظام حكم قوي وفعال يعمل بشكل تشاركي وشفاف وشرعي. من خلال تعزيز الشفافية في إدارة الشؤون العامة ومحاربة الفساد وإرساء قواعد العدالة في القطاع العام، يمكن للقانون أن يساهم في تحقيق التنمية المستدامة وتعزيز الثقة في الحكومة.
3. تعزيز الاقتصاد والاستثمار: يمكن للقانون أن يوفر بيئة قانونية ثابتة ومشجعة للأعمال التجارية والاستثمار. عن طريق وضع قوانين وسياسات تحمي حقوق الملكية، وتنظم العقود وتسهل إجراءات التجارة، يمكن للقانون أن يشجع على الابتكار والاستثمار ويدعم نمو الاقتصاد.
4. التعامل مع التحديات البيئية والاجتماعية: يمكن للقانون أن يشتمل على تشريعات لحماية البيئة والحفاظ على الموارد الطبيعية وتعزيز الاستدامة البيئية. بالإضافة إلى ذلك، يمكن للقانون أن يحظر التمييز ويحمي حقوق الأقليات ويعزز المساواة بين الجنسين ويساهم في بناء مجتمع أكثر تنوعًا ومدنية.
5. تعزيز العلاقات الدولية: يمكن للقانون أن يوضع وفقًا للمعايير الدولية وأن يسهم في تعزيز العلاقات الدولية. يمكن للقانون أن يساعد في إنشاء نظام قانوني دولي يتعامل بالإنصاف والمساواة بين الدول ويحفظ السلام والأمن الدوليين.

بشكل عام، يمكن للقانون أن يسهم في بناء الدولة الحضارية الحديثة من خلال إرساء قواعد قانونية تعزز العدل وحقوق الإنسان والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والبيئية وتعزيز العلاقات الدولية.

العلم الحديث

يمكن للعلم الحديث أن يسهم في بناء الدولة الحضارية الحديثة بالعديد من الطرق، ومن أهمها:

1. تطوير التكنولوجيا: يساعد العلم الحديث على تطوير التكنولوجيا في مجالات متعددة مثل الطاقة النظيفة والاتصالات والنقل والطب والزراعة. تلك التكنولوجيا تسهم في تحسين جودة الحياة وزيادة إنتاجية العمل وتوفير فرص عمل جديدة.

.2البحث العلمي والتطوير: يساهم الاستثمار في البحث العلمي والتطوير في تطوير المعرفة العلمية وفهم العالم وحل المشكلات المعقدة. كما يساهم في تطوير الابتكارات التكنولوجية والطبية والزراعية.
.3الصحة والطب: يساهم العلم الحديث في تقديم حلول طبية متقدمة وعلاجات للأمراض المستعصية. يساعد في تحسين مستوى صحة السكان وزيادة الأمل في الحياة وتقليل معدل الوفيات.
.4حماية البيئة والتنمية المستدامة: يعمل العلم الحديث على فهم آثار الأنشطة البشرية على البيئة وتطوير تقنيات وحلول للحفاظ على البيئة وتحقيق التنمية المستدامة.
.5التعليم والتثقيف: يساعد العلم الحديث في تطوير برامج التعليم وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات لتعزيز الوعي العلمي وتمكين الناس من اتخاذ قرارات مستنيرة والمشاركة الفعالة في بناء الدولة الحضارية.
عمومًا، يمكن القول أن العلم الحديث يعتبر أساسًا مهمًا في بناء الدولة الحضارية الحديثة من خلال تحسين الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتنمية المستدام

الفصل الثالث
فكرة الدولة الحضارية الحديثة

(١) الفكرة

لأبدأ هذا الفصل بتوضيح مهم، وهو انني لا اتحدث هنا عن الدولة الحضارية الحديثة نفسها، وانما اتحدث عن "فكرة" الدولة الحضارية الحديثة. ذلك ان د ح ح قد يكون تحقيقها في العراق حلما بعيدا عن المنال الان، وربما شعر بعض العراقيين باليأس من امكانية تحقيقها (انا شخصيا ارى غير ذلك). اما "فكرة" د ح ح فهي اطروحة نظرية يمكن مناقشتها ودراستها على الورق، بوصفها انموذجا لدولة نحلم باقامتها في العراق، على انقاض الجمهورية الثالثة الراهنة، او ما بعدها. مقالي هذا يتحدث عن "الفكرة" ولا يتحدث عن التجسيد الخارجي الملموس للفكرة. بعد هذا التوضيح، ما اريد ان اتحدث عنه في هذا المقال اختصره بالعبارة التالية:"الدولة الحضارية الحديثة اساس ومقياس". وذلك بالمعنى التالي:

الاساس: د ح ح اساس نظري لنموذج الدولة الذي يمكن اتخاذه قاعدة ومنطلقا للتفكير في اقامة الدولة في العراق.و يمكن اعتباره "خارطة" البناء للدولة اذا اخذنا بمفهوم الهندسة السياسية لبناء الدول. بهذا المعنى سوف نتحدث عن الفرد والمجتمع والدولة في فكرة د ح ح مثلا، كما سوف نتحدث عن الحكومة والبرلمان والاحزاب والاعلام في د ح ح. وايضا سوف نتحدث عن النظام السياسي، والنظام الاقتصادي، والنظام القضائي، والنظام التربوي، الخ في د ح ح. وفي كل هذه الحالات سوف تكون د ح ح "فكرة" مطروحة للنقاش والدراسة والتحليل والنقد، ثم اخيرا تكون فكرة معروضة للاعتقاد والتبني والعمل بموجبها من قبل الافراد والاحزاب وربما الحكومات. والاعتقاد يعني: اتخاذ "فكرة" د ح ح دليلا ومنهاجا للعمل من قبل من يعتقد بها و يتبناها، فردا كان ام مجموعة او حكومة. بهذه المعاني كلها نقول: ان فكرة د ح ح اساس.

هذا اولا، وثانيا تقول ان د ح ح مقياس. بمعنى انها الفكرة او المخطط الذي نقيس بموجبه اطروحات وافكار وافعال الافراد والاحزاب والحكومات، ونقيمها، و ننقدها ونحكم عليها سلبا او ايجابا. بمعنى ان "فكرة" د ح ح تزوّد حاملها بنظارة لرؤية الواقع المعاش من خلالها، رؤية الواقع الملموس كما هو لكن من خلال "فكرة" د ح ح. وهذه هي الرؤية الحضارية للواقع. وهذا هو الوعي السياسي الحضاري. وهذا ما نحتاج اليه منذ تأسيس الدولة العراقية الى الان. وغياب هذه الرؤية الحضارية هو من اسباب (ولا اقول السبب الوحيد) التخبط الذي يعاني منع الفرد العراقي والاحزاب العراقية والمجتمع العراقي والحكومات العراقية واخيرا الدولة العراقية. وينطبق هذا القول- الحكم على الحكام والمحكومين، الاسلاميين والعلمانيين، بدون حاجة للتحديد والتخصيص والتشخيص في هذه اللحظة من البحث. لا انكر ان لكل هؤلاء مقياسا يؤمن به، ويحكم من خلاله على الاشياء، ولكن مقاييس هؤلاء اما انها ايديولوجية بحتة، او مطلبية بحتة، او حتى فردية بحتة منطلقة من تجارب ووقائع شخصية يجري تعميمها بدون اساس علمي، والاهم من ذلك انها لا تنطلق من رؤية حضارية للمشكلة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في العراق.

الان اشرح ما اقصده بكلمة "الرؤية الحضارية": انها الرؤية التي تبنى على فكرة "المركَّب الحضاري والقيم الحضارية العليا الحافة به وبعناصره". كل المجتمعات عبارة عن "مركب حضاري" يتالف من خمسة عناصر هي: الانسان والارض والزمن والعلم والعمل. وتقوم العلاقات بين هذه العناصر بناء على مجموعة قيم عليا، كلية وفرعية، يتبناها الانسان والمجتمع وتتخذ قاعدة لاشتغال هذه العناصر، وتكون اساسا لبناء النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي والتربوي الخ للمجتمع والدولة. وهذا ينطبق على المجتمع المؤمن والمجتمع الملحد، وعلى المجتمع المتقدم والمجتمع المتأخر، ولا فرق بين مجتمع واخر الاّ في نوعية وطبيعة هذه القيم، التي تؤثر على وتتأثر بالعناصر الخمسة للمركب الحضاري.

(٢) التحولات التاريخية

كل التحولات الكبرى في التاريخ التي نطلق عليها وصف "الحضارية" انطلقت من رؤية متكاملة او شبه متكاملة للمركب الحضاري، لعناصره و لمنظومة قيمه. ينطبق هذا على الثورة الاسلامية النبوية التي قادها النبي محمد بوحي رباني، وينطبق على الثورات الكبرى الاخرى مثل الثورة الانكليزية، والثورة الاميركية، والثورة الفرنسية، والثورة الروسية، والثورة الايرانية، وغيرها. كل هذه الثورات، او التحولات الحضارية، ارتبطت باسماء مفكرين وفلاسفة وعلماء ومنظرين، ممن حفظ التاريخ اسماءهم، وقدموا لمجتمعاتهم رؤية حضارية (اي فهما معينا للمركب الحضاري ومنظومة القيم الحافة به) واستطاعوا اقناع مجتمعاتهم بها ومن ثم اطلاق الحراك الحضاري المجتمعي صوب ما تمثله هذه القيم من اهداف عليا. طبعا نجاح هذه المجتمعات في تجسيد هذه القيم نسبي، بعضها نجح والنجاح بدرجات، وبعضها فشل لاسباب قد تعود الى نفس منظومة القيم، او بسبب الانحراف والارتداد عن منظومة القيم، او ربما لاسباب تكوينية تتعلق بعناصر المركب الحضاري نفسها. لكن القاعدة التاريخية واحدة، وهي وجود منظومة قيم عليا تشكل اساسا ومقياسا لطريقة اشتغال المركب الحضاري وعناصره الخمسة.

لم يحصل هذا في العراق بعد عام ٢٠٠٣. التغيير الذي حصل كان جزئيا بل فوقيا تعلق بشكل اساسي بالطبقة السياسية الحاكمة، بل ان المفهوم الاميركي للتغيير، واميركا التي لعبت دورا مهما في اسقاط النظام، كانت تتبنى مفهوما محدودا للتغيير، كان ابعد ما يكون عن الرؤية الحضارية للتغيير. اما الاحزاب السياسية ، القديمة والجديدة، فلم يدّع اي منها انه يملك مشروعا حضاريا لبناء الدولة، رغم ان بعضها يدعي الانتساب او الانتماء الى محمد باقر الصدر، وهو من اوائل المفكرين العراقيين الذين ربطوا مسألة بناء الدولة بفكرة المركب الحضاري، وذلك في مقدمة الطبعة الثانية لكتاب "اقتصادنا"، لكني لم اجد ايا من الاحزاب الاسلامية، او الاحزاب العلمانية، الشيعية او السنية او الكردية،او المتظاهرين المحتجين في تشرين عام ٢٠١٩ قدّم رؤية للتغيير مرتبطة بالمركب الحضاري ومنظومة القيم الحافة به، ولو كان لبان. نعم رفعت بعض الجهات شعارات الدولة المدنية، او العصرية، او العادلة، لكن بدون مضمون او محتوى. ولم يكن متظاهرو تشرين بافضل حالا، ولا التيار الصدري. مع احترامي للصالحين والصادقين منهم، وتقديري للقواعد الشعبية، كبيرة او صغيرة، التي يستندون اليها ويتحدثون باسمها. فلا مشاعر سيئة، انما نحن بحاجة الى رؤية فاحصة ونظر ثاقب وكلمة موضوعية من اجل تشخيص نقطة الخلل سعيا الى تلافيها ومعالجتها. ونقطة الخلل هي عدم وجود اساس ومقياس حضاري لعملية بناء الدولة؛ حضاري بمعنى انبثاق الاساس والمقياس من رؤية علمية موضوعية واقعية للمركب الحضاري، وامتلاك منظومة قيم عليا خاصة به. ويمكن لاي عراقي متابع ان يلحظ ان كل الحراك السياسي والاجتماعي الدائر على الاقل منذ خريف عام ٢٠١٩ يدور بعيدا عن مشكلة المركب الحضاري وقيمه الحافة. فهذا الحراك يدور حول قضايا جزئية، قد تكون مهمة واساسية وتلبي حاجات ومطالب وعواطف الجمهور، لكنها ليست منتظمة في اطار واسع جامع مانع يشكل اساسا ومقياس للتصرفات والاعمال والافكار. وهذه من اكبر العوامل التي تعيق عملية الاصلاح الذي اصبح مطلبا شعبيا. ولهذا يكون من الملح معالجة هذا الخلل او هذا العامل المعيق للحركة الاصلاحية الحقيقية التي كانت المرجعية قد باركتها في البداية، لكنها توقفت عند مطالب خدمية وشعارات محدودة، دون ان تخطو الخطوة الاكبر بطرح الرؤية الحضارية الشاملة التي تشكل اساسا ومقياسا.

من هنا جاء طرح "فكرة" الدولة الحضارية الحديثة، لانها، بالاستقراء التاريخي والواقعي، يمكن ان تشكل اساسا متينا ومقياسا سليما للحراك السياسي والاجتماعي القادر فعلا على تحقيق الاصلاح الشامل واعادة بناء الدولة العراقية بكل الاوصاف المحببة لاصحابها: المدنية والعصرية والعادلة مما يجمعها كلها وصف الدولة الحضارية الحديثة.

(٣) فكرة جميلة

فكرة الدولة الحضارية الحديثة فكرة جميلة جدا على مستوى النظرية وعلى مستوى التطبيق. وهذه هي حال كل نموذج مثالي منذ ان كتب افلاطون كتابه الشهير "الجمهورية"، وهذا ما ينطبق على كل المؤلفات والافكار المماثلة مثل "يوتوبيا" لتوماس مور و "المدينة الفاضلة" للفارابي وغيرهما. ولهذا لا يملك الفرد سوى ان يحب هذه الافكار بغض النظر عن تحققها او امكانية تحققها في المدى المنظور.

من جانبها، تعد الدولة الحضارية الحديثة واحدة من أهم الأفكار التي تستحوذ على انتباه المهتمين بالتنمية المستدامة والتخطيط المجتمعي المتقدم. يحتضن هذا المفهوم مزيجًا من الابتكار التكنولوجي، التخطيط البيئي، والعدالة الاجتماعية ضمن الإطار المجتمعي. تشمل الدولة الحضارية الحديثة مبادئ وتصميمات تهدف إلى خلق بيئة حضارية متكاملة ومستدامة. ويتولد جمال فكرة الدولة الحضارية الحديثة من الخصائص التالية:

** .1التكنولوجيا والابتكار**:

تعتمد الدولة الحضارية الحديثة على استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لتطوير بنية تحتية ذكية. تشمل هذه التكنولوجيا إدارة المرور، توفير الطاقة، تحسين الخدمات الصحية والتعليمية، وغيرها من الخدمات الحيوية. المجتمعات الذكية تُعتبر جزءًا لا يتجزأ من هذا المفهوم، حيث يتم جمع البيانات وتحليلها لتحقيق كفاءة أعلى في إدارة المجتمع.

** .2الاستدامة البيئية**:

الاهتمام بالبيئة يعتبر محورًا رئيسيًا في الدولة الحضارية الحديثة. يهدف التصميم الحضاري المستدام إلى تقليل الانبعاثات الكربونية، تحسين جودة الهواء والماء، وتعزيز المساحات الخضراء والمناطق الطبيعية داخل البلد. يتضمن ذلك استخدام موارد الطاقة المتجددة، مثل الطاقة الشمسية والرياح، وتطبيق ممارسات البناء الأخضر.

** .3العدالة الاجتماعية**:

الدولة الحضارية الحديثة تسعى إلى تحقيق توازن اجتماعي من خلال توفير فرص متساوية للمواطنين. يتجلى ذلك في التخطيط الحضاري الذي يركز على توفير الإسكان الميسور، والتعليم الشامل، والرعاية الصحية الجيدة، والبنية التحتية المتاحة للجميع.

** .4التنقل الذكي**:

النقل المستدام والتنقل الذكي هما عنصران رئيسيان في الدولة الحضارية الحديثة. تتضمن الخطط إنشاء شبكات نقل عام كفؤة وصديقة للبيئة، مثل الحافلات الكهربائية، الدراجات الهوائية، ومسارات المشي. أيضًا، تُعدُّ أنظمة النقل الذكية جزءًا من هذه الرؤية لتحسين تدفق المرور وتقليل الازدحام.

** .5المشاركة المجتمعية**:

تشجع الدولة الحضارية الحديثة على مشاركة المواطنين في صنع القرارات وتخطيط المجتمع. تُؤخذ آراء السكان واقتراحاتهم بعين الاعتبار لضمان أن تعكس الخطط الحضارية احتياجات ورغبات المجتمع.

6. **منظومة القيم العليا:**

تمثل منظومة القيم العليا الحافة بالمركب الحضاري وعناصره الخمسة لوحة جميلة من المباديء الراقية التي تعطي الحياة معنى محببا.

7. **العيش الرغيد:**

وبصورة عامة تعطي فكرة الدولة الحضارية الحديثة صورة رائعة للعيش والحياة ضمن مجتمع حسن التنظيم، متصالح مع نفسه، متعاون.

لكن يجب الانتباه الى أن هناك تحديات عديدة تواجه تطبيق هذه الفكرة، بما في ذلك التكلفة العالية للتكنولوجيا المتقدمة، ضرورة تعديل البنية التحتية القائمة، والتغلب على العقبات السياسية والاجتماعية. تحتاج هذه الرؤية إلى تعاون وثيق بين الحكومات المحلية، الشركات الخاصة، والمجتمع المدني لتحقيق النجاح.

في الختام، تُعَدّ الدولة الحضارية الحديثة فكرة جريئة ومُلهمة، تُظهر كيف يمكن أن تتكامل التكنولوجيا والبيئة والمجتمع لخلق مجتمعات أكثر استدامة وعدالة. على الرغم من التحديات، إلا أن المثابرة والتخطيط السليم يمكن أن يجعلا من هذه الرؤية واقعًا ملموسًا يكون له تأثير إيجابي على الأجيال الحالية والمستقبلية.

لهذا انا ادعو الناس الى تقبل فكرة د ح ح من ناحية جمالها وبدون التأثر السلبي بالتحديات والصعوبات التي تواجه تحقيقها في المستقبل.

اكرر واشدد على ان الجمال في فكرة الدولة الحضارية الحديثة يكمن في توازنها المثالي بين التقدم التكنولوجي، الاستدامة البيئية، العدالة الاجتماعية، والتنمية الشاملة للمجتمع. إليك بعض النقاط التي توضح مواطن الجمال في هذه الفكرة:

** .1الانسجام مع الطبيعة**:

الدولة الحضارية الحديثة تهتم بالحفاظ على البيئة وتعزيز المساحات الخضراء. المشاريع والقطاع العمراني يدمج البنى التحتية الذكية مع الطبيعة، مما يعزز الجمال البصري ويوفر بيئة صحية للمقيمين.

** .2التكنولوجيا لخدمة الإنسان**:

باستخدام أحدث التقنيات في إدارة المدن والخدمات، تُقدم الدولة الحضارية الحديثة فرصًا لتحسين جودة الحياة. الذكاء الاصطناعي، إنترنت الأشياء، وتحليل البيانات الكبيرة تساهم في تحسين الأمن، الصحة، والنقل، مما يخلق بيئة أكثر راحة وأمانًا للسكان.

** .3العدالة والشمولية**:

تهدف هذه الدولة إلى تحقيق العدالة الاجتماعية من خلال توفير فرص متساوية للجميع. التخطيط الحضري يراعي احتياجات جميع فئات المجتمع، مما يشجع على التنوع والتكامل بين جميع مكوناته، ويجعل كل فرد يشعر بأنه جزء مهم من المجتمع.

** .4التنمية المستدامة**:

الاستدامة تعد من أهم جوانب الدولة الحضارية الحديثة. الاستخدام الرشيد للموارد، التقليل من الانبعاثات الكربونية، والترويج للطاقة المتجددة تضمن بيئة نقية للأجيال القادمة، وتعزز الجمال البيئي.

** .5الجمال في التصميم الحضري**:

التصميم العمراني يأخذ في الاعتبار الجوانب الجمالية، مثل الهندسة المعمارية المتقدمة، الفن العام، والفضاءات المفتوحة. هذه العناصر تضفي طابعًا جماليًا على المدينة وتعزز من جاذبيتها.

** .6التنقل الذكي والمريح**:

البنية التحتية للنقل مصممة لتكون مريحة ومستدامة. الطرق المخصصة للمشاة والدراجات، استخدام الحافلات الكهربائية، وتطبيقات التنقل الذكي تسهم في سهولة الحركة وتقلل من التلوث والتكدس المروري.

** .7التفاعل والمشاركة المجتمعية**:

الجمال يكمن أيضًا في المجتمع المتكامل الذي تخلقه هذه الدولة. تشارك الأفراد في صنع القرار والمبادرات المجتمعية يعزز من شعور الانتماء والتواصل الاجتماعي.

** .8التعليم والتفكير الإبداعي**:

تركز الدولة الحضارية الحديثة على التعليم الشامل الذي يشجع على التفكير الإبداعي والابتكار. توفر الموارد والمرافق التي تدعم التعليم مدى الحياة، مما يسمح للأفراد بالنمو الشخصي والمهني باستمرار.

الجمال الحقيقي في فكرة الدولة الحضارية الحديثة يكمن في قدرتها على خلق مجتمع متناغم، مستدام، ومتقدم، يعزز من رفاهية الإنسان ويحترم الطبيعة، مما يوفر بيئة جذابة ومُلهِمة تلهم الأجيال الحاضرة والمستقبلية.

(٤) في الطريق الى الحداثة

لا تقوم الدولة الحضارية الحديثة الا بمنظومة القيم الحافة بالمركب الحضاري من جهة، وبالحداثة من جهة ثانية.

ومن هنا جاء وصف الدولة بانها "حضارية" و "حديثة".

والحديثة المنبثقة من الحداثة صفة نسبية، تتغير من زمن الى زمن. ولهذا اقول ان لكل عصر حداثته. والجمود على حداثة عصر ما يوقف الحركة الاجتماعية. ولهذا يشكل التجاوز عنصرا مهما في صناعة الحداثة، فليس هناك حداثة تحرّم التجاوز.

تتحقق الحداثة بثلاثة امور: العقل والحرية والعلم. وبدون هذه الامور لا تتحقق الحداثة.

العقل اساس العقلانية، والعقلانية نقيض الخرافة، والتقليد الاعمى وعبادة الشخصية.

و العقل هو اداة التفكر والبحث والاكتشاف والابداع والانجاز والتفكر والفهم الصحيح. ولا يتحقق التقدم بدون اعمال العقل، وبدون تحرير العقل من الاغلال.

والحرية امر متعلق بالارادة، وهي نقيض العبودية والاستبداد. لا تتحقق الحداثة في مجتمع تحكمه الخرافة باشكالها المختلفة، ويتصف بالعبودية الطوعية، كما يقول ايتيان دو لا بويسي.

والعلم يتحقق بثلاثة امور هي: الوحي والعقل والتجربة. والوحي يفتح الطريق امام العقل والتجربة، ولا يقف حائلا امامهما، كما في قوله تعالى:"قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ"، وقوله:"سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ"، وقوله:"وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا"، وقوله:"وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ".

والوحي مصدر اساسي للقيم العليا الحافة بالمركب الحضاري. ولكن ماذا يفعل الذي لا يؤمن بالله؟ لا يهمني ذلك ما دام يتفاعل بايجابية مع منظومة القيم الحضارية العليا. فالمهم هو "العنب وليس الناطور" كما يقول المثل اللبناني.

والعلم في تاريخ البشري ظاهرة تراكمية. والمراكمة تحصل بالتجربة المستمرة، و بتصحيح الاخطاء العلمية على اساس التجارب الجديدة. حيث "لا يمكن للعقل العلمي، كما يقول غاستون باشلار، ان يتكون الا وهو يحطّم العقل غير العلمي".

والعلم هو جوهر الحداثة. ولكي تكون الدولة حديثة فيجب ان تبنى على اساس العلم: العلم السياسي والعلم الاقتصادي والعلم الاجتماعي والعلم التربوي الخ. وكل من حاول "تحديث" دولته بدأ بالعلم. والمحاولة تنجح او تفشل تبعا لتوفر شروطها ومناخها، وفي مقدمة شروطها العقل والحرية. فلا يمكن ان تنجح محاولات التحديث العلمية في مجتمع الخرافة والعبودية والاستبداد. العقلانية والحرية شرطا العلم. وفيما يتعلق ببناء الدولة، يجسد الاستقلالُ الحريةَ، اذْ بدونه لا تنجح محاولات تحديث الدولة. تفشل عمليات التحديث في المجتمعات المصابة بالقابلية على الاستعمار كما يقول مالك بن نبي.

والمدرسة حصن العلم. والدولة الحضارية الحديثة تضع المدرسة في قمة اولوياتها، حيث لا يمكن تنشئة جيل عالم مسلح بالمعرفة وحب العلم دون ان تغرس المدرسة في نفوس ابناء المجتمع هذه الفضائل المتعلقة بالعلم. ولهذا اهتم كل من تصدى لبناء الدولة على اسس علمية سليمة لانشاء المدارس القادرة على تحقيق ذلك، منذ حمورابي، وربما قبله، الى العصر الحديث، مرورا بالاسلام والثورة الفرنسية. ومن هنا دعواتي المتكررة الى انشاء المدارس الحضارية الحديثة في العراق، والى ضرورة ان تتولى الدولة هذه المسألة، واذا تلكأت الدولة في ذلك وتعذر عليها تحمل اعباء هذه المسؤولية، انتقل الواجب الى اهل القدرة المالية والمعرفية من ابناء المجتمع وذلك بانشاء المدارس الاهلية غير الربحية على اساس النظام التربوي الحضاري الحديث.

واقولها بما يشبه التحذير، من ان المجتمع او الدولة اذا تلكأ اي منهما او كلاهما في الاخذ بالحداثة فان المجتمع والدولة سوف ينحدران في وادي التخلف الحضاري السحيق و يفشلان في اقامة حياة طيبة سعيدة للانسان في الجيل الحاضر وفي الاجيال القادمة.

(٥) لكل عصر حداثته

قبل حوالي ١٥ سنة استخدمت عبارة "لكل عصر حداثته" هربا من اصرار بعض الباحثين على ربط موضوع الحداثة باوروبا خلال ال ٥٠٠ سنة الاخيرة وكأن الحداثة امر يخص اوروبا فقط. وهذا ما لا اؤمن به ولا اقول به لاعتقادي بأن الحضارة الانسانية كل متصل منذ ان اعلن الله جعل الانسان خليفة له في الارض. في البداية كان جدنا الاول انسانا "بدائيا لا يدري اين سوأته" كما اخبرني السيد محمد باقر الصدر ذات يوم حين التقيته في النجف بصحبة الشهيد عبد السادة عبد الله. واتوقع ان السيد الصدر كان يستوحي في قوله هذا الاية القرآنية الكريمة التي تقول:"فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ". وفهمي لهذه الاية انها تتحدث عن الانسان وهو في اشد حالات بدائيته وهو يعيش في الغابات ويأكل مما يجمعه من الثمار قبل ان يكتشف الزراعة. ومنذ ذلك الوقت المبكر بدأت عناصر المركب الحضاري بالتكون. فهاهو العنصر الاول اي الانسان قد وجد على الارض لتبدأ علاقته بها بوصفها العنصر الثاني في المركب الحضاري ومعهما العلم الاولي البسيط الذي اشار اليه القرآن بقوله:"وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا" مقترنا بممارساته العملية الاولى. ومذاك بدأت الحضارة الانسانية. ومذاك بدأ الانسان سلسلة اكتشافاته الطويلة. وكان كل اكتشاف جديد يؤشر الى "حداثة" في عصره اي حقبته الزمنية. وهنا اتحدث عن الحداثة بمعناها اللغوي البسيط اي الحديث المقابل لكلمة القديم. فحينما اكتشف الانسان الزراعة كانت هي حداثة ذلك العصر التي تلاها ظهور القرى الزراعية. وحين قامت دول المدن كانت هي حضارة عصرها. وحين اخترع الانسان الكتابة كانت هي حداثة عصرها. وكان الانبياء كل واحد منهم يمثل حداثة عصر يبني على ما جاء به الانبياء من قبله حذفا او تعديلا او تجديدا حتى ختم امر النبوات برسالة النبي محمد التي كانت ايذانا بعصر جديد في تاريخ الانسانية وتطورها الحضاري. وهكذا وصولا الى العصر الحديث الذي شهد و يشهد طفرات في التحديث والتقدم في مختلف المجالات والاصعدة. وفي كل جديد يضيفه الانسان في مسيرته الحضارية فانه يتجاوز القديم اذا انقضى اوانه او يبني عليه اذا ما كان صالحا لذلك. وهكذا حطم كوبرنيكوس (١٤٧٣-١٥٤٣) نظرتنا حول مركزية الارض واستبدلها بمركزية الشمس على مستوى النظام الشمسي. وحطم العلم الحديث النظرة الاغريقية القديمة حول الذرة بل حطم ايضا النظرة الفلسفية القديمة حول المادة. وحطم الفكر السياسي الحديثة فكرة التفويض الالهي في الحكم. وهكذا في بقية المجالات. ففي المسيرة الحضارية هناك تراكمات من جهة وقطوعات من جهة ثانية. وهذا ما يحصل في الفكر والفلسفة والثقافة والادب والعمارة والفن والسياسة والاجتماع والعلوم والصناعة والزراعة. فنحن هنا بازاء حداثات طولية على امتداد التاريخ الانساني وحداثات افقية على اتساع الارض وهي حداثات شاركت فيها مختلف القارات بشعوبها المختلفة خاصة القديمة منها واقصد اسيا واوروبا وبدرجة اقل افريقيا ثم دخلت القارة الاميركية على الخط الحضاري بعد ان تم اكتشافها في عام ١٤٩٢.

لسنا مضطرين اذا الى فهم و الاستسلام الى فكرة الحداثة في اطار المركزية الاوروبية لأن المسألة برمتها ظاهرة انسانية حضارية تمثل ثمرة الاشتغال الانساني العقلي والتجريبي في التاريخ. بل لو نظرنا الى الحداثة الاوروبية الحديثة لوجدناها احدى ثمرات الاشتغال الحضاري العربي الاسلامي في الاندلس وقبلها بغداد التي يعود اليها فضل اكتشاف ارسطو وافلاطون والفلسفة اليونانية.

(٦) المنهج الاصلاحي

يبدأ الانسان في التفكير في الاصلاح حين يعي ويدرك ان واقعه المعاش يعاني من اختلالات وعيوب تؤثر بالسلب على سعيه وحركته نحو السعادة والتكامل. وهذا امر مشهود على مستوى الفرد، والمجتمع بمختلف منظوماته الفرعية، والدولة. ويعتمد الاسلوب الذي يتبناه الانسان في اصلاح هذه العيوب على نوعية ومستوى وعيه لاسبابها وعواملها. وبسبب اختلاف هذا الوعي وجدنا تنوعا وتدرجا في الاساليب. فهناك الاسلوب الكلي وهناك الاسلوب التجزيئي، وهناك الاسلوب السطحي والاسلوب العميق وغير ذلك. ولكل من هذه الاساليب مداه في العمل الاصلاحي. وتدل الحياة على انه كلما تناول الاصلاح العوامل الاساسية والجذرية للخلل كلما كان الاصلاح اجدى وانفع، وانه مضيعة للوقت والجهد ان ينشغل الاصلاح بالظواهر الخارجية والعوامل الجزئية فقط، تاركا العوامل العميقة والاسباب الكلية.

ولما كان الانسان هو العامل الاعمق والاول في الفساد، كما نفهم من قوله تعالى:"ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ"، فاننا نقول ان الاصلاح يجب ان يتوجه نحو الانسان، فاصلاح الانسان، واصلاح علاقاته مع عناصر المركب الحضاري الاربعة الاخرى، اي الارض والزمن والعلم والعمل، هو جوهر العملية الاصلاحية. فاصلاح الارض من اجل زيادة انتاجية المجتمع مثلا تتوقف بالدرجة الاولى على اصلاح الانسان. وكذا الامر في معالجة بقية المشكلات التي يعاني منها المجتمع مثل البطالة، وهدر المال العام، و غير ذلك.

الانسان هو العنصر المحوري في المركب الحضاري، ولكي تشتغل بقية العناصر بشكل صحيح وسليم يجب اصلاح الانسان اولا. واصلاح الانسان يتم عن طريق اصلاح منظومة القيم العليا التي تتحكم بسلوكه وعلاقاته بالعناصر الاربعة الاخرى. وما لم يتم الاخذ بمنظومة القيم الحضارية الصالحة، وبناء او اصلاح الانسان في ضوئها فان الفشل هو مصير الجهود الاصلاحية التي تبذلها الدولة او المجتمع او الافراد. وخير مثال نضربه على ذلك هو المحاولات الاصلاحية التي بذلتها الدولة العثمانية في العقود الاخيرة من حياتها. فشلت تلك الجهود لاسباب كثيرة، في مقدمتها انها لم تتناول اصلاح الانسان، ولم تتناول اصلاح القيم العليا التي تتحكم بالانسان.

تتألف منظومة القيم العليا من عدة مفردات قد يختلف المفكرون والمصلحون في تحديدها وتشخيصها. ونجد ذلك فيما كتبه المفكرون الكبار مثل روسو ولوك وماركس والنائيني والصدر وصولا الى راولز. ويشير هؤلاء الى قيم مركزية مثل الحرية والعدالة والمساواة وغيرها. ولو تأملنا عميقا في هذه المفردات او القيم العليا لوجدناها تنتهي الى قيمة عليا مركزية واحدة هي استخلاف الانسان في الارض من قبل الله سبحانه وتعالى، وهذا ما ذكره القران الكريم في قوله تعالى:"وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً". وبالتأمل سوف نجد ان الحرية والعقل والعلم من مستلزمات هذه الخلافة. وان المساواة والعدالة واعمار الارض والاستمتاع بخيراتها من نتائجها. وهكذا بقية القيم العليا الرئيسية والفرعية التي تضبط مختلف جوانب حياة الانسان، فكلها متفرعة من قيمة الاستخلاف في الارض.

(نقول ان الله استخلف الانسان في الارض، فماذا لو لم يكن هذا الانسان الفرد مؤمنا بالله؟ حسنا، سوف اطالبه بان يقيم حياته على اساس منظومة القيم المتعلقة بالاستخلاف بغض النظر عن المتسبب الاول للاستخلاف بمعنى ان يؤمن الانسان المنكر لله بانه السيد في الارض، الحر، المتساوي من حيث الكرامة والمنزلة مع غيره من البشر.)

وعليه، فان المبدأ الاول في المنهج الاصلاحي هو ان يعي الانسان موقعه ومركزه في الارض، بكل ما يتفرع عن هذا المركز من كرامة وسيادة وحرية وعدالة ومساواة وتسامح وعلم وعمل وسعي مستمر نحو تجسيد مفهوم الخلافة في انسان فعّال و مجتمع صالح ودولة حضارية. فليس من الاصلاح ان تطعم الناس خبزا ثم تتخذهم خولا، اي "خدما وعبيدا"، كما فعل بنو العاص، او بنو امية في رواية اخرى، حيث "اتَّخذوا دِينَ اللهِ دَخَلًا ، و عبادَ اللهِ خَولًا ، و مالَ اللهِ عزَّ وجلَّ دُوَلًا"، كما في حديث صحيح.

(٧) تأكيد
فكرة الدولة الحضارية الحديثة

الدولة الحضارية الحديثة (د ح ح) هي حاصل اشتغال الانسان مع الانسان من جهة، و اشتغال الانسان مع الطبيعة من جهة ثانية في سياق زمني ومكاني معطى. فهي بالنتيجة ناتج عمل الانسان في حراكه التاريخي مع نفسه ومع الطبيعة.

وهذا هو حاصل انتاج "العلاقة المعنوية" التي عدها الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر العنصر الثالث من عناصر المجتمع اضافة الى الانسان والارض، انطلاقا من قوله تعالى:"إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً". والخلافة هي العنوان القراني لهذه العلاقة المعنوية.

وانا حينما اتحدث عن د ح ح في العراق فانا حتما لا اقصد امرين: الامر الاول ان تقوم د ح ح فورا او غدا، لاني اعلم ان اقامة هذه الدولة تستغرق زمنا طويلا. والامر الثاني انني لا ارى ان الطبقة السياسية التي مازالت تتصدر الواجهة منذ عام ٢٠٠٣ قادرة معرفيا وتطبيقيا على اقامة هذه الدولة. ولا علاقة لهذا القول بحقيقة انني عملت لفترة ضمن هذه الطبقة في رئاسة تحرير صحيفة "الصباح" و ادارة شبكة الاعلام العراقي. لان المسالة ليست موقفا شخصيا وانما رؤية نظرية تحليلية لواقع الحال. كما انني استبعد من فكرة د ح ح كل الدعوات الاصلاحية التي تطلقها بعض الاطراف السياسية الان لانها دعوات ترقيعية، وجزئية وتفتقر الى رؤية الصورة الكاملة متمثلة بفكرة الدولة الحضارية الحديثة.

ما اقصده بطرح الدولة الحضارية الحديثة امور منها:

اولا، رسم صورة د ح ح كفكرة واضحة وكاملة امام المتلقي.

ثانيا، بناء وعي سياسي لمسألة الدولة على اساس فكرة د ح ح. والوعي هو نظرة خاصة الى الواقع استنادا الى رؤية نظرية له. وبالتالي فان الوعي يستبطن اجراء مطابقة بين الفكرة والواقع (كما نعمل في المثلثات) لتحديد مدى مخالفة الواقع للفكرة.

ثالثا، واستنادا الى هذه المطابقة تتولد ارادة التغيير لدى الافراد الواعين في المجتمع. اي تغيير المجتمع من اجل الوصول به الى حالة التطابق مع نموذج د ح ح.

رابعا واخيرا، جعل د ح ح هدفا اعلى يسعى اليه المجتمع في حراكه العام ونشاطاته المختلفة.

يقول ابن خلدون في مقدمته:"ان الدولة اذا اختلت وانتقضت فان المصر الذي يكون كرسيا لسلطانها ينتقض عمرانه وربما ينتهي في انتقاضه الى الخراب".

وهذه ما حدث ويحدث في العراق. فقد اختلت الدولة وتفككت، وانتقض عمرانها، وتسيّد الخراب جهاتها المختلفة. والطبقة السياسية الحالية جزء من هذا الاختلال، بل هي احد اسبابه. وكنت قلت في مقالات سابقة كثيرة ان المشكلة في العراق تكمن في الاختلالات الحادة التي حدثت عبر مدى زمني طويل بالمركب الحضاري للمجتمع العراق ومنظومة القيم العليا الحافة بعناصره الخمسة وعلى رأسها الانسان. وحينما انظر الى طروحات الاطراف السياسية المتصارعة والى سلوك المتعصبين من انصارها لا اجد انها معنية بمعالجة هذه الاختلالات، انما على العكس من ذلك تعيش على جملة شعارات وعبارات "لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ"، كما يقول القران الكريم، ما يعزز الاعتقاد بانها جزء اساسي من هذه الاختلالات الحادة.

كل هذا يدعوني الى الاصرار على طرح د ح ح كفكرة، والافاضة في شرح تفاصيلها، على امل تكون بمثابة حلم يرنو العراقيون الى الوصول اليه في المستقبل، وانا على يقين بان الفكرة اذا تحولت الى حلم وهدف فانها كفيلة بصنع الارادة الكافية لدفع الانسان الحالم والهادف الى التحرك نحوها. واني اجد الان ان اعداد المواطنين الذين يحلمون بهذا النموذج ويتمنون حصوله بازدياد مستمر. وهي زيادة كمية سوف تؤدي الى تحرك نوعي، على الاقل كما تقول الماركسية!

(٨) جدل المصطلح

هناك جدل عالمي حول مصطلح الدولة الحضارية الذي يترجم الى اللغة الانكليزية بطريقتين هما : civilization state وcivilizational state. ويدور هذا الجدل بين طرفين هما: الطرف الغربي، الذي يضم بشكل اساسي اوروبا، والطرف الاخر الذي تتزعمه الصين وروسيا وبدرجة اقل الهند.

اول من استخدم مصطلح "الدولة الحضارية" الصحفي البريطاني جاك مارتن في كتابه "حينما تحكم الصين " الصادر عام ٢٠٠٩ وتمت ترجمته الى العربية عام ٢٠١٠ من قبل د فاطمة نصر حيث وصف الصين بانها دولة-حضارة (civilization-state ص ٢٥٢)

قال جاك مارتن: اليوم، تتمتع الصين بما يمكن وصفه بأنه هوية مزدوجة: كدولة وطنية وكدولة حضارية. من خلال التاريخ والبناء، فهي دولة حضارية؛ نتيجةً لضعفها الدولي، اضطرت إلى أن تصبح دولة وطنية. أو، كما لاحظ لوسيان باي بوعي حاد، "الصين هي حضارة تتظاهر بأنها دولة وطنية."

ويبدو ان الكاتب الصيني زهانك وي وي تلقف المصطلح في كتابه The China Wave الصادر سنة ٢٠١١ وترجم الى اللغة الانجليزية سنة ٢٠١٢. وقد استخدم المترجم مصطلح civilizational state. وبعد ذلك اثار الكتاب موجة من ردود الافعال مازالت مستمرة الى اليوم.

يقول وي وي في مقدمة الكتاب " :أن صعود الصين ليس صعود دولة عادية ، بل صعود دولة مميزة بذاتها ، دولة حضارية ، نموذج تنمية جديد وخطاب سياسي جديد يشكك في العديد من الافتراضات الغربية حول الديمقراطية والحكم الجيد وحقوق الإنسان ، وكل هذا قد يشجع على موجة من التغيير غير مسبوق في التاريخ البشري .ثم خصص فصلا كاملا بعنوان صعود الدولة الحضارية قال فيه" :ان صعود الصين يمثل صعود نوع مختلف من الدول ، والسبب الرئيسي لصعود الصين هو التمسك بمسارها الخاص للتنمية ، وبالتالي ، فهي تتعلم الكثير من الدول الأخرى من جهة ، ومن جهة اخرى أظهرت قوتها الخاصة وتخطت النموذج الغربي ، وهو صعود دولة حضارية تمتزج فيها أطول حضارة مستمرة في العالم مع دولة حديثة ضخمة ."وبين انه من أجل فهم صعود الدولة الحضارية ، من المفيد ربما أن نذكر فهمنا لمفهوم الدولة القومية nation state. عمومًا حيث يشير مفهوم الدولة القومية إلى دولة مكونة من أفراد يشتركون في بعض الصفات المشتركة مثل اللغة والدين ونمط الحياة. أوروبا هي مهد الدول القومية. ولكن القومية ثبتت أنها سبب رئيسي للصراعات والحروب في أوروبا وخارجها. خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ظهرت الدول القومية واحدة تلو الأخرى في أوروبا. وبالتالي يُفهم من كلام وي وي ان نموذج الدولة الحضارية كما تقدمه الصين هو بدل الدولة القومية الذي قدمته اوروبا.

وفي هذا السياق لاحظ وي وي عن حق ان بعض العلماء الغربيين استخدموا بالفعل مصطلح الدولة الحضارية civilization stateلوصف الصين ، معتبرين أنه في حين كانت دولة الصين القومية لا تزال في عملية التكوين ، فإن الصين كدولة حضارية لديها تاريخ يمتد لآلاف السنين.

ويعود هذا الطرح الى وقت اسبق حيث نشرت مجلة Foreign Affairs في عددها الصادر في ايلول عام ١٩٩٠ مقالا بقلم Lucian Pye جاء فيه: نقطة البداية لفهم المشكلة هي الاعتراف بأن الصين ليست مجرد دولة قومية أخرى في عائلة الدول. الصين هي حضارة تتظاهر بأنها دولة. قد يمكن وصف قصة الصين الحديثة بأنها محاولة كل من الصينيين والأجانب لضغط حضارة داخل إطار الدولة الحديثة المحدودة والتي نشأت نتيجة تشتت الحضارة الغربية ذاتها. واثار هذا الطرح حفيظة الكتاب الغربيين الذين نشروا العديد من المقالات والكتب في نقد مفهوم الدولة الحضارية حسب النموذج الصيني-الروسي-الهندي.

ولعل من اهم الكتب في هذا المجال كتاب "صعود الدولة الحضارية "بقلم كريستوفر كوك الصادر عام ٢٠١٩، وقد استخدم المؤلف مصطلح Civilizational State وهو يربط هذه الفكرة بدول الصين وروسيا والهند

التي يقول انها اعلنت نفسها دولا حضارية، ويتحدث بصورة سلبية عن هذه الدول ويقول انها دول غير ديمقراطية، ومعادية للقيم الغربية، وتسعى الى تغيير النظام الدولي الحالي.
وبهذا اصبح لدينا ثلاثة مصطلحات للدولة الحضارية باللغة الانجليزية وهي:
اولا، civilization state اي دولة حضارة معينة، كدولة الحضارة الصينية.
ثانيا، civilizational stateاي الدولة الحضارية اي الدولة القائمة على اساس المنظومة القيمية الحافة بالمركب الحضاري.
ثالثا، civilized state اي الدولة المتحضرة، المتقدمة.
وفي كل هذه المصطلحات لا معنى لمصطلح الدولة المدنية civil stateالذي يستخدمه بعض الناس عندنا الا اذا كان المقصود ما يقابل الدولة الدينية (مثل الفاتيكان) او الدولة العسكرية (مثل انظمة الانقلابات العسكرية في دول العالم الثالث)، وكلاهما غير مطروحين للنقاش، او الدولة العلمانية وفي هذه الحالة لا داعي للتستر وراء مصطلح مفبرك اخر. نعم يصح استخدام مصطلح المجتمع المدني civil society وهذا ما جرى على استخدامه الفلاسفة وعلماء الاجتماع الغربيون. وهو مصطلح قديم يدل على معان عدة في تاريخ الفكر السياسي، وكان معناه الأصلي في الفكر الغربي مختلفًا إلى حد ما عن وضعه المتقلب الحالي. بالنسبة للمؤلف الروماني شيشرون، فإن المجتمع المدني)وهو في حد ذاته استعارة من أرسطو) يشير إلى مجتمع سياسي على نطاق معين)يشمل عادة أكثر من مدينة واحدة في بوصلته (يحكمه حكم القانون ويتمثل بدرجة من الحرية. التحضر. تم فهم هذا النوع من المجتمع على النقيض من الشعوب غير المتحضرة أو البربرية. لقد تحول هذا الاستخدام المفاهيمي من قبل مفكرين أوروبيين مختلفين خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، وكانت النتيجة أن المجتمع المدني أصبح يحمل مجموعة مختلفة نوعًا ما من الدلالات. ولا يشكل مرادفا لمصطلح الدولة الحضارية الحديثة.
من ناحيتي، انا استخدم مصطلح الدولة الحضارية الحديثة منذ عام ٢٠٠٧. وحين استخدمت المصطلح لاول مرة استغرب بعض الناس منه وعبروا عن تحفظهم منه. وتوهم البعض انه قد يكون استعاضة عن مصطلح "الدولة الاسلامية" المستخدم على نطاق واسع من قبل الاسلاميين. وهذا لا يصح؛ لان الدولة الاسلامية تعني الالتزام الحرفي بتطبيق الشريعة الاسلامية. وهذا الالتزام قد ينطبق او لا ينطبق على الدولة الحضارية الحديثة بحسب الخيارات الانتخابية المعتمدة.

(٩) اعتراضات

اولا: "إن هذه الفكرة معروفة ولا جديد فيها"
- الرد: بالفعل، قد يكون مفهوم الدولة الحضارية الحديثة يعكس بعض القيم والمبادئ المعروفة سابقًا. ومع ذلك، يمكن إعتبار هذا المفهوم تطورًا للأفكار القائمة مع تحديث لتوافق متطلبات العصر الحالي وتطورات المجتمعات. يتمثل التفرد في هذا التفكير في الجمع بين القيم التقليدية والحفاظ على الهوية الثقافية مع التقدم التكنولوجي والاجتماعي في بيئة مستدامة.
ثانيا، "إن مصطلح الدولة الحضارية الحديثة غير موجود في كتب علم السياسة والقانون الدستوري"
- الرد: يمكن أن يكون مصطلح "الدولة الحضارية الحديثة "نسبيًا جديدًا ولكن يمكن استنتاجه من المفاهيم والنظريات القائمة في علم السياسة والسياق القانوني، حيث يتم التركيز على تحقيق توازن ديناميكي بين التقدم والحفاظ على الثقافة والتراث. يمكن لهذا المفهوم أن يكون استنتاجًا من مجموعة متنوعة من الأفكار والنظريات المعروفة سابقًا.

ومع ذلك فان هذا الاعتراض غير صحيح، لانه اخذت فعلا كتب ودراسات باللغة الإنكليزية طريقها الى النشر وهي تستخدم هذا العنوان. من ذلك كتاب The China Wave: the rise of the civilizational state لمؤلفه الصيني ZHANG WEIWEI (٢٠١١) والذي استخدم مصطلح الدولة الحضارية مرات عديدة في متن الكتاب. والذي ميز بين مصطلح الدولة الحضارية ودولة الحضارة. ولا يهمني التمييز الذي اقترحه الكاتب لاني اقترح معنى خاصا لكل واحد من هذين المصطلحين. وهناك غيره.

ثالثاً:"إن فكرة الدولة الحضارية الحديثة جميلة لكن لا يمكن تحقيقها"

- الرد: على الرغم من أن تطبيق فكرة الدولة الحضارية الحديثة قد يكون تحديًا، إلا أن هذا لا يعني عدم إمكانية تحقيقها. إن العمل نحو تحقيق هذه الفكرة يتطلب جهودًا حقيقية وتعاونًا مشتركًا بين الحكومة والمجتمع المدني والقطاع الخاص. من خلال وضع استراتيجيات مناسبة وبرامج عمل محددة، يمكن تحقيق تقدم ملموس نحو هذه الأهداف.

رابعا:" إن فكرة الدولة الحضارية الحديثة خيالية وغير واقعية"

- الرد: على الرغم من صعوبة تحقيق الدولة الحضارية الحديثة، إلا أن السعي نحو تحقيق هذا التوازن بين التقدم والتراث يمكن أن يكون مصدر إلهام للتنمية المستدامة. هذه الفكرة تعكس رؤية مستقبلية قائمة على تفهم عميق للقيم التقليدية والاحترام للتراث مع النظر إلى المستقبل بطريقة منفتحة وإيجابية.

خامسا:"إن فكرة الدولة الحضارية الحديثة لا تقدم حلولا عاجلة لمشاكل المجتمع العراقي مثل الفقر والبطالة"

- الرد: فكرة الدولة الحضارية الحديثة لا تقدم حلا فوريًا لمشاكل مجتمعية معينة، ولكنها توجه لإعادة هيكلة النظام الاقتصادي والاجتماعي بطريقة تحقق التنمية المستدامة على المدى الطويل. يمكن أن تكون هذه الفكرة إطارًا لتطوير سياسات اجتماعية واقتصادية تهدف إلى معالجة هذه المشاكل بشكل فعال.

سادسا:"إن فكرة الدولة الحضارية الحديثة فكرة متقدمة جدًا وتحتاج إلى مجتمع متقدم جدًا"

- الرد: رغم أن فكرة الدولة الحضارية الحديثة تعتمد على مبادئ تقدمية، إلا أنها يمكن أن تكون قابلة للتطبيق في مختلف السياقات والمجتمعات. الجوانب الثقافية والحضارية المحلية يمكن أن تلعب دورًا كبيرًا في توجيه تطبيق هذه الفكرة بطريقة تتناسب مع واقع المجتمع المحلي.

سابعا: "ان فكرة الدولة الحضارية الحديثة لم تُطبق في أي بلد في العالم".

الرد: يُمكن الرد على هذا الاعتراض بأن التحول نحو الفكرة المطروحة لا يحتاج بالضرورة إلى تطبيق مباشر لنموذج محدد موجود حاليًا في العالم. بدلاً من ذلك، يمكن أن يكون التفكير بمثل هذه الفكرة تحفيزًا لتطوير سياسات ومبادرات جديدة تتجاوب مع الاحتياجات والظروف الفريدة لكل بلد.

علاوة على ذلك، قد تكون هناك جهود مبذولة في بلدان مختلفة تتجه نحو تحقيق بعض جوانب فكرة الدولة الحضارية الحديثة، حتى ولو لم تكن كل العناصر مفصلة بشكل كامل. كما أن هذا النقد يمكن أن يلقى الضوء على حاجة المجتمعات إلى التفاعل والتكيف مع الفكرة وضرورة تطوير النماذج المناسبة بما يتناسب مع الخصوصيات الثقافية والاجتماعية والسياسية لكل دولة.

ثم ان العديد من الدول قد حققت تقدما ملحوظًا في تحقيق مبادئ الدولة الحضارية الحديثة. مثل اليابان والنرويج والدانمارك والسويد وهولندا وسنغافورة ورواندا -قد كانت قادرة على تبني مبادئ الحكومة الشفافة وتعزيز حقوق الإنسان والمساواة والتنمية المستدامة.

هذه الأمثلة تظهر أنه بالفعل يمكن تحقيق عناصر الدولة الحضارية الحديثة في سياقات مختلفة. ومن خلال فهم كيف أن هذه الدول تمكنت من تطبيق هذه المبادئ بنجاح، يمكن للدول الأخرى أن تستفيد من الخبرات المكتسبة وتطبيق أفضل الممارسات في سبيل تعزيز الحكم الرشيد والتنمية الشاملة.

ثامنا: ان فكرة الدولة الحضارية الحديثة فكرة علمانية وانها استخدمت كلمة "الحضارية" للتغطية على العلمانية من اجل خداع الشعوب الاسلامية بها.

الرد: هذا الاعتراض يعكس وجهة نظر سياسية محددة ويتطلب منا إدراك الحساسية المحيطة به. يمكن الرد عليه بأن فكرة الدولة الحضارية الحديثة لا تتطلب بالضرورة العلمانية بشكل مطلق. بدلاً من ذلك، يمكن أن تعتمد هذه الفكرة على مبادئ التسامح واحترام حرية الديانة والمعتقد، مما يسمح بالتعايش السلمي بين مختلف الأديان والثقافات. وبالتالي، يمكن أن تكون هذه الفكرة متنوعة وتتجاوب مع تنوع الثقافات والديانات دون الضرورة لنزعة دينية محددة.

من الضروري أن نفهم أن التطبيقات السياسية والدينية تختلف من بلد إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر، وبالتالي فإن الفكرة الحضارية الحديثة يمكن أن تتجاوب مع هذا التنوع وتفسح المجال للتطبيقات المختلفة وفقًا للظروف الشرطية المحلية وقيم وتقاليد الشعوب.

تاسعا: ان فكرة الدولة الحضارية الحديثة هي نفسها الدولة الاسلامية وانها تستخدم كلمة الحضارية الحديثة للتغطية على صفة الاسلامية لخداع العلمانيين بها.

الرد: هذا الاعتراض يعكس وجهة نظر معينة اخرى وقد يشكل نقطة جدلية بالنسبة لبعض الأشخاص. ومع ذلك، فإن الفكرة الحضارية الحديثة لا تتطلب بالضرورة أن تكون الدولة ذات طابع ديني محدد، بل يمكن أن تعكس القيم الحديثة والمبادئ الانسانية التي تسعى إلى الحفاظ على التوازن بين العلمانية والقيم الدينية المختلفة.

من المهم فهم أن الفكرة الحضارية الحديثة تأخذ في اعتبارها متطلبات العصر الحديث وتطلعات الشعوب نحو التقدم والتطور، دون إقصاء أو تمييز ضد أي ديانة أو معتقد. بدلاً من ذلك، تهدف إلى خلق بيئة مواتية للتعايش والتعاون بين مختلف الأديان والمعتقدات والمجتمعات.

بالطبع، يمكن للتفسيرات والآراء حول هذه القضايا أن تختلف بشكل كبير، ولا يمكن إنكار أن هذه النقاط قد تثير جدلاً كبيراً. ومع ذلك، يمكن للحوار المفتوح والاحترام المتبادل أن يساهما في فهم وتقبل وجهات النظر المختلفة بشكل أفضل.

عاشرا: كيف تفسر استخدام نصوص من القران ومن كتاب اسلاميين جنبا الى جنب مع نصوص من الانجيل وكتاب علمانيين في شرح فكرة الدولة الحضارية الحديثة؟

الرد: استخدام نصوص من القرآن بجانب نصوص من الإنجيل وكتب علمانية في تفسير فكرة الدولة الحضارية الحديثة يمكن أن يكون استراتيجية للتأكيد على القيم المشتركة بين الأديان المختلفة والفلسفات العلمانية في بناء مجتمع متنوع ومتفتح. يمكن رؤية هذا النهج كتعبير عن روح التعايش والتفاهم بين الثقافات والمعتقدات المتنوعة.

على سبيل المثال، يمكن أن تقوم الفكرة بتسليط الضوء على القيم الإنسانية المشتركة الموجودة في مختلف الأديان والثقافات، مما يعزز فكرة التعايش السلمي والتفاهم المتبادل بين الناس. وبالإضافة إلى ذلك، يمكن استخدام النصوص العلمانية لتوضيح القيم المدنية والمبادئ التي تعزز الحرية والمساواة وحقوق الإنسان كجزء من تفسير الدولة الحضارية الحديثة.

استخدام مختلف النصوص من مصادر متنوعة في شرح فكرة الدولة الحضارية الحديثة يمكن أن يعكس روح التعايش والاحترام المتبادل بين الثقافات والمعتقدات المتنوعة وقد يساهم في تعزيز رؤية شاملة ومتوازنة لبنية المجتمع المستقبلي.

بناءً على الأسئلة والاعتراضات، فإن فكرة الدولة الحضارية الحديثة ليست بالضرورة تصورًا خياليًا أو بعيد المنال. من خلال التفكير بشكل منفتح وإيجابي، يمكن لهذا المفهوم أن يوجه تطوير السياسات والتحرك نحو مستقبل يحترم التراث والحضارة مع تحقيق التقدم والازدهار.

الفصل الرابع
المركب الحضاري
ومنظومة القيم العليا الحافة به

مقدمة

تتألف خارطة هذا الفصل الطويل نسبيا من بابين رئيسيين هما:

١. المركب الحضاري
٢. ومنظومة القيم العليا الحافة به

فأما المركب الحضاري فهو يتألف من خمسة عناصر هي: الإنسان والأرض والزمن والعلم والعمل.

** .1الإنسان :**هو العنصر الفعال والمحرك الأساسي للحضارة، يشمل جميع الأفراد الذين يساهمون في بناء وتطوير المجتمع من خلال الابتكار والتفاعل الاجتماعي.

** .2الأرض :**المساحة الجغرافية التي يعيش عليها المجتمع، بما في ذلك الموارد الطبيعية التي يستغلها الإنسان لاستخدامها في حياته اليومية.

** .3الزمن :**التاريخ والتطور الزمني الذي يمر به المجتمع، يشمل تراكم الخبرات والمعرفة والتجارب على مر العصور.

** .4العلم :**المعرفة والتقنية والثقافة التي يطورها المجتمع، تشمل المعرفة النظرية والتطبيقات التكنولوجية التي يعتمد عليها في حياته اليومية .

** .5العمل :**نشاط الإنسان الإنتاجي، يشمل الأنشطة الاقتصادية والحرفية والصناعية التي تساهم في تحقيق الاكتفاء المادي والرفاهية الاجتماعية.

تتفاعل هذه العناصر مع بعضها البعض بطرق متنوعة ومعقدة لتشكل الحضارة المركبة، مما يخلق بيئة ثقافية واجتماعية واقتصادية غنية بالنشاط والابتكار.

واما منظومة القيم فهي القيم هي المبادئ والمعايير الأخلاقية والاجتماعية التي توجه سلوك الأفراد والجماعات وتحدد ما يعتبرونه صحيحًا أو خاطئًا، جيدًا أو سيئًا، مهمًا أو غير مهم. تعد القيم أساسا لاتخاذ القرارات وتقييم الأفعال والأحداث وتوجيه العلاقات الاجتماعية. تختلف القيم من مجتمع إلى آخر وتعكس الخلفيات الثقافية والدينية والاجتماعية للأفراد والجماعات. القيم تشكل جزءاً لا يتجزأ من الهوية الإنسانية، وهي أساسية لبناء مجتمعات صحية ومتوازنة.

وسوف يقدم هذا الكراس خارطة تفصيلية لمفردات منظومة القيم العليا.

تتفاعل عناصر المركب الحضاري فيما بينها ضمن منظومة القيم العليا فتنتج الحضارة. وتطلق صفة "الحضارية" على الدولة التي تشكل منظومة القيم قاعدة لفلسفتها وتصرفاتها الداخلية والخارجية.

وتمتاز القيم الحضارية بالخصائص التالية:

** .1الثبات :**تميل القيم إلى أن تكون مستقرة نسبياً على مر الزمن، لكنها قد تتغير تحت تأثير العوامل المختلفة مثل التعليم والتجارب الشخصية والتغيرات الاجتماعية.

** .2التوجيه :**تعمل القيم كمرشدات توجه سلوك الأفراد والجماعات، وتساعد في حل النزاعات واتخاذ القرارات.

** .3التقييم :**تساعد القيم في تقييم الأفعال والقرارات سواء كانت إيجابية أو سلبية، وتوفر إطارًا مرجعيًا للحكم على الأمور.

** .4المشاركة :**غالبًا ما تكون القيم مشتركة بين أفراد المجتمع، مما يسهم في بناء التماسك الاجتماعي والتفاهم بين الأفراد.
** .5التفاعل الثقافي :**تتأثر القيم وتتشكل من خلال التفاعل مع الثقافة والتعليم والدين والتجارب الشخصية.
تُعتبر الحضارة أحد أعظم إبداعات الإنسان، نتاج تفاعل معقد بين مختلف العناصر الفردية والجماعية والمادية والمعنوية. هذا الكتاب يهدف إلى استكشاف تلك العلاقة المتداخلة والمعقدة بين الإنسان والمركب الحضاري، مسلطاً الضوء على دور كل عنصر في بناء واستدامة الحضارات عبر العصور.

القسم الاول: المركب الحضاري

اولا، اصل المصطلح:
انني استعير مصطلح "المركَّب الحضاري"، بفتح الكاف وتشديدها، من السيد محمد باقر الصدر (١٩٣٥-١٩٨٠)، وهو غير مصطلح "المركِّب الحضاري" بكسر الكاف وتشديدها الذي استخدمه الكاتب الجزائري مالك بن نبي (١٩٠٥-١٩٧٣(. لكن السيد الصدر لم يذهب الى التفصيل الذي ذهبت اليه لعناصر المركب الحضاري. نعم، تحدث السيد الصدر عن عناصر المجتمع وهي برأيه ثلاثة عناصر هي: الانسان، والارض، والعلاقة المعنوية التي تربط الانسان بالانسان من جهة، وتربط الانسان بالطبيعة من جهة ثانية. وعن هذه العلاقة قال ان لها صيغتين: الصيغة الثلاثية والصيغة الرباعية، والاخيرة هي المسماة قرانيا بالاستخلاف. وهي التي تشكل بالتالي محور منظومة القيم العليا الحافة بالمركب الحضاري بالإضافة إلى الأساس الآخر وهو التوحيد. واستخرج الصدر هذا كله من الاية التالية:"وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً". (البقرة ٣٠) (للتفصيل راجع المحاضرة الثامنة من محاضرات التفسير الموضوعي للقران التي القاها الصدر في يوم الاربعاء ١١ جمادى الاولى من عام ١٣٩٩).
وحسب اطلاعي، فان الصدر تحدث لاول مرة عن "المركب الحضاري" في مقدمة الطبعة الثانية لكتابه العظيم "اقتصادنا"، في سياق حديثه عن التنمية الاقتصادية في العالم الاسلامي حين دعا الى التفتيش عن "مركب حضاري قادر على تحريك الامة وتعبئة كل قواها وطاقاتها للمعركة ضد التخلف"، واحسب انه كان يقصد بذلك "الاسلام" الذي كان قد ذكره في افتتاحية العدد الاول لمجلة "الاضواء" النجفية في حزيران ١٩٦٠ بوصفه الشرط الاساسي لنهضة الامة" حيث كتب يقول:"ان الشرط الاساس لنهضة الامة -اي امة كانت- ان يتوفر لديها (المبدأ) الصالح الذي يحدد لها اهدافها وغاياتها ويضع لها مثلها العليا ويرسم اتجاهها في الحياة" مؤكدا ان هذا الشرط الاساسي متوفر لدى الامة "متمثل في دينها الاسلامي العظيم".
اما مالك بن نبي (١٩٤٨) فقد جعل "مركِّب الحضارة" مؤلفا من ثلاثة عناصر هي: الانسان، التراب، الزمن. وواضح ان هذه العناصر تلتقي بعناصر الصدر بامرين هما: الانسان والتراب (او الارض). وعرف مركب الحضارة بانه "العامل الذي يؤثر في مزج العناصر الثلاثة بعضها ببعض". وهو يقصد "الفكرة الدينية التي رافقت دائما تركيب الحضارة خلال التاريخ". (شروط النهضة، ص ٤٦، من الطبعة العربية ١٩٨٦)
إذاً عناصر المركب الحضاري عند مالك بن نبي ثلاثة: الإنسان، التراب، الوقت.. وهذه العناصر لا يمكن لها أن تؤدي مفعولها القوي لو بقيت على شتاتها دونما تآلف وتكاثف.
ويرى مالك ابن نبي أن التآلف لا يكفي إذا لم يأت عامل خارجي آخر يمارس دور المركب لهذه العناصر من أجل بلوغ الغاية المرجوة.. هذا العامل الخارجي هو العقيدة الدينية. والتأكيد على عنصر الدين في تمتين التآلف بين العناصر الثلاثة: الإنسان،التراب، الوقت من أجل بناء الحضارة -الشق المادي من الثقافة -أو ذلك الهدف المنشود آنف الذكر. وبغير الدين والعقيدة الدينية فإن تلاقي هذه العناصر الثلاثة لا جدوى منه وستظل على الحالة الذر ذرية التشتتية.. أو هو مجرد لا شيء..
ويوضح مالك ابن نبي فكرته فيقول ":إننا لكي نتوصل إلى التركيب الضروري حلا للمشكلة الإسلامية،أعني

مزج الإنسان،والتراب،والوقت،يجب أن يتوافر لدينا مؤثر الدين الذي يغير النفس الإسلامية ..(...) ...والدين وحده هو الذي يمنح الإنسان هذه القوة،فقد أمد بها أولئك الحفاة العراة من بدو الصحراء الذين اتبعوا هدي محمد صلى الله عليه وسلم. وبهذه القوة وحدها يشعر المسلم -على الرغم من فاقته وعريه الآن -بثروته الخالدة التي لا يدري من أمر استخدامها شيئا ."وعلى قدرة مركب الدين الذي يسميه مالك ابن نبي بالمُركِّب الحضاري "... catalyseur civilisationnelعلى التدخل في توصيل وتجميع وتركيب العناصر الثلاثة وجعلها تعمل ضمن النسق الطبيعي للسيرورة الحضارية..

فإن مالك ابن نبي يرفع الرداء عن طبيعة المُركِّب الحضاري هذا -العقيدة الدينية -فيشدد على تقسيم العقيدة الدينية إلى قسمين: قسم هو روح الدين، وقسم هو حرفية الدين. أما ما يكون القوة الماسكة للعوامل الثلاثة،الإنسان،التراب، الوقت ويجعل الامتزاج امتزاجا له فعالية فهو فقط روح الدين وفي هذا الصدد يوضح مالك ابن نبي "فمشكلة الانحطاط تتحلل إلى ثلاث مشكلات أولية: مشكلة الإنسان ، مشكلة التراب، مشكلة الوقت، ولابد لهذه المحاور من إطار جامع تنصهر فيه، هذا الإطار الذى يسميه مالك "المركب الحضاري " هو الفكرة الدينية، التي رافقت دائماً تركيب الحضارة خلال التاريخ، وحتى تقوم حضارة يجب أن نحل هذه المشكلات الثلاث من أساسها.

اما انا فقد جعلت عناصر المركب الحضاري خمسة وهي: الانسان، الزمن، الطبيعة، العلم، العمل. لانه بدون العنصرين الاخيرين لايمكن للعنصر الاول ان يصنع الحضارة حتى لو توفرت الارض المناسبة والزمن الكافي.

بنية المركب الحضاري:

يقول الدكتور عادل فتحي ثابت عبد الحافظ في كتابه "النظرية السياسية المعاصرة" (٢٠٠٦) ان التحليل البنيوي يقوم بالكشف عن موقع كل جزء من الكل وحجمه وعلاقاته بغيره من الاجزاء التي تشاركه نفس الكيان (ص ١٦٦). وبناء عليه فاننا يمكن ان نتصور نموذج التحليل البنيوي للمركب الحضاري مؤلفا من اربع دوائر كما يلي:

الدائرة الاولى: وهي التي تمثل النواة او القلب في المركب الحضاري وتتألف من الانسان.

الدائرة الثانية: المحيطة بالانسان تتالف من الطبيعة والزمن. وهي التي تمد الانسان بالمواد الاولية للنشاط الحضاري.

الدائرة الثالثة؛ تتالف من عنصري العلم والعمل والذي يمثل نشاط الدائرة الاولى (الانسان) في الدائرة الثانية (الطبيعة والزمن). ومفهوم ان الترابط بين العلم والعمل اساسي في تحقيق النهضة الحضارية.

الدائرة الرابعة: وتتألف من منظومة القيم العليا الحافة بالمركب الحضاري والتي تمثل مؤشرات السلوك وقواعده واهدافه وهي بالنتيجة تحكم وتوجه سلوك الانسان (الدائرة الاولى) في الدوائر المختلفة للمركب الحضاري بما فيها الانسان نفسه. وقد قدم السيد صدر مثالا عن دور القيم في توجيه السلوك حين تحدث عن دور الاسلام بوصفه منظومة قيم في تحديد هدف التنمية الاقتصادية حيث بين ان التنمية الاقتصادية هي "هدف طريق لا هدف غاية"، وهي "وسيلة يؤدي بها الانسان الاسلامي دور الخلافة" (اقتصادنا ص ٦٣٤-٦٣٥).

امراض المركب الحضاري

لا ينشأ مجتمع في اي مكان، دون ان يوجد عدد من الناس. يستقرون في ارض محددة، ويتقوم الاستقرار بنوعين من العلاقات هما: العلاقة بين الناس انفسهم، والعلاقة بين الناس والطبيعة.
والغاية من الاجتماع الانساني من حيث الجوهر هو اشباع الحاجات الاساسية للانسان، مثل الجنس، وتوفير متطلبات العيش، كالغذاء والادوات.
ويتم ذلك من خلال العمل مع الطبيعة: الارض بما تحتويه في سطحها وباطنها. وهذا يكون بالزراعة، والصناعة، واستخراج الثروات الطبيعية.
ويستند العمل مع الطبيعة الى معرفة بدرجة ما بالطبيعة، اي العلم. ومهما كانت المعرفة بدائية، فانها تزداد بالتجربة، وكلما زادت تجارب الانسان، زادت معارفه، وكلما زادت معارفه تطورت تجاربه. ولذا امكننا ان نلاحظ ان الجهد العلمي للانسان يسير بخط تكاملي تصاعدي مستمر. ولهذا السبب فان التحسين في نوعية الحياة المستند الى هذا العلم هو الاخر يسير في خط تكاملي تصاعدي مستمر. ومن ملاحظة هذين الخطين على مدى مئات الالاف من السنين من تاريخ البشرية امكننا القول بات التكامل والتطور والتقدم يشكل اتجاها عاما في حركة التاريخ البشري العام.
هناك عدة تفسيرات لهذا السير التكاملي في علاقة الانسان بالطبيعة، اكثرها شيوعا هو القول بوجود دافع غريزي لدى الانسان لتحسين حياته.
تاخذ العلاقة بين الانسان والانسان عدة اشكال منها: العلاقة الزوجية بين رجال ونساء هذا المجتمع، والعلاقة التعاونية بين افراد المجتمع رجالا ونساء، وبعض التعاون ينطوي على منفعة متبادلة، والبعض الاخر منفعة عامة، والبعض الثالث منفعة من طرف واحد .ويأخذ النوع الثالث اسم الايثار.
ولكن لا يوجد نسق واحد للعلاقات بين البشر. فبعض العلاقات تنطوي على ظلم، كالرق والاعتداء، وبعضها ينطوي على عدل .ولا نملك ادلة كافية على ان البشر كانوا متفقين على تحديد ما هو عدل وما هو ظلم في البداية، بدليل انتشار الرق والعبودية وتجارة البشر في العصور الماضية. ولكن البشر اخذوا يدركون تدريجيا مصادق الظلم والعدل، وبمعونة واضحة من الاديان السماوية، ومواكب المفكرين والفلاسفة الذين ظهروا في تاريخ البشرية الطويل. وايضا بملاحظة خط سير البشرية الطويل، نستطيع ان نلاحظ ان البشرية تتقارب بشكل تدريجي في هذه القيم، حتى اصبحت منظومة القيم متقاربة الى درجة كبيرة بعد الحرب العالمية الثانية في منتصف القرن الماضي.
ويمكننا ان نلاحظ ان خط سير البشرية استند منذ البداية على خمسة امور: الانسان نفسه، وعلمه، وعمله، والقيم التي يؤمن بها في الطبيعة والزمن. وكان وما يزال للاديان السماوية دور في خط السير هذا، خاصة لجهة التدخل في بناء منظومات القيم.
وهذا هو الذي نسميه المركب الحضاري، المؤلف من خمسة عناصر هي: الانسان والطبيعة والزمن والعلم والعمل مضافا الى القيم السلوكية. وهذا المركب هو الذي انشأ الحضارة البشرية.
والمركب الحضاري بهذا الوصف والتحليل هو نفسه في كل المجتمعات. فكل المجتمعات تقوم على العناصر الخمسة، وكلها تتحرك على اساس منظومة قيم تؤمن بها. وانما يحصل الاختلاف في نوعية القيم، وكمية ونوعية العلم والعمل، وطبيعة الارض، وفي علاقات الانسان باخيه الانسان، وعلاقات الانسان بالطبيعة.
قد يكون المركب الحضاري في حالة صحية جيدة او في حالة صحية مرضية وبين هذه وهذه درجات.
واغلب حالات الصحة والمرض تعود الى الانسان والطبيعة.

فقد يتألف مجتمع ما من اغلبية اعضاء ذوي همية عالية ونشاط كبير. ويعود الاختلاف في هذا الى اسباب طبيعية ذاتية، ويرى بعض الباحثين ان البيئة تؤثر ايضا على نشاط الانسان. ويعطينا التاريخ نماذج لمجتمعات استسلمت لبيئتها، واخرى تكيفت معها، وثالثة تغلبت عليها.

وقد تكون الارض خصبة قريبة من مصادر المياه فتزدهر فيها الزراعة، وتكثر المحصولات الزراعية، ويمكن تربية المواشي، فتتوفر لحومها والبانها واصوافها. وقد يكون العكس حيث الارض قاحلة والامطار قليلة، وبدلا من نشوء مجتمع زراعي، ينشأ المجتمع البدوي الصحراوي.

وقد تنشا سلطة عادلة في المجتمع، فتحافظ على حقوق الناس واموالهم، وتسير بهم بالعدل، فلا يسوق قوي من ضعيف، ولا يظلم غني فقيرا، فترتفع انتاجية المجتمع وتدر الطبيعة خيراتها. وقد يحصل العكس، فيظهر متعطش للسلطة طامع بالثروة، فيحكم الناس بالظلم، والتفرقة والتمييز بين هذا وذاك، فتنخفض وتيرة العمل الاجتماعي ويقل الخير والازدهار .وقد يكون سببَ ذلك نوازع فردية، واطماع شخصية، او مصالح عائلية او فئوية، فتحصل الانقسامات في المجتمع وتظهر التوترات بين ابنائه وتختل العلاقة بين الانسان و الانسان. وقد يقل التوجه نحو العلم والمعرفة، ويركن الانسان الى التقليد والخرافات والجهل، فينعكس ذلك على عمله، وتختل علاقته بالطبيعة.

حين يكون المركب الحضاري في حالة صحية جيدة يتقدم المجتمع، وبالعكس حين يكون المركب الحضاري مريضا يتاخر المجتمع. والتقدم والتأخر نسبيان، يتوقفان على درجة الصحة والمرض في المركب الحضاري. ونطلق وصف المتحضر على المجتمع ذي المركب الحضاري السليم، ووصف المتخلف على المجتمع ذي المركب الحضاري المريض، السقيم، الذي يعاني من خلل حاد.

وقد ينتشر الخلل الحاد في المركب الحضاري في مختلف عناصره. فيحصل الخلل في العقلية او الذهنية او المنهجية، كما قد يحصل في السياسة والحكم والادارة، وقد يحصل في الاقتصاد والزراعة والصناعة، وقد يحصل في العلم والمعرفة، وقد يحصل في التدين بالدين السائد في المجتمع. وبذا تحصل اشكال من التخلف مثل التخلف المنهجي، والتخلف السياسي، والتخلف الاقتصادي، والتخلف الاجتماعي، والتخلف الديني الخ. وحين يكون شاملا لكل هذه الانحاء سوف نسميه التخلف الحضاري، اشارة الى ان المجتمع لم يعد قادرا على انتاج الحضارة، اي فقد السيطرة على شروط الانتاج الحضاري.

وللناس مذاهب مختلفة في تفسير التخلف بهذا المعنى، فهناك من يعزوها الى الخلل في علاقات الانتاج، او الى الخلل في علاقات المجتمع المتخلف بالمجتمعات المتقدمة)التبعية(. ولكننا اذا تأملنا وحللنا هذه الاسباب الى عناصرها الاولية وجدناه تعود الى حصول خلل في المركب الحضاري ادى الى حصول الخلل في علاقات الانتاج او علاقات التبعية، وهذا يقودنا في النتيجة الى القول بحصول خلل حاد في المركب الحضاري الذي عماده الانسان نفسه. وهذا ما يذهب اليه القران حيث يعزو كل هذه الاسباب

الى الانسان نفسه، بوصفه المحور القائد في المركب الحضاري، الى المحتوى الداخلي للانسان، الذي ينعكس على عمله ونشاطه وحركته، وهذا ما يذهب اليه القران الكريم اذا يقول:

"قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ"

"ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ."

فيما يؤكد في العديد من اياته على اهمية الايمان والعمل الصالح في تقدم الامم مشيرا الى ان الامر متروك لارادة البشر انفسهم:

"لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ .."

وهذا يدلنا على الطريق المؤدي الى التغيير، وهو اصلاح الخلل في المركب الحضاري، بدءاً من اصلاح المحتوى الداخلي للانسان. فتربية الانسان السليمة هي البداية الحقيقية للتغيير، وافضل التغيير ما تم داخل مؤسسات صالحة. واقصد هنا تغيير المحتوى الداخلي للانسان داخل مدرسة صالحة.

يشير الان تورين في كتابه "انتاج المجتمع" الى ان كل مجتمع يقوم بحركتين في ان معا. ففي الحركة الاولى ينتج ذاته، وفي الحركة الثانية يتجاوز ذاته. فاذا تجاوز ذاته بحركة الى الامام، كانت اعادة الانتاج تقدمية. اما اذا كانت حركة الى الخلف كانت اعادة الانتاج تأخرية. يستخدم المجتمع طاقته في انتاج نفسه، ويستخدم الفائض منها في تجاوز ذاته.

كيف يتحدد اتجاه حركة اعادة الانتاج.

يمكنني ان استعير هنا الاية القرانية القائلة: "لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ".

الكلمة المفتاحية هنا هي "شاء". فالامر رهين بارادة المجتمع وقراره. ارادته بان يتقدم في طريق التكامل والنمو، او ارادته في التأخر في السير في هذا الطريق. ومن هنا اهمية ان لا يهدر المجتمع فائض الطاقة في الحركة الى الوراء لان هذه الحركة لن تضيف شيئا الى المجتمع، وسوف تهدر فائض الطاقة فيما لا يجدي وينفع.

وهو قول مطابق لقول القران في سورة اخرى:

"وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا".

والارادة الانسانية هي انعكاس للمحتوى الداخلي للانسان، على المستوى الفردي وعلى المستوى الجماعي.

ربما كان بالامكان استعارة مصطلح "الوجدان الشعبي المشترك" من عالم الاجتماع الفرنسي دور كايم والذي يعني"مجموع المعتقدات والمشاعر المشتركة بين متوسط اعضاء مجتمع واحد".

وقوام المحتوى الداخلي المحرك لارادة الانسان والمجتمع هو الرؤية المستقبلية للفرد و للمجتمع، والتي تشكل هدفا ابعد او نموذجا اعلى يسعى الى تحقيقه والوصول اليه.

قد يرى المفكرون والمحللون النفسيون والاجتماعيون محركات اخرى للارادة الانسانية، لكنها تؤول بالتحليل الاخير الى "رؤية مستقبلية" بشكل ما، وهذا المستقبل هو الذي يحرك الانسان.

وبهذه الرؤية واستنادا اليها يضع المغيرون الاجتماعيون جدول الاعمال لحركتهم التغييرية، بهدف اشاعة الرؤية المستقبلية وتثقيف المجتمع على اساسها وتحويلها الى هدف متبنى.

ولا يتعارض هذا مع قول الين تورين من ان المجتمع "انما هو ما يجعل نفسه عليه انطلاقا مما هو عليه لا انطلاقا من مباديء وقيم"، اذا اصبحت الرؤية المستقبلية هي المكون الاساسي للمحتوى الداخلي للمجتمع.

فتصبح الرؤية المستقبلية هي ما عليه المجتمع بالقوة، الوجود الكامن في القوة الذي يخرج الى الخارج ويتحول الى الوجود بالقوة الى الوجود بالفعل بسبب حركة المجتمع الى امام.

الإنسان والمركب الحضاري:

لعب الإنسان دورًا محوريًا في بناء الحضارات منذ فجر التاريخ. العلاقة بين الفرد والمركب الحضاري هي علاقة تفاعلية تميزت بتأثير متبادل، حيث يسهم الفرد في بناء وتطوير الحضارة، وفي المقابل توفر الحضارة للفرد البيئة المناسبة للتعبير عن إمكانياته وتحقيق طموحاته.

**دور الفرد في بناء الحضارات

** .1الإبداع والابتكار :**يعد الابتكار من أهم الأدوات التي يستخدمها الفرد لبناء الحضارات. فقد شارك الأفراد عبر التاريخ بأفكارهم واختراعاتهم في تطوير مجتمعاتهم، كما فعل العلماء والمخترعون في العصور المختلفة. لقد ساهمت هذه الابتكارات في الانتقال من عصور الظلام إلى عصر النهضة ومن ثم إلى العصر الحديث بفضل الإنجازات العلمية والتكنولوجية.

** .2القيادة والتوجيه :**دور القادة والزعماء لا يقل أهمية؛ إذ أنهم يوجهون الموارد البشرية والمادية نحو تحقيق أهداف بناءة. من خلال وضع الرؤى والاستراتيجيات، يساعد القادة على بناء بنى تحتية قوية، وأنظمة حكم مستقرة، وتحقيق الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي.

** .3المشاركة الاجتماعية :**يساهم الأفراد أيضًا من خلال مشاركتهم الفعالة في الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية. الزراعة والصناعة والتجارة والفنون والثقافة كلها مجالات تسهم في البناء الحضاري وتعكس تنوع إسهامات الأفراد.

** .4التعليم والتعلم :**نشر المعرفة والتعليم من أهم الأدوات التي يسهم الفرد من خلالها في بناء الحضارات. من خلال المؤسسات التعليمية، يتم نقل المعارف والمهارات من جيل إلى جيل، مما يساعد في التقدم المستمر للمجتمعات.

العلاقة التفاعلية بين الفرد والحضارة

** .1توفير البيئة الملائمة :**الحضارات توفر للأفراد البيئة الملائمة للابتكار والإبداع، حيث توفر البنية التحتية، والتعليم، والموارد الضرورية لتطوير إمكانياتهم.

** .2تحقيق الاستقرار :**بواسطة القوانين والنظام، تساهم الحضارة في تحقيق الاستقرار الاجتماعي والسلمي، مما يتيح للأفراد فرصة للتركيز على تطوير أنفسهم والمشاركة في بناء المجتمع.

** .3الهوية والانتماء :**الفرد يتأثر بالحضارة من خلال القيم والثقافة المشتركة التي تمنحه شعورًا بالانتماء. هذا الشعور يعزز من رغبة الأفراد في المساهمة في الحفاظ على التراث الثقافي وتطويره.

** .4تحفيز التنمية :**الحضارة تحفز الأفراد من خلال توفير فرص العمل والتقدم المهني، مما يدفعهم للإبداع والمساهمة بشكل فعال في المجتمع.

ان بناء الحضارات عملية تفاعلية تتطلب تعاون الأفراد والمجتمعات بطرق مختلفة. من خلال دمج الجهود الفردية والتعاون المشترك، تصبح الحضارات أكثر قوة وقدرة على التكيف مع التحديات المتغيرة عبر الزمن.

الأرض: الموقع والجغرافيا

شكلت الأرض بموقعها وجغرافيتها عنصرًا أساسيًا في تكوين وتطور الحضارات على مر العصور. إذ أن الموقع الجغرافي للأرض يحدد بشكل كبير الإمكانيات والفرص المتاحة لتلك الحضارة، ويؤثر على اقتصادها، وسياستها، وثقافتها. نستعرض هنا بعض الجوانب التي تجعل الأرض وعواملها الجغرافية عناصر حيوية في تكوين المركب الحضاري.

1.**الموقع الجغرافي وتأثيره السياسي والاقتصادي**

إن الموقع الجغرافي يلعب دورًا محوريًا في تحديد قوة الحضارة ونفوذها. مواقع مثل وديان الأنهار، السواحل البحرية، والمفترقات التجارية كانت دائمًا نقاط جذب للحضارات. على سبيل المثال، كانت حضارات وادي الرافدين ومصر القديمة تعتمد على الأنهار الكبرى مثل دجلة والفرات والنيل، حيث وفرت المياه والزراعة والغذاء.

2.**المناخ والتربة والموارد الطبيعية**

المناخ يحدد نوعية الحياة والأنشطة الإنسانية؛ فالمناطق ذات المناخ المعتدل تكون غالبًا أكثر استقرارًا من حيث الزراعة والغذاء. التربة الخصبة هي مصدر طبيعي آخر يعزز من قدرة المجتمع على الزراعة وتوفير الغذاء. إلى جانب ذلك، تعتبر الموارد الطبيعية مثل المعادن والأخشاب مصادر رئيسية للتطوير الصناعي والتجاري.

3.**التضاريس والمواصلات**

التضاريس تؤثر بشكل كبير على حركة الأشخاص والبضائع. الأراضي المسطحة والسواحل تكون أكثر ملائمة لبناء المدن وتنفيذ المشاريع الكبرى، في حين يمكن للجبال والمرتفعات أن تشكل حواجز تحد من الانتشار ولكن توفر حماية طبيعية. على مر التاريخ، كانت سهول أوروبا ومناطق أخرى نقاط ارتكاز لظهور إمبراطوريات وحضارات كبيرة.

4.**المياه والقدرة على الإبحار**

المياه تمثل عنصر حياة رئيسيا، ليس فقط للاستهلاك البشري والزراعي، بل أيضاً كوسيلة للنقل والتجارة. الحضارات القديمة التي قامت على ضفاف الأنهار أو السواحل البحرية كانت لديها ميزة في التجارة والتواصل مع الحضارات الأخرى. البحر الأبيض المتوسط، على سبيل المثال، كان وسيطاً رئيسياً لتبادل الثقافات والسلع بين أوروبا وأفريقيا وآسيا.

5.**العزلة والتفاعل مع الحضارات الأخرى**

الموقع الجغرافي يمكن أن يعزل حضارة معينة ويمنحها فرصة لتطوير ثقافتها الخاصة بدون تأثيرات خارجية، أو يمكن أن يوضعها في مراكز تفاعل بين ثقافات وحضارات مختلفة. الحضارات التي كانت على مفترق الطرق التجارية، مثل الحضارة الفارسية، كانت مركزًا للتبادل الثقافي والتجاري والفكري.

6.**الكوارث الطبيعية والمخاطر البيئية**

الأرض ليست فقط مصدرًا للثروة والفرص، بل أيضًا للمخاطر. الزلازل، البراكين، والفيضانات هي عوامل طبيعية قد تؤدي إلى تدمير أو تغيير مصير حضارة معينة. الاستعداد والتكيف لهذه الظروف كان وما زال جزءًا من التحديات التي تواجه البشر.

إن فهم تأثير الموقع والجغرافيا على تكوين الحضارات يعطينا نظرة أعمق إلى كيفية تطور المجتمعات عبر التاريخ. الأرض بموقعها وجغرافيتها ليست مجرد مسرح نمو ولكنها أيضًا لاعب فعال يحدد مسارات النمو والتطور.

الزمن: من الماضي إلى المستقبل

لطالما كان الزمن عنصرًا حاسمًا في تطور الحضارات. يُمكننا القول إن تأثير الزمن لا يمكن فصله عن التقدم البشري، حيث أنه يلعب دورًا بارزًا في صياغة الأحداث وتشكيل الثقافات وتوجيه الابتكارات.

1.**الزمن كمحرك للأحداث التاريخية**

كان الزمن حاسمًا في تشكيل الأحداث التاريخية الكبرى، مثل الحروب والانهيارات الاقتصادية والاكتشافات العلمية. على سبيل المثال، سقوط روما في القرن الخامس الميلادي شكل نقطة تحول عظيمة أدت إلى التفكك والانتقال للعصور الوسطى. من جهة أخرى، الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر أدت إلى تسارع هائل في التطور التقني والاقتصادي.

2.**تأثير الزمن على الثقافة والفن**

الزمن لا يغير فقط الأحداث ولكنه أيضًا يؤثر على الثقافة والفن. ففي العصور الكلاسيكية، ازدهرت الفنون والآداب، وظهرت أعمال خالدة كالملاحم اليونانية والأدب اللاتيني القديم. في العصور الحديثة، شهدنا حركة النهضة التي أعادت إحياء الفنون والعلوم بعد عصور من الظلام والجمود.

3.**الابتكار والتكنولوجيا عبر الزمن**

التطور العلمي والتكنولوجي هو من أبرز تجليات تأثير الزمن على الحضارات. في العصور القديمة، كانت الاكتشافات التكنولوجية محدودة وبطيئة. في المقابل، شهدنا في العصر الحديث تطورًا مذهلاً في فترة زمنية قصيرة، بدءًا من اختراع المحرك البخاري ووصولاً إلى التكنولوجيا الرقمية، والذكاء الاصطناعي الذي يغير قواعد اللعبة اليوم.

4.**الزمن كمعيار للتقدم الاجتماعي**

مع مر الزمن، تتغير القيم الاجتماعية والأخلاقية. قضايا حقوق الإنسان والمساواة في القرون الأخيرة هي شواهد على هذا التغيير. لو قارنّا أوضاع المرأة وحقوق الإنسان عبر التاريخ، لأتضح لنا مدى تأثير الزمن في تحقيق تقدم كبير في هذه المجالات.

5.**التعليم والمعرفة وأساليب التعلم**

مع مرور الزمن، انتقل التعليم من أشكاله البدائية التي كانت تعتمد على التلقين إلى نظم تعليمية متقدمة تعتمد على البحث العلمي والاستكشاف. من الكتاتيب والمدارس التقليدية إلى الجامعات الحديثة والمعاهد البحثية؛ الزمن كان دائمًا العنصر المحفز لنقل المعرفة وتحسين أساليب التعلم.

6.**المستقبل وتحديات الزمن**

إذا نظرنا إلى المستقبل، نرى أن الزمن يحمل في طياته تحديات جديدة. تغير المناخ، الاستدامة، وتقنيات المستقبل مثل الذكاء الاصطناعي والروبوتات ستكون عوامل حاسمة تمثل تحديًا وفرصة في آن واحد للحضارات القادمة.

الزمن، إذًا، ليس مجرد عدو يجب تجاوز تأثيره لكنه أيضاً مصدر للحكمة والتقدم. يمكن رؤية أثره في كل جانب من جوانب الحضارة الإنسانية، من الثقافات والفنون، إلى التكنولوجيا والعلم، وحتى في التنظيم الاجتماعي والسياسي. حيث يحدد مع الزمن مسارات جديدة ويفتح آفاقًا أوسع للبشرية, يجعلنا نتطلع إلى مستقبل مليء بالإمكانيات على الرغم من التحديات.

العلم:
الابتكارات والتقدم التكنولوجي

يعتبر العلم أحد أهم ركائز المركب الحضاري التي تملك قدرة هائلة على دفع البشرية نحو آفاق جديدة من التقدم والابتكار. في قلب كل تطور أو ابتكار تكنولوجي، نجد العلم يلعب دورًا حاسمًا.

.1**أهمية العلم في تطور الحضارات**

منذ فجر التاريخ، ساعد العلم الإنسان على تفسير العالم من حوله والتحكم في بيئته. من اكتشاف النار وصولًا إلى التقنيات الحديثة، كان العلم دائمًا هو القوة الدافعة التي تُحرك عجلة التطور الحضاري. مثلا، الاكتشافات العلمية في العصور القديمة مثل علم الفلك والرياضيات عند الفراعنة واليونان، مهدت الطريق للتطورات اللاحقة.

.2**الابتكارات والتقدم التكنولوجي عبر العصور**

العلم أقرَّ وأحدث ثورات تقنية هائلة. في العصور الوسطى، شهدنا تطورات علمية هائلة مثل الثورة التجارية الصناعية التي بدأت في القرن الثامن عشر. تلك الحقبة شهدت اختراع المحرك البخاري والذي غير وجه الصناعة والعالم، وأدى لنهوض الحضارة الأوروبية وأصبحت قاطرة تطور العالم كله.

.3**الانتقال من الثورة الصناعية إلى الثورة الرقمية**

القرن العشرين مثَّل نقطة تحول جديدة بتطور الكمبيوتر والإنترنت، والتي فتحت الأبواب لما يعرف الآن بالثورة الرقمية. تقنيات كالذكاء الاصطناعي، تعلم الآلة، وعلوم البيانات أصبحت جزءًا لا يتجزأ من حياتنا اليومية وتسهم في تطور البشرية وتيسيرها.

.4**العلم كمحفز للابتكار**

العلم يُعد المحفز الرئيسي للابتكار، حيث أن الأبحاث العلمية توفر المعرفة التي تُسهم في تطور اختراعات جديدة. مثلاً، الاكتشافات في مجال الفيزياء الكمية والبيولوجيا الجزيئية أطلقت تقنيات جديدة مثل الحواسيب الكمومية والهندسة الوراثية.

.5**دور العلم في تحسين جودة الحياة**

الاكتشافات العلمية والتكنولوجية ساهمت في تحسين جودة الحياة بطرق لا حصر لها. التقدم في الطب مكّن من علاج أمراض كانت تُعدّ سابقاً قاتلة. النقل الحديث والتواصل عبر الإنترنت جعل العالم قرية صغيرة ومتواصلة بشكل غير مسبوق.

.6**تحديات المستقبل والحاجة إلى العلم**

من التغير المناخي إلى التحديات الصحية العالمية، يواجه العالم اليوم عددًا لا يُحصى من التحديات التي تتطلب حلولاً علمية مبتكرة. العلم والتكنولوجيا يلعبان دورًا محورياً في تطبيق الحل المستدامة لهذه التحديات. على سبيل المثال، الطاقة المتجددة مثل الطاقة الشمسية وطاقة الرياح تعتمد بشكل كبير على الاكتشافات العلمية.

الخلاصة

العلم هو العمود الفقري الذي يحمل المركب الحضاري نحو آفاق جديدة من التقدم والتطور. من خلال الابتكارات والاكتشافات المستمرة، يستطيع العلم تذليل العقبات وتحقيق تحسينات جذرية في كل جوانب الحياة البشرية. المستقبل مليء بالتحديات، ولكن بفضل العلم المستمر، يمكننا مواجهة هذه التحديات وتحويلها إلى فرص تجعل من حضاراتنا أبنية أكثر قوة ومرونة. العلم سيبقى دائما الرافعة الأساسية التي ترفع المركب الحضاري نحو أفق أكثر بريقاً وتقدماً.

العمل: اقتصاديات الجهد والإنتاج

يلعب العمل دورًا محوريًا في بناء الحضارات وتشكيل اقتصادياتها على مر العصور. إنه الأساس الذي تقوم عليه الأنشطة الاقتصادية مما يمكّن المجتمعات من تحقيق التنمية والرفاهية.

1.**العمل كأساس للحضارات**

منذ بداية التاريخ، كان العمل عاملًا أساسيًا في تقدم البشرية. بدءًا من الزراعة القديمة، حيث اعتمد الناس على الأنشطة الزراعية لتأمين الغذاء، وصولًا إلى المجتمعات الصناعية والرقمية الحديثة التي تعتمد على مجموعة واسعة من أنواع العمل بدءًا من العمل اليدوي وصولًا إلى المهارات التقنية المتقدمة.

2.**الجهد والإنتاج كركائز اقتصادية**

العمل يمزج بين الجهد البشري والإنتاج الاقتصادي. الجهد يشير إلى الطاقة والوقت الذي يبذله الأفراد في أداء المهام المختلفة. أما الإنتاج فيمثل السلع والخدمات الناتجة عن هذا الجهد. يمكن اعتبار الاقتصاد كنظام يعتمد على تحويل الجهود البشرية إلى قيمة مادية أو معنوية تخدم المجتمع.

3.**دور العمل في الاقتصادات القديمة والحديثة**

في الحضارات القديمة مثل مصر وبابل، كان العمل الزراعي هو العمود الفقري للاقتصاد. أما في الحضارات الصناعية التي ظهرت بعد الثورة الصناعية بالقرن الثامن عشر، تحول التركيز إلى الأنشطة الصناعية والإنتاج الضخم. اليوم، في العصر الرقمي، يلعب العمل في مجالات التكنولوجيا والمعلومات دورًا حيويًا في دفع الابتكار والتنمية.

4.**التوزيع العادل للجهد والموارد**

من أجل بناء حضارة مستقرة ومتطورة، ينبغي أن يكون هناك توزيع عادل للجهد والموارد. هذا يتضمن توزيع الفرص الاقتصادية والتعليمية بالتساوي، مما يتيح لكل فرد القدرة على المساهمة الفاعلة في الاقتصاد والنمو.

5.**أهمية التعليم والتدريب**

التعليم والتدريب يلعبان دورًا حيويًا في تأهيل الأفراد لدخول سوق العمل. من خلال تقديم المهارات والمعرفة اللازمة، يمكن للأفراد أن يسهموا بفعالية في الإنتاج الاقتصادي وتنمية المجتمع. بدون التعليم الكافي، سيكون من الصعب تحقيق الأداء الأمثل في أي مجال.

6.**تحديات العمل في العصر الحديث**

العولمة والتكنولوجيا الحديثة جلبت معهما تحديات جديدة للعمل. من التكيف مع الأتمتة والتكنولوجيا العالية إلى التعامل مع التغيرات السريعة في متطلبات السوق. يجب على الاقتصادات المعاصرة تكييف استراتيجياتها لضمان استمرار توفير فرص العمل وتحقيق الإنتاج المستدام.

7.**العمل والرفاه الاجتماعي**

العمل ليس فقط وسيلة لتحقيق الدخل ولكنه أيضًا يعزز الشعور بالانتماء والغاية. يساهم في بناء الروابط الاجتماعية وتعزيز التكافل الاجتماعي. من خلال العمل الجماعي، يمكن للأفراد تحقيق أهداف مشتركة وبناء مجتمع أكثر تماسكًا.

الخلاصة

العمل هو الحجر الأساسي في بناء الحضارات وتطويرها. من خلال توجيه الجهد البشري نحو إنتاج سلع وخدمات، يمكن تحقيق التقدم الاقتصادي والاجتماعي. التوزيع العادل للموارد، والتعليم والتدريب الجيد، والتكيف مع التحديات الحديثة، كلها عوامل ضرورية لضمان أن يسهم العمل في تحسين جودة الحياة ودفع عجلة الحضارات نحو المستقبل. يبقى العمل محركًا رئيسيًا للنمو والتنمية في أي مجتمع، مما يجعل من الضروري الاستثمار في تطوير المهارات والموارد البشرية لضمان استمرار التقدم والازدهار.

التفاعل بين عناصر المركب الحضاري:

تُعَدُّ الحضارات المجتمعات المتطورة التي تجمع بين منجزات ثقافية، اجتماعية، فنية، علمية، واقتصادية. لا تبرز الحضارات فقط بوصفها نتاجًا أحاديًا لأحد تلك العناصر، بل نتيجة للتفاعل الديناميكي بينها. يشكل هذا التفاعل ما يعرف بالمركب الحضاري. سنستعرض هنا جوانب هذا المركب وكيفية تداخله لتحقيق النجاح الشامل للمجتمعات.

.1**الثقافة كبنية تحتية حضارية**

الثقافة هي الحاضنة الأولية لأي حضارة. تشمل التعليم، القيم، التقاليد، واللغة. تساهم الثقافة في تشكيل الهوية الجماعية وتوجيه السلوكيات. يعمل التفاعل الثقافي مع العناصر الأخرى على رفع مستوى الوعي وتذليل العقبات الاجتماعية والتاريخية التي تواجه المجتمع.

.2**العلم كداعم للابتكار والتكنولوجيا**

العلم والتكنولوجيا من الدعائم الأساسية للمركب الحضاري. من خلال التقدم العلمي، تُطور الحلول لمشكلات اقتصادية، صحية، وبيئية. يجب أن يتفاعل العلم مع الثقافة ليضمن تقبل المجتمع للتكنولوجيا الحديثة، ومع الاقتصاد لتعزيز الإنتاجية والنمو الصناعي.

.3**الاقتصاد كعامل للاستقرار والتنمية**

الاقتصاد هو نظام تبادل الموارد والخدمات. لتحقيق النجاح الحضاري، يجب أن يكون الاقتصادات منفتحة على الابتكار وتتكامل مع العلم لتطوير سوق عمل ديناميكي. التفاعل الاقتصادي مع السياسة يضمن توزيعاً عادلاً للموارد، ومع الثقافة يُعزز القيم المسؤولة في إدارة الموارد.

.4**السياسة كعامل لتنظيم العلاقات الاجتماعية**

السياسة تمثل الإطار التنظيمي والإداري الذي ينظم العلاقات الاجتماعية ويحدد الحقوق والواجبات. يجب أن تكون السياسة متفاعلة مع الثقافة لتعكس القيم الاجتماعية، ومع العلم لوضع سياسات مبنية على الأدلة، ومع الاقتصاد لتحقيق العدالة الاجتماعية.

.5**الفن والأدب كمرآة للمجتمع**

الفن والأدب يعكسان ملامح الثقافة والتاريخ والأفكار الاجتماعية والسياسية. تعبيرات الفن تُساهم في النضج الثقافي والاجتماعي للمجتمعات. يجب أن يتفاعل الفن مع الثقافة لتعزيز الهوية، ومع العلم لتقديم رسائل مبتكرة ومستقبلية.

.6**التفاعل الديناميكي بين العناصر**

لتفعيل المركب الحضاري، يجب تحقيق تفاعل ديناميكي بين هذه العناصر. مثلًا:

-التعاون بين علماء الاجتماع والسياسيين يعزز وضع سياسات تعكس مطالب المجتمعات.

-نشر الفن والأدب المدعوم بالعلم يعزز التوعية البيئية والاجتماعية.

-الاقتصاد المعتمد على التكنولوجيا المتقدمة يعزز التنمية المستدامة.

.7**المنهج التكاملي كأساس للنجاح**

لتحقيق النجاح، يجب تبني منهج تكاملي يجمع بين العناصر بطريقة لا تجعل أياً منها مستقلاً بمعزل عن الأخرين. تحقيق هذا المنهج يتطلب رؤية مشتركة، تخطيطاً استراتيجياً، وتنفيذاً موحداً. التكامل يجعل الحضارات قادرة على التكيف مع التحديات والاستفادة من الفرص.

الخلاصة

إن نجاح المجتمعات لا يتحقق عبر التركيز على عنصر واحد فقط من المركب الحضاري، بل من خلال التكامل والتفاعل بين جميع العناصر. هذا التفاعل يضمن تحقيق التوازن والاستقرار والازدهار. من خلال تبني منهج تكاملي، يمكن للحضارات أن تبني مستقبلًا مشرقًا يستجيب لحاجات أجيالها المختلفة ويحافظ على تراثها وثقافتها.

الإنسان والبيئة:

تعد البيئة أحد العوامل الحيوية التي أثرت بشكل كبير على تطور الحضارات البشرية عبر العصور. فمنذ أن وجد الإنسان على الأرض، كانت البيئة مصدرًا أساسيًا للموارد والبقاء، وشكلت الظروف الجغرافية والمناخية تحديات وفرصًا مختلفة أثرت في الحضارات.
البداية: الإنسان والبيئة الطبيعية
بدأت الحضارات الأولى تتشكل في مناطق تتمتع بظروف جغرافية ملائمة، مثل الأنهار الخصبة التي وفرت الزراعة والغذاء. مثال على ذلك حضارتا نهر النيل في مصر ونهري دجلة و الفرات في العراق. سهولة الوصول إلى المياه العذبة والأراضي الزراعية الخصبة ساعدت في قيام مستوطنات دائمة ونمو اقتصاديات زراعية قوية.

التكيف مع البيئة: تطوير التكنولوجيا

لم تكن البيئة دائمًا ملائمة للإنسان، مما دفعه إلى تطوير التكنولوجيا والأدوات للتمكن من التفاعل مع المحيط. في مناطق الصحارى مثلاً، طورت الحضارات أنظمة متقدمة للري والزراعة مثل الأهرامات في مصر القديمة وسدود ما بين النهرين.

المناخ كعامل محوري: التغيرات والتحولات

لعب التغير المناخي دورًا محوريًا في تطور الحضارات. في العصور الجليدية، أجبر المناخ القاسي الإنسان على التكيف مع الظروف الباردة، مما أدى إلى تطور تقنيات الصيد والملابس. في المقابل، عصور الدفء النسبي مثل العصور الوسطى الدافئة ساهمت في زيادة الإنتاج الزراعي والازدهار الاقتصادي في أوروبا.

التأثير البيئي على الثقافة والدين
تأثير البيئة لم يقتصر على الجوانب الاقتصادية والتكنولوجية فقط، بل امتد إلى الثقافة والدين. فقد كانت الطبيعة مصدر إلهام للفن والدين والفلسفة، حيث ارتبطت العديد من الأساطير والديانات بالطبيعة وقواها المختلفة كالرياح والشمس والأمطار.

التحديات البيئية والحضارات الحديثة

في العصور الحديثة، أدت الثورة الصناعية إلى تغييرات بيئية كبيرة، منها تلوث الهواء والماء، وتغير المناخ العالمي. هذه التحديات البيئية الحديثة تطلبت استجابات جديدة من الحضارات المعاصرة، مثل تعزيز سياسات الحفاظ على البيئة والاستدامة.

الخلاصة

يبقى التفاعل بين الإنسان والبيئة عاملًا أساسيًا في تطور الحضارات عبر العصور. من التكيف مع الظروف الطبيعية إلى تطوير التكنولوجيا والاستجابة للتحديات البيئية، تستمر البيئة في تشكيل مستقبل الحضارات بطريقة فريدة ومثيرة. لهذا، يظل الحفاظ على توازن بيئي مستدام أمرًا حيويًا لضمان ازدهار الأجيال القادمة.

التغيرات الزمنية الكبرى في مسيرة الحضارات

تمثل دراسة التاريخ أهمية كبيرة لفهم كيف تطورت الحضارات البشرية عبر الزمن، وكيف واجهت وأثرت في التغيرات الزمنية الكبرى. هذه التغيرات لم تكن فقط نتيجة لتفاعلات البشر مع البيئة، ولكنها جاءت أيضًا نتيجة للثورات السياسية والثقافية، والاختراعات التكنولوجية، والكوارث الطبيعية.

.1**تراجع الإمبراطوريات وقيام أخرى**
شهد التاريخ العديد من الأمثلة على تراجع إمبراطوريات كبرى وقيام أخرى على أنقاضها. الإمبراطورية الرومانية، على سبيل المثال، كانت واحدة من أقوى وأكبر الإمبراطوريات في التاريخ القديم، لكنها سقطت بسبب مجموعة من العوامل تشمل الفساد الداخلي، والغزوات الخارجية، والأزمات الاقتصادية. من هذا السقوط استمدت أوروبا الدروس، مما أدى إلى فترة العصور الوسطى المظلمة التي أعقبتها عصر النهضة والتقدم.

.2**الثورات العلمية والصناعية**
كانت الثورة العلمية في القرن السابع عشر والثورة الصناعية في القرن التاسع عشر من أكبر التغيرات الزمنية التي غيرت مسار الحضارات الحديثة. قدمت الثورة العلمية مفهوم المنهج التجريبي والتقدم المعرفي، مما أسهم في تطور الاختراعات التكنولوجية. أما الثورة الصناعية، فقد أحدثت نقلة نوعية في الإنتاج الاقتصادي والاجتماعي، مما أدى إلى نمو المدن الكبيرة وتغيرات هائلة في نمط الحياة والعمل.

.3**الحروب العالمية وتوازن القوى**
الحروب العالمية في القرن العشرين كانت من بين أبرز الأحداث التي شكلت التاريخ المعاصر. أدت الحربان العالميتان إلى تدمير كبير وخلفت آثارا اجتماعية واقتصادية وسياسية هائلة. واحدة من الدروس المستفادة هي الحاجة إلى التعاون الدولي والسلام، مما تمثل في إنشاء منظمات دولية مثل الأمم المتحدة.

.4**الكوارث الطبيعية والأوبئة**
شهدت الحضارات البشرية كوارث طبيعية وأوبئة أثرت بشكل كبير على مسيرتها. طاعون جستنيان في القرن السادس والطاعون الأسود في القرن الرابع عشر تسببا في هلاك ملايين البشر، وأدى ذلك إلى تغييرات جذرية في البنية الاجتماعية والاقتصادية. أزمة كوفيد 19-في القرن الواحد والعشرين، تعد مثالاً حديثًا على تأثير الأوبئة في الحضارات.

.5**حركات الاستقلال والتغيير الاجتماعي**
القرنين التاسع عشر والعشرين شهدا موجات من حركات الاستقلال في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، مما وضع حداً لفترات طويلة من الاستعمار والاستبداد. هذه الحركات الجسورة أسهمت في تكوين دول مستقلة وحديثة تسعى للتطوير والتنمية.

الخلاصة

تقدم دراسة التغيرات الزمنية الكبرى في مسيرة الحضارات دروسًا هامة للبشرية. إن التعلم من الماضي يجنبنا تكرار أخطاء السابقين ويدفعنا نحو تحسين المستقبل. تظل الحضارات في حالة من التغيير والتطور المستمر، وتجارب الماضي تشكل بوصلة للإبحار نحو مستقبل أكثر إشراقًا وتقدمًا.

دور البحث العلمي في التحولات الحضارية الكبرى

يعد البحث العلمي من الركائز الأساسية لتقدم الحضارات وتطورها. عبر العصور، لعب البحث العلمي دورًا محوريًا في إحداث التحولات الكبرى التي شكلت مسارات الحضارات البشرية. من خلال استكشاف المجهول، وتوسيع حدود المعرفة، وتطوير التقنيات، يمكن القول إن البحث العلمي هو الداعم الرئيسي للتغيير والتطور الحضاري.

1.**الثورة العلمية وفهم الطبيعة**

كانت الثورة العلمية في القرنين السادس عشر والسابع عشر نقطة تحول هامة في تاريخ الإنسانية. العلماء مثل جاليليو، ونيوتن، وكوبرنيكوس، وغيرهم ساهموا في فهم جديد للطبيعة والكون. أسس هؤلاء العلماء منهجيات البحث التجريبي والاعتماد على الدليل، مما أدى إلى دقة أكبر في الفهم والتفسير العلمي. هذه الثورة العلمية لم تُحدث فقط انقلابًا في التفكير، بل أيضًا أرست الأسس للتقدم التكنولوجي اللاحق.

2.**الثورة الصناعية وتطبيقات العلم**

أدت الاكتشافات العلمية والتطورات التقنية خلال الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر إلى تحولات اقتصادية واجتماعية عميقة. إن اكتشافات في مجالات الفيزياء والكيمياء والهندسة أنجبت آلات جديدة وتقنيات إنتاجية متقدمة. مما أسهم في زيادة الإنتاج والنمو الاقتصادي، وانتقال المجتمع من النمط الزراعي إلى النمط الصناعي.

3.**التطور الطبي والأبحاث الصحية**

الأبحاث العلمية في مجال الطب أدت إلى قفزات هائلة في تحسين صحة الإنسان وزيادة متوسط العمر المتوقع. من اكتشاف البنسلين إلى التطورات في الجراحة وزرع الأعضاء، قدمت الأبحاث الطبية علاجات وحلول للأمراض التي كانت تعتبر قاتلة في الماضي. كما أن فهم الأمراض المعدية وطرق الوقاية منها أسهم بشكل كبير في الحد من الأوبئة.

4.**التكنولوجيا الرقمية وعصر المعلومات**

في العصر الحديث، يبدو البحث العلمي في مجالات الكمبيوتر والإنترنت والذكاء الاصطناعي قد أحدث تغييرًا جذريًا في كل جوانب الحياة اليومية. التطورات السريعة في مجال الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات خلقت عالمًا أكثر ترابطًا ومشاركة للمعرفة. أصبحت المعلومات متاحة للجميع بسهولة، مما أدى إلى تحسن في التعليم والبحث العلمي والتفاعل الاجتماعي.

5.**التحديات البيئية والاستدامة**

البحث العلمي يلعب دورًا حاسمًا في مواجهة التحديات البيئية العالمية مثل تغير المناخ، تلوث الهواء والماء، وفقدان التنوع البيولوجي. أبحاث الطاقة المتجددة، والتنمية المستدامة، وتقنيات الزراعة الذكية تقدم حلولًا جديدة للحفاظ على كوكب الأرض للأجيال القادمة.

الخلاصة

للبحث العلمي دور أساسي في تحقيق التحولات الحضارية الكبرى والبناء عليها. من خلال فهم أفضل للعالم من حولنا وتطوير تقنيات جديدة، يسهم البحث العلمي في تحسين نوعية الحياة، وتعزيز النمو الاقتصادي، ومواجهة التحديات العالمية. لذا، فإن دعم وتشجيع البحث العلمي يجب أن يكون أحد أهم أولويات المجتمعات والحكومات في كل أنحاء العالم، لتحقيق مستقبل أفضل وأكثر استدامة للبشرية.

العمل الجماعي

تكمن قوة العمل الجماعي في تعاونه وتكامله، حيث تجمع مهارات وخبرات وإبداع الأفراد في كيان واحد يسعى لتحقيق أهداف مشتركة. عبر التاريخ، لعب العمل الجماعي دورًا مركزيًا في تحقيق الإنجازات الحضارية الكبرى. هذا المقال يستعرض أهمية العمل الجماعي من خلال تجارب ونماذج ملموسة.

.1**بناء الأهرامات: مثال على التعاون البشري**

تُعتبر الأهرامات المصرية مثالاً رائعًا على قوة العمل الجماعي. لم يكن بالإمكان بناء هذه الصروح العملاقة بدون جهود آلاف العمال والحرفيين والمهندسين الذين عملوا معاً بتنسيق وتخطيط دقيق. تكاتف الأفراد وتنظيم العملية من خلال إدارة جماعية متميزة أسهم في تحقيق هذا الإنجاز الحضاري الذي لا يزال يُبهر العالم حتى اليوم.

.2**الثورة الصناعية والشركات الكبرى**

خلال الثورة الصناعية، شهد العالم تحولاً نوعياً بفضل العمل الجماعي في المصانع والشركات الكبرى. الشركات الصناعية مثل "شركة ستاندارد أويل "التي أسسها جون دي. روكفلر، كانت نموذجًا لتكامل جهود الأفراد تحت راية هدف مشترك. بفضل التعاون الفعال بين الأفراد، استطاعت هذه الشركات تحقيق تطور تقني وإنتاجي هائل كان له أثر كبير على الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

.3**تطوير الإنترنت: تعاون عالمي**

تطوير الإنترنت يُعتبر واحداً من أعظم الإنجازات التكنولوجية للحضارة الحديثة، وكان نتاج عمل جماعي عالمي. من الجامعات والمؤسسات البحثية في مختلف البلدان إلى الشركات التكنولوجية العملاقة، ساهم الجميع في بناء هذا الهيكل الضخم والمعقد. بفضل التعاون الدولي، أصبح الإنترنت وسيلة أساسية لتبادل المعلومات والتواصل والتجارة، مُحدثًا ثورة في طريقة حياتنا.

.4**استكشاف الفضاء: العمل الجماعي الدولي**

مشروع استكشاف الفضاء، وخاصة محطات الفضاء الدولية، هو نموذج صارخ على العمل الجماعي الدولي. وكالات الفضاء مثل "ناسا"، "روسكوزموس"، "إيسا"، وغيرها، تعمل معاً لتبادل الخبرات والمعرفة والموارد. هذا التعاون أسهم في تحقيق إنجازات كبيرة في مجال العلوم والاستكشاف الفضائي، مما يعزز من فهمنا للكون ولمستقبل البشرية.

.5**مواجهة التحديات الصحية: جائحة **COVID-19

أثبتت جائحة COVID-19أهمية العمل الجماعي في مواجهة التحديات الصحية العالمية. تعاون العلماء والباحثين من مختلف أنحاء العالم في تطوير لقاحات فعّالة في وقت قياسي يظهر قدرة البشر على تحقيق المعجزات عندما يعملون معاً. هذا التعاون لم يكن مقتصراً على المجال الطبي فقط، بل شمل أيضاً جهود الحكومات والمنظمات غير الربحية والمجتمع المدني.

الخلاصة

العمل الجماعي يمثل العمود الفقري للتحولات الحضارية الكبرى، حيث يجمع بين الإبداع والخبرة من مختلف الأفراد لتحقيق أهداف غير ممكنة بالأعمال الفردية. من بناء الأهرامات إلى استكشاف الفضاء، ومن تطوير التكنولوجيا إلى مواجهة التحديات الصحية، يتضح أن التعاون الجماعي يُمكّن البشرية من تحقيق تطورات حضارية هائلة. لذا، يجب أن يتم تعزيز قيم التعاون والثقة والتكامل بين الأفراد والمجتمعات لتحقيق مزيد من التقدم والاكتشافات التي تحقق منفعة عامة للبشرية.

التحديات البيئية

تغير المناخ يُعتبر واحدًا من أكبر التحديات التي تواجه الحضارة البشرية في القرن الحادي والعشرين. بالنظر إلى التركيبة المعقدة التي تجمع بين البيئة، الاقتصاد، المجتمع، والسياسة، يتضح أن التعامل مع ظاهرة تغير المناخ يتطلب استجابة متكاملة وعالمية. هذا المقال يستعرض تأثير تغير المناخ على المستقبل الحضاري وكيف يمكن أن نتعامل مع هذا التحدي.

1.**تأثير تغير المناخ على البيئات السكنية والحضرية**

تغير المناخ يؤدي إلى ارتفاع درجات الحرارة، زيادة الكوارث الطبيعية مثل الأعاصير والفيضانات، وارتفاع منسوب البحار. هذه الظواهر تؤثر مباشرة على البيئات السكنية والحضرية، مما يهدد التنمية العمرانية ويدفع الناس إلى الهجرة القسرية. المدن الساحلية، على وجه الخصوص، تواجه خطر الغمر، مما يتطلب استثمارات ضخمة في البنية التحتية لحمايتها وتأمين سلامة سكانها.

2.**التأثير على الموارد الطبيعية والأمن الغذائي**

ارتفاع درجات الحرارة وتغير أنماط الأمطار يؤديان إلى تدهور الأراضي الزراعية، تقليل الإنتاجية الزراعية، وزيادة ندرة الموارد المائية. هذه التغيرات تشكل تهديدًا مباشرًا للأمن الغذائي في العديد من الدول، خاصة تلك التي تعتمد بشكل كبير على الزراعة التقليدية. الأمن المائي والغذائي جزء لا يتجزأ من الاستقرار الحضاري، وبالتالي، فإن نقص هذه الموارد يمكن أن يزعزع استقرار الدول والمجتمعات.

3.**التحديات الاقتصادية والاجتماعية**

تغير المناخ يأتي بتكلفة اقتصادية باهظة، سواء من حيث الأضرار التي تلحق بالبنية التحتية أو النقل أو الصحة العامة. كما أن البطالة والفقر يمكن أن يزدادا نتيجة للأزمات البيئية والكوارث الطبيعية. إن تزايد الفقر والبطالة يمكن أن يؤدي إلى تفاقم التوترات الاجتماعية وزعزعة الاستقرار الاجتماعي والسياسي.

4.**الاستجابة السياسية والتحولات الحضارية**

تتطلب مواجهة تغير المناخ استجابة سياسية قوية تتضمن وضع سياسات تحد من الانبعاثات الكربونية، تعزيز استخدام الطاقة المتجددة، وتحقيق التنمية المستدامة. الحكومات بحاجة إلى التعاون وتبادل الخبرات وتقاسم التكنولوجيات لمكافحة التغير المناخي. الشرعية السياسية والمشاركة المجتمعية الفعالة تعتبران أساسيتين لتحقيق التحولات المطلوبة.

5.**الابتكار والتكنولوجيا كوسيلة للتكيف**

الابتكار والتكنولوجيا يلعبان دورًا حيويًا في التكيّف مع تحديات تغير المناخ. سواء من حيث تطوير أنظمة زراعية مستدامة، تحسين كفاءة استخدام الموارد المائية، أو تصميم بنية تحتية ذكية تقاوم الكوارث الطبيعية. التقنيات الجديدة يمكن أن تساعد في تحقيق توازن بين التنمية الاقتصادية وحماية البيئة.

الخلاصة

تغير المناخ يمثل تحديًا كبيرًا يواجه المركب الحضاري العالمي، حيث يؤثر على كل جانب من جوانب الحياة البشرية. من خلال استجابة متكاملة تتضمن العمل السياسي والتكنولوجي والاجتماعي، يمكن للبشرية التكيّف مع هذا التحدي وتحقيق مستقبل حضاري مستدام. التعاون الدولي، الابتكار، والاستدامة تعد أساسيات يجب تعزيزها لتحقيق ذلك الهدف النبيل.

التكنولوجي والتطور الزمن

الزمن والتطور التكنولوجي مترابطان بشكل لا يمكن فصله. منذ بداية التاريخ البشري، شكل الوقت أحد الأبعاد الأساسية التي تطورت من خلالها التكنولوجيا والابتكارات العلمية. يعكس هذا المقال كيف أن مفهوم الزمن يمكن أن يُشكِّل الابتكارات العلمية ويساعد في تحقيق تطويرات تكنولوجية مؤثرة.

1.**الزمن كعامل تسريع للابتكار**

التقدم التكنولوجي يتسارع مع مرور الزمن، فكلما زادت المعرفة العلمية، زادت القدرة على تحقيق إنجازات جديدة خلال فترات زمنية أقصر. التقنية الحديثة، مثل الذكاء الاصطناعي والحوسبة الكمية، ساهمت في تسريع وتيرة البحث والتطوير بفضل قدرتها على معالجة كميات هائلة من البيانات بشكل سريع وفعال.

2.**تراكم المعرفة عبر الزمن**

التطور التكنولوجي يعتمد بشكل كبير على المعرفة المتراكمة. كل جيل من العلماء والمهندسين يبني على أعمال الأجيال السابقة. هذا التراكم المعرفي يؤدي إلى تطوير أدوات وتقنيات جديدة بشكل مستمر. مثلا، تطور الحوسبة بدأ مع اختراع الآلة الحاسبة وانتقل إلى الحواسيب العملاقة والآن إلى الهواتف الذكية والأجهزة القابلة للارتداء.

3.**الزمن والتجارب العلمية**

الزمن يلعب دورًا حاسمًا في التجارب العلمية، حيث تحتاج العديد من التجارب إلى فترات زمنية طويلة لجمع البيانات وتحليلها. في مجالات مثل الطب والبيولوجيا، يمكن أن تستغرق الدراسات السريرية سنوات أو حتى عقودًا للوصول إلى نتائج نهائية. هنا، يلعب الزمن دورًا مزدوجًا: فهو ضروري لجمع البيانات ولكنه يمكن أن يشكل تحديًا من حيث طول فترة الانتظار.

4.**تطور الأدوات التكنولوجية مع مرور الوقت**

الأدوات التكنولوجية نفسها تتطور مع مرور الزمن، مما يتيح للعلماء والمهندسين إجراء تجارب أكثر دقة وكفاءة. على سبيل المثال، الميكروسكوبات الإلكترونية وتمكنها من رؤية الخلايا على مستوى الذرات. هذه الأدوات لم تكن ممكنة قبل عدة عقود، لكنها الآن تلعب دورًا محوريًا في التقدم العلمي.

.5**الثورات التكنولوجية والزمن**

الثورات التكنولوجية تحدث بشكل دوري وتغير مجرى التطور العلمي. الثورة الصناعية، الثورة الرقمية، وثورات التواصل تعد أمثلة على كيف يمكن لفترات محددة من الزمن إحداث قفزات نوعية في التكنولوجيا. كل ثورة تتيح أساليب جديدة للعمل والتواصل، مما يعزز الابتكار والاكتشاف بشكل لم يكن متاحًا من قبل.

.6**المستقبل والزمن**

عند التفكير في المستقبل، يُعتبر الزمن محورًا مركزيًا. التقنيات الناشئة مثل الذكاء الاصطناعي، الزراعة العمودية، والطباعة ثلاثية الأبعاد تشير إلى أن الابتكار لا يزال في تزايد مستمر. مع التقدم المستمر، من المتوقع أن تسهم هذه التقنيات في تحسين جودة الحياة وتسريع اكتشافات جديدة أكثر من أي وقت مضى.

الخلاصة

الزمن والتطور التكنولوجي يشكّلان معًا علاقة متبادلة ديناميكية. الزمن ليس فقط عنصرًا أساسيًا في الابتكار، بل هو أيضًا محفز للتقدم والمعرفة. من خلال فهم تأثير الزمن، يمكننا الإدراك كيف تساهم الأجيال المتعاقبة في تحقيق تقدمات نوعية تكنولوجياً وعلمياً، مما يمهد الطريق لمستقبل مبتكر ومستدام.

التعليم والثقافة

التعليم والثقافة هما عاملان أساسيان في تطوير المركب الحضاري لأي مجتمع. يعتبر التعليم الوسيلة الأساسية لنقل المعرفة والمهارات بين الأجيال، مما يساهم في تكوين أفراد قادرين على التفكير النقدي والإبداعي، بينما تعمل الثقافة على الحفاظ على التراث وتعزيز الهوية المجتمعية.

أثر التعليم:

** .1نقل المعرفة والمهارات **:التعليم يمكّن الأفراد من اكتساب معارف جديدة ومهارات متنوعة، مما يؤثر إيجابياً على تركيبة المجتمع الاقتصادية والاجتماعية.

** .2تعزيز التفكير النقدي والإبداعي **:من خلال المناهج المتنوعة وأساليب التدريس الحديثة، يعزز التعليم التفكير النقدي والقدرة على حل المشكلات بطرق مبتكرة.

** .3رفع مستوى الكفاءة الاقتصادية **:التعليم يساهم في تكوين قوى عاملة مؤهلة، مما يؤدي إلى رفع مستوى الإنتاجية والنمو الاقتصادي.

** .4بناء مجتمع مستدام **:التعليم يعزز الوعي حول القضايا البيئية والاجتماعية، مما يشجع على اتخاذ قرارات مستدامة تساهم في حماية الموارد الطبيعية.

أثر الثقافة:

** .1حفظ التراث **:الثقافة تساهم في الحفاظ على التراث والتقاليد، مما يساعد في تعزيز الهوية والانتماء الوطني.

** .2تعزيز التفاهم الاجتماعي **:الثقافة تعزز التفاهم والاحترام المتبادل بين أفراد المجتمع من خلال الاحتفاء بالتنوع والتعددية.

** .3تشجيع الفنون والإبداع **:الثقافة توفر بيئة محفزة للإبداع الفني والأدبي، مما يعزز دور الفنون في المجتمع.

** .4تعزيز القيم والأخلاق **:الثقافة تساهم في ترسيخ القيم والأخلاق التي تحكم العلاقات الاجتماعية.

التكامل بين التعليم والثقافة:

لا يمكن فصل التعليم عن الثقافة، فالتعليم يسهم في تكوين الثقافة وتعزيزها، بينما تؤثر القيم والثقافة على أساليب وأنماط التعليم. فعلى سبيل المثال، تعتمد المناهج الدراسية على قيم ومعتقدات المجتمع، مما يجعل التعليم مرآة عاكسة لثقافة المجتمع وقيمه.

أهمية التركيز على التعليم والثقافة في الوقت الحالي:

في عصر العولمة والتكنولوجيا، أصبحت الحاجة ملحة لتعزيز التعليم والثقافة كوسيلتين لمواجهة التحديات الجديدة مثل التغيرات المناخية، والتحديات الاقتصادية، والصراعات الثقافية. التعليم والثقافة يسهمان في بناء مجتمع قادر على التكيف مع التغيرات السريعة والاستفادة منها لتعزيز التقدم والرفاهية.

وباختصار، التعليم والثقافة هما شريان الحياة لأي مجتمع متقدم، يساهمان في بناء مجتمع متكامل ومتطور وقادر على مواجهة تحديات المستقبل.

الإنسان والأرض

العلاقة بين الإنسان والأرض تُعتبر من أهم القضايا التي تواجه الحضارات الحديثة اليوم. مع تزايد عدد السكان واستهلاك الموارد، أصبحت مفاهيم الاستدامة والاكتفاء الذاتي أساسية لبقاء وتقدم المجتمعات.

الاستدامة:

الاستدامة تعني القدرة على تلبية احتياجات الحاضر دون الإخلال بقدرة الأجيال المستقبلية على تلبية احتياجاتها. تشمل هذه الاستدامة:

** .1البيئية **:حيث يتم إدارة واستخدام الموارد الطبيعية بطريقة تحافظ على البيئة وتمنع تدهورها.

** .2الاقتصادية **:حيث يتم تحقيق النمو الاقتصادي بطريقة مستدامة ومنصفة توزع الثروة والفرص بعدالة.

** .3الاجتماعية **:حيث يتم تحقيق العدالة الاجتماعية وضمان حقوق الإنسان وتكافؤ الفرص للجميع.

الاكتفاء الذاتي:

الاكتفاء الذاتي يشير إلى قدرة مجتمع أو دولة على تلبية احتياجاتها الأساسية من الغذاء، والمياه، والطاقة، دون الاعتماد الكبير على الدول الأخرى. ويمكن تحقيق الاكتفاء الذاتي من خلال:

** .1الزراعة المستدامة **:التي تعتمد على ممارسات زراعية تحافظ على خصوبة التربة وتقلل من استخدام المواد الكيميائية الضارة.

** .2إدارة الموارد المائية **:من خلال التقنيات الحديثة مثل الري بالتنقيط وجمع مياه الأمطار.

** .3الاستقلال الطاقوي **:من خلال الاعتماد على مصادر الطاقة المتجددة مثل الطاقة الشمسية وطاقة الرياح.

العلاقة بين الاستدامة والاكتفاء الذاتي:

** .1الاعتماد المتبادل **:الاكتفاء الذاتي يعتمد على استدامة الموارد الطبيعية. إذا لم يتم الحفاظ على الموارد البيئية، فلن يكون من الممكن تحقيق اكتفاء ذاتي طويل الأمد.

** .2التقنيات الحديثة **:يمكن استخدام التقنيات الحديثة لتعزيز كلا المفهومين. على سبيل المثال، الزراعة العمودية توفر حلاً مستدامًا للمساحات الزراعية المحدودة وتساهم في تحقيق الاكتفاء الذاتي الغذائي.

** .3التعليم والتوعية **:تعزيز الوعي البيئي والتعليم حول التقنيات المستدامة يمكن أن يُشجع الأفراد والمجتمعات على اتباع ممارسات تدعم الاستدامة والاكتفاء الذاتي.

تحديات وحلول:

** .1التحديات **:من أبرزها التغير المناخي، نقص الموارد، وتزايد عدد السكان. هذه التحديات تتطلب تآزر الجهود العالمية والمحلية لتحقيق الأهداف المشتركة.

** .2الحلول **:يمكن أن تشمل السياسات الحكومية الداعمة، التوجيهات التكنولوجية والابتكار، والتعاون الدولي لتحسين إدارة الموارد وتحقيق الاكتفاء الذاتي.

في الختام، العلاقة بين الإنسان والأرض هي علاقة تكافلية تحتاج إلى اهتمام مشترك ومستدام لتحقيق الاستدامة والاكتفاء الذاتي. من خلال الجهود المشتركة في التعليم، الابتكار، والتعاون، يمكن تحقيق مستقبل أكثر ازدهار واستدامة للحضارات الحديثة.

الأخلاق والقيم

الأخلاق والقيم تُعتبر من الركائز الأساسية التي تقوم عليها المجتمعات المتحضرة. هي المرآة التي تعكس توجهات الأفراد والجماعات نحو الخير، والعدل، والتعاون. وهذا ما يجعلها ضرورة لتعزيز العمل الحضاري وضمان التقدم المستدام.

دور الأخلاق في العمل الحضاري:

** .1الحفاظ على النظام الاجتماعي **:الأخلاق تضع الأطر التي تُنظم العلاقات بين الأفراد وتُحدد ما هو مقبول أو غير مقبول. تُسهم هذه الأطر في تجنب النزاعات وتعزيز التعاون الاجتماعي.

** .2تحقيق العدالة والمساواة **:تُشير الأخلاق إلى ضرورة تحقيق العدالة والمساواة بين الأفراد. يُساعد هذا في بناء مجتمعات تُعلي من قيمة الإنسان بغض النظر عن فوارقه الاجتماعية أو الاقتصادية.

** .3تعزيز الثقة **:تساهم القيم الأخلاقية في بناء الثقة بين الأفراد والمؤسسات، مما يُسهم في استقرار وازدهار المجتمع.

دور القيم في العمل الحضاري:

** .1إرساء قواعد السلوك **:تُحدد القيم المبادئ التي يستند إليها الأفراد في تفاعلهم مع بعضهم البعض. تُساعد هذه القيم في تحقيق الانضباط والتنظيم في المجتمع.

** .2تحقيق المسؤولية المجتمعية **:تعزز القيم من المسؤولية الفردية والمجتمعية نحو الأهداف المشتركة. تساهم هذه المسؤولية في تقدّم المجتمع على جميع الأصعدة.

** .3تشجيع العمل الجماعي **:تُشجع القيم على العمل التعاوني والجماعي لتحقيق الأهداف المشتركة. يُعزز هذا التعاون من قدرة المجتمع على مواجهة التحديات وتحقيق التقدم.

مسيرة نحو التقدم المستدام:

**تكامل الأخلاق والقيم **:لتحقيق تقدم مستدام، من الضروري أن يُبنى العمل الحضاري على تكامل بين الأخلاق والقيم. يُسهم هذا التكامل في خلق بيئة تحترم الإنسان والبيئة وتعمل على تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

**دور التعليم والتوعية **:التعليم هو الأداة الأساسية لتعزيز الأخلاق والقيم. من خلال المناهج الدراسية والأنشطة التوعوية، يمكن غرس هذه المفاهيم في الأجيال الصاعدة، مما يُسهم في بناء مستقبل أكثر ازدهاراً واستدامة.

**تفاعل المؤسسات **:يجب أن تكون المؤسسات الحكومية، والمجتمعية، والتجارية في طليعة التعزيز والتطبيق العملي للأخلاق والقيم. تُسهم سياسات المؤسسات في تشكيل السلوك المجتمعي وتعزيز التقدم المستدام.

**الابتكار والاستدامة **:الابتكار يجب أن يكون موجهاً بقيم أخلاقية لتحقيق تقدم مستدام. الابتكارات التكنولوجية والاقتصادية يجب أن تأخذ بعين الاعتبار الأثر البيئي والاجتماعي لضمان استدامتها.

التحديات والحلول:

** .1التحديات **:من أبرزها الفساد، والتفاوت الاجتماعي، والانحراف عن القيم الأخلاقية. هذه التحديات تعرقل التقدم المستدام وتتسبب في تدهور القيم المجتمعية.

** .2الحلول **:تتضمن تعزيز الشفافية، وتطبيق العدالة بصرامة، وتشجيع التعلم المستمر للقيم والأخلاق. يجب أن تكون هناك إرادة سياسية ومجتمعية مشتركة لمواجهة هذه التحديات.

في الختام، تعتبر الأخلاق والقيم أساساً لا غنى عنه لتعزيز العمل الحضاري وتحقيق التقدم المستدام. من خلال الالتزام المشترك بين الأفراد، والمؤسسات، والمجتمعات، يمكن بناء مستقبل مزدهر ومستدام يحترم القيم الإنسانية والأخلاقية.

استثمار عناصر المركب الحضاري

لعل ابسط تعريف للدولة الحضارية الحديثة هو انها الدولة التي تُحسن استثمار عناصر المركب الحضاري الخمسة وفق منظومة قيم عليا تتبناها. العناصر الخمسة هي: الانسان والارض والزمن والعلم والعمل. ومنظومة القيم العليا هي المباديء والمؤشرات الحاكمة على طريقة اشتغال هذه العناصر ونسق التفاعلات بينها. وتمتاز هذه القيم بصفة انسانية عامة يمكن ان تشترك فيها مختلف المجتمعات الانسانية، دون ان يؤدي ذلك الى هدر خصوصيات هذه المجتمعات الثقافية والدينية والقيمية. على الصعيد العالمي نملك الان وثيقتين مهمتين اقرتهما البشرية من خلال الامم المتحدة وهما: الاعلان العالمي لحقوق الانسان لعام ١٩٤٨ ومنظومة اهداف التنمية المستدامة لعام ٢٠١٥. وبالنسبة لمجتمعات العالم الاسلامي يمكن ان يكون القران مصدرا اساسيا ومهما لمنظومة القيم للدولة الحضارية الحديثة فيها.
والسؤال المطروح هو: كيف تستثمر الدولة الحضارية العليا عناصر المركب الحضاري الخمسة؟
للدولة الحضارية الحديثة العديد من الطرق التي يمكنها استثمار وتحسين استخدام عناصر المركب الحضاري الخمسة. إليك بعض الاستراتيجيات المحتملة:
.1استثمار الإنسان: تهدف الدولة الحضارية الحديثة لتطوير مهارات ومواهب الأفراد وتمكينهم من المساهمة والابتكار في التنمية. يتضمن ذلك إنشاء برامج تعليمية وتدريبية عالية الجودة تعزز التعليم والتعلم على مدار الحياة وتوفر فرص العمل الجيدة والتقنيات الحديثة للتعلم عن بُعد.
.2استثمار الأرض: تسعى الدولة الحضارية الحديثة للمحافظة على البيئة واستخدام الموارد الطبيعية بشكل مستدام. تشمل هذه الاستراتيجية حماية التنوع البيولوجي وتطوير سياسات بيئية واستدامة لتحسين أداء البيئة وتحقيق التوازن بين التنمية الاقتصادية والحفاظ على البيئة.

.3استثمار الزمن: تهدف الدولة الحضارية الحديثة إلى استثمار الزمن بفعالية من خلال تطوير خطط استراتيجية طويلة الأجل ورؤى مستقبلية. يتم ضمان تمتع الأجيال الحالية والمستقبلية بفرصة الازدهار والتقدم من خلال وضع سياسات مستدامة للتنمية الاجتماعية والاقتصادية والبيئية.

.4استثمار العلم: يجب أن تكون الدولة الحضارية الحديثة رائدة في الأبحاث العلمية والتكنولوجية وتشجيع الابتكار والاستخدام الفعال للمعرفة والتكنولوجيا. تتضمن هذه الاستراتيجية دعم الجامعات والمراكز البحثية وتشجيع الابتكار والتجارة والتعاون الدولي في مجال البحث والتطوير.

.5استثمار العمل: تهدف الدولة الحضارية الحديثة إلى تحسين فرص العمل وتعزيز الاقتصاد المستدام وخلق بيئة تجارية مناسبة للعمل والاستثمار. يتضمن ذلك تشجيع ريادة الأعمال ودعم الشركات الصغيرة والمتوسطة وتطوير قطاعات الابتكار والصناعة والتكنولوجيا والخدمات.

تجدر الإشارة إلى أن هذه الاستراتيجيات يجب أن تتكامل وتتعزز بعضها البعض لتحقيق تطور وتحسين شامل في مركب الحضارة. يجب أيضًا أن تكون هناك رؤى واضحة للمستقبل ورغبة قوية في تنفيذ الخطط والسياسات لتحقيق الهدف المنشود من الحضارة الحديثة.

ومن المهم أن نفهم أن المنظومة القيمية العليا تعتبر الأساس للدولة الحضارية الحديثة. تشمل هذه المنظومة قيما جوهرية تشكل أساس العدل والمساواة وحقوق الإنسان. تتضمن أيضًا قيما مثل الديمقراطية وحكم القانون وحرية الرأي والتعبير.

تسعى الدولة الحضارية الحديثة إلى الارتقاء بمستوى حياة مواطنيها وتعزيز العدالة الاجتماعية. تحافظ على حقوق الأقليات وتعاملها بالمساواة. تهتم بالتنمية المستدامة والحماية البيئية، وتعمل على مكافحة الفقر وتحقيق التنمية الاقتصادية.

في النهاية، يجب أن تتبنى الدولة الحضارية الحديثة المنظومة القيمية العليا لتضمن التقدم والازدهار لمواطنيها وتعيش في سلام وازدهار مع بقية الدول والمجتمع الدولي.

ولا يمكن للدولة الحضارية الحديثة أن تنمو وتزدهر من دون اعتماد المنظومة القيمية العليا. المبادئ والقيم العُليا هي التي تحدد هوية الدولة وتوجه سياساتها وتشكل أساساً للقوانين والتشريعات.

من خلال اعتماد المنظومة القيمية العليا، تكون الدولة قائمة على أسس عادلة، حيث يتم احترام حقوق الأفراد والمجتمع بشكل عام. تعمل الدولة على تعزيز العدالة الاجتماعية وحماية حقوق الإنسان وتعزيز الديمقراطية.

بدون المنظومة القيمية العليا، قد تحصل تجاوزات على حقوق الأفراد والحريات الأساسية وقد تفقد الدولة التوازن والاستقرار. قد يتفشى الفساد والظلم وتصبح السلطة في يد أقلية على حساب الأغلبية.

اعتماد المنظومة القيمية العليا يساعد على تكوين بنية مجتمعية صلبة ومتقدمة وتوازن اجتماعي واقتصادي. ويسهم في إرساء قاعدة للتلاحم والتعاون بين المواطنين وتعزيز التنمية المستدامة في جميع المجالات.

اختلالات المركَّب الحضاري

يعاني المركب الحضاري للمجتمع والدولة في العراق من اختلالات حادة كثيرة، تتجلى في مجالات مختلفة في مقدمتها المجال السياسي والمجال الاقتصادي والمجال التربوي. ومن ادلة هذه الاختلالات خواء العملية السياسية من الديمقراطية الحقة، والاقتصاد الريعي، وعجز النظام التربوي عن تنشئة جيل من المواطنين الفعالين القادرين على الانتظام في فعل حضاري حديث.

وتشير الفاصلة الزمنية الطويلة بين يوم اجراء الانتخابات (١٠ تشرين الاول) والموعد غير المعلوم لانبثاق التركيبة الجديدة للسلطة (مجلس النواب، الحكومة، رئاسة الجمهورية) و تجاهل الجمهور لهذه الفاصلة الطويلة الى عمق الاختلالات الحاصلة في المركب الحضاري.

مرت حتى الان اربعة اشهر على اجراء الانتخابات، وباستثناء تشكيل مجلس النواب الجديد الذي تم هو الاخر بعد وقت من اجراء الانتخابات، فان عجلة العملية السياسية المتعلقة باختيار رئيس مجلس الوزراء الجديد، وتشكيل الحكومة الجديدة، واختيار رئيس جديد للجمهورية، مازالت متوقفه رغم تجاوزها التوقيتات الدستورية. الامر الذي يُفقد الخطوات التالية شرعيتها الدستورية، لانها تجري ببساطة خارج الدستور وليس داخله.

ليس من الطبيعي ان تتعوق عجلة العملية السياسية الى هذه الدرجة. فالحالة السليمة ان ينتهي تشكيل الهيكلية الجديدة بعد وقت وجيز من اجراء الانتخابات. والتأخر في ذلك يعني ببساطة ان العملية السياسية ليست في وضع صحي سليم من الناحية الدستورية والديمقراطية.

ولا يمكن تحميل الشعب مسؤولية هذا التأخير، رغم انه طرف في اختلالات المركب الحضاري؛ لان الطبقة السياسية التي منحها الجمهور المشارك في الانتخابات (دون انكار دلالة انخفاض نسبة المشاركة) هي المسؤولة عن ادارة الحياة السياسية بعد اجراء الانتخابات. وقد قدمت هذه الطبقة الدليل الحاسم عن عدم قدرتها على ادارة العملية السياسية بصورة سليمة وسلسة، وعن عجزها الكامل عن حل المشكلات التي تتعرض لها العملية السياسية.

وليس من الصعب ان نفترض ان هذه المشكلات نابعة من ثغرات الدستور اولا، ومن الثغرات في قانوني الانتخاب والاحزاب ثانيا، ومن البيئة السياسية/ الاقتصادية/ الثقافية التي تتحرك ضمنها العملية السياسية، ثالثا. ومما يزيد الطين بله، بمعنى زيادة عجز الطبقة السياسية عن حل مشكلاتها، ان خلافاتها بعد الانتخابات تدور حول "من" يحكم، وليس "كيف" يحكم. وهذا يعني ان خلافات الطبقة السياسية شخصية وذاتية وليست برنامجية موضوعية.

وتدخل في الخلاف والصراع الشخصي كل العقد النفسية فتزيد من تعقيده واستعصائه عن الحل. فكل المباحثات السياسية التي تجري بين الكتل السياسية/البرلمانية تدور حول الاسماء المرشحة لتولي منصبي رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء، وليس حول الطرق المقترحة لحل المشكلات التي يعاني منها البلد.

ويختصر هذا التحليل تشخيص المرض الذي تعاني منه البلاد، وهو الطبقة السياسية نفسها. فهذه الطبقة هي المشكلة ولكنها ليست الحل. وطبيعي ان صعود هذه الطبقة الى قمة السلطة في الدولة سببه عوامل اخرى كثيرة عادة ما اختصرها بعبارة الخلل الحاد في المركب الحضاري للمجتمع والدولة، وهي عبارة تشمل كل الاسباب السياسية والقانونية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والثقافية الاخرى لأن الخلل الحاد في المركب الحضاري يشمل كل مجالات الدولة والمجتمع. وانا هنا لا استثني احدا ولا استبعد شيئا.

ولهذا فان الحل لن يكون بما سيتوصل اليه اركان السياسة من اتفاقات لاحقة حول الاسماء المقترحة، لانها اتفاقات ستكون من جنس المشكلة وليس من جنس الحل. وبالتالي فلن تكون هذه الاتفاقات سوى عمليات تدوير للمشكلة واعادة انتاجها وترحيلها الى المستقبل، الذي سوف يشهد تكرار نفس السيناريو في الجولة القادمة.

تشخيص الحل الحقيقي بعد هذا التحليل واضح، وهو معالجة الخلل الحاد في المركب الحضاري بما في ذلك الطبقة السياسية الراهنة العاجزة عن هذه المعالجة.

بهذا ينتهي القسم الاول من هذا الفصل والذي خصصناه للحديث عن المركب الحضاري، ونتناول في القسم الثاني منظومة القيم العليا الحافة بالمركب الحضاري وعناصره الخمسة.

القسم الثاني: منظومة القيم العليا

منظومة القيم المحيطة بالمركب الحضاري هي مجموعة المبادئ والمعايير الأخلاقية والثقافية التي توجه سلوك الأفراد والمجتمعات وتشكل الأساس الذي يتم بموجبه تقييم الأمور وتحقيق التفاعل الإنساني. تلعب هذه القيم دوراً حاسماً في تماسك واستقرار المجتمعات، وتعمل على تعزيز الهوية الحضارية. من أبرز القيم التي يمكن أن تُحيط بالمركب الحضاري:

** .1العدالة :**تسعى لتحقيق المساواة وحقوق الإنسان، تضمن توزيع الفرص والموارد بطريقة عادلة بين جميع أفراد المجتمع.

** .2الاحترام :**يشمل احترام حقوق الآخرين والتنوع الثقافي والاجتماعي، يعزز التفاهم والتعايش السلمي.

** .3الصدق :**يغرس الثقة والمصداقية في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية.

** .4الأمانة :**تشجع على النزاهة في التعاملات والمعاملات، وتساهم في بناء مجتمع موثوق وشفاف.

** .5التعاون :**يحث على العمل الجماعي والتضامن بين الأفراد والجماعات لتحقيق الأهداف المشتركة.

** .6التسامح :**يعزز القدرة على قبول الاختلافات الدينية والثقافية والفكرية، ويساعد في بناء مجتمع متسامح وشامل.

** .7المسؤولية :**تشمل المسؤولية الشخصية والاجتماعية، تعزز الالتزام بالقوانين والأنظمة وتطوير المجتمع.

** .8الإبداع :**يشجع على الابتكار والتجديد، يسهم في تقدم التطور العلمي والثقافي.

** .9التعليم :**يعتبر قيمة محورية لإعداد الأفراد للحياة والمشاركة الفعالة في المجتمع، يعزز القدرة على التفكير النقدي والنمو الشخصي.

** .10البيئة :**تشمل قيمة المحافظة على البيئة والاستدامة، تشجع على حماية الموارد الطبيعية واحترام التوازن البيئي.

وفيه مجتمع إسلامي المجتمع العراقي اذكروا تيستي التوحيد والاستFalah

تلعب هذه القيم دوراً مركزياً في تكوين الهوية الحضارية للمجتمع وتحدد كيفية التفاعل بين الأفراد والمؤسسات. تساهم في بناء مجتمع يستند إلى مبادئ قوية وثابتة، حيث يمكن العيش بسلام وتحقيق التقدم والازدهار.

منظومة القيم العليا هي العمود الفقري لفلسفة الدولة الحضارية الحديثة وهي الاطار الذي يحتوي عناصر المركب الحضاري الخمسة، اي الانسان والارض والزمن والعلم والعمل، وهي دليل اشتغال هذه العناصر كل في مجاله.

هذه القيم ليست مجرد مبادئ أخلاقية يتبعها الأفراد، بل هي إطار متكامل يحيط بالعناصر الخمسة للمركب الحضاري وهي: الإنسان، الأرض، الزمن، العلم، والعمل.

#####الإنسان

الإنسان هو العنصر الأول والأهم في منظومة القيم. القيم العليا تضمن حقوقه وتحترم كرامته، ما يجعله قادراً على الإبداع والابتكار. فالدولة التي تقوم على هذه القيم لا ترى في الإنسان مجرد مورد اقتصادي، بل تعتبره كياناً له قيمة في ذاته، يسهم في تطوير المجتمع وتحقيق التنمية الشاملة.

#####الأرض

الأرض ليست مجرد قطعة من الجغرافيا، بل هي رمزية ومصدر هوية. القيم العليا تعزز احترام الأرض والمحافظة عليها كجزء من التراث الطبيعي والثقافي. هذا يعكس علاقة متزنة بين الإنسان وبيئته، حيث يسعى لتحقيق التنمية المستدامة التي تراعي حقوق الأجيال القادمة.

#####الزمن

الزمن في إطار القيم العليا ليس مجرد وحدة قياس لحياة الإنسان بل هو مورد يجب استثماره بحكمة. الدولة الحضارية الحديثة تدرك قيمة الزمن وتسعى لاستغلاله بشكل مثالي لتحقيق التقدم والازدهار. الزمن هنا يعني التخطيط للمستقبل والتنمية المستدامة التي تضمن رفاهية الأجيال القادمة.

#####العلم

العلم هو القاطرة التي تجر قافلة الحضارة نحو المستقبل. القيم العليا تشجع على تبني العلم والمعرفة كركيزة أساسية في بناء الدولة. المؤسسات التعليمية والبحثية تجد فيها دعماً قوياً، مما ينعكس إيجاباً على التنمية الاقتصادية والاجتماعية. العلم ليس مجرد مادة تدرس، بل هو طريقة حياة ومنهجية تفكير.

#####العمل

بدون العمل الجاد والمثابر، تظل جميع العناصر الأخرى ناقصة. القيم العليا تضع إطارا يجعل العمل قيمة مجتمعية وشخصية. لا يقتصر العمل هنا على النشاط البدني أو الذهني اليومي، بل يمتد ليشمل الالتزام والمسؤولية والمشاركة الفعّالة في بناء المجتمع.

ان القيم العليا ليست نظرية فقط، بل لها تطبيقات عملية في الحياة اليومية وفي مؤسسات الدولة المختلفة. في كل مجال من هذه المجالات الخمسة، توفر القيم دلائل ومعايير تُسترشد بها لتحقيق الأهداف المشتركة. هكذا تظل القيم العليا ليست مجرد كلمات جميلة، بل أدوات فعلية لتحقيق التقدم والازدهار.

توفر منظومة القيم العليا كعمود فقري لفلسفة الدولة الحضارية الحديثة إطاراً متكاملاً يمكن من خلاله تفعيل وتنظيم جميع عناصر المركب الحضاري. الإنسان، الأرض، الزمن، العلم، والعمل يسيرون جنباً إلى جنب تحت مظلة هذه القيم، مما يضمن تحقيق نهضة شاملة ومستدامة.

مصادر منظومة القيم العليا

منظومة القيم العليا هي الإطار الذي يوجّه السلوك الإنساني نحو الخير والعدل والمعايير الأخلاقية. تعكس هذه المنظومة مجموع المبادئ التي يلتزم بها الفرد والمجتمع لضمان تحقيق الحياة الفاضلة. يمكن تقسيم مصادر هذه القيم إلى أربعة عناصر رئيسية: الفطرة، العقل، الدين، والتجربة الإنسانية.

** .1الفطرة:**
الفطرة تعني الميل الطبيعي لدى الإنسان نحو الخير والأخلاق الحميدة. منذ لحظة الولادة، يولد الإنسان وبداخله إحساس فطري بالعدل والرحمة. هذه الفطرة تعتبر الأساس الأول للقيم العليا؛ حيث يشعر الفرد بضرورة اتباع الأعمال الخيّرة وتجنب الشرور بشكل طبيعي وبدون تعليم مسبق.

** .2العقل:**
العقل يمثل القدرة على التفكير، التدبير، واتخاذ القرارات الأخلاقية بناءً على معايير منطقية. باستخدام العقل، يستطيع الإنسان تقييم الأمور والتفكير في العواقب الأخلاقية لأفعاله. العقل يعمل كمرشد يُمكن الفرد من تحديد ما هو صواب وما هو خطأ من خلال تطبيق معايير منطقية وأخلاقية. هذا العنصر يُكمل الفطرة ويسعى لتعزيزها وتوجيهها بطرق مدروسة ومناسبة.

** .3الدين:**
الدين يلعب دورًا محوريًا في تشكيل القيم العليا من خلال التعاليم والمبادئ التي تقدمها الأديان والمعتقدات المختلفة. التعاليم الدينية تهدف إلى توجيه السلوك الإنساني نحو الخير عن طريق توفير إطار مرجعي للأخلاقيات والقيم مثل الصدق، الأمانة، والعدل. إن تعاليم الأديان تعد بمثابة دستور أخلاقي يتبعه المؤمنون بهدف تحقيق الحياة الفاضلة على المستوى الفردي والمجتمعي.

** .4التجربة الإنسانية:**
التجربة الإنسانية تشمل الدروس والمفاهيم المكتسبة من تجارب الأفراد والمجتمعات عبر التاريخ. هذه التجارب تجمع في طياتها الحكمة المتراكمة من خلال الممارسات اليومية والأحداث التاريخية. الأفراد والمجتمعات يتعلمون ويحكمون على ما هو جيد وما يجب تجنبه بناءً على سلسلة من النجاحات والإخفاقات المتراكمة عبر الزمن.

تعمل هذه المصادر مجتمعة على تشكيل منظومة القيم العليا التي توجه السلوك الإنساني نحو الخير، العدالة، والمعايير الأخلاقية. الفطرة تمنح الأساس الطبيعي للأخلاقيات، والعقل يوفر الدعم المنطقي، بينما الدين يقدم الإطار المرجعي، والتجربة الإنسانية تجمع الحكمة المتراكمة. هذه المزيج المثالي يمكن الفرد من اتخاذ قرارات أخلاقية تعزز من رفاهه ورفاه المجتمع ككل.

تتجسد منظومة القيم العليا في سلوك الدولة الحضارية الحديثة من خلال عدة جوانب عملية تشمل:

** .1الحكم الرشيد:**
** - الديمقراطية :**يسمع صوت المواطنين في صنع القرارات.
** - الشفافية :**يتم إعلان كافة القرارات والسياسات بوضوح.
** - المساءلة :**يتحمل القادة والمسؤولون النتائج والعواقب لأفعالهم.

** .2العدالة والمساواة:**
** - القانون :**يتم تطبيق القانون على الجميع بدون استثناء.
** - الفرص المتساوية :**يُمنح الجميع نفس الفرص للوصول إلى التعليم والعمل والخدمات.

** .3حقوق الإنسان:**
** - حماية الحقوق الأساسية :**حياة، حرية، وكرامة.
** - منع التمييز :**حماية المواطنين من أي نوع من التمييز.

** .4الاستدامة:**
** - الحفاظ على البيئة :**تطبيق سياسات تراعي البيئة والمناخ.
** - التنمية المستدامة :**استخدام الموارد بأسلوب لا يؤثر على الأجيال القادمة.

** .5الأمن والاستقرار:**
** - الأمن الداخلي والخارجي :**حماية الدولة من التهديدات بكل أنواعها.
** - سياسات السلام :**تعزيز الحلول السلمية للصراعات.

** .6التعليم والتثقيف:**
** - نظام تعليمي قوي :**توفير تعليم عالي الجودة لكل المواطنين.
** - تشجيع البحث والابتكار :**دعم الابتكارات العلمية والثقافية.

** .7الرعاية الصحية:**
** - خدمات صحية شاملة :**تقديم خدمات صحية متاحة وعالية الجودة للجميع.
** - التأمين الصحي :**ضمان توفر الرعاية الصحية لكل فرد.

** .8الاقتصاد المزدهر:**
** - التنمية الاقتصادية :**سياسات تشجع النمو الاقتصادي المستدام.
** - توفير فرص العمل :**خلق بيئة توفر فرص وظيفية متجددة.

** .9التواصل الدولي:**
** - العلاقات الدبلوماسية :**بناء علاقات جيدة مع الدول الأخرى.

** - التعاون الدولي :**المشاركة في الجهود الدولية لحل القضايا العالمية.

** .10الثقافة والفن:**
** - تشجيع التنوع الثقافي :**دعم الثقافات المختلفة واحتضان التراث.
** - الفنون والإبداع :**دعم الفنون بكافة أشكالها وتشجيع الإبداع.

هذه الجوانب تجعل الدولة حضارية ومزدهرة، حيث تعمل على تحقيق الرفاهية لمواطنيها بشكل شامل ومستدام.

ترسيخ القيم العليا في مؤسسات الدولة

الدولة الحضارية الحديثة تسعى لترسيخ منظومة القيم العليا في مؤسساتها من خلال عدة إجراءات واستراتيجيات متكاملة، منها:

** .1وضع تشريعات وقوانين صارمة :**تُسن قوانين تضمن احترام القيم العليا مثل العدالة، الشفافية، والمساواة.

** .2التعليم والتوعية :**إدماج القيم العليا في المناهج التعليمية وبرامج التدريب والتطوير المهني لتعزيز الوعي والثقافة المؤسسية.

** .3النماذج القيادية :**تعزيز دور القادة الذين يجسدون القيم العليا والنزاهة، مما يجعلهم قدوة يحتذى بها.

** .4آليات الرقابة والمساءلة :**إنشاء هيئات رقابية وآليات لمتابعة تنفيذ القوانين والقيم ومنع الفساد والتجاوزات.

** .5التقييم والتحفيز :**وضع أنظمة تقييم أداء تعتمد على الالتزام بالقيم العليا وتقديم مكافآت للمؤسسات والأفراد الذين يظهرون التزاماً بهذه القيم.

** .6المشاركة المجتمعية :**إشراك المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية في مراقبة وتعزيز التزام المؤسسات بالقيم العليا.

** .7تقارير وأبحاث دورية :**إصدار تقارير وأبحاث دورية لقياس مدى الالتزام بهذه القيم وتقديم توصيات للتحسين.

** .8التكنولوجيا والشفافية :**استخدام التكنولوجيا لتعزيز الشفافية وتسهيل الوصول إلى المعلومات الحكومية والخدمات.

تلك الاستراتيجيات تهدف إلى بناء مؤسسات تعزز الثقة بين المواطن والدولة وتحافظ على نمط حياة مستدام وعادل.

القيم ذات الاولوية القصوى

في الدولة الحضارية الحديثة، تُعتبر القيم التالية من الأولويات القصوى لتحقيق مجتمع مستقر ومتقدم:

** .1العدالة:**
- توفير نظام قضائي نزيه ومستقل يعامل جميع المواطنين على قدم المساواة ويضمن حقوقهم.

** .2الحرية:**
- حماية حقوق الأفراد في التعبير، والتجمع، والتنقل، والاختيار، بما يتماشى مع القانون والنظام العام.

** .3الشفافية:**
- فتح المعلومات الحكومية للجمهور وتبني سياسات واضحة تتيح فهم القرارات والإجراءات الحكومية.

** .4النزاهة:**
- مكافحة الفساد وتعزيز الأمانة والمهنية في جميع المؤسسات.

** .5احترام حقوق الإنسان:**
- ضمان حماية حقوق الإنسان الأساسية وتكريسها في التشريعات والممارسات اليومية.

** .6المساواة:**
- إزالة التمييز بكافة أشكاله وتوفير فرص متكافئة للجميع في التعليم والعمل والخدمات العامة.

** .7المسؤولية الاجتماعية:**
- تشجيع المؤسسات والأفراد على تحمل مسؤولياتهم تجاه المجتمع والبيئة.

** .8الابتكار والتطوير المستدام:**
- دعم البحث العلمي والابتكار وتحقيق التنمية المستدامة لضمان مستقبل أفضل للأجيال القادمة.

** .9التعاون والمشاركة:**
- تعزيز ثقافة التعاون والعمل الجماعي ومشاركة المواطنين في صنع القرار.

** .10الرعاية الصحية والتعليم:**
- تقديم خدمات صحية وتعليمية عالية الجودة ومتاحة للجميع، مما يسهم في بناء مجتمع متعلم وصحي.
11 . **احترام القانون**

تحقيق هذه القيم يتطلب جهوداً مستمرة وتنسيقاً بين كافة مؤسسات الدولة والمجتمع لضمان تحقيق الأهداف المنشودة.

قياس التحقق

قياس تحقق القيم العليا في مؤسسات الدولة الحضارية الحديثة يتم من خلال عدة أدوات ومؤشرات يمكن الاعتماد عليها. من بينها:

** .1استطلاعات الرأي والمسوحات:**
- إجراء استطلاعات دورية لقياس رأي الموظفين والمواطنين حول مستوى النزاهة والعدالة والشفافية في المؤسسات.

** .2مؤشرات الأداء:**
- وضع مؤشرات أداء محددة لكل قيمة عليا)كالعدالة، الشفافية، المساواة (وقياس مدى تحقيق المؤسسات لهذه المؤشرات.

** .3تقارير المراجعة المالية:**
- استخدام تقارير مراجعة مالية دقيقة ومستقلة لتقييم الشفافية والنزاهة في إدارة الأموال العامة.

** .4آليات الشكاوى والتظلمات:**
- عدد ونوعية الشكاوى التي يتم تقديمها من قبل الموظفين والجمهور، وكيفية التعامل معها وسرعة الاستجابة لها.

** .5مستوى الفساد:**
- قياس مدى انتشار الفساد عن طريق تقارير مؤسسات مكافحة الفساد المحلية والدولية مثل "منظمة الشفافية الدولية."

** .6التقييم الخارجي:**
- اللجوء إلى جهات مستقلة لتقييم أداء المؤسسات من حيث تحقيق القيم العليا وتقديم تقارير شفافة حول ذلك.

** .7رضا الموظفين والجمهور:**
- قياس رضا الموظفين والجمهور عن الخدمات والأداء المؤسسي من خلال استبيانات ومقابلات.

** .8مدى الامتثال للتشريعات:**
- قياس مدى التزام المؤسسات بالقوانين والتشريعات التي تعزز القيم العليا.

** .9مؤشرات التنمية البشرية:**
- استخدام مؤشرات التنمية البشرية مثل مستوى التعليم والصحة والرفاه الاجتماعي كمعيار غير مباشر لقياس تحقيق القيم العليا.

** .10التحليل البياني:**

- استعمال البيانات الضخمة وتحليلها لتحديد الأنماط والاتجاهات التي تشير إلى مدى التزام المؤسسات بالقيم العليا.

باستخدام هذه الأدوات والمقاييس، يمكن للدولة الحضارية الحديثة الحصول على صورة شاملة ودقيقة حول مدى تحقق القيم العليا في مؤسساتها واتخاذ الإجراءات التصحيحية عند الحاجة.

خريطة القيم العليا

###الإنسان:

** 1.الكرامة :**احترام حقوق الإنسان الأساسية دون انتقاص.
** 2.احترام الذات :**تقدير داخلي للأهمية والقيمة الشخصية.
** 3.التعاطف :**القدرة على فهم مشاعر ومعاناة الآخرين والتفاعل بإيجابية.
** 4.الإحسان :**تقديم المساعدة والطيبة دون توقع مقابل.
** 5.التسامح :**تقبل الآخرين واختلافاتهم دون حكم.
** 6.النزاهة :**التمسك بالقيم والأخلاق العالية في كل الظروف.
** 7.الشجاعة :**مواجهة المخاطر والتحديات بثبات.
** 8.المسؤولية :**الالتزام بالواجبات وتحمل نتائج الأفعال.
** 9.الثقة :**بناء علاقات قائمة على الصدق والاحترام المتبادل.
** 10.الولاء :**الإخلاص والدعم غير المشروط للأشخاص أو القيم.
** 11.الاحترام :**التعامل مع الآخرين بكرامة وتقدير.
** 12.الصدق :**قول الحقيقة والابتعاد عن الكذب.
** 13.العدل :**تحقيق المساواة والإنصاف في الحقوق والمعاملة.
** 14.التضحية :**تقديم المصلحة العامة على المصلحة الشخصية.
** 15.الحلم :**السعي لتحقيق الأهداف والطموحات.
** 16.الإبداع :**ابتكار حلول جديدة ومبتكرة.
** 17.العمل الجماعي :**التعاون لتحقيق أهداف مشتركة.
** 18.الصبر :**التحلي بالصبر في مواجهة الصعوبات.
** 19.القيم الأسرية :**تقدير ودعم الروابط العائلية.
** 20.المروءة :**السلوك النبيل والشهامة في التعامل.
** 21.الحرية :**الحق في اتخاذ القرارات الشخصية دون قيود.
** 22.التعايش :**التقبّل والتعاون مع الآخرين رغم الاختلافات.
** 23.السلام :**تعزيز الأمن والاستقرار بين الأفراد والمجتمعات.

###الأرض:

** 1.الحفاظ على البيئة :**حماية النظم البيئية من التلوث والدمار.
** 2.استدامة الموارد :**استخدام الموارد بطرق تضمن توفرها للأجيال القادمة.
** 3.التنوع البيولوجي :**حماية مختلف أنواع الحياة على الأرض.

** 4.الحفاظ على التراث الطبيعي :**حماية المناطق والمحميات الطبيعية.
** 5.الزراعة العضوية :**زراعة بدون استخدام مواد كيميائية ضارة.
** 6.مكافحة التصحر :**منع تدهور الأراضي واستعادة المناطق المتصحرة.
** 7.إدارة المياه :**استخدام الموارد المائية بكفاءة وحكمة.
** 8.تشجيع الطاقة المتجددة :**استخدام مصادر الطاقة الصديقة للبيئة.
** 9.تقليل التلوث :**خفض ملوثات الهواء والماء والتربة.
** 10.إعادة التدوير :**تحويل المخلفات إلى مواد قابلة للاستخدام مجددًا.
** 11.الحفاظ على الغابات :**حماية الغابات من القطع الجائر.
** 12.تخضير المدن :**زيادة المساحات الخضراء في المناطق الحضرية.
** 13.التوازن البيئي :**الحفاظ على التوازن بين مختلف عناصر البيئة.
** 14.التشجير :**زراعة الأشجار لتعزيز الغطاء النباتي.
** 15.الحفاظ على الحياة البرية :**حماية أنواع الحيوانات والنباتات من الانقراض.
** 16.التقييم البيئي :**تقييم تأثير الأنشطة البشرية على البيئة.
** 17.التنمية الزراعية :**تحسين أساليب الزراعة لدعم الاستدامة.
** 18.المسؤولية البيئية :**الالتزام بحماية البيئة في جميع الأنشطة.
** 19.حماية الشواطئ :**منع تلوث وتدمير المناطق الساحلية.
** 20.إدارة النفايات :**التخلص من النفايات بطرق تضمن سلامة البيئة.

###الزمن:
** 1.التقدير الزمني :**فهم أهمية الوقت واستغلاله بكفاءة.
** 2.التنظيم :**ترتيب المهام والأولويات بفعالية.
** 3.الأولويات :**تحديد الأنشطة الأكثر أهمية وتركيز الجهود عليها.
** 4.الالتزام :**الوفاء بالمواعيد والمسؤوليات المحددة.
** 5.الجودة الزمنية :**أداء المهام بأعلى جودة وفعالية ممكنة.
** 6.الالتزام بالمواعيد :**احترام الوقت المحدد للانجاز.
** 7.التخطيط المستقبلي :**وضع خطط استراتيجية لتحقيق الأهداف طويلة الأمد.
** 8.الاستدامة الزمنية :**إدارة الوقت بطريقة تضمن الاستمرارية.
** 9.الإنتاجية :**تحقيق نتائج كبيرة بتكاليف زمنية منخفضة.
** 10.الإصرار :**المثابرة على تحقيق الأهداف رغم العقبات.
** 11.التكيف الزمني :**المرونة في التكيف مع التغيرات الزمنية.
** 12.الانضباط :**تقيد الذات بالخطط والمواعيد.
** 13.الصبر الزمني :**القدرة على الانتظار رغم الضغوط.
** 14.إدارة الوقت :**تخصيص الوقت لكل نشاط بفعالية.
** 15.الفعالية :**تحقيق الأهداف بأقل وقت وجهد.
** 16.الاستمرارية :**الاستمرار في السعي نحو التحسين والتقدم.
** 17.المثابرة :**الاستمرار في العمل رغم الصعوبات.
** 18.المرونة الزمنية :**القدرة على تعديل الخطط والأولويات عند الضرورة.
** 19.الوعي الزمني :**إدراك كيفية استخدام الوقت بفعالية.
** 20.التعلم المستمر :**اكتساب مهارات ومعرفة جديدة بمرور الوقت.

###العلم:

** 1.الفضول :**الرغبة في اكتشاف المزيد عن العالم.
** 2.البحثية :**السعي المستمر للاستقصاء والمعرفة.
** 3.الابتكار :**تطوير أفكار وحلول جديد.
** 4.التحليل النقدي :**تقييم المعلومات والأفكار بعمق وموضوعية.
** 5.التجريب :**اختبار النظريات والأفكار عمليًا.
** 6.الموضوعية :**عدم التحيز واتخاذ قرارات قائمة على الحقائق.
** 7.الشمولية :**النظر إلى المواضيع من مختلف الزوايا.
** 8.التطوير المستمر :**السعي لتحسين المعرفة والتقنيات.
** 9.التحديث :**البقاء على اطلاع بأحدث المعلومات والاكتشافات.
** 10.الاقتناع بالأدلة :**قبول الحقائق المبنية على الأدلة القاطعة.
** 11.التعاون العلمي :**العمل الجماعي لتحقيق اكتشافات جديدة.
** 12.الشفافية العلمية :**نشر النتائج بكل وضوح ووضوح.
** 13.الفضول العلمي :**الرغبة المستمرة في معرفة المزيد وفهم طبيعة الأمور.
** 14.تعليم العلوم :**نشر المعرفة العلمية وتبسيطها للجميع.
** 15.التكنولوجية :**تطبيق المعرفة العلمية في تطوير التكنولوجيا.
** 16.التفكير النقدي :**تقييم المعلومات والأفكار بعمق.
** 17.الموضوعية :**اتخاذ قرارات بناءً على الحقائق والشواهد.
** 18.المعرفة :**السعي الدائم لاكتساب وفهم المزيد.
** 19.الاستفادة من التجارب :**التعلم من الأخطاء والنجاحات السابقة.
** 20.الدراسات المتقدمة :**البحث والتعلم بشكل متعمق في مجال معين.

###العمل:

** 1.الالتزام :**الوفاء بالمهام والعمل بجدية.
** 2.الدقة :**الحرص على التفاصيل والأخطاء.
** 3.الإخلاص :**العمل بأمانة ووفاء.
** 4.الاجتهاد :**بذل جهد إضافي لتحقيق النجاح.
** 5.المهنية :**التعامل باحترافية واحترام في العمل.
** 6.التعاون :**العمل مع الزملاء لتحقيق أهداف مشتركة.
** 7.الجودة :**تقديم عمل عالي الجودة والاتقان.
** 8.التفاني :**الإخلاص والتفاني في تحقيق الأهداف.
** 9.التطوير التنفيذي :**السعي لتحسين الأداء والقدرات.
** 10.التحدي :**مواجهة والتغلب على العقبات.
** 11.الابتكار العملي :**تقديم أفكار جديدة لتحسين العمليات.
** 12.الاستراتيجية :**وضع خطط فعّالة لتحقيق الأهداف.
** 13.التفكير العملي :**حل المشكلات بطرق عملية وفعّالة.
** 14.الكفاءة :**تحقيق أفضل نتائج بأقل موارد.

** .15الرائدية :**السعي للابتكار والتميز.
** .16الريادة :**قيادة الفرق وتحفيزهم للعمل بجد.
** .17التنسيق :**تنظيم المهام والموارد بفعالية.
** .18التعاون الجماعي :**العمل بتناغم مع الفريق.
** .19التحفيز :**تعزيز الروح المعنوية وزيادة الإنتاجية.
** .20الطموح :**السعي لتحقيق النجاح والتقدم المستمر.

الفصل الخامس
الامتداد التاريخي

تعريف:

الدولة الحضارية الحديثة: نسق فكري قيمي مؤسساتي يضمن افضل تفاعل بين)الانسان والطبيعة والزمان والعلم والعمل (لينتج سعادة الانسان من خلال الرقي ببناء واداء الدولة وكفاءتها وفاعليتها في مجالات الرعاية والحماية وتأمين مصالحها، وهي تمثل اتجاها تاريخيا قابلا للقياس.

.....

عند الحديث عن فكرة الدولة الحضارية الحديثة، ارجو ملاحظة العمق التاريخي والافاق المستقبلية للفكرة، وعدم حصر الذهن المتلقي بالقيود الزمانية والمكانية المحيطة بالعراق الان تحديدا. الفكرة تتعلق بتطور الانسان في الارض كلها منذ الاف السنين. انا اتحدث هنا عن تاريخ الانسان العاقل منذ ظهوره قبل حوالي ٢٠٠ الف سنة وعن مستقبل الانسان لفترة قد تكون اطول من التي مضت. الفكرة اذاً اوسع من المساحة الجغرافية للعراق، واطول من فترة السنوات ال ١٧ او الخمسين سنة، او حتى المئة سنة الاخيرة من تاريخ العراق. ومن هنا جاءت صياغة التركيب اللغوي الثلاثي: الدولة الحضارية الحديثة.

فالدولة ظاهرة "مدنية" ظهرت بعد خروج البشرية من "حالة الطبيعة" البدائية الفطرية، كما وصفها هوبز وغيره، الى "حالة المدنية" المتقدمة والمتطورة. وكان ظهورها تاكيدا للخط التقدمي التطوري التراكمي في مسيرة الانسان وتاريخ البشرية وتجسيدا لسعي الانسان من اجل تطوير حياته وتحسين شروطها وظروفها. ومنذ ظهور دول المدن الاولى في وديان الانهار، في وادي الرافدين، والنيل، والسند، وغيرها، قبل حوالي ٥٥٠٠ سنة، والانسان يواصل تطوير هذه الظاهرة، اي الدولة. ولم يمنع سقوطها في مكان، ان تظهر في مكان اخر.فالانسان هو الانسان، والارض هي الارض. والدولة هي نتاج تفاعل الانسان مع الارض، بالعلم والعلم، عبر الزمن. وهذه هي عناصر المركب الحضاري الخمسة. ومن هنا جاء قولنا المتكرر من ان الدولة الحضارية الحديثة اتجاه تاريخي عام.

والدولة الحضارية الحديثة تقوم على خمس ركائز للبناء هي: المواطنة والديمقراطية والقانون والمؤسسات والعلم.

والحضارية، من الحضارة والتحضر، هي اشارة الى المركب الحضاري ومنظومة القيم العليا الحافة بعناصره الخمسة. والقيم هي مؤشرات السلوك العليا المتعلقة بكل مفردات الحياة بما فيها العناصر الخمسة للمركب الحضاري. وهي لا تشير الى حضارة بعينها، وانما تتعلق بالحضارة الانسانية بوصفها حضارة واحدة ذات مصاديق متعددة. ولسنا نتحدث هنا عن صراع الحضارات، وانما عن تكاملها. ومنظومة القيم العليا، حالها كحال الانسان نفسه، نتاج التطور الطبيعي للانسان. ومنذ البداية كانت القيم موضوعا للتطور والتكامل. وقد لعب الدين، ومازال، دورا كبيرا في بناء منظومة القيم، بل في تشييد الحضارة الانسانية نفسها بمصاديقها المختلفة. ولسنا نعرف حضارة نشأت بعيدا عن الدين، سماويا كان ام وضعيا. وتوصلت البشرية، بعد مخاضات عسيرة، الى شبه الاجماع على منظومة قيم سجلتها في الاعلان العالمي لحقوق الانسان عام ١٩٤٨ ووثيقة اهداف التنمية المستدامة عام ٢٠١٥.

والدولة الحضارية الحديثة تمثل افضل اطار دستوري ومؤسساتي لتفاعل عناصر المركب الحضاري المنتج للرفاهية والسعادة والحياة الكريمة.

والحديثة تشير الى مواكبة الدولة الحضارية لعصرها. فلئن كانت "الحضارية" تشير الى منظومة القيم العليا الحافة بالمركب الحضاري، فان "الحديثة" تشير الى الارتباط بروح العصر. فلكل عصر حداثته،

والدولة الحضارية الحديثة تجسد حداثة عصرها. واذا كانت روح العصر تتمثل اليوم بالانفتاح والتفاعل والتكامل الحضاري، فان العلم الحديث هو المحور المركزي لحداثة العصر الراهن. وهو علم تجاوز هندسة اقليدس و فيزياء نيوتن عبر بوابات نسبية اينشتاين ونظرية الاوتار والنانوتكنولوجي وغيرها من البوابات الحديثة.

ولهذا فان الدولة الحضارية الحديثة تحرص على ان يكون نظامها التعليمي/ التربوي مواكبا للعلم الحديث وفتوحاته المتواصلة، كحرصها على توظيف التكنولوجيا في نظامها وهيكلها الاداري.

اليوم اصبحت د ح ح ظاهرة عالمية عابرة للحدود والقوميات والاديان والاوطان. مجتمعات كثيرة تتطلع الى قيام هذه الدولة في بلدانها. و "الدولة هي نتاج المجتمع عند درجة معينة من تطوره"، كما قال انجلز.

.....

حين تنظر الى العراق وافغانستان وغيرهما من الدول المشابهة، لا تستطيع ان تمنع نفسك من الانقباض والشعور باليأس والكآبة، فاوضاع العراق، على اقل تقدير، في غاية السوء والتدهور والبؤس، ولا داعي لزيادة حزن العراقيين بالحديث مفصلا عن اشكال معاناتهم منذ عام ١٩٦٨ الى الان على الاقل. لكن لو امتثلنا للقران الكريم وهو يقول لنا:"قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ"، لربما تغيرت حالتنا النفسية، فالنظر الى الواقع من زاوية جغرافية اوسع وتاريخية ابعد يعطينا صورة مختلفة. جغرافيا اقصد الكرة الارضية كلها، وتاريخيا اقصد على الاقل ال١٢ الف سنة الاخيرة من تاريخ البشرية. فالصورة بهذا الاتساع والبعد تختلف تماما.

ثمة طريقتان للنظر الى المستقبل: الطريقة المتشائمة والطريقة المتفائلة.

الطريقة الاولى لا ترى في المستقبل املا بواقع افضل من الحاضر. فالواقع في حالة تدهور مستمر من سيء الى اسوأ. وتنتعش هذه الرؤية في اوقات الازمات، والطريق المسدود، وانعدام الثقة بتحقيق اي شيء ايجابي. ولا نجد صعوبة في القول ان شريحة كبيرة من العراقيين تتبنى هذه النظرة.

الطريقة الثانية ترى ان المستقبل سيكون افضل من الحاضر. ولدينا نظرتان، على الاقل، بهذه الطريقة. النظرة الماركسية، والنظرية القرانية.

تقسم الماركسية التاريخ البشري الى خمس حقب تجسد التطور والتقدم المستمرين في حياة البشرية، لتكون المرحلة الاخيرة هي مرحلة المجتمع الشيوعي الاخير حيث ستختفي الطبقات، ويختفي معها الصراع الطبقي والحاجة الى الدولة، ويقوم المجتمع الجديد الذي ينظم عملية الانتاج على اساس الحرية والمساواة بارسال الدولة الى "متحف العاديات بجانب المغزل البدائي والفأس البرونزية"، كما كتب انجلز عام ١٨٨٤.

قبل الماركسية، كان القران يتحدث عن مجتمع جديد، موعود يختفي فيه الخوف ويتحقق فيه الاستخلاف الرباني كما في سورة النور الاية (٥٥)، حيث تقول: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ." وكانت هذه الاية وامثالها الاساس القراني لنشوء عقيدة المهدوية التي تتحدث عن مرحلة اخيرة في مستقبل البشرية يسود فيها العدل والمساواة والرخاء في "مجتمع معصوم"، كما وصفه المرجع الشهيد السيد محمد الصدر في "اليوم الموعود".

ودراسة التاريخ تؤكد صحة النظريتين من حيث الجوهر، اي المسيرة التقدمية للبشرية، فمحطات التاريخ تؤكد ان البشرية في حالة سير تقدمي نحو الامام، نحو الافضل. فرغم كل النكبات والانكسارات والتراجعات هنا وهناك، الا ان المحصلة النهائية لسير البشرية على مستوى التاريخ والجغرافية، محصلة ايجابية تطورية تراكمية. وهذا هو الذي فهمه الشهيد محمد باقر الصدر من الاية (٦) في سورة الانشقاق في القران الكريم التي تقول:"يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ".

واستنادا الى هذه النظرة الاستقصائية لسير البشرية صار بامكاننا ان نقول ان سير البشرية نحو الدولة الحضارية الحديثة يمثل اتجاها تاريخيا عاما، وقد اعتبر الصدر ان "الاتجاهات التاريخية العامة" هي النوع الثالث من سنن التاريخ، اضافة الى النوعين الاخرين وهما: السنن الشرطية والسنن الحتمية.

.....

مع ظهور المؤسسات التي تقيس نواحي التطور في مجالات الحياة المختلفة، اصبح بامكاننا القول: ان الدولة الحضارية الحديثة تمثل اتجاها تاريخيا عاما قابلا للقياس.

وقد وفرت مراكز الدراسات المتخصصة مؤشرات دورية لقياس درجة تحقق فكرة الدولة الحضارية الحديثة في دول العالم، في العديد من جوانبها في مجالات مختلفة، مثل الديمقراطية والحرية والتماسك والسعادة وغير ذلك. وموقع العراق في هذه المؤشرات ليس مما يسر. فالعراق يظهر دائما في اخر الجدول بدرجات تحت الخمسين بالمئة، ما يعني ان العراق اليوم ليس من الدول المتقدمة حضاريا، انما هو دولة متخلفة. لكن هذا لا يعني ان العراق اصبح خارج المجرى الرئيسي للدولة الحضارية الحديثة، لاسباب تتعلق بفهمنا للحركة التاريخية من جهة، ولاسباب متعلقة بالعراق من جهة ثانية. اما النوع الاول من الاسباب فقد شرحناه في هذا المقال وفي غيره من المقالات، وخلاصته ان الدولة الحضارية الحديثة اتجاه تاريخي عام، بمعنى ان الحركة التاريخية تسير بهذا الاتجاه حتى وان حصلت تراجعات وانتكاسات هنا وهناك.

اما النوع الثاني من الاسباب فهو يتعلق بطبيعة العراق قديما وحديثا. فقد شهدت هذه المنطقة بزوغ فجر الحضارات واسهمت شعوبها السومرية والاشورية والبابلية والعربية والكردية والتركية والفارسية وغيرها في بناء صرح الحضارة الانسانية الشامخ. وليس هناك ما يمنع من استئناف شعوب هذه المنطقة الحالية دورها الحضاري الكبير. ويساعد على ذلك حالة التواصل والانفتاح والتكامل الحضاري التي يشهدها العالم الان. يضاف الى ذلك ان المجتمع العراقي الحالي، بكل سلبيات المعروفة، لا يقبع في الدرجة صفر من السلم الحضاري بصورة مطلقة. فعلى سبيل المثال نجد ان العراق حاز على ٣,٦٢ درجات في مؤشر الديمقراطية. وهذا يعني انه (راسب) في امتحان الديمقراطية. لكن بتفصيل الدرجات سوف نجد مايلي: العملية الانتخابية ٥,٢٥ (على الحافة كما نقول)،اداء الحكومة صفر (راسب بالمطلق)، المشاركة السياسية ٦, ٦٧ (لا بأس)، الثقافة السياسية خمس درجات، الحريات المدنية ١, ١٨ (راسب). وهذا يعني انه رغم سقوط العراق في امتحان الديمقراطية الا انه استطاع ان يحقق نجاحا متواضعا في بعض دروسها. وهذا يشجعنا على القول ان هناك نقاطا ايجابية يمكن ان نتخذها رافعات لدفع المجتمع العراقي الى مواقع اعلى في السلم الحضاري. وبمواصلة العمل في هذا الاتجاه سوف يتحقق التراكم في التطور الاجتماعي وصولا الى الدولة الحضارية الحديثة. واقول انه اذا كانت الحالات السلبية تقود الى اليأس، فان الحالات الايجابية تعزز الامل. ما علينا سوى ان نعزز الحالات الايجابية ونصنع الامل ونحلم بالدولة الحضارية الحديثة، بوصفها اتجاها تاريخيا عاما يشمل كل البشر.

المجتمع العراقي جزء من المجتمع العالمي المحكوم بهذا الاتجاه التاريخي العام، فليس هناك ما يمنعنا من تخيل امكانية ان يلتحق المجتمع العراقي بالمسيرة البشرية العامة نحو الدولة الحضارية الحديثة، سواء كانت مقدمة لزوال الدولة كما يتوقع انجلز، او مقدمة لقيام الدولة المهدوية، كما يتنبأ القران. فعلى كلا الاحتمالين، فان المستقبل وردي وليس رماديا.

ومما يعزز القول بالنسبة للاحتمال الثاني ان شريحة كبيرة من العراقيين يؤمنون بموضوع الامام المهدي وظهوره ليملأ الارض عدلا وقسطا، وان ذلك سوف يكون في العراق، ولا يوجد ما يمنع هؤلاء من تصور ان الدولة الحضارية الحديثة قد تمهد لظهور الامام المهدي لمن يؤمن به، ويكون الايمان بالدولة الحضارية الحديثة فرعا من الايمان بالدولة المهدوية، دون ان يكون الايمان بالثانية ملزما لمن يملك مقدمات عقائدية مغايرة.

أربع حقائق

تنطلق فكرتنا عن الدولة الحضارية الحديثة من نظرة إلى التاريخ الإنساني جوهرها التقدم والتطور المستمرين ضمن اربعة حقائق هي:

** .1التاريخ العالمي للبشرية يسير وفق قوانين وسنن كبرى**:

هذه الفكرة تشير إلى أن التاريخ ليس مجرد سلسلة من الأحداث العشوائية، بل يحكمه قوانين ونظم عامة. الفهم العميق لهذه القوانين يمكننا من رؤية الأنماط التاريخية والتنبؤ بالمسارات المستقبلية.

** .2هناك ثلاثة أنواع من القوانين التاريخية: الحتمية، والشرطية، والاتجاهات العامة**:

- الحتمية تشير إلى الأحداث التي يُنظر إليها على أنها لابدية ومحتومة التحقق. مثل قوله تعالى: "أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ . وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّـهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ".

- الشرطية تعتمد على ظروف ومتغيرات قد تغير مسار الأحداث. مثل قوله تعالى: "والو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا".

- الاتجاهات العامة تشير إلى الأنماط الكبيرة التي تتكرر عبر التاريخ وتعطي إشارة على التوجهات الطويلة الأمد.

** .3من أهم الاتجاهات التاريخية العامة ثلاثة هي: الدين، والزوجية، والدولة الحضارية الحديثة**:

هذه العناصر تشكل الأسس الرئيسية للمجتمعات على مر التاريخ.

** - الدين **يشكل جزءًا كبيرًا من هوية الأمم ويؤثر على قراراتهم وتوجهاتهم. مثل قوله تعالى:"فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون".

** - الزوجية **حيث يعتبر الزواج المؤسسة الأساسية للأسرة وله دور كبير في بناء النسيج الاجتماعي. مثل قوله تعالى:"وخلقناكم ازواجا".

** - الدولة الحضارية الحديثة **تمثل نقطة تحول في التنظيم السياسي والاجتماعي، بما يشمله من تطورات في مجالات الحكومة، الاقتصاد، والتكنولوجيا. كما في قوله تعالى: "هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا".

** .4قيام الدولة الحضارية الحديثة في كل مرحلة يمهد لمرحلة تاريخية أرقى منها في التطور والكمال البشري**:

تتبنى هذه الحقيقة فكرة التطور المستمر للمجتمعات الإنسانية التي تسعى دائمًا لتحقيق مزيد من التقدم والرقي. كل مرحلة جديدة من التطور تبني على الإنجازات والدروس المستفادة من المراحل السابقة، مما يؤدي إلى تحقيق مستويات أعلى من التنظيم، الفعالية، ورفاهية الإنسان.

في جوهرها، تلقي هذه الفكرة الضوء على كيفية تأثير البنى التحتية الكبرى مثل الدين، الزوجية، والدولة على مسار التاريخ الإنساني، وتؤكد على الأنماط والقوانين التي توجه تطور الحضارات.

الدولة الحضارية الحديثة

الدولة الحضارية الحديثة هي مفهوم يشير إلى النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تطورت بشكل كبير منذ ظهور الانسان العاقل الى اليوم، وبخاصة بعد عصر النهضة والثورة الصناعية، وانتشرت لاحقًا إلى مناطق مختلفة من العالم. هذا التطور يمكن فهمه كاتجاه تاريخي عام نحو التحديث والعولمة وتطوير تفاعل البشرية مع الطبيعة ضمن منظومة القيم العليا الحافة بالمركب الحضاري، معالمه الأساسية تشمل:

** .1التطور السياسي والقانوني **:يتضمن التطور من نظم حكم مطلقة إلى نظم ديمقراطية، مع تأكيد على سيادة القانون، الحقوق المدنية والسياسية، والتقسيم الفعال للسلطات.

** .2التقدم الاقتصادي **:الانتقال من اقتصاديات تقوم أساساً على الزراعة إلى اقتصاديات تقوم على الصناعة و لاحقاً الخدمات والتكنولوجيا، يرافقه زيادة في الإنتاجية، تحسينات في البنية التحتية، وانفتاح على التجارة الدولية.

** .3التحولات الاجتماعية **:تحسينات في مستويات المعيشة، توسع في نظم التعليم، وزيادة في التوقعات بشأن حقوق الإنسان والمساواة. كما ظهرت حركات اجتماعية متنوعة تطالب بالعدالة والمساواة.

** .4الثورة العلمية والتكنولوجية **:تسارع في وتيرة الابتكارات والاكتشافات العلمية التي أسهمت في تغيير جوهري في طرق الإنتاج، وسائل الاتصال، وجوانب كثيرة من الحياة اليومية.

** .5العولمة **:تفاعلات متزايدة ومعقدة على مستوى العالم في مجالات الاقتصاد، الثقافة، السياسة، والبيئة، مما سمح بتدفق سريع للمعلومات، السلع، الخدمات، والأفراد عبر الحدود الوطنية.

الدولة الحضارية الحديثة، في هذا السياق، تعبر عن نموذج تطوير وتقدم شهد تحولات جوهرية في جميع جوانب الحياة الإنسانية، مؤسسة لمفاهيم وممارسات جديدة في تنظيم المجتمعات والتفاعل بينها على المستوى العالمي.

ماركس وهيجل

تتفق هذه النظرة مع ماركس وهيجل في عدة نقاط تتعلق بالنظرة القصدية للتاريخ مقابل العشوائية والإيمان بالتقدم حتى وإن اختلف تفسيره:

** .1النظرة القصدية مقابل العشوائية **:تتفق مع أهمية النظرة القصدية للتاريخ، والتي تعني الإيمان بأن التاريخ له مسار وأهداف معينة يمكن تفسيرها من خلال فهم الأسباب والنتائج والعوامل المؤثرة. هذا لا ينفي وجود عناصر عشوائية أو غير متوقعة في التاريخ، ولكنه يركز على أن التاريخ يمضي قدماً نحو تحقيق أهداف محددة، مثل تطور الحريات الفردية، النمو الاقتصادي، أو توسيع نطاق العلم والمعرفة.

** .2الإيمان بالتقدم **:تتفق أيضًا مع الإيمان بفكرة التقدم، بمعنى تطور المجتمعات والدول نحو أشكال أكثر تقدمية وفعالية من الناحية الاجتماعية، الاقتصادية، والسياسية، حتى وإن كان هناك اختلاف في تفسير ما يعنيه هذا التقدم. لكل مجتمع أو ثقافة تصور خاص به لما يعتبره تقدمًا أو طورًا أعلى من التطور، ويمكن أن يشمل ذلك السعي نحو الديمقراطية، العدالة الاجتماعية، الازدهار الاقتصادي، أو الابتكار في مجال العلم والتكنولوجيا.

لكن من المهم أيضاً الإقرار بأن الإيمان بالتقدم لا يجب أن يتحول إلى نوع من الأيديولوجيا العمياء التي تتجاهل التحديات، الأزمات، أو الانتكاسات التاريخية التي يمكن أن تعرقل أو تعقد مسار التقدم. بالإضافة إلى ذلك، يجب مراعاة التأثيرات البيئية والاجتماعية للتقدم التكنولوجي والاقتصادي، وضرورة السعي نحو تقدم يكون مستدامًا ومنصفًا على كافة الأصعدة.

نقاط الاختلاف

ونظرية الدولة الحضارية الحديثة التي تم شرحها في اعلاه تركز بشكل أساسي على التطور والتقدم في الجوانب السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، والتكنولوجية منذ ظهور الانسان العاقل وبخاصة بعد عصر النهضة و الثورة الصناعية وما بعدها. هذا التقدم يرتبط بنشر الديمقراطية، التطور الاقتصادي، التحولات الاجتماعية، التقدم العلمي والتكنولوجي، وعولمة العلاقات الدولية. كما تمثل هذه النظرة التاريخ كمسار تطوري يهدف إلى الرفاهية والتقدم.

في المقابل، نظريات كارل ماركس وفريدريك هيجل في التاريخ تقدم فلسفات مختلفة:

** .1نظرية كارل ماركس في التاريخ :**تقوم فلسفة ماركس، المعروفة بالمادية التاريخية، على أن التاريخ الإنساني هو تاريخ للصراع الطبقي. يرى ماركس أن التطور الاقتصادي والعلاقات الإنتاجية هي القوى الدافعة للتغيير التاريخي والتطور الاجتماعي. هذا الصراع يؤدي إلى تحولات اجتماعية واقتصادية تنتهي بالانتقال من مجتمع طبقي إلى مجتمع شيوعي يتميز بغياب الطبقات.

** .2نظرية هيجل في التاريخ :**هيجل يقدم نظرة مثالية للتاريخ تتمحور حول فكرة الروح العالمية والتي تسعى نحو تحقيق الحرية والوعي الذاتي. التاريخ، بالنسبة لهيجل، هو تقدم الوعي بالحرية عبر مراحل تطورية مختلفة. هذا التقدم يتم من خلال التناقضات والصراعات التي تدفع التطور الروحي والاجتماعي إلى مراحله التالية.

**الاختلاف الأساسي **بين نظرتنا ونظريات ماركس وهيجل يكمن فيما يلي:

-نظرتنا تركز على التقدم المادي والتطور في مختلف جوانب الحياة الإنسانية كنتيجة للتطورات التاريخية.

-في حين يركز ماركس على الأساس الاقتصادي والصراع الطبقي كقوة دافعة للتاريخ.

- هيجل يضع الروح والوعي وتقدم الحرية في مركز فلسفته التاريخية.
- ونختلف فيما يتعلق بنهاية التاريخ. ماركس يراها في المجتمع الشيوعي الاخير، وانجلز يراها في اوروبا، ونحن نراها في المجتمع المعصوم.

كل من هذه النظريات تقدم إطاراً فكرياً مختلفاً لفهم التاريخ والتقدم الإنساني.

فلسفة د ح ح

فلسفة الدولة الحضارية الحديثة في تفسير التاريخ تعتمد بالفعل على مفهوم أساسي مفاده أن هناك نزوعًا ذاتيًا داخل البشرية نحو التطور والتقدم والسعي نحو الكمال. هذا النزوع يُترجم إلى رغبة مستمرة في تحسين نوعية الحياة، سواء من خلال تطوير النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، أو من خلال استغلال الموارد الطبيعية والتفاعل مع البيئة بطريقة تعمل على تحقيق هذا التطور.

يشمل هذا التطور الانتقال من مجتمعات زراعية بسيطة إلى مجتمعات صناعية وتكنولوجية معقدة، والتوسع في الفهم العلمي، وتطوير الديمقراطية كنظام للحوكمة يسمح بمزيد من المشاركة وتقاسم السلطة. كما تدعو فلسفة الدولة الحضارية الحديثة إلى التركيز على تحسين المعايير الصحية والتعليمية للأفراد وتعزيز الحقوق والحريات الأساسية.

يعكس هذا التوجه قناعة بأن البشر، من خلال التطور التكنولوجي والعلمي وتعديل الأنظمة الاجتماعية والسياسية، قادرون على تجاوز التحديات الطبيعية والاجتماعية المعقدة التي تواجههم. إنه يتضمن إيمانًا بالتحسين المستمر لمستويات المعيشة والقدرة على خلق مجتمعات أكثر عدالة وازدهارًا.

هذا الإيمان بالتقدم والتطور ليس بلا انتقادات؛ فقد تم تحديه من خلال مختلف النظريات النقدية التي تشير إلى مخاطر التصنيع والعولمة والتأثيرات البيئية السلبية للتقدم التكنولوجي. ومع ذلك، تظل فكرة السعي نحو تحسين الحياة الإنسانية محورية في فلسفة الدولة الحضارية الحديثة وتفسيرها للتاريخ.
يقول العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي في كتابه الكبير "الميزان في تفسير القران" ج ١٣ ص ٢٠٦:"أن مقتضى العناية الإلهية هداية كل نوع من أنواع الخليقة إلى كماله و سعادته، و الإنسان الذي هو أحد هذه الأنواع غير مستثنى من هذه الكلية، و لا تتم سعادته في الحياة إلا بأن يعيش عيشة اجتماعية تحكم فيها قوانين و سنن تضمن سعادة حياته في الدنيا و بعدها، و ترفع الاختلافات الضرورية الناشئة بين الأفراد".

الاتجاه التاريخي

كررتُ القول في الصفحات السابقة بان الدولة الحضارية الحديثة تمثل احد الاتجاهات العامة في التاريخ.
والاتجاه الحضاري أو التاريخي هو مفهوم يستخدم لوصف التغيرات والاتجاهات المميزة في تطور الحضارات والمجتمعات عبر الزمن. يعتبر هذا المصطلح مهمًا في دراسة وتفسير التاريخ لأنه يساعد في فهم كيفية تطور الأفكار، الثقافات، السياسات، الاقتصاديات، وغيرها من الجوانب الحيوية للمجتمعات البشرية.
###دوره في حركة التاريخ:
** .1تحليل التطور :**يساعد النظر في الاتجاهات الحضارية والتاريخية الباحثين على تحليل كيفية تطور الحضارات ومعرفة الأسباب وراء ظهورها، استمرارها، واندثارها.
** .2فهم الربط بين الماضي والحاضر :**يمكن من خلال دراسة الاتجاهات الحضارية فهم كيفية تأثير الماضي على الحاضر وتصور اتجاهات المستقبل المحتملة.
** .3إيجاد التقاليد والأنماط :**يُظهر كيف تكونت تقاليد وأنماط معينة في الحضارات وكيف تنتقل عبر الأجيال.
** .4إعداد الطريق للابتكارات :**يسلط الضوء على كيفية استناد الابتكارات الجديدة إلى المعارف والتقنيات السابقة.
###أمثلة على الاتجاهات الحضارية أو التاريخية:
** .1الثورة الصناعية :**تعتبر الثورة الصناعية مثالاً على اتجاه حضاري، حيث أدت إلى تحولات جذرية في الاقتصاد، المجتمع، والتكنولوجيا، وساهمت في الانتقال من المجتمعات الزراعية إلى الصناعية.
** .2التنوير :**فترة التنوير تُظهر تطور الأفكار والفلسفات التي شددت على العقل والعلم وحقوق الإنسان، مما تسبب في تغييرات اجتماعية وسياسية كبيرة.
** .3الثورات التكنولوجية :**التطورات التكنولوجية في مختلف العصور، بما في ذلك الثورة المعلوماتية الحديثة، يمكن اعتبارها اتجاهات حضارية تأثرت بالابتكار وأثرت على كل جانب من جوانب الحياة البشرية.
بفحص هذه الأمثلة وغيرها، يمكن تقدير الدور الهام الذي تلعبه الاتجاهات الحضارية والتاريخية في شكل ومسار حركة التاريخ، وكيف تؤثر أحداث وأفكار معينة على مستقبل الحضارات.
وقد ذكرتُ سابقا ان الدين، و الزوجية، والتقدم اتجاهات تاريخية وحضارية لأنها تشكّل جوانب رئيسية في تطور الحضارات والمجتمعات البشرية عبر العصور.
** .1الدين :**يعد الدين عاملاً رئيسيًا في تشكيل الثقافات والمجتمعات. يؤثر الدين على الأخلاقيات، القوانين، الفن، والسياسة. تظهر أهمية الدين في تاريخ الحضارات القديمة مثل الحضارة المصرية القديمة، الرومانية، والإسلامية، وتستمر هذه الأهمية حتى العصر الحديث.

** .2الزوجية :**كانت ولا تزال الزوجية مؤسسة اجتماعية أساسية في معظم المجتمعات البشرية. للزوجية أدوار متعددة منها تنظيم العلاقات الجنسية، تربية الأطفال، ونقل الملكية والأسماء العائلية. تطورت ممارسات الزواج وقوانينه بشكل كبير عبر التاريخ، مما يعكس التغيرات في التقاليد الثقافية والاجتماعية.
** .3التقدم :**يمكن فهم التقدم كتطور مستمر في مجالات مثل العلم، التكنولوجيا، الاقتصاد، والقانون. يعتمد التقدم على تراكم المعرفة والابتكارات، وهو يمثل جوهر تطور الحضارات. من خلال التقدم، تمكنت البشرية من تحقيق مستويات معيشية أعلى، تحسين الرعاية الصحية، وزيادة الإنتاجية.
تتداخل هذه الاتجاهات مع بعضها البعض، مما يؤدي إلى تشكيل تاريخنا وحضارتنا بطرق معقدة ومتنوعة. يؤدي فهم هذه الديناميكيات إلى إدراك أعمق لكيفية تطور المجتمعات والثقافات عبر الزمن.

الفصل السادس
تطور الدولة كظاهرة مدنية

الدولة هي بحد ذاتها ظاهرة مدنية تجسد انتقال الانسان من حالة الطبيعة)هوبز (الى حالة المدنية والحضارية. وهي تعبر عن قدرة الانسان على تحسين ظروف حياته المعاشية. ومن هذه الانتقالة التي حصلت لاول مرة في وادي الرافدين بفعل التطور الطبيعي)بدون الحاجة الى فكرة العقد الاجتماعي لهوبز وروسو ولوك وفيلمر (تطورت نماذج الدولة عبر اثينا و روما ودولة الحجاز للنبي محمد ومعاهدات ويستفاليا شق تطور الدولة طريقه باتجاه الدولة الحضارية الحديثة.

واليك التفصيل:

#من حالة الطبيعة إلى المدنية:

الفيلسوف توماس هوبز قدم مفهوم "حالة الطبيعة "كحالة فوضوية، حيث يكون الصراع والعنف هما القانون السائد، ويحتاج البشر إلى سلطة تعاقدية ليعيشوا بسلام. بيد أن التجربة الأولى لتشكيل الدولة في وادي الرافدين جاءت كنتيجة لتطور طبيعي، يعكس إرادة الإنسان في تحسين ظروفه المعيشية ومواجهة تحديات البقاء.

###نماذج تطور الدولة:

** .1وادي الرافدين :**يعد منبع الدولة الأولى، حيث استطاع الإنسان تطوير وسائل الزراعة والري، مما أدى إلى تشكيل مجتمعات مستقرة ونظم حكم أولية دون الحاجة لنظريات العقد الاجتماعي.

** .2أثينا وروما :**مثلت نموذجين متقدمين للدولة المدنية. في أثينا، تطورت الديمقراطية كنظام حكم يجسد مشاركة المواطنين في صنع القرار، في حين صاغت روما مفاهيم قانونية ودستورية عززت من فكرة الدولة كنظام حقوقي.

** .3دولة الحجاز :**بقيادة النبي محمد)صلى الله عليه وسلم(، جسدت الدولة الإسلامية نموذجًا للحكم الذي يمزج بين الدين والقانون ويعزز العدالة الاجتماعية. كانت هذه الدولة تجسيدًا مختلفًا لفكرة العقد الاجتماعي، حيث تمثل الشريعة الإسلامية العقد بين الحاكم والمحكومين.

** .4معاهدات ويستفاليا :**في القرن السابع عشر، أسست معاهدات ويستفاليا مبادئ السيادة الوطنية، واستقلال الدول، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية. هذه المعاهدات مهدت الطريق لتشكيل الدول الحديثة القائمة على مفاهيم الحقوق والسيادة والقانون الدولي.

###الدولة الحضارية الحديثة:

الدولة الحضارية الحديثة هي نتيجة لمسار تطوري طويل جمع بين عناصر متعددة من النماذج السابقة وأضفى عليها خصائص جديدة، منها:

** -السيادة الوطنية :**ورثتها من معاهدات ويستفاليا.

** -القوانين والدستور :**مستمدة من التجارب الرومانية والأثينية والاسلامية

** -الحقوق والحريات :**مغذاة من التراث الفلسفي للعهد الثالث من الأنوار وما خلفته الثورات الديمقراطية اضافة الى منظومة القيم العليا التي جاء بها القران.

###الاختلاف عن العقد الاجتماعي:

التطور الطبيعي للدولة في وادي الرافدين والنماذج الأخرى يعكس قدرة الإنسان على تركيب حلول طبيعية وتحقيق مدنية حضارية دون الحاجة للاعتماد على نظريات العقد الاجتماعي الكلاسيكية)هوبز، روسو، لوك،

وفيلمر .(عملية التطور هذه تمثل مزيجًا من الابتكار البشري والتفاعل مع الظروف البيئية والاجتماعية المحيطة.

###الخلاصة:
تطور الدولة الحضارية الحديثة هو نتاج تراكم تجارب ونماذج متعددة عبر التاريخ، تجسد إرادة الإنسان في تحسين ظروف حياته وتحقيق العيش المشترك ضمن إطار نظام قانوني وسياسي متطور. هذا المسار تعزز بفعل التجارب الحضارية وليس فقط عبر النظريات الفلسفية للعقد الاجتماعي.

نموذج الدولة الحضارية الحديثة:

في سياق التطور المستمر لفكرة الدولة، يعتبر نموذج الدولة الحضارية الحديثة أعلى نموذج وصلت إليه البشرية حتى الآن. يجسد هذا النموذج قمة الإنجازات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تمكنت المجتمعات من تحقيقها عبر تاريخ طويل من التجارب والممارسات والابتكارات.

#جذور النموذج

لقد انبثقت فكرة الدولة الحضارية الحديثة من تراكمات طويلة الأمد للخبرات والمعرفة والرؤى الفلسفية. بدأ التطور منذ الدولة المدينة في وادي الرافدين و اليونان القديمة، مروراً بالدولة الاسلامية التي اقامها الرسول محمد في الحجاز و الإمبراطوريات المختلفة، وصولاً إلى الدولة القومية في العصور الوسطى والحديثة. كل مرحلة أضافت لبنة جديدة للبناء الفكري والتنظيمي للدولة.

#سمات الدولة الحضارية الحديثة

** .1الديمقراطية :**تتسم الدولة الحضارية الحديثة بنظام ديمقراطي شفاف، حيث يشارك المواطنون بفعالية في صنع القرارات من خلال الانتخابات والآليات الديمقراطية الأخرى.
** .2سيادة القانون :**يكون القانون فوق الجميع، ويضمن تنفيذ السياسات بعدل ونزاهة، مما يعزز ثقة المواطنين في مؤسسات الدولة.
** .3حقوق الإنسان :**تحترم الدولة الحضارية الحديثة حقوق الإنسان وتعمل على حمايتها وتعزيزها، ما يجعلها بيئة آمنة ومرحبّة للجميع.
** .4التعددية والتنوع الثقافي :**تعزز الدولة الحضارية التعايش السلمي بين مختلف الثقافات والأديان، مما يساهم في خلق مجتمع متنوع ومتوازن.
** .5التكنولوجيا والعلم :**تعتمد على العلوم الحديثة والتكنولوجيا لتعزيز النمو الاقتصادي وتحسين جودة الحياة، ما يعزز قدرتها على التكيف مع التغيرات العالمية المستمرة.
** .6المواطنة :**يشعر المواطنون بالانتماء والمسؤولية تجاه دولتهم، مما ينعكس إيجابيا على مشاركتهم في بناء المجتمع وتنميته.

#إمكانيات الارتقاء المستقبلي

على الرغم من أن النموذج الحالي يمثل قمّة ما وصلت إليه البشرية، إلا أنه ليس نهاية المطاف. يمكن للدولة الحضارية الحديثة أن ترتقي إلى درجات أعلى بما يلي:

** .1تعزيز الاستدامة :**اعتماد سياسات تحافظ على الموارد الطبيعية وتعمل على الحد من التغير المناخي، لضمان مستقبل أفضل للأجيال القادمة.

** .2التكامل الإقليمي والعالمي :**تعزيز التعاون الدولي لمواجهة التحديات المشتركة، مثل الأوبئة والتغير المناخي والفقر، من خلال مؤسسات دولية قوية وفعّالة.

** .3الابتكار المستمر :**اعتماد تقنيات الذكاء الاصطناعي والبيانات الضخمة لتقديم خدمات حكومية أكثر فعالية وشفافية.

** .4التعليم والتربية :**الاستثمار في التعليم لتعزيز الوعي الثقافي والسياسي والبيئي لدى المواطنين، مما يؤدي إلى تعزيز النزاهة والمشاركة الفعّالة.

** .5العدالة الاجتماعية :**العمل على تقليص الفجوات الاقتصادية والاجتماعية بين مختلف فئات المجتمع، من خلال سياسات توزيع عادلة لفرص النمو والازدهار.

ومن هذه الزاوية يمكن النظر الى فكرة الدولة المهدوية التي يؤمن بها المسلمون والتي تمثل اقصى درجات التطور في نموذج الدولة ونهاية التاريخ الارضي.

#####الخاتمة

نموذج الدولة الحضارية الحديثة هو أعلى نموذج وصلت إليه البشرية حتى الآن، ولكنه ليس إلا خطوة على طريق مستمر من التطور والتقدم. بإمكان البشرية الاستمرار في تحسين هذا النموذج والوصول إلى مستويات أعلى من العدالة والديمقراطية والرفاهية. هذا يتطلب إرادة سياسية وفكرية مستمرة وتأقلمًا سريعًا مع التحديات والفرص الجديدة التي تطرأ على الساحة العالمية.

المفهوم الحضاري الحديث للدولة

#المقدمة:

يُعَدّ مفهوم الدولة من المفاهيم الأساسية في العلوم السياسية، حيث تطورت النظريات والمفاهيم على مر العصور لتعكس التغيرات الحضارية والسياسية والاجتماعية. يُعتبر المفهوم الحضاري الحديث للدولة من الركائز الأساسية التي تعكس التطورات الحالية في الفهم السياسي للحكم وبناء المجتمعات.

#تعريف الدولة الحضارية الحديثة:

الدولة الحضارية الحديثة هي كيان سياسي ينظم حياة الأفراد في مجتمع معين، ويعتمد على نظم وقوانين تسعى لتحقيق العدالة والمساواة والاستقرار. يتميز هذا الكيان بوجود هيكل سياسي واجتماعي حديث يستند إلى المبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان والتعددية الثقافية بما يحقق افضل استثمار لعناصر المركب الحضاري الخمسة (الانسان، الارض، الزمن، العلم، العمل) في اطار منظومة القيم العليا الحافة بالمركب الحضاري.

#العناصر الأساسية للدولة الحضارية الحديثة

** .1المواطنة :**تضمن الدولة الحضارية الحديثة حقوق المواطنين وتحثهم على الوفاء بواجباتهم تجاه المجتمع. يتمتع المواطنون بحقوق متساوية وبحماية قانونية تعزز شعورهم بالانتماء والمسؤولية.
** .2الديمقراطية :**تعتمد الدولة الحضارية على الأنظمة الديمقراطية حيث يتم انتخاب الحكام بواسطة الشعب. هذه الشرعية تمنح السلطة مصداقية وتشمل آليات تضمن مساءلة الحكام وحرية التعبير.
** .3سيادة القانون :**يجب أن يسود القانون فوق الجميع، بحيث تكون جميع الأفراد والمؤسسات خاضعة للقوانين التي تنظم الحقوق والواجبات وتضمن العدالة للجميع.
** .4المؤسسات :**تعتمد الدولة على مؤسسات قوية وشفافة تعمل بكفاءة لتحقيق أهداف المجتمع. تشمل هذه المؤسسات الفروع التشريعية والتنفيذية والقضائية، إضافة إلى المؤسسات المدنية والمجتمعية التي تساهم في دعم الديمقراطية والتنمية.
** .5العلم الحديث :**تستند الدولة الحضارية الحديثة إلى مبادئ العلم الحديث والتكنولوجيا المتقدمة لتعزيز الابتكار والتقدم. يتم تبني السياسات العلمية التي تساهم في تحسين جودة الحياة وتطوير الاقتصاد.
** .6حقوق الإنسان :**تحترم الدولة الحضارية حقوق الإنسان وتعمل على حمايتها، بما يتضمن الحقوق المدنية والسياسية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية.
** .7التعددية والتنوع الثقافي :**تعترف الدولة الحضارية بالتعددية وتقدر التنوع الثقافي والعرقي والديني وتعمل على تعزيز التعايش السلمي بين مختلف مكونات المجتمع.

#التحديات التي تواجه الدولة الحضارية الحديثة
** .1العولمة :**تفرض العولمة تحديات في الحفاظ على الهوية الثقافية والوطنية في ظل التدفق الحر للمعلومات والسلع والأشخاص.
** .2الإرهاب والتطرف :**يهدد الإرهاب وحدة وأمن الدول، كما يعقد من مسألة التعايش السلمي والتعددية الثقافية.

** .3الاقتصاد العالمي :**تؤثر الأزمات الاقتصادية العالمية على استقرار الدول وتحد من قدرتها على تحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية.
** .4التكنولوجيا :**يستلزم التطور التكنولوجي السريع من الدولة الحضارية تحديث آلياتها القانونية والمؤسسية لمواكبة التغيرات الكبيرة التي يحدثها هذا التطور في الحياة اليومية.
** .5الطائفية السياسية :**تأثير الصراعات الطائفية على وحدة الدول وتماسكها الاجتماعي والسياسي.
** .6العشائرية :**تأثير البنية العشائرية على نظام الحكم والقوانين، مما يعيق التحديث المؤسسي.
** .7التعصب العنصري والقومي :**يقوض التعصب العنصري والقومي من جهود بناء مجتمع متماسك ومتعدد الثقافات.
** .8الشعبوية :**تؤثر الشعبوية على استقرار النظم الديمقراطية من خلال إثارة النزعات العاطفية على حساب النظم العقلانية والمؤسساتية.

#الخاتمة
تمثل الدولة الحضارية الحديثة نموذجاً متقدماً لتنظيم المجتمع يستند إلى مبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان وسيادة القانون. تواجه الدولة الحديثة تحديات كبيرة تستدعي تطويراً مستمراً في نظم الحكم والسياسات لضمان العدالة، والاستقرار، والازدهار لكل أفراد المجتمع.

الفصل السابع
نظام الطائفية السياسية

عجز النظام السياسي في العراق عن انتخاب رئيس جديد لمجلس النواب خلفا للرئيس المخلوع، محمد الحلبوسي، بموجب قرار المحكمة الاتحادية العليا في ١٤ تشرين الثاني من عام ٢٠٢٣، دليل اخر على فشل نظام الطائفية السياسية الذي اتت به الطبقة السياسية الحاكمة منذ ٩ نيسان من عام ٢٠٠٣.
لقد اسقطت الولايات المتحدة النظام الاستبدادي الصدامي، وبدل ان تقيم الطبقة السياسية نظاما ديمقراطيا حقيقيا اقامت نظاما قائما على أساس الطائفية السياسية. وكان من ابرز معالم هذا النظام تطبيق مبدأ الاستحقاق الطائفي في توزيع المناصب وخاصة المناصب السيادية وتشكيل احزاب مغلقة طائفيا.

اولا، نظام الطائفية السياسية

نظام الطائفية السياسية هو نموذج من نماذج التنظيم السياسي والإداري الذي يُقسم فيه السلطة بين مختلف الطوائف أو الفئات الدينية في الدولة بطريقة تضمن مشاركتهم في العملية السياسية والحكومة. هذا النظام يُرى على أنه وسيلة لضمان السلام والاستقرار في المجتمعات التي تتميز بتنوع ديني كبير ولكنه يحمل أيضًا العديد من الخصائص والتحديات.

###خصائص نظام الطائفية السياسية:
** .1تقسيم السلطة **:تُقسم المناصب الحكومية ومقاعد البرلمان والحقائب الوزارية بناءً على الانتماء الطائفي، بحيث تُمثل كل طائفة بنسبة معينة.
** .2المحاصصة الطائفية **:توزيع السلطات والمناصب العامة بين الطوائف بشكل يضمن مشاركة جميع الفئات.
** .3التوازن بين الطوائف **:الجهود المستمرة لضمان التوازن بين الطوائف المختلفة في الحكومة والمؤسسات الوطنية.

###سلبيات نظام الطائفية السياسية:
** .1تعزيز الانقسامات **:قد يعمق هذا النظام الانقسامات الطائفية ويجعل الهوية الدينية أكثر أهمية من الهوية الوطنية.
** .2عرقلة الكفاءة **:التوزيع الطائفي للمناصب قد يؤدي إلى تعيين أشخاص بناءً على انتمائهم الطائفي بدلاً من كفاءتهم.
** .3إضعاف التماسك الوطني **:تركيز الأفراد على مصالح طائفتهم يمكن أن يؤدي إلى تآكل الشعور بالانتماء الوطني والتضامن.

###تأثيره على الدولة والعملية السياسية:
** .1التأثير على الاستقرار **:نظام الطائفية قد يساهم في الاستقرار السياسي والاجتماعي على المدى القصير بضمان تمثيل جميع الطوائف، لكنه قد يعوق التطور الديمقراطي والتوحد الوطني على المدى الطويل.
** .2صعوبة في التغيير **:التوافقات الطائفية المطلوبة لتغيير النظام أو القوانين قد تجعل العملية السياسية بطيئة ومعرقلة للتطور.

** 3.المحسوبية والفساد **:نظام الطائفية قد يفاقم من مشكلات المحسوبية والفساد بحيث يصبح توزيع المناصب والموارد أكثر اعتمادًا على الولاءات الطائفية مما يحول دون العدالة والشفافية.

ثانيا، تفسخ الشعور بالمواطنة

نظام الطائفية السياسية هو احد نتائج تفسخ الشعور بالمواطنة في المجتمع. تتفسخ المواطنة في بلد ما نتيجة تأثير عدة عوامل مختلفة التي تؤدي إلى ضعف الشعور بالانتماء والتواصل بين المواطنين والدولة. هذه العوامل تشمل:

** 1.التمييز وعدم المساواة :**عندما يشعر بعض المواطنين بالتمييز ضدهم على أساس العرق، الجنس، الدين، الطبقة الاجتماعية أو أي أسس أخرى، يمكن أن يقلل ذلك من شعورهم بالانتماء والولاء للبلد.

** 2.ضعف الحكومة والخدمات العامة :**عدم كفاءة الحكومة في تقديم الخدمات الأساسية والرعاية الاجتماعية يمكن أن يؤدي إلى فقدان الثقة بين المواطنين والدولة.

** 3.الفساد :**الفساد الحكومي وسوء استخدام السلطة يمكن أن يؤدي إلى شعور عام بالظلم والاستياء، مما يقوض الشعور بالانتماء للمواطنة.

** 4.البطالة والفقر :**عندما يعاني الناس من البطالة والفقر، يمكن أن يشعروا بالعزلة واليأس، مما يقلل من اهتمامهم بالمشاركة الاجتماعية والسياسية.

** 5.ضعف التعليم :**نقص فرص التعليم الجيد يحد من قدرة المواطنين على المشاركة بفعالية في المجتمع ويقلل من شعورهم بالانتماء.

** 6.انعدام الأمن والنزاعات :**النزاعات الداخلية وعدم الاستقرار الأمني يمكن أن يؤدي إلى تفكك النسيج الاجتماعي ويقلل من الرغبة في الانتماء إلى المواطنة.

** 7.الإعلام والاتصال :**السلبية في وسائل الإعلام وفشل الاتصال بين الحكومة والمواطنين يمكن أن يؤدي إلى سوء الفهم والمعلومات المغلوطة مما يعيق الشعور بالانتماء.

** 8.الهجرة الجماعية :**عندما يهاجر عدد كبير من الناس بحثاً عن فرص أفضل، يمكن أن يؤدي ذلك إلى ضعف الروابط الاجتماعية والثقافية داخل البلاد.

** 9.التغيرات الاقتصادية والتكنولوجية :**التغيرات السريعة في الاقتصاد والتكنولوجيا، دون دعم اجتماعي كافي، يمكن أن تؤدي إلى شعور بالتهميش بين قطاعات من المجتمع.

وبكلمة واحدة، اقول ان تفسخ المواطنة هو ثمرة النظام الاستبدادي الذي حكم العراق اكثر من ثلاثين سنة.

ثالثا، الانظمة الاستبدادية

الارتداد نحو الهويات الفرعية واللجوء إلى الطائفية السياسية يمكن فهمه من خلال استكشاف تأثير الأنظمة الاستبدادية الدكتاتورية على المجتمعات وكيفية تجسيد هذه التأثيرات في سلوك الأفراد والجماعات داخل هذه المجتمعات.

###النظام الاستبدادي الدكتاتوري

أولًا، النظام الاستبدادي هو نظام يتميز بالحكم المركزي الصارم حيث يتم التحكم في جميع السلطات تقريبًا بيد فرد أو مجموعة صغيرة، وعادةً ما يتم فرض الرأي الواحد وقمع الآراء المعارضة. هذا النوع من النظام يمكن

أن يؤدي إلى الإضطهاد والتمييز القومي والطائفي، حيث يُستخدم القمع في بعض الأحيان لتعزيز وحدة الصف حول هوية قومية أو طائفية معينة يفضلها النظام.

###الارتداد نحو الهويات الفرعية

في مواجهة القمع، يميل الأشخاص إلى البحث عن ملاذات آمنة تمثل فيها هوياتهم الفرعية -مثل التجمعات العرقية، الدينية، المناطقية، أو الثقافية -شكلاً من أشكال المقاومة أو النجاة. هذه الهويات تقدم للأفراد إحساسًا بالانتماء والتضامن في مواجهة العزلة والتهميش التي يمكن أن تفرضها الدولة الاستبدادية.

###اللجوء إلى الطائفية السياسية

الطائفية السياسية، بدورها، تأتي كنتيجة لتفعيل الهويات الدينية أو الطائفية في السياق السياسي. في سيناريوهات الاستبداد، حيث السياسة غالبًا ما تكون صفرية النتائج -أي أن فوز جانب يعني خسارة الآخر كليًا -قد يلجأ الأشخاص إلى تعزيز هوياتهم الطائفية كوسيلة لضمان البقاء في واقع سياسي معادٍ.
هذا التحول نحو الهويات الفرعية والطائفية له جذوره في آليات التكيف والبقاء. يكون الأفراد والجماعات، التي تشعر بالتهديد من النظام القائم، مدفوعين بشكل طبيعي نحو البحث عن قوة وأمان في هوياتهم المميزة. في حين يمكن أن يوفر هذا الدعم النفسي والاجتماعي، إلا أنه أيضًا يؤدي في النهاية إلى تعميق الانقسامات داخل المجتمع ويعرقل فرص الوحدة والتعايش السلمي.

رابعا، موقف الدولة الحضارية الحديثة

موقف الدولة الحضارية الحديثة من المواطنة والطائفية السياسية يركز بشكل كبير على تعزيز مبادئ الديمقراطية، العدالة، والمساواة بين المواطنين. يمكن تلخيص هذا الموقف في النقاط التالية:
** .1تعزيز المواطنة **:الدول الحضارية الحديثة تسعى إلى تعزيز مفهوم المواطنة الشاملة التي تقوم على أساس حقوق وواجبات متساوية لجميع المواطنين بغض النظر عن أصلهم، دينهم، عرقهم أو توجهاتهم السياسية. هذا يشمل الوصول المتساوي إلى الخدمات العامة، التعليم، وفرص العمل.
** .2رفض الطائفية السياسية **:الطائفية السياسية تعد من العوائق الكبيرة أمام تحقيق الوحدة والتقدم في الدولة الحضارية. لذلك، تسعى هذه الدولة إلى تطبيق قوانين وسياسات تكافح التمييز الطائفي وتحظر استخدام الهويات الدينية أو العرقية كأداة للمنافسة السياسية.
** .3التأكيد على الهوية الوطنية **:تعمل الدولة الحضارية الحديثة على تعزيز الشعور بالانتماء إلى الوطن ككل، حيث يتم التأكيد على القيم المشتركة والهوية الوطنية فوق أي انتماءات فرعية. يُنظر إلى الهوية الوطنية كأساس لتحقيق الوحدة والتقدم المشترك.
** .4تعزيز الحوار الاجتماعي **:الدولة الحضارية تشجع على الحوار بين مختلف المكونات الاجتماعية والدينية داخل المجتمع من أجل تعزيز الفهم المتبادل وتجاوز الانقسامات. الهدف هو بناء مجتمع متماسك يحترم التنوع ويقبل الاختلاف.
** .5السلطة القانونية **:تقوم الدولة الحضارية على مبدأ سيادة القانون حيث تكون جميع الأنشطة السياسية والاجتماعية خاضعة للقانون الذي يتم وضعه بشكل ديمقراطي لضمان العدالة والمساواة بين الجميع.
بالتالي، الدولة الحضارية الحديثة تسعى إلى خلق بيئة تحترم فيها الحقوق الأساسية لجميع المواطنين وتكون فيها الفرص متاحة للجميع بالتساوي، بعيداً عن أي تمييز أو طائفية.

خامسا، الخلاص من نظام الطائفية السياسية

تغيير نظام الطائفية السياسية والتخلص منه في مجتمع ما يتطلب جهدًا جماعيًا شاملاً يستهدف جذور المشكلة ويبني على مبادئ العدالة، المساواة، والديمقراطية. إليك بعض الطرق التي يمكن أن تساهم بفعالية في هذا التحول:

** 1. ###التوعية والتعليم**:
- تعزيز برامج التوعية التي تركز على أهمية التنوع والتعايش السلمي بين مختلف الطوائف.
- تطوير المناهج التعليمية لتشمل تعليم الحقوق المدنية، التاريخ الشامل لكل الطوائف، وأهمية الديمقراطية والمساواة.

** 2. ###إصلاح النظام السياسي**:
- تبني نظام انتخابي يعزز مشاركة جميع أفراد الشعب على أساس المواطنة بدلاً من الانتماءات الطائفية.
- إنشاء حكومات تكنوقراطية لضمان الكفاءة والعدالة في إدارة شؤون الدولة.

** 3. ###تعزيز الهوية الوطنية**:
- تشجيع المبادرات التي تعزز الانتماء والهوية الوطنية على حساب الانتماءات الفرعية أو الطائفية.
- العمل على توحيد الأحزاب السياسية حول قضايا وطنية تتجاوز الانقسامات الطائفية.

** 4. ###تشجيع الحوار والتفاوض**:
- إنشاء منصات للحوار بين الطوائف المختلفة لتسهيل التفاهم المتبادل وتعزيز السلام الاجتماعي.
- تشجيع المفاوضات لحل النزاعات بشكل سلمي وبناء توافقات تصب في مصلحة الوطن ككل.

** 5. ###دعم دولي وإقليمي**:
- الاستفادة من الدعم الدولي والإقليمي لبناء مؤسسات ديمقراطية قوية والمساعدة في عملية الانتقال السياسي.
- استخدام الضغوط الدولية للحد من تأثير الأطراف الخارجية التي قد تستفيد من استمرار الانقسامات الطائفية.

** 6. ###تعزيز النظام القضائي والقوانين**:
- بناء نظام قضائي مستقل يضمن العدالة لجميع المواطنين بغض النظر عن انتماءاتهم الطائفية.
- إصدار وتنفيذ القوانين التي تحرم التمييز الطائفي وتحمي حقوق جميع المواطنين.

عملية التغيير هذه قد تكون طويلة وتحتاج إلى صبر وتفاني من الجميع. الأساس هو بناء مجتمع يقدر التنوع ويكرس نفسه للعدالة والمساواة، مما يسمح بتطور البلاد نحو مستقبل أفضل للأجيال القادمة.

سادسا، الثورة الشعبية

الثورة الشعبية يمكن أن تكون وسيلة للتغيير السياسي والاجتماعي، بما في ذلك النضال ضد النظام الطائفي، اذا عجزت الوسائل السلمية عن التغيير. التاريخ العالمي يشير إلى أن الثورات الشعبية، بما في ذلك الثورات العربية التي بدأت في 2011، قد ساهمت في إحداث تغييرات جذرية في بعض البلدان. ومع ذلك، فإن نجاحها في الخلاص من نظام الطائفية السياسية يعتمد على مجموعة من العوامل:

** 1.الوحدة والتنظيم **:وحدة الشعب وقدرته على تنظيم نفسه بشكل فعال ضد الطائفية السياسية هي عوامل حاسمة لنجاح الثورة.

** .2البديل الواضح **:وجود رؤية واضحة وبديل سياسي جذاب يستطيع استبدال النظام الطائفي ضروري لضمان استمرارية التغيير.
** .3الدعم الدولي **:الدعم أو على الأقل القبول من المجتمع الدولي قد يكون مفيدًا في ضمان نجاح التغيير السياسي.
** .4التوازن السياسي والاجتماعي **:الحفاظ على التوازن الدقيق بين مختلف الطوائف والمجموعات الاجتماعية أساسي لمنع حدوث فراغ سياسي قد يؤدي إلى فوضى أو حرب أهلية.

###تحديات:

ومع ذلك، تواجه الثورات الشعبية تحديات كبيرة في سعيها لإنهاء نظام الطائفية السياسية. الطائفية غالباً ما تكون متجذرة بعمق في النسيج الاجتماعي والسياسي للبلدان، وقد تؤدي محاولات إزالتها دون استراتيجية شاملة إلى تفاقم التوترات الطائفية.

###البدائل الممكنة:

** -الإصلاحات **:العمل على إصلاحات تدريجية من خلال النظام القائم يمكن أن تكون أكثر فعالية في بعض الظروف.
** -الحوار الوطني **:بناء عملية حوار وطني تسعى للتوصل إلى توافق حول الإصلاحات الدستورية والسياسية.

المسار نحو مجتمع خال من الطائفية طويل ويتطلب جهودًا مضنية من جميع الأطراف المعنية، بما في ذلك المواطنين، السياسيين، والمجتمع الدولي.

سابعا، الخاتمة

الخلاصة تتبلور في أن النظامين، الطائفي والاستبدادي، يؤديان إلى نتائج سلبية على المجتمع. النظام الطائفي يعزز الانقسامات ويمنع تحقيق الوحدة والتضامن بين مختلف مكونات المجتمع، بينما النظام الاستبدادي يُحد من الحريات الأساسية ويقوض الديمقراطية. لذلك، تبرز الحاجة الملحة لإسقاط هذه الأنظمة والتخلص منها لتحقيق تقدم مجتمعي وتطوير ديمقراطيات تكون مستندة إلى مبادئ العدالة والمساواة والحرية. هذا التحول يتطلب جهدًا جماعيًا وإرادة سياسية قوية لتجاوز العقبات وتحقيق مجتمع أكثر عدلاً وشمولية.

الدولة الطائفية

محمد عبد الجبار الشبوط

كتب كثير من الكتاب العرب ، مثل مهدي عامل وبرهان غليون، عن الدولة الطائفية. فيما يلي خلاصة الكلام في الدولة الطائفية واثرها السلبي على فكرة الدولة الحضارية الحديثة

#الطائفية

الطائفية هي انتماء الأفراد أو الجماعات إلى طوائف دينية أو مذهبية محددة، تكون الأساس لهويتهم الاجتماعية والسياسية. يمكن أن يتسبب الانتماء الطائفي في تشكل جماعات متماسكة تحت مظلة طائفية معينة، مما يعزز الانقسام بين مختلف الطوائف في المجتمع. تكون الطائفية سبباً رئيسياً في ظهور التوترات والصراعات والنزاعات الاجتماعية والسياسية إذا تم استغلالها لتحقيق أهداف خاصة أو مصالح ضيقة.

#الطائفية السياسية

الطائفية السياسية هي ممارسة السياسة بناءً على الانتماءات الطائفية، حيث تصبح الطائفة مركز السياسة وصناعة القرار. في هذا النظام، يتم تقسيم المناصب الحكومية والسياسية بناءً على الانتماءات الطائفية بدلاً من الكفاءة أو الولاء الوطني. يؤدي هذا النوع من السياسة إلى تعزيز الولاءات الطائفية على حساب الوحدة الوطنية ويعزز الفساد والمحسوبية.

#الدولة الطائفية

الدولة الطائفية هي الدولة التي تقوم بنيتها ونظامها السياسي على الطائفية، حيث تعتمد تقسيم السلطات والمناصب الحكومية على أساس الانتماءات الطائفية. في هذا النوع من الدول، تكون الطائفة هي الأساس لهوية المواطنين، مما يعزز الانقسام الاجتماعي ويضع ولاءات الطائفة فوق الولاءات الوطنية. تصبح القرارات والسياسات في الدولة الطائفية تعتمد على رضى الطوائف المختلفة بدلاً من المصلحة العامة، مما يعيق النمو والتقدم.

#الدولة الطائفية عقبة أمام الديمقراطية

الدولة الطائفية تعتبر عقبة أمام الديمقراطية لأنها تُعطل مبدأ المساواة بين المواطنين. في الديمقراطية، يتم اختيار القادة والممثلين بناءً على الكفاءة والبرامج السياسية. أما في الدولة الطائفية، فالمنصب يعتمد على الانتماء الطائفي. هذا التشويه لمفهوم المساواة يمنع التداول السلمي للسلطة ويعرقل العدالة الاجتماعية، مما يؤدي إلى تآكل الثقة في النظام السياسي.

#الدولة الطائفية عقبة أمام المواطنة

الدولة الطائفية تعيق تحقيق المواطنة الحقيقية حيث تُعطي الأولوية للانتماء الطائفي فوق الانتماء الوطني. في مثل هذه الدولة، تصبح حقوق الأفراد وواجباتهم مرتبطة بطائفتهم وليس بكونهم مواطنين. يؤدي هذا إلى تهميش بعض الفئات ويعزز التمييز، مما يقوض مفهوم المواطنة الحقيقية التي تقوم على المساواة والعدالة والولاء للوطن.

#الدولة الطائفية عقبة أمام الدولة الحضارية الحديثة

الدولة الطائفية تعرقل بناء الدولة الحضارية الحديثة التي تعتمد على مبادئ المساواة والتعددية والعدالة والتنمية الشاملة. إن اعتماد تقسيم السلطة والسياسات الوطنية على أسس طائفية يقيد الإبداع والابتكار ويحد من المشاركة الفعالة لجميع فئات المجتمع. بدلاً من ذلك، تصبح الأولويات مرتبطة بإرضاء الطوائف المختلفة، مما يعيق التقدم والنمو ويحول دون تحقيق التنمية المستدامة والرفاهية للشعب.

في الختام، تُعتبر الطائفية، وخاصة عند تحولها إلى طائفية سياسية أو دولة طائفية، من أكبر التحديات التي تواجه المجتمعات التي تسعى لتحقيق الديمقراطية، المواطنة الحقيقية، والتحضر. لذا، من الضروري تعزيز قيم الوحدة الوطنية والانتماء المشترك لتحقيق مستقبل أفضل.

الأغلبية السياسية والأغلبية الطائفية

في علم السياسة، تُعد مفاهيم الأغلبية السياسية والأغلبية الطائفية من الجوانب الحاسمة لفهم ديناميكية النظام السياسي واستقراره. رغم أن مظهرهما قد يبدو متشابهاً، إلا أن هناك اختلافات جوهرية بينهما تلقي بظلالها على الحياة السياسية بطرق جوهرية.

الأغلبية السياسية:
الأغلبية السياسية تُمثل مجموعة من الفاعلين السياسيين الذين يجتمعون تحت مظلة أهداف ومصالح وبرامج مشتركة، بغض النظر عن خلفياتهم العرقية أو الطائفية. يتميز هذا النوع من الأغلبية بالمرونة والقدرة على تشكيل تحالفات عبر الحدود الطائفية والإثنية، مما يعزز التنوع والتكامل.

الصفات البارزة للأغلبية السياسية:
1. المرونة: تكوينها متغير ويعتمد على التفاهمات السياسية المتبادلة والمصالح المشتركة.
2. التنوع: تُشجع على دمج الأفكار والخلفيات المتعددة، مما يؤدي إلى إثراء النقاش السياسي وتوسيع قاعدة المشاركة.
3. الحراك السياسي: تدفع بالأجندات السياسية نحو تحسين الأداء الحكومي ومساءلته، حيث تكون الأطراف الفاعلة ملزمة بالتعاون لتحقيق أهداف مشتركة.

تأثيرها على الحياة السياسية:
-تعزز الحياة السياسية من خلال توفير بيئة مفتوحة للنقاش وتبادل الأفكار.
-تحفز على إيجاد حلول مبتكرة تتفاعل مع تطلعات شرائح المجتمع المتنوعة.
-تساهم في تقليل التوترات الاجتماعية بتشجيع تقبل الآخر والاندماج.

الأغلبية الطائفية:
على النقيض من ذلك، الأغلبية الطائفية تتمثل في مجموعة متجانسة من الفاعلين السياسيين المنتمين إلى طائفة دينية أو عرقية واحدة. تتسم هذه الأغلبية بالانغلاق والانحياز، مما يؤدي إلى تماسكها الداخلي لكنها تُعرض الحياة السياسية إلى الجمود والتكلس.

الصفات البارزة للأغلبية الطائفية:
1. الانغلاق: تتركز اهتمامتها على مصالح طائفة بعينها، ما يعزز التحيز والانقسامات.

2.التجانس: تفتقد إلى التنوع الذي يمنع التفاعل مع رؤى وأفكار مغايرة.
3.الجمود السياسي: تميل إلى التمسك بالمواقف التقليدية، مما يحد من إمكانية التغيير والإصلاح.

تأثيرها على الحياة السياسية:
-تؤدي إلى تكلس الحياة السياسية بسبب مقاومة التغيير واستبعاد الأفكار الجديدة.
-تُزيد من حدة الاستقطاب الاجتماعي والسياسي، ما قد يؤدي إلى تفاقم النزاعات والانقسامات.
-تُضعف القدرة على تحقيق التوافق الوطني، حيث تصبغ القرارات والمواقف السياسية بالتحيز الطائفي.

الخاتمة:
من خلال هذه المقارنة، يتضح أن الأغلبية السياسية تمثل خياراً أكثر ملائمة لتعزيز الحراك السياسي وتحقيق التقدم. بينما تؤدي الأغلبية الطائفية إلى توترات وجمود سياسيين يعيقان التنمية. لذا، فإن بناء بيئة سياسية تُشجع على تكوين أغلبية سياسية واسعة ومتنوعة يبقى هدفاً استراتيجياً لتحقيق استقرار وتقدم المجتمعات.

التوصيف الطائفي لشاغل المنصب

مقدمة: رئاسة البرلمان
أطاحت المحكمة الاتحادية برئيس البرلمان السابق محمد الحلبوسي فشغر المنصب ومازال شاغرا لعدة أشهر . هذه فرصة أن يفهم الناس خطورة التقسيم الطائفي للمناصب على انسيابية عمل الدولة. فقد بقي المنصب شاغرا كل هذه الفترة لأن ممثلي الطائفة السنية في النظام السياسي الطائفي العراقي لم يتفقوا حتى الآن على مرشح واحد لاشغال هذا المنصب. كما أن إشتراط أن يتفق جميع ممثلي الطائفة السنية على هذا المرشح أمر غير صحيح. هذه فرصة لأن يفهم العراقيون أن التوصيف الطائفي للمناصب يمثل انحرافا خطيرا عن العملية الديمقراطية وعائقا كبيرا لعمل الدولة.
لا نبالغ اذا قلنا ان التوصيف الطائفي لشاغل المنصب يمثل أحد أخطر الآليات التي تقوض أسس النظام الديمقراطي القائم على المساواة بين المواطنين. هذا التوصيف يجعل من الانتماء الطائفي شرطًا أساسيًا لتولي المناصب القيادية، مما يحرّم فعليًا أبناء الطوائف الأخرى من حقهم المشروع في المنافسة النزيهة على هذه المناصب.

النظام الديمقراطي وأهمية المساواة

يتأسس النظام الديمقراطي على مبادئ المساواة والعدالة والشفافية. في هذا الإطار، يحق لكل مواطن، بغض النظر عن انتمائه العرقي أو الطائفي أو الديني، أن يُشارك في الحياة السياسية ويتبوأ المناصب بناءً على الكفاءة والأهلية. هذه المبادئ تضمن تداول السلطة بطرق سلمية وتعزز الثقة العامة في النظام السياسي.

التوصيف الطائفي: تقييد المشاركة وتعميق الانقسام

عندما تُصبح المناصب رهنًا بالانتماءات الطائفية، يتم استبعاد شرائح واسعة من المواطنين بشكل تلقائي من فرصة الترشح أو التوظيف. يحرم هذا النظام الطائفي الأفرادَ من حقهم الأساسي في المشاركة السياسية، ويعتبر إخلالًا واضحًا بمبدأ المساواة. ينتج عن ذلك تفاقم الانقسام الاجتماعي والطائفي، حيث يُنظر إلى المناصب الحكومية على أنها حكر لطوائف محددة، مما يعزز الشعور بالظلم والإقصاء لدى الطوائف الأخرى.
الخلل في النظام الديمقراطي

التوصيف الطائفي للمناصب يتعارض كليًا مع القيم الديمقراطية السليمة. في الديمقراطيات الحقيقية، تكون القدرة على تولي المناصب نابعة من الكفاءة، الخبرة، والرؤية السياسية، وليس من هوية الفرد الطائفية. هذا الخلل يُسبب تشويهًا للعدالة الاجتماعية ويفتح الباب أمام المحسوبية والفساد، حيث يتم اختيار الأشخاص بناءً على انتمائهم وليس على قدراتهم أو مؤهلاتهم.

أمثلة من الواقع

يمكن أن نجد العديد من الأمثلة في العالم حيث أثّرت الطائفية على الحياة السياسية وأدت إلى تعميق الأزمات وعدم الاستقرار. في بعض الدول، تم تقسيم المناصب الحكومية بشكل طائفي، مما أدى إلى حالة من الجمود السياسي والاجتماعي، حيث أصبحت هنا الخلافات الطائفية هي المسيطرة على المشهد بدلًا من القضايا الوطنية الكبرى.

لا يحتاج القارئ العراقي إلى أمثلة عراقية لأنه يعيش الطائفية السياسية منذ 20سنة.

* البرهنة على صحة المبدأ*

** .1تناقص الكفاءة والإنتاجية **:تُظهر الدراسات أن الأنظمة التي تعتمد على التعيين الطائفي تقل فيها الكفاءة والإنتاجية، حيث يشغل المناصب أحيانًا أشخاص غير مؤهلين بسبب انتمائهم الطائفي.

** .2زيادة الفساد والمحسوبية **:التوظيف الطائفي يعزز مناخ الفساد والمحسوبية، حيث تصبح الولاءات الطائفية أهم من التزامات الخدمة العامة.
** .3انعدام الثقة في النظام **:يشعر المواطنون في الدول الطائفية بانعدام الثقة في حكوماتهم، مما يؤدي إلى عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي.
** .4تفاقم العنف والانقسام **:يمكن أن يؤدي النظام الطائفي إلى تصاعد العنف والصراعات الطائفية، كما حدث في فصول متعددة من التاريخ المعاصر.

الخلاصة

يُشكل التوصيف الطائفي لشاغل المنصب انتهاكًا صارخًا للمبادئ الديمقراطية ويقوض النظام القائم على المساواة بين المواطنين. لا يمكن بناء ديمقراطية حقيقية ومستدامة إلا بوضع معايير شفافة وعادلة لتولي المناصب، ترتكز على الكفاءة والأهلية بدلًا من الانتماءات الطائفية. فقط بهذه الطريقة يمكن تحقيق العدالة الاجتماعية والتنمية المستدامة لجميع أفراد المجتمع.

الفصل السابع

الدولة الاستبدادية المتخلفة
والدولة الديمقراطية المتقدمة

كتبت قبل ايام" :كم اتمنى لو ان السيد محمد باقر الصدر قسّم الدول الى نوعين: متخلفة استبدادية و متقدمة ديمقراطية بدل تقسيمها الى اسلامية وغير اسلامية".
لكن الصديق عارف العنزي علق بما يلي:
"أقرنتم بهذا استاذنا الاستبداد بالتخلف و الديمقراطية بالتقدم و قد يكون اقرب للقصد طبعاً، و للاسف واقع الحال لا يؤيد رأيكم، حيث ان بعض الانظمة المستبدة)و اكرر للاسف (و لاسباب عديدة، لديها بعض النجاحات، كدول الخليج مثلاً و ان بعض الديمقراطيات ايضا لا تصحب التقدم بالضرورة".
وطبعا لم يكن هذا قصدي، وانما قصدت ان تكون الدولة الديمقراطية المتقدمة هدفا يطرحه السيد الصدر، في مقابل الدولة المستبدة المتخلفة، بدون افتراض ملازمة مفهومية بين الديمقراطية والتقدم، حتى وان صحت، وليس هذا موضوعنا، وانما ملازمة على مستوى الهدف. فاذا افترضنا ان هناك ثلاث حالات ممكنة هي: دولة ديمقراطية متخلفة واخرى استبدادية متقدمة، وثالثة ديمقراطية متقدمة، فان الاخيرة هي الهدف الذي كنت اتمنى ان يكتب عنه الصدر كمثال، وبقية الكتاب من بعده لان ما نحن بحاجة اليه بعد مرور ١٠٠ سنة على ولادة الدولة العراقية بصيغها الاربعة: الملكية، الجمهورية العسكرية، الدكتاتورية البعثية، المحاصصة الحزبية، هو الدولة الديمقراطية المتقدمة التي اطلقت عليها عنوان الدولة الحضارية الحديثة.
فيما يلي مقارنة سريعة بين الدولة المستبدة المختلفة والدولة الديمقراطية المتقدمة.
من الناحية السياسية:
** -الدولة الاستبدادية المتخلفة **:في الدول الاستبدادية، يكون الحكم مركزيًا بيد فرد أو مجموعة صغيرة لا تعبر بالضرورة عن إرادة الشعب. غالبًا ما تعاني هذه الدول من قمع الحريات، وغياب الشفافية، وضعف المشاركة السياسية للمواطنين. يكون هناك قصور في النظام القضائي وفي استقلالية المؤسسات. وهذا ما عانى منه الشعب العراقي طيلة ٣٥ عاما.
** -الدولة الديمقراطية المتقدمة **:تتميز بنظام حكم يستند إلى مبادئ الديمقراطية وسيادة القانون، حيث يكون للمواطنين دور فاعل في اختيار حكامهم من خلال انتخابات حرة ونزيهة. تعزز هذه الدول حماية الحريات الفردية والجماعية، وتضمن استقلال القضاء وتكافؤ الفرص في المشاركة السياسية. وهذا ما لم يتحقق في عهد دولة المحاصصة الحزبية، العرقية الطائفية، بعد مرور ٢٠ عاما من سقوط الطاغية.
من الناحية الاقتصادية:
** -الدولة الاستبدادية المتخلفة **:تشهد اقتصاداتها غالبًا مستويات عالية من المركزية في اتخاذ القرارات الاقتصادية، وضعف في البنية التحتية، ومعدلات عالية من الفساد وسوء استغلال الموارد. قد يفضي هذا إلى تفاوتات اجتماعية واقتصادية شاسعة. وعراقيا مازلنا نعاني من سلبيات الاقتصاد الريعي وتدني انتاجية المجتمع.
** -الدولة الديمقراطية المتقدمة **:ترتكز على اقتصاديات السوق الحرة مع دور تنظيمي للدولة يهدف إلى ضمان العدالة الاجتماعية. تتمتع ببنية تحتية متطورة، نظام قضائي فعّال لحماية الحقوق الملكية، وآليات لمكافحة الفساد. تعمل هذه الدول بشكل استباقي على تحقيق التوازن بين النمو الاقتصادي والتنمية المستدامة.

من الناحية الاجتماعية:

** -الدولة الاستبدادية المتخلفة **:تعاني من تدني مستويات التعليم والرعاية الصحية، وضعف في الخدمات الاجتماعية الأساسية. غالبًا ما يكون هناك تفاوت كبير بين طبقات المجتمع وغياب للتماسك الاجتماعي.

** -الدولة الديمقراطية المتقدمة **:تولي اهتمامًا كبيرًا لتقديم خدمات الرعاية الصحية، والتعليم الجيد، والضمان الاجتماعي لكل المواطنين. تسعى إلى تحقيق المساواة والحد من الفجوات الاجتماعية، وتعزيز التماسك والاندماج الاجتماعي.

خلاصة:

يمكن ملاحظة أن الفروقات بين الدولة الاستبدادية المتخلفة والدولة الديمقراطية المتقدمة تمس جميع جوانب الحياة، من النظام السياسي والاقتصادي، إلى البنية الاجتماعية والثقافية. الديمقراطية والتقدم ليستا فقط قضية اقتصادية أو سياسية، بل هي تعبير عن نمط حياة شامل يسعى إلى تحقيق الكرامة والعدالة لكل فرد.

الفصل
في العقل السياسي

(١) ماهو العقل السياسي؟

يُعتبر العقل السياسي مفهوماً معقداً يستخدم في العلوم الاجتماعية والسياسية لوصف القدرات والمهارات التي يحتاجها الفرد أو المجتمع لفهم وتحليل القضايا والمشكلات السياسية بشكل منطقي، واتخاذ القرارات السياسية بناءً على المعرفة والاستدلال. يمكن أن يتضمن العقل السياسي القدرة على فهم النظم والهياكل السياسية، ودراسة التاريخ السياسي والاقتصادي، وتقييم التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية للقرارات السياسية. كما يشمل أيضا تطوير قدرات التفكير النقدي والتحليلي المتعلقة بالسياسة، والقدرة على التفاوض وبناء التحالفات السياسية، وفهم ديناميكيات القوة والنفوذ في السياسة.

بشكل عام، يعتمد العقل السياسي على القدرة على فهم السياسة كظاهرة اجتماعية تتأثر بالعوامل الاقتصادية والثقافية والتاريخية، والقدرة على تقييم الخيارات السياسية والتأثيرات المحتملة لها على المجتمع والدولة. يتطلب العقل السياسي أيضا القدرة على التعبير عن الأفكار والقيم السياسية بشكل فعّال، سواء كان ذلك من خلال الكتابة أو الخطابة أو التفاعل الاجتماعي.

على المستوى الفردي، يمكن أن يعني العقل السياسي القدرة على فهم وتقبل وجهات النظر المختلفة حول السياسة، والقدرة على التفاوض والتواصل مع الآخرين بشكل مثمر وبناء. بينما على المستوى الاجتماعي والسياسي، يمكن أن يعني العقل السياسي القدرة على الاشتراك في الحوار العام واتخاذ القرارات الديمقراطية بناء على المصلحة العامة والعدالة، بالإضافة إلى القدرة على التفاعل مع المؤسسات والهياكل السياسية بشكل فعّال لتحقيق التغيير والتطوير.

من الجدير بالذكر أن العقل السياسي ليس صفة ثابتة أو ثابتة النمط، بل هو مجموعة متنوعة من المهارات والقدرات التي يمكن تطويرها وتحسينها عبر التعلم والتجارب السياسية والاجتماعية. إلى جانب ذلك، يتأثر العقل السياسي بالظروف المحيطة وبالتغيرات في البيئة السياسية والاجتماعية، مما يفرض الحاجة إلى مواصلة التحليل والتعلم والتكيف مع التطورات السياسية والاجتماعية المستمرة.

(٢) كيف يتشكل العقل السياسي للمجتمع

العقل السياسي للمجتمع يتشكل من خلال تأثير مجموعة متنوعة من العوامل والظروف. من أهم العوامل التي تسهم في تشكيل العقل السياسي للمجتمع:

1. الثقافة والتراث: تلعب العوامل الثقافية والتاريخية دوراً هاماً في تشكيل العقل السياسي. القيم والمعتقدات والتقاليد الثقافية يمكن أن تؤثر بشكل كبير على كيفية تفكير الناس في السياسة والحكم.
2. الظروف الاجتماعية والاقتصادية: الفقر والثروة والعدالة الاجتماعية والتوزيع العادل للثروة تؤثر على تفضيلات الناس السياسية وآرائهم حيال سياسات الحكومة.
3. مؤسسات الحكم: نوعية الحكم في المجتمع، سواء كانت ديمقراطية أو دكتاتورية أو نظام سياسي آخر، يمكن أن تشكل العقل السياسي للمجتمع. كما أن نظام الحكم وتنظيمه يؤثر على مدى تفاعل المواطنين مع القضايا السياسية.
4. وسائل الإعلام والاتصالات: تلعب وسائل الإعلام دوراً هاماً في تشكيل العقل السياسي للمجتمع. الرسائل السياسية والأخبار والتحليلات التي يتم نقلها عبر وسائل الإعلام قد تؤثر بشكل كبير على آراء الناس.

5.التعليم والتدريب: نوعية التعليم والتدريب في المجتمع تلعب دوراً في تشكيل العقل السياسي، حيث يمكن للتعليم أن يساهم في بناء قدرات الفرد على التفكير بشكل نقدي وفهم القضايا السياسية.
6.الأحداث السياسية الحالية: الأحداث السياسية مثل الانتخابات والتظاهرات والأزمات السياسية قد تؤثر بشكل كبير على العقل السياسي للمجتمع، حيث يمكن لهذه الأحداث أن تؤدي إلى تحولات في آراء الناس وتوجهاتهم السياسية.

(٣) اثر الثقافة السياسية في تشكيل العقل السياسي

علاقة الثقافة السياسية بالعقل السياسي علاقة معقدة ومتداخلة تؤثر على شكل كيفية تشكل وتطور التفكير والتصرفات السياسية للأفراد والمجتمعات. تلعب الثقافة السياسية دورًا حاسمًا في تشكيل العقل السياسي للأفراد والمجتمعات، إذ تؤثر في القيم والمعتقدات والممارسات السياسية التي يتبناها الأفراد.
يعتمد العقل السياسي على العديد من العوامل بما في ذلك التربية، والتعليم، ووسائل الإعلام، والتجارب الشخصية والجماعية. وتشكل هذه العوامل الأساسية الثقافة السياسية للفرد وتؤثر على تصوراته ومعرفته وفهمه للسياسة والحكم والمشاركة في الشأن العام.
على سبيل المثال، في بعض المجتمعات، يكون للثقافة السياسية تأثير كبير على القيم والمعتقدات المتعلقة بالديمقراطية أو الحكم الرشيد. إذا كانت الثقافة السياسية ملتزمة بالقيم الديمقراطية وحقوق الإنسان، فسيكون لها تأثير إيجابي على العقل السياسي للأفراد في تلك المجتمعات، مما يسهم في تعزيز المشاركة السياسية وتأييد النظم الديمقراطية.
على الجانب الآخر، في المجتمعات التي تعاني من ثقافة سياسية تشجع على الفساد أو التطرف، يمكن أن يكون لها تأثير سلبي على العقل السياسي، حيث قد يؤدي ذلك إلى تشويه فهم الأفراد للحكم الرشيد والمشاركة السياسية المسؤولة.
بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن تؤثر القنوات الإعلامية ووسائل الاتصال الاجتماعي والتكنولوجيا على الثقافة السياسية وبالتالي على العقل السياسي. فمثلاً، يمكن أن تشكل وسائل الإعلام السائدة والمعلومات المتداولة عبر وسائل الاتصال الاجتماعي إحدى مصادر تشكيل قناعات الأفراد حيال القضايا السياسية وتوجهاتهم السياسية.
تحظى التجربة الشخصية أيضًا بأهمية كبيرة في تشكيل العقل السياسي. فمثلاً، تجارب الفرد مع الحكم والسياسة والعدالة الاجتماعية يمكن أن تؤثر بشكل كبير على أفكاره ومواقفه السياسية.
يمكن القول إن الثقافة السياسية تمثل إحدى العوامل الرئيسية التي تؤثر على العقل السياسي. وبالتالي، فإن فهم الثقافة السياسية وتأثيرها على العقل السياسي يعد أمرًا بالغ الأهمية في دراسة السياسة وتحليل الديمقراطية وتطورها في المجتمعات المعاصرة.

(٤) اثر التخلف الحضاري على العقل السياسي

التخلف الحضاري يمكن أن يؤثر بشكل كبير على تشكيل العقل السياسي في أي بلد. التأثيرات السلبية للتخلف الحضاري على العقل السياسي يمكن أن تظهر في عدة جوانب:
1.قلة الوعي السياسي: التخلف الحضاري قد يؤدي إلى قلة الوعي السياسي وقلة الإدراك لدى بعض الفئات السياسية والشعب. قد لا يكون هناك مستوى كاف من الثقافة السياسية والوعي بشؤون الحكم والعملية الديمقراطية.
2.التأثير السلبي على التعليم: التخلف الحضاري قد يؤدي إلى نقص في توفر التعليم والفرص التعليمية الجيدة، مما يؤثر على القدرة على تطوير عقول سياسية متقدمة ومستنيرة.

3.التبعات الاقتصادية: التخلف الحضاري يمكن أن يؤدي إلى تقلص الاقتصاد وزيادة مستويات الفقر، مما يؤثر على الاستقرار السياسي والقدرة على تنفيذ السياسات المستدامة.
4.نقص الحوار والمشاركة السياسية: قد يكون هناك نقص في ثقافة الحوار والمشاركة السياسية في بيئة تخلف حضاري، مما يؤثر على القدرة على التوصل إلى اتفاقيات سياسية مشتركة وحلول للمشاكل الوطنية.
5.زيادة الانقسامات الاجتماعية والعرقية: التخلف الحضاري قد يؤدي إلى تفاقم الانقسامات الاجتماعية والعرقية في المجتمع، مما يؤدي إلى صعوبة في تشكيل رؤية واحدة وموحدة للعقل السياسي.
من الجدير بالذكر أن التخلف الحضاري ليس بالضرورة يمثل واقعاً ثابتاً وغير قابل للتغيير. يمكن لتطوير القطاعات الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية أن يساهم في تحسين الظروف وتطوير العقل السياسي في العراق وفي أي بلد آخر. تحسين الوعي السياسي وتعزيز القدرات التعليمية وزيادة المشاركة المدنية يمكن أن تساهم في تحقيق تقدم حقيقي في العقل السياسي والمشهد السياسي في البلاد.

(٥) غياب المنهجية المنطقية

يمثل غياب المنهجية المنطقية إحدى علامات التخلف الحضاري التي قد تؤثر بشكل كبير على العقل السياسي. المنهجية المنطقية تمثل القدرة على التفكير بشكل منطقي وتحليلي، واستخدام المنطق والحكم في صنع القرارات السياسية. إليك بعض الطرق التي يمكن أن يؤثر فيها غياب المنهجية المنطقية على العقل السياسي:
1.اتخاذ القرارات غير المنطقية: إذا كانت السياسة تعاني من غياب المنهجية المنطقية، فقد تؤدي هذه الظاهرة إلى اتخاذ قرارات سياسية غير مبنية على الحقائق والتحليل الدقيق. قد يؤدي هذا إلى سلسلة من القرارات السيئة التي تضر بالمجتمع والدولة.
2.زيادة الجدل السياسي غير المنطقي: في بيئة سياسية تفتقر إلى المنهجية المنطقية، قد يكون هناك ارتفاع في مستوى الجدل غير المنطقي واستخدام الخطاب المتطرف، مما يزيد من الانقسامات والتوترات في المجتمع.
3.نقص الخطط والاستراتيجيات المستدامة: من خلال فقدان المنهجية المنطقية، يمكن أن يكون هناك نقص في وضع الخطط والاستراتيجيات المستدامة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.
4.تفاقم الفجوات القومية والطائفية: غياب المنهجية المنطقية يمكن أن يزيد من تفاقم الفجوات القومية والطائفية، مما يؤثر سلباً على الوحدة الوطنية والقدرة على بناء مجتمع متضامن ومستقر.
5.تأثير على الديمقراطية وحقوق الإنسان: في بيئة سياسية تعاني من غياب المنهجية المنطقية، قد يكون هناك نقص في احترام حقوق الإنسان وتضييق في ممارسة الديمقراطية بشكل صحيح.
لذا، يمكن القول إن غياب المنهجية المنطقية يمكن أن يؤثر بشكل كبير على العقل السياسي وعلى الحياة السياسية والاجتماعية بشكل عام. ومع ذلك، يمكن أن تقدم المنهجية المنطقية والتفكير النقدي الفاعل مساهمة كبيرة في تحسين العقل السياسي وتطوير البيئة السياسية والاجتماعية.

(٦) العقل السياسي العراقي

العقل السياسي العراقي مصطلح يشير إلى المجموعة المتنوعة من الأفكار والمعتقدات والتوجهات السياسية التي تنشأ في سياق الثقافة والتاريخ العراقي. يتأثر العقل السياسي بالعديد من العوامل بما في ذلك التاريخ، الدين، الثقافة، الاقتصاد، والقوى السياسية التي تمارس تأثيراً على السياسة في البلاد.
يعتمد العقل السياسي العراقي على تجاربه التاريخية مثل الاحتلالات الأجنبية، الصراعات الداخلية، وتأثيرات الدين والثقافة على السياسة. وقد شهد العراق تغيرات كبيرة وتحولات سياسية منذ العصور القديمة حتى الوقت الحاضر، الأمر الذي أثر على تطوير العقل السياسي في البلاد.

من المهم أيضاً أن نذكر أن العقل السياسي العراقي يتأثر بشكل كبير بالتيارات والأيديولوجيات السياسية العالمية مثل العروبة، القومية، الشيوعية، الليبرالية، الإسلامية، والديمقراطية.
ويجدر الذكر أن الصراعات الداخلية في العراق وتدخلات القوى الخارجية قد تسببت في تقسيم العقل السياسي بين مختلف الفصائل والأحزاب، مما يزيد من التعقيدات والصعوبات في صياغة استراتيجيات سياسية موحدة وفعالة.
على الرغم من هذه التحديات والصعوبات، إلا أن العقل السياسي العراقي يظل متنوعاً وديمقراطياً في أسلوب تفكيره ويحاول التأقلم مع التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المستمرة في البلاد.
يتطلب فهم العقل السياسي العراقي دراسة متعمقة للتاريخ والثقافة والدين والسياسة في البلاد، وهو موضوع شائك يحتاج إلى تحليل ودراسة مستمرة لفهمه بشكل كامل.
يعتبر العقل السياسي العراقي موضوعاً معقداً ومهماً يستحق النقاش والتفكير العميق. إن فهم ماهية العقل السياسي ومكوناته في السياق العراقي يسهم في فهم تاريخ العراق السياسي وتوجهاته المستقبلية. سأحاول تقديم نظرة شاملة حول هذا الموضوع مع التركيز على مكوناته وعيوبه.
من المهم أن نفهم أولاً ماهية العقل السياسي. يمكن تعريف العقل السياسي على أنه القدرة على فهم العلاقات السياسية وتحليلها بشكل مستنير ومتوازن. في السياق العراقي، يشمل العقل السياسي القدرة على فهم التأريخ والثقافة والدين، وكيفية تأثير هذه العوامل على عملية صنع القرار.
تُعد مكونات العقل السياسي العراقي متنوعة ومعقدة. يشمل ذلك الخبرة التاريخية والفهم العميق للخلفية الثقافية والدينية للشعب العراقي. يتطلب العقل السياسي العراقي أيضًا فهمًا عميقًا للديناميات السياسية المعاصرة والعولمة وتأثيرها على العراق. بالإضافة إلى ذلك، يتضمن العقل السياسي القدرة على التفكير الاستراتيجي وتقديم الحلول الملائمة للتحديات التي يواجهها العراق.
مع هذا الغنى في مكوناته، فإن هناك عيوباً في العقل السياسي العراقي. واحدة من هذه العيوب هي الانقسامات السياسية العميقة والتيارات المتضاربة داخل المشهد السياسي. هذه الانقسامات تعيق القدرة على اتخاذ القرارات المستنيرة والموحدة التي يحتاجها العراق للنهوض والتقدم. بالإضافة إلى ذلك، تشوب الفساد المستويات المختلفة من الحكومة والمؤسسات السياسية، مما يعيق القدرة على تحقيق التقدم والنمو بشكل فعال وعادل.
تعتبر الارتباكات الأمنية وتدخل القوى الخارجية أيضًا عيوبًا مؤلمة في العقل السياسي العراقي. تؤدي هذه العوامل إلى عدم الاستقرار وتأجيج الصراعات داخل البلاد، مما يضعف القدرة على بناء مستقبل مستقر ومزدهر للعراق.
من الواضح أن تحسين العقل السياسي العراقي يتطلب جهوداً شاملة ومستمرة. ينبغي التركيز على تعزيز الوعي السياسي والمدني وتعزيز الشفافية ومكافحة الفساد. ينبغي أيضاً تعزيز الحوار والتعاون بين المكونات السياسية المختلفة وبين العراق والدول الأخرى. ت
العقل السياسي العراقي هو جزء أساسي من قوة العراق كأمة. من خلال فهم مكوناته وعيوبه، يمكن للعراق الحد من هذه العيوب وتعزيز الجوانب الإيجابية للعقل السياسي لبناء مستقبل أفضل.

الفصل
في الشرعية السياسية

(١) الشرعية والمشروعية

الشرعية والمشروعية مصطلحان يعبران عن شرعية أو صحة السلطة والحكم، ولكن بينهما بعض الاختلافات:

1. الشرعية: تشير إلى صحة وقانونية السلطة والحكم وفقًا للمعايير الدينية أو الأخلاقية. في هذا السياق، يتم تقييم صحة السلطة والحكم وفقًا للقوانين والمبادئ الدينية المعترف بها. على سبيل المثال، في الإسلام، يجب أن تتوافر الشرعية للحكم من خلال الالتزام بأحكام الشرع الإسلامي.
2. المشروعية: تشير إلى صحة وقانونية السلطة والحكم وفقًا للقوانين والأنظمة المعترف بها داخل المجتمع أو الدولة. تتحقق المشروعية عندما يتم الحكم وفقًا للدستور أو القانون الذي يضمن حقوق المواطنين ويوفر إجراءات قانونية لاتخاذ القرارات. على سبيل المثال، في الديمقراطيات ، تستند المشروعية إلى إجراءات الاستفتاء والانتخابات والقوانين التي يتم وضعها من قبل السلطات القانونية.

على الرغم من الفروق الدقيقة، فإن الشرعية والمشروعية تعبران عن نفس المفهوم الأساسي لصحة السلطة والحكم وقانونيتها، ولكن تختلف في المعايير المستخدمة لتحقيقها، حيث يتم تقييم الشرعية وفقًا للمعايير الدينية أو الأخلاقية في حين يتم تقييم المشروعية وفقًا للقوانين والأنظمة المحلية.

وسوف نستخدم مصطلح "الشرعية" للدلالة على المعنى المشترك العام.

(٢) شرعية الدولة، شرعية النظام، شرعية الحكومة

يجب التمييز بين شرعية الدولة، وشرعية النظام، وشرعية الحكومة، رغم كونها مفاهيم مترابطة.

شرعية الدولة: تشير الدولة إلى القدرة القانونية والشرعية للدولة في تنفيذ سلطتها واستخدام القوة وفرض السيادة داخل حدودها. تعتبر الشرعية الدولية والداخلية أساساً لاستقرار واستمرار الدولة.

هناك عدة طرق يمكن للدولة أن تحصل بها على الشرعية، وتشمل ما يلي:

1. الاعتراف الدولي: عندما يتم أن يعترف المجتمع الدولي بالدولة ويقبلها كعضو في المجتمع الدولي، فإن ذلك يضمن للدولة الشرعية الدولية. وعادة ما يتم الاعتراف بالدولة من قبل الدول الأخرى والمنظمات الدولية.
2. الشرعية الداخلية: تكون الشرعية الداخلية مرتبطة بقدرة الدولة على ممارسة سلطتها والسيطرة على أراضيها بطرق قانونية ودستورية. هذا يعني الامتثال للقانون والدستور، والحفاظ على النظام والأمن الداخلي، وتوفير خدمات الحكومة للمواطنين.
3. التأييد الشعبي: يعتبر التأييد والقبول من الشعب واحدة من أهم عوامل الشرعية. حيث يحتاج الحكام والحكومات إلى نيل ثقة وتأييد الشعب الذي يحكمونه، وذلك يمكن أن يتم من خلال الانتخابات الديمقراطية أو الاستفتاء الشعبي أو نظم التشريع الشعبي الأخرى.
4. القانون والدستور: يمكن للدولة أن تحصل على الشرعية من خلال الامتثال للقوانين الدولية والدستور الخاص بها. فعدم الالتزام بالقانون والدستور قد يؤدي إلى فقدان الشرعية.

تتفاعل جميع هذه العوامل وتتأثر بالظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الدولة. يجب الأخذ في الاعتبار أن الشرعية ليست شيئًا ثابتًا بل يمكن أن تتغير مع مرور الوقت والتغييرات في الظروف وتطلعات الشعب.

شرعية النظام السياسي: تشير إلى مدى قانونية وشرعية النظام السياسي نفسه. وهي تعني قبول المجتمع أو الشعب للنظام السياسي واعترافه بشرعيته وقدرته على تحقيق الحكم وتلبية احتياجات الشعب. قد يشمل هذا النظام الدستور والقوانين والمؤسسات والقيم الأساسية التي تحكم عمل الحكومة.

يتضمن هذا النظام القانون الأساسي او الدستور والمؤسسات والإجراءات التي تنظم العملية السياسية. وتعتبر هذه المفاهيم أساسية للحكومة وأية سلطات حاكمة أخرى لكونها مشروعة ومعترف بها.

تتحقق شرعية النظام عن طريق الاستفتاء العام على الدستور الذي يبين نوعية الدولة والنظام وينظم العلاقة بين الحاكمين والمحكومين وغير ذلك.

يتم اسقاط النظام اما بالاستفتاء العام، او الثورة الشعبية او الانقلاب العسكري او الغزو الاجنبي. تظاهرات تشرين اسقطت الحكومة ولم تسقط النظام.

تشير شرعية الحكومة إلى الصلاحية او التخويل او السلطة التي يتمتع بها الحاكمون في ممارسة الحكم واتخاذ القرارات وإنفاذها. يشمل هذا المفهوم الاعتراف للحكومة من قبل المواطنين والمجتمع المحلي والمجتمع الدولي. يتمتع الحكام بالشرعية في العمل كممثلين للنظام السياسي وتنفيذ سلطة الدولة.

كما تشير شرعية الحكومة إلى سلطتها وصلاحيتها الشرعية للحكم واتخاذ القرارات نيابة عن الشعب. يتوقف مستوى شرعية الحكومة على عوامل مثل التأييد الشعبي، والالتزام بالدستور وقوانين البلاد، والعدالة والشفافية في اتخاذ القرارات، بين أمور أخرى.

تتداخل هاتان النقطتان (اي شرعية النظام وشرعية الحكومة) بشكل كبير، حيث أن شرعية الحكومة يمكن أن تستند إلى شرعية النظام السياسي. على سبيل المثال، إذا كان هناك عملية انتخابية ديمقراطية تم تنظيمها بشكل صحيح وفقًا لدستور النظام السياسي، فإن الحكومة المنتخبة بشكل شرعي ستحظى بالشرعية.

ومع ذلك، يمكن أن يحدث تعارض بين شرعية النظام السياسي وشرعية الحكومة في بعض الأحيان. قد يحدث هذا في حالات عدم الاستقرار السياسي أو الصراعات أو الاحتجاجات المعارضة للحكومة. في مثل هذه الحالات، قد يستند المعارضون إلى شرعية النظام السياسي لإنكار شرعية الحكومة أو أجزاء منها.

الشرعية السياسية ضرورية لاستقرار النظام السياسي والحكومة واعتراف المجتمع بشكل عام بها وقبولها.

يجب الأخذ في الاعتبار أن المفاهيم المتعلقة بالشرعية قد تختلف من دولة لأخرى وفقاً للنظام السياسي والقانوني والثقافي لكل بلد.

(٣) الشرعية السياسية

تعبر الشرعية السياسية عن صحة وقانونية السلطة والحكم في المجال السياسي وفقًا للقوانين والأنظمة المعترف بها داخل المجتمع أو الدولة. وتعتبر الشرعية السياسية أحد الأسس الأساسية للحكم الديمقراطي والاستقرار السياسي.

تعتمد الشرعية السياسية على عدة عوامل، بما في ذلك:

1. الدستور والقانون: يتعين على السلطة والحكم أن يتماشى مع الدستور والقوانين المعتمدة في الدولة. يجب أن تلتزم السلطة بالقوانين وحقوق المواطنين المنصوص عليها في الدستور.
2. الانتخابات: يحق للشعب أن يختار من يمثله ويتولى مهام الحكم من خلال الانتخابات الديمقراطية. يعد الفوز في الانتخابات وفقًا لقوانين الانتخابات بمثابة تأكيد على الشرعية السياسية للحكومة المنتخبة.
3. الشفافية والمساءلة: يجب أن يكون هناك نظام فعال لمراقبة ومراجعة أداء الحكومة واعتماد الشفافية في اتخاذ القرارات السياسية. يعني ذلك توفير إجراءات تحقق المساءلة المناسبة للقادة السياسيين.

باختصار، تعتبر الشرعية السياسية أحد أسس الاستقرار والشراكة السلمية في المجتمعات، حيث يعمل الاعتراف بالشرعية السياسية على تعزيز الثقة بين الحكومة والشعب، وتحقيق التوازن في العلاقة بين الحكم والحكومة.

(٤) الشرعية السياسية والشرعية الانتخابية

الشرعية السياسية والشرعية الانتخابية مفاهيم مترابطة ولكن لهما معانٍ مختلفة في سياق الحكم السياسي. إليك الفرق بين الشرعية السياسية والشرعية الانتخابية:

.1الشرعية السياسية: تشير إلى صحة وقانونية السلطة والحكم في المجال السياسي وفقًا للقوانين والأنظمة المعترف بها داخل المجتمع أو الدولة. تعتبر الشرعية السياسية أحد الأسس الأساسية للحكم الديمقراطي والاستقرار السياسي. وتعتمد على الدستور والقوانين المعتمدة في الدولة، والشفافية والمساءلة.

.2 الشرعية الانتخابية: تشير إلى الشرعية التي يحصل عليها المسؤول السياسي أو الحزب السياسي من خلال الفوز في الانتخابات الديمقراطية. فوز المرشح أو الحزب في الانتخابات يعتبر تأكيدًا على قدرته على الحصول على التفويض من الناخبين وتمثيلهم في السلطة. يتم تحقيق الشرعية الانتخابية عن طريق الانتخابات النزيهة والعادلة والمعترف بها.

باختصار، الشرعية السياسية تشير إلى الصفة القانونية والشرعية العامة للحكومة والسلطة السياسية، بينما الشرعية الانتخابية تشير إلى صحة وشرعية الفوز في الانتخابات الديمقراطية. يمكن أن يكون الفوز في الانتخابات هو وسيلة للحصول على الشرعية السياسية، ولكن ليس كل من لديه الشرعية السياسية يكون له الشرعية الانتخابية.

(٥) شرعية النظام وشرعية الحكام

شرعية النظام السياسي وشرعية الحكومة مفاهيم مترابطة ويمكن أن تختلف في طبيعتها وتطبيقها. إليك الفرق بينهما:

١. شرعية النظام السياسي: تشير إلى مدى قانونية وشرعية النظام السياسي نفسه. يتضمن هذا النظام القانون الأساسي والمؤسسات والإجراءات التي تنظم العملية السياسية. وتعتبر هذه المفاهيم أساسية للحكومة وأية سلطات حاكمة أخرى لكونها مشروعة ومعترف بها. يستمد النظام شرعيته في الدول الديمقراطية الحديثة من الدستور الذي يحظى بقبول اغلبية الناس به عن طريق الاستفتاء العام (مع استثناء حالة بريطانيا التي لا تملك دستورا مكتوبا)

.2شرعية الحكومة: تشير إلى الشرعية التي يتمتع بها الحاكمون في ممارسة السلطة واتخاذ القرارات وإنفاذها. يشمل هذا المفهوم الاعتراف المشروع للحكومة من قبل المواطنين والمجتمع المحلي والمجتمع الدولي. يتمتع الحكام بالشرعية في العمل كممثلين للنظام السياسي وتنفيذ سلطة الدولة.

تتداخل هاتان النقطتان بشكل كبير، حيث أن شرعية الحكومة يمكن أن تستند إلى شرعية النظام السياسي. على سبيل المثال، إذا كان هناك عملية انتخابية ديمقراطية تم تنظيمها بشكل صحيح وفقًا لدستور النظام السياسي، فإن الحكومة المنتخبة بشكل شرعي ستحظى بالشرعية.

ومع ذلك، يمكن أن يحدث تعارض بين شرعية النظام السياسي وشرعية الحكومة في بعض الأحيان. قد يحدث هذا في حالات عدم الاستقرار السياسي أو الصراعات أو الاحتجاجات المعارضة للحكومة. في مثل هذه الحالات، قد يستند المعارضون إلى شرعية النظام السياسي لإنكار شرعية الحكومة أو أجزاء منها.

الشرعية السياسية ضرورية لاستقرار النظام السياسي والحكومة واعتراف المجتمع بشكل عام بها وقبولها.

(٦) شرعية التمثيل وشرعية الانجاز

في النظام السياسي، شرعية التمثيل وشرعية الانجاز نمطان مختلفان لتحقيق الشرعية السياسية. هنا هو الفرق بينهما:

.1الشرعية التمثيلية: تشير إلى شرعية الحكومة أو النظام السياسي بناءً على قاعدة أن الحكام يتمتعون بالشرعية بوكالة الشعب. يحق للحكومة أو النظام السياسي الحكم واتخاذ القرارات نيابة عن الشعب وفقًا للدستور والقوانين. وعادة ما يمارس الحكام صلاحياتهم بالشرعية التمثيلية عن طريق الانتخابات أو البرلمان أو آليات أخرى تم تنصيبها بشكل قانوني. يحرص الحكام على توسيع نطاق الشرعية التمثيلية عن طريق حث الناخبين على المشاركة الواسعة في الانتخابات. قلة عدد الناخبين (الاغلبية البسيطة) تضعف موقف الحكام، لكن لا تخل بشرعيتهم.

.2الشرعية الانجازية: تتعلق بشرعية الحكومة أو النظام السياسي بناءً على قاعدة تحقيقها لنتائج وإنجازات محددة وفعالة. يعتبر تحقيق النجاحات والتقدم الاقتصادي والاجتماعي وتحقيق الأهداف المشتركة مؤشرًا على الشرعية الانجازية. في هذا السياق، يمكن أن يتم تقييم الحكومة أو النظام السياسي بمدى قدرتها على تحقيق الرفاهية والعدالة الاجتماعية وتلبية احتياجات المجتمع. ضعف شرعية الانجاز قد يحول موقف الناس الى معارضة الحكام، وربما الى حصول تحركات اجتماعية مضادة للحكومة.

الفرق بين الشرعية التمثيلية والشرعية الانجازية يكمن في مصدر الشرعية. في الشرعية التمثيلية، يتم تمييز الشرعية من قبل الشعب وإيفاء النظام السياسي بمتطلبات الديمقراطية. أما في الشرعية الانجازية، فإن الشرعية تعتمد على إنجازات الحكومة والنظام السياسي في تحقيق التقدم والتحسين في الحياة العامة.

قد يتعارض المصطلحان في بعض الأحيان، حيث يمكن أن يكون لديك نظام سياسي يعتمد بشكل كبير على الشرعية التمثيلية دون تحقيق نتائج فعالة، وبالعكس يمكن أن يكون هناك نظام سياسي بنظرة شرعية إنجازية قوية ولكن قد يفتقر إلى الشرعية التمثيلية الشاملة.

الشرعية التمثيلية والشرعية الانجازية هما جوانب مختلفة تساهم في إرساء أسس نظام سياسي شرعي وقادر على خدمة المصالح العامة للمجتمع.

(٧) الشرعية السياسية

الشرعية السياسية والشرعية الدينية: الشرعية الدينية والشرعية السياسية مفهومان مختلفان. إليك الفرق بينهما:

.1الشرعية الدينية: تشير إلى الشرعية التي تستند إلى المبادئ والقيم الدينية. يعتقد الأتباع والمؤمنون أن الشرعية الدينية تستند إلى إرادة الله وتوجيهاته التي تم الكشف عنها في الكتب المقدسة والتعاليم الدينية. والقوانين والأنظمة القائمة يتم قياسها وتقييمها بموجب هذه الشرعية. نلاحظ ان الكتب الفقهية تستخدم عبارة "الحاكم الشرعي" اي الحاكم الذي يتولى تطبيق الاحكام الدينية.

.2الشرعية السياسية: تشير إلى الشرعية التي تستند إلى الأسس والقوانين السياسية المعترف بها في إطار مجتمع معين. تعد الشرعية السياسية قاعدة لشرعية السلطة والحكم، وتتطلب قبول واعتراف المجتمع بقوانين وأنظمة الحكم بموجب اتفاق دستوري أو قوانين تشريعية.

في بعض الأحيان، يتداخل الأثر الديني في الشرعية السياسية، حيث يستخدم الدين كمصدر لتأييد السلطة السياسية وشرعية الحكم. وفي بعض الحالات، يمكن أن تستند الشرعية السياسية بشكل كبير على المصالح القومية والاقتصادية والاجتماعية بدلاً من الشرعية الدينية.

ومع ذلك، يجب الانتباه إلى أن الشرعية السياسية تتطلب أيضًا الاعتراف بالشرعية القانونية والدستورية والشرعية التأسيسية للنظام السياسي المعترف به من قبل المجتمع والمشاركين وقادة الحكومة.
بشكل عام، يجب أن تتوفر كلتا الشرعيتين في المجتمعات المتدينة لتحقيق الاستقرار والشراكة السلمية في المجتمع. وتنعكس الفروق بينهما في الأهداف والقيم المستثناة ومصدر الشرعية وطرق تطبيقها.
الشرعية الثورية والشرعية الدستورية: الشرعية الثورية والشرعية الدستورية مفاهيم تتعلق بالسلطة والحكم وتطبيق القوانين. إليك الفرق بينهما:
1. الشرعية الثورية: تشير إلى شرعية السلطة والحكم التي تم الحصول عليها عن طريق الثورة أو الانتفاضة ضد النظام القائم بشكل غير قانوني. يتم تحقيق الشرعية الثورية بشكل عام عن طريق استخدام القوة والعنف للإطاحة بالحكومة وتأسيس نظام جديد. تعتمد الشرعية الثورية على مبادئ العدالة والحرية والمساواة ويكون للشعب صوت قوي في صنع القرارات السياسية.
2. الشرعية الدستورية: تشير إلى شرعية السلطة والحكم التي تستند إلى الدستور أو القانون الأساسي للبلد. تعترف الشرعية الدستورية بأن هناك قواعد وإجراءات يجب اتباعها لاكتساب وممارسة السلطة الحكومية بشكل قانوني وشرعي. يقوم الدستور بتوزيع السلطات وتحديد حقوق وواجبات المواطنين وضمان حكم القانون والاستقرار السياسي.
في حالة الشرعية الثورية، يتم إزاحة النظام الحاكم بشكل قوي وعادة ما تنشأ حكومة مؤقتة أو ثورية لتولي السلطة قبل استقرار الحكومة الدائمة على أسس دستورية جديدة.
بينما في الشرعية الدستورية، يتم تحديد السلطة والحكم بشكل قانوني ومؤسسي وفقًا للدستور والقوانين المعترف بها، وتتطلب أن تكون السلطة والحكم مشروعة ومقبولة بواسطة المجتمع.
على الرغم من الاختلافات، يمكن أن تتطور الشرعية الثورية إلى الشرعية الدستورية عندما يتم إقامة نظام حكم دائم يستند إلى الدستور والمؤسسات القانونية. ومع ذلك، يجب أن تحترم الشرعية الدستورية حقوق المواطنين وتكرس سيادة القانون والديمقراطية، بينما يجب أن تكون الشرعية الثورية منصة للتغيير الشامل ولإصلاحات جذرية.
الديمقراطية والاوتوقراطية الانتخابية: الديمقراطية والأوتوقراطية الانتخابية نمطان مختلفان من الحكم السياسي. إليك الفروق بين الديمقراطية والأوتوقراطية الانتخابية:
1. الديمقراطية: هي نظام حكم يعتمد على مشاركة الشعب في صنع القرارات السياسية. يتم ذلك من خلال حق الناخبين في اختيار ممثليهم في الحكومة عن طريق الانتخابات العادلة والحرة. في الديمقراطية، يتم منح الشعب الحق في التعبير عن آرائه واختيار ممثليه من بين العديد من الخيارات المتاحة. بمعنى آخر، يتم تحقيق الشرعية السياسية من خلال إرادة الشعب وقدرته على تحويلها إلى حكومة منتخبة.
2. الأوتوقراطية الانتخابية: هي نظام حكم يعتمد على القائد أو الزعيم الذي يتم اختياره بواسطة الانتخابات، ولكن دون الحاجة إلى المشاركة الفعلية للشعب في صنع القرارات السياسية. في هذا النوع من الحكم، يتمكن الزعيم المنتخب من اتخاذ القرارات بدون تدخل من الشعب أو مساءلته. يكون القائد هو المسؤول الوحيد عن اتخاذ القرارات وتنفيذها في الدولة. لذلك، الشرعية السياسية في الأوتوقراطية الانتخابية تنطوي على الانتخابات فقط، دون توفير المشاركة الفعلية للشعب في صنع القرارات.

(٨) الوضع في العراق

الوضع في العراق ملتبس. فلا اشكال في شرعية النظام السياسي المنبثق من الدستور. النظام السياسي هو الدستور، ما فيه وما يتفرع منه. او قل ان النظام السياسي ينبثق من الدستور و يستمد شرعيته من الدستور. والدستور يستمد شرعيته من الاستفتاء العام. فاذا صوتت اغلبية الناخبين على الدستور اصبح الدستور شرعيا ومشروعا. في عام ٢٠٠٥ صوت اغلبية الناخبين العراقيين لصالح الدستور، بما فيها المادة)١٤٤(التي تقول:"يعد هذا الدستور نافذاً بعد موافقة الشعب عليه بالاستفتاء العام ونشره في الجريدة الرسمية". والدستور يقول: ان دولة العراق "نظام الحكم فيها جمهوري نيابي)برلماني (ديمقراطي". قضي الامر فيما يتعلق بهذه النقطة.

شرعية الحكومة امر اخر. انها شرعية تستند الى الانتخابات الدورية، وذات ولاية محددة باربع سنوات. انها عبارة عن التخويل المعطى من الناخبين او من البرلمان الى شخص بعينه او حزب بعينه او مجموعة افراد بعينهم (الوزراء) للحكم وادارة شؤون البلاد لفترة محددة.

يستطيع الشعب ان يسقط الحكومة بالانتخابات القادمة، او بسحب الثقة منها في البرلمان، او حتى بالضغط عليها عن طريق التظاهرات والاعتصامات الخ لاجبارها على الاستقالة، كما حصل لحكومة عادل عبد المهدي، التي سقطت بسبب تظاهرات تشرين. لكن سقوط الحكومة لم يؤدي الى اسقاط النظام نفسه. ولكل من هذه الخيارات كلفته وحسناته وسيئاته.

لا اشكال في وجود ثغرات ونواقص في الدستور، ولا شك في وجود ممارسات ومظاهر توصف بانها ديمقراطية مثل الانتخابات الدورية وحرية ممارسة العمل السياسي وتشكيل الاحزاب وحرية الاعلام. ولهذا كانت الاوساط الاكاديمية العالمية تصف النظام السياسي في البداية بانه ديمقراطي. لكن تصرفات الحاكمين منذ عام ٢٠٠٣ الى اليوم (المحاصصة والفساد وتدني مستوى الاداء) ادت الى الغاء الصفة الديمقراطية تدريجيا حتى صارت نفس الاوساط الاكاديمية العالمية تصف الحالة في العراق بانها اوتوقراطية انتخابية. ومعناها انحصار السلطة بعدد دائم وقليل من الاشخاص بغطاء انتخابي، وبعضهم غير منتخبين اصلا. وازاء هذه الحالة قد ينقسم الناس الى ثلاثة اقسام: الناس غير المبالين وغير المكترثين، الناس الذين يتقبلون هذا الوضع بسلبياته وايجابياته، الناس الذين يريدون تغيير الوضع الراهن واقامة حكومة ديمقراطية حقيقية وكفوءة وقادرة فعلا على تحسين نوعية الحياة ومحاربة الفساد وتعزيز الديمقراطية. حتى الان لا يعتبر اي قسم من هؤلاء لاعبا اساسيا في المسرح السياسي، لان اللاعب الوحيد هم الاوتوقراطيون المتلحفون بالانتخابات الماسكون بزمام السلطة والمال (والسلاح احيانا).

وبناءً على العناصر المشار إليها، يمكن القول إن النظام السياسي العراقي الحالي اقرب إلى الاوتوقراطية الانتخابية electoral autocracy. هذا يعني أن هناك نظامًا انتخابيًا يتم عبره اختيار الحكومة ومجلس النواب. ومع ذلك، لا يزال هناك قوى سياسية وشخصيات مهمة تمارس سيطرة كبيرة على السلطة والقرارات الحاسمة في البلاد، مما يلقي بظلال على مدى التمثيل الشامل والحريات السياسية المضمونة. اضافة الى اتباع طريقة المحاصصة السياسية والطائفية التي كانت مرتعا خصبا للفساد السياسي والاداري والتالي، وبالتالي سوء الاداء وتدني الخدمات. واذا كانت "المرجعية الدينية" ضمير الامة، فان المرجعية غير راضية عن اداء حكومات هذا النظام السياسي. وكان اخر تعبير عن موقف المرجعية الدينية ما قاله السيد السيستاني عند استقباله عدد من المواطنين من أهالي منطقة الجادرية الذين سبق أن ظهروا في وسائل الإعلام واشتكوا مما يتعرضون له من ضغط وتهديد للتخلي عن أراضيهم لصالح بعض الجهات حيث "ادان سماحته هذه الممارسات المخالفة للشرع والقانون، مؤكداً أن من أهم واجبات من هم في مواقع السلطة وبيدهم زمام أمور البلد هو حماية ممتلكات المواطنين وحقوقهم، والوقوف في وجه من يسعون في التعدي عليها بالإرعاب والتخويف ولا سيما من يحملون صفات رسمية" كما قال بيان رسمي لمكتب سماحته.

والسؤال المطروح الان: هل المطلوب الان تغيير النظام السياسي ام تطويره؟
رأيان: الاول يقول باسقاطه، والثاني يقول بتطويره ولكل رأي اسبابه وحججه.
علما ان اسقاط النظام السياسي يكون باحدى الطرق التالية: الثورة الشعبية، الانقلاب العسكري، التحلل والسقوط من داخل النظام، الغزو الخارجي.
اما تطويره فيتم عن الطريق الدستوري الديمقراطي عن طريق الانتخابات.
برأيي ان تطوير النظام السياسي افضل من اسقاطه للاسباب التالية:
السبب الاول لان تطوير النظام اقل كلفه من اسقاط النظام باحدى الطرق المذكورة.
والسبب الثاني لان هناك عناصر متوفرة حاليا يمكن الاستناد اليها في تطوير النظام اهمها الدستور الحالي. والدستور الحالي يتمتع بميزتين، الاولى انه دستور مصادق عليه شعبيا. فهو شرعي. والثانية ان هذا الدستور رغم عيوبه وثغراته فانه يحتوي على نقاط ايجابية (خاصة المادة الاولى والثانية و الباب الثاني وغير ذلك) يمكن تفعيلها واستثمارها لتطوير النظام السياسي. وهذا يحيلنا الى الانتخابات التي يمكن استخدامها مرة ومرتين وثلاث .. الخ الى ان يحصل التطوير والتغيير. وهذا كله اقل كلفة من الثورة الشعبية، او الانقلاب العسكري، او الغزو الخارجي، او التحلل الذاتي.
هذا على ان يكون نموذج التطوير وهدفه هو اقامة الدولة الحضارية الحديثة.

فصل
الديمقراطية

حين ترجم العرب كتب افلاطون وارسطو التي وردت فيها كلمة الديمقراطية ومشتقاتها الى اللغة العربية، فانهم لم يعربوا الكلمة، ولم يحافظوا عليها كما هي، كما نفعل اليوم مع الكثير من الكلمات المستوردة مثل تلفزيون وما شابه، انما ترجموها الى ما فهموه من معناها انذاك. وكانت عبارة "المدينة الجماعية "هي البديل العربي لكلمة الديمقراطية. ولم تكن كلمة الديمقراطية موجودة باللغة العربية، ولم نجدها في اي نص عربي قديم، وهذا ما دفع المترجمين العرب القدماء الى ترجمة الكلمة الى معنى قريب لها باللغة العربية. ومعه، فلا معنى لقول البعض بان الكلمة عربية الاصل، كما زعم بعض الباحثين.

الف ابو نصر الفارابي 339-257)هـ (كتابه "السياسة المدنية "عام 337هـ، وقال فيه":فاما المدينة الجماعية فهي المدينة التي كل واحد من اهلها مطلق مخلى لنفسه يعمل مايشاء، واهلها متساوون وتكون سنتهم ان لافضل لانسان على انسان في شيء اصلا، ويكون اهلها احرارا يعملون ما شاؤوا، ولا يكون لأحد منهم على احد منهم ولا من غيرهم سلطان الا ان يعمل ما تزول به حريتهم. فتحدث فيهم اخلاق كثيرة وهمم كثيرة وشهوات كثيرة والتذاذ باشياء كثيرة لا تحصى كثرة. ويكون اهلها طوائف كثيرة متشابهة ومتباينة لا تحصى كثرة. فتجتمع في هذه المدينة تلك التي كانت متفرقة في تلك المدن كلها-الخسيس منها والشريف -وتكون الرئاسات باي شيء اتفق من سائر تلك الاشياء التي ذكرناها. ويكون جمهورها الذين ليست لهم ما للرؤساء مسلطين على اولئك الذين يقال فيهم انهم رؤساؤهم ويكون من يرأسهم انما يرأسهم بارادة المرؤوسين، ويكون رؤساؤهم على هوى المروؤسين، واذا استقصي امرهم لم يكن فيهم في الحقيقة لا رئيس ولا مرؤوس ".

و الف ابن رشد)توفي ٥٩٥ هـ (كتاب "تلخيص السياسة "في وقت ما بين سنة 569هـ و 572هـ 1173/1176=)م (وهو عبارة عن ترجمة مختارة وبتصرف لكتاب "الجمهورية "لأفلاطون. وحين ترجم لنصوص افلاطون المتعلقة بالديمقراطية، استخدم مصطلح "السياسة الجماعية"، وعنها قال":واما الاجتماع القائم على السياسة الجماعية فغايته ان يكون الفرد فيه حرا من اي قيد، وهذا يعني ان المرء يفعل اي شيء ترغب فيه نفسه وتقوده اليه "

ويفترض ان يكون هذان النصان مقتبسين بتصرف من كتاب "الجمهورية "لافلاطون الذي تحدث فيه عن الحكم الديمقراطي، من بين اشكال الحكم الاخرى التي تحدث عنها .

وربما غاب عن المترجمين والكتاب العرب انذاك السياق التاريخي الذي دون فيه افلاطون ملاحظاته على الديمقراطية.

فقد كتب افلاطون هذه الملاحظات النقدية في وقت كان يشهد فيه اضمحلال الديمقراطية الاثينية وانحدارها، بل ما يمكن اعتبارها سقوطها الاخلاقي باصدارها الحكم بالاعدام على سقراط، استاذ افلاطون . فاذا كان الديمقراطية تعني حكم الاغلبية، فان سقراط ادين من قبل محكمة شعبية مؤلفة من 500مواطن، اصدرت عليه الحكم بالاغلبية بالادانة بتهمة افساد الشباب وتسفيه الهة المدينة عام 399ق م.

وربما كان عدم تعريب كلمة الديمقراطية، وعدم دخولها القاموس العربي منذ ذلك الحين والى وقت قريب، سببا من اسباب بقاء الكلمة وما تنطوي عليه من معان، غريبة على الذهنية العربية، والذائقة اللغوية والسياسية العربية.

ولعل العكس كان سوف يحصل لو ان المترجم العربي الاول اثر ان يبقي الكلمة كما هي ولم يترجمها الى ما تصوره معناها، اي الحكم الجماعي او المدينة الجماعية.

ولهذا غابت هذه الكلمة عن المعاجم العربية التقليدية مثل لسان العرب، ومقاييس اللغة، والصحاح في اللغة، والقاموس المحيط، والعباب الزاخر. وحين تبحث في هذه القواميس والمراجع عن كلمة الديمقراطية يأتيك الجواب":لا توجد كلمات او تعابير مطابقة او ذات صلة "!

ولم تتم استعارة المصطلح حتى القرن التاسع عشر، ولم ينقل عن اليونانية مباشرة ، انما عن الانجليزية او الفرنسية. وكان هذا من اسباب غياب الديمقراطية عن الفكر العربي، وغربة المصطلح والفكرة لأكثر من الف سنة، حتى حصل الاحتكاك بين الغرب والعالم العربي والاسلامي، بعد الثورة الفرنسية عام 1789، لتكون الفكرة الديمقراطية في تصور العرب والمسلمين، فكرة غربية ومصطلحا اجنبيا، لا يصح القول بهما، بل واعتبار القول بهما من نتائج الغزو الفكري الغربي للعالم الاسلامي. ولعل هذا من اسباب عدم تقبل العرب والمسلمين عموما للديمقراطية.

كما غاب عن الجميع، الى وقت متأخر جدا، ان الديمقراطية اختراع عراقي قديم يضاف الى قائمة المخترعات الاولى المنسوبة عن حق الى الحضارة السومرية أولى الحضارات البشرية بعد الطوفان الذي حصل في العراق في عهد النبي نوح عليه السلام.

ولعل الباحث الاميركي ثوركيلد جاكوبسون، وفي حدود اطلاعي المتواضع، هو اول من اشار الى الجذور العراقية للديمقراطية، ما ينفي نسبتها الشائعة في الكتب المدرسية الى اثينا. وهذا ما يستحق ان نفخر به كون بلدنا مهد الحضارة الانسانية في مختلف جوانبها.

فقد نشر جاكوبسون بحثا قيما في العدد ٣ المجلد ١١ من مجلة دراسات الشرق الادنى الصادر في ١٩٤٣، اي قبل ٧٦ سنة، حول ما سماه "الديمقراطية البدائية في وادي الرافدين ."ولنا ان نتحفظ كثيرا على المصطلح، فقد كان الاجدر فيه ان يكون بدايات الديمقراطية في العراق. والفرق كبير بين مصطلحي "الديمقراطية البدائية "و "بدايات الديمقراطية "حيث لا نعرف بداية للديمقراطية في العالم غير ما نعرفه عنها في العراق.

يقول جاكوبسون: توجد مؤشرات توضح ان العراق القديم في عصر ما قبل التاريخ كان منظما من الناحية السياسية وفقا للقواعد الديمقراطية، على عكس ما ال اليه الحال في المراحل التالية حيث كان الحكم فيها اوتوقراطيا.

وذكر ان الادلة الموجودة توضح ان الشؤون العامة كانت تدار من قبل مجلس الكبار لكن السيادة العليا كانت تتمثل في مجلس عام مؤلف من الذكور البالغين الاحرار. يقوم هذا المجلس بحل النزاعات التي تحصل في المجتمع، ويتخذ القرارات في الامور المهمة مثل الحرب والسلام، وكان بمقدوره اذا تطلب الامر ان يفوض احد اعضائه السلطة العليا.

وفي عام ٢٠٠٩ نشر الباحث جون كين كتابه الضخم "حياة وموت الديمقراطية "الذي استغرق تأليفه عشر سنوات من البحث والتنقيب حتى توصل الى ان الديمقراطية مرت بثلاث مراحل هي:

مرحلة الديمقراطية المجلسية التي وُلدت في العراق القديم. ومرحلة الديمقراطية التمثيلية التي ولدت في اسبانيا اثناء ما يسمى بحرب الاسترداد بين العرب المسلمين والإسبان المسيحيين. والديمقراطية التمثيلية التي ولدت بعد الحرب العالمية الثانية.

يرد جون كين دعوى اليونانيين من ان الإغريق هم الذين اخترعوا الديمقراطية، وان كلمة dmokratia هي كلمة إغريقية الأصل. بل يقول ان اصل هذا المصطلح وأين استخدم للمرة الاولى مازال غامضا لكنه يؤكد في نفس الوقت ان المصطلح ليس اختراعا إغريقيا. ويقول انه بالامكان تتبع جذور الكلمة الى عصور سبقت تعود الى نصوص ما يعرف بالكتابة الخطية ب Linear B التي كانت مستخدمة في الحضارة الميسينية، قبل سبعة الى عشرة قرون، الى حضارة العصر البرونزي المتأخرة)١٥٠٠-١٢٠٠ (قبل الميلاد. وليس من الواضح متى بدأ الميسينيون بدأوا باستخدام كلمة (dmos)التي تعني الناس، ولا كلمة (damokoi)التي تعني الموظف الذي يعمل بالنيابة عن الناس.وليس من الواضح ايضا فيما اذا كانت هاتين الكلمتين تعودان الى الى الكلمة السومرية dumuالتي تعني السكان او الابناء او الأطفال.

ويزداد الامر غموضا مع الاكتشافات الحديثة التي تؤكد ان ظاهرة الممارسة الديمقراطية للحكم عن طريق المجالس هي الاخرى ليست ابتكارا يونانيا. فقد عرفت هذه الممارسة في المناطق التي تشمل العراق وسوريا وإيران، ثم انتقلت الى الهند بعد عام ١٥٠٠ ق م ، ثم انتقلت الى المدن الفينيقية في ببلوس وصيدا، قبل ان تظهر في اثينا في القرن الخامس قبل الميلاد. وانا اتفق مع ملاحظة جون كين من ان هذه التطورات تؤكد ان البشر قادرون على ابتكار مؤسسات مصممة خصيصا لتمكينهم من اتخاذ القرارات لأنفسهم وبأنفسهم، اذا لولا هذه القدرة المودعة في الانسان لما استخلفه الله في الارض، ولما قبل حمل الإمانة حينما عرضها الله على السماوات والأرض والانسان، فقبلها الانسان، وحده.

ومع ابتكار السومريين لنظام الحكم عن طريق المجالس الشعبية حوالي سنة ٢٥٠٠ ق م بدأت الحقبة الاولى للديمقراطية والتي انتشرت في المنطقة المسماة اليوم بالشرق الأوسط التي يقع العراق في قلبها وامتدت لاحقا لتشمل اثينا وروما في القرن الخامس قبل الميلاد لتعني "الحكم الشرعي للمجلس المؤلف من المواطنين الذكور " دون ان تشمل النساء والعبيد و "الأجانب "الذين كانوا يؤلفون الأغلبية من سكان اثينا.

وشهدت هذه الفترة ابتكارات سوف تعتبر فيما بعد عناصر حيوية للديمقراطية. ويسجل جون كين ان العديد من هذه الابتكارات حدثت في العالم الاسلامي، مثل الوقف، فيما علماء الاسلام اللغة القديمة للديمقراطية وأكد على الفضائل المشتركة مثل التسامح والاحترام المتبادل والتعامل مع الطبيعة بشغف. وفات كين ان يذكر ان العمود الفقري لكل ذلك هو اعلان الاسلام ان الانسان هو خليفة الله في الارض، اضافة الى تأكيده على مفهوم الشورى الذي ربما كان امتدادا لفكرة المجالس الشعبية الحاكمة في دول المدن السومرية. ولا غرو في ذلك حيث ان الكتابات السومرية تعلن ان "الملوكية هبطت من السماء "ما يكشف عن اعتقاد بان هذا النظام من الحكم ذو مصدر سماوي =)الهي.(

الديمقراطية التمثيلية

حوالي القرن الحادي العاشر-الثاني عشر بدأت الديمقراطية المرحلة الثانية في تطورها العالمي والتاريخي، بظهور الديمقراطية التمثيلية ، كناتج عرضي للاحتكاك العسكري بين الحضارة الاسلامية والغرب في اسبانيا والذي ادى الى ابتكار هذا النوع من الديمقراطية حيث كان الملك الفونسو التاسع Alfonso IX of León (1171-1230)بحاجة الى المال والرجال لمواصلة حروبه مع المسلمين،فطلب منه السكان المشاركة في الحكم والقرار مقابل الحرب والمال .كان الفونسو التاسع ملكا متنورا، فوافق على طلبات الناس، وهكذااجتمع في عام 1188اول برلمان تمثيلي في اوروبا في مدينة ليون. اما مفهوم التمثيل نفسه فربما كان Marquis d' Arganson اولمن استخدمه عام ١٧٦٥ في معرضة حديثه عن الديمقراطية في عهدلويس الخامس عشر.

في هذا التاريخ التقريبي بدأت ايضا بوادر الديمقراطية في بريطانيا. في عهد اثليستان العظيم Athelstan الذي حكم انكلترا من عام 924الى عام 939، وضع في عام 930اول مجموعة قوانين شاملة. وفي عام 1070وضع وليم الفاتح القوانين الاساسية، وفي عهد هنري الثاني الذي حكم من 1154الى 1189وضع الوثيقة التي حدت من سيطرة رجال الدين على النظام القضائي. وفي عام 1215تم وضع الماجناكارتا.

لانكلترا تاريخ طويل وعريق لهيئات تساعد الملك في القضايا المهمة،منذ الملوك الانكلو ساكسونيين، مثل مجلس الحكماء Witenagemotالذي استبدله لاحقا الملك وليم الاول William I بمجلس الملك Curia Regis.طبعا كانت عضوية هذا المجلس محصورة بالرؤساء، والنبلاء اصحاب الممتلكات الكبيرة. كانوا اشبه بمجلس الحل والعقد الذي يتحدث عنه الفقه الاسلامي .اول برلمان انكليزي عقد في عام 1265في عهد الملك هنري الثالث.

الملك ادوارد الاول دعا النبلاء وقادة الكنيسة الى الاجتماع لمناقشة قضايا الحكم. عقد في عام 1295اجتماع سمي البرلمان النموذجيModel Parliament، لأنه ارسى النموذج البرلماني البريطاني. الجديد في

البرلمان الجديد هو وجود اعضاء من عامة الشعب فيه،حصلوا على العضوية بفعل الانتخاب من قبل الناس. في عام 1307وافق الملك ادوارد الاول على عدم فرض ضرائب جديدة بدون رضاالناس. قبل ذلك، في عام 1215اجبر الملك جون على توقيع الماكناكارتا Magna Cartaالتي نصت على ان الملك لن يفرض ضرائب بدون موافقة المجلس. البرلمان الحديث يعود في اصوله الى البرلمانالذي شكلته هذه الوثيقة. اما اول برلمان بريطاني فقد شكل في عام 1707بعد توقيع وثيقة الاتحاد . اول برلمان فرنسي عقد في عام 1307 وكان يعرف ببرلمان باريس.

بغض النظر عن التعريفات القاموسية للديمقراطية، فانه ما يمكن القول بشأن مضمونها وجوهرها انها تعبير عن "سيادة الانسان ."هذه السيادة المعطاة له من قبل خالقه الانسان، اذا كان القارئ مؤمنا بالله، او المعطاة له بحكم الخلقة والطبيعة، اذا لم يكن مؤمنا بالله الخالق. على القولين، يكون الانسان سيدا، حرا، يملك حق تقرير مصيره بنفسه، وهو آمر على نفسه، وعلى الكون من حوله، لكنه ليس وليا على غيره من بني جنسه، الا باستثناء، كولاية الاب على ابنه، او تفويض وانابة وتوكيل.
وقد تجنبتُ، متعمدا استخدام مصطلحي "سيادة الشعب"، او "سيادة الامة"، بسبب الالتباس الذي قد يثيره هذا المصطلحان في ذهن القارئ غير المتخصص. فالعبرة في هذا المقام هي ان السيادة أُسندت للانسان. والفعل "اسندت "مبني للمجهول لكي اترك القارئ حرا في تصور مصدر هذا الاسناد، هل هو الله، ام الطبيعة.
من خلال التأمل بالمجتمعات الديمقراطية القائمة الان، مثل الهند وبريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا وغيرها، يمكن القول ان الديمقراطية هي ذلك الوضع العام الذي يتيح للافراد/المواطنين المشاركة الايجابية والسلمية وبشكل متكافئ)عادل (في اتخاذ القرارات المتعلقة بحياتهم بحرية وامان، وبكافة الوسائل والاليات التي يتوافق عليها المجتمع بموجب القانون.
يقول السير ارثر لويس (1991-1915)في كتابه "السياسة في غرب افريقيا (1965) "ان المعنى الاول للديمقراطي يعني ان كل اولئك الذين يتأثرون بقرار ما يجب ان يمنحوا الفرصة للمشاركة في اتخاذ ذلك القرار اما بصورة مباشرة او عبر ممثليهم المنتخبين ".
ان الديمقراطية هي ذلك الشكل من الحكومة التي يكون لكل الناس، بالتساوي، الحق في ان يكون لهم رأي في اتخاذ القرارات التي تؤثر على حياتهم. وهذا يشمل الحق المتساوي في المشاركة في اقتراح وتطور وتمرير مشاريع القوانين.
وهذا فهم للديمقراطية ينسجم مع قول العلامة جود الذي نقله عنه خالد محمد خالد :(1954)ان الديمقراطية هي الحكومة التي للمواطن الفرصة في ان يشترك عن طريق المناقشة لنصل الى اتفاق بصدد ما يجب ان يعمل لصالح الجميع.
انني اميل في هذه النظرة الى مفهوم الديمقراطية الى الاتفاق مع نظرة العالم الفرنسي الكسيس دي توكفيل (1859-1805)، صاحب الكتاب الشهير "الديمقراطية في اميركا "الذي نشر جزأه الاول عام 1835وجزأه الثاني عام 1840وتحدث فيه عن الديمقراطية بوصفها "واقعا اجتماعيا "اكثر من كونها نظاما سياسيا فقط. وهو المفهوم الذي علق عليه ايريك كيسلاسي بقوله":لا يجب ان ننظر الى الديمقراطية على انها نظام سياسي فقط. فالديمقراطية، حسب توكفيل، تميل اكثر الى ان تكون واقعا اجتماعيا، بمعنى انها تحدد طبيعة العلاقات الاجتماعية بين المواطنين ".
ويشرح توكفيل كيف اصبحت الديمقراطية واقعا اجتماعيا في اميركا بقوله على سبيل المثال، "تغلغلت الديمقراطية شيئا فشيئا في عاداتهم وارائهم واشكال علاقاتهم الاجتماعية، حتى صارت تتجلى في جزئيات حياتهم اليومية، كما تتجلى في قوانينهم ".انها واقع تتداخل فيه العادات والتقاليد والافكار والدين والقوانين والمصالح الفردية والاجتماعية، وتتفاعل، لتنتج في نهاية المطاف واقعا يوصف بانه ديمقراطي، بسبب انه اتاح للجميع المشاركة بحرية وعلى قدم المساواة وامان باتخاذ القرارات التي تهم المجموع وتؤثر على حياة الافراد.

تسأل اي مواطني بريطاني او غربي، كما تسأل اي عضو في مجلس اللوردات، وربما لو سألت الملكة ايضا، عن معنى الديمقراطية في لغتهم، لقالوا لك انها مشاركة الناس في صياغة حياتهم وادارة شؤون دولتهم وتشريع قوانينهم، طبعا بما في ذلك المشاركة في الانتخابات او الترشيح فيها.

لا يحتاج الغربي الى دراسة قواميس اللغة وموسوعات الفكر السياسي لكي يفهم معنى الديمقراطية. يقول دوغلاس فيث، وكيل وزير الدفاع الاميركي لشؤون السياسة، منذ عام 2002 الى عام 2005، ان "العمل ضمن القانون واقتسام الخلافات وتقبل ادارة الاكثرية، عادات نمارسها، نحن الغربيين، كتحصيل حاصل لأنها مندمجة في تفكيرنا ونشاطنا منذ الصغر ".قال هذا في سياق قوله ان العراقيين "سوف يطورون ثقافة سياسية باعتماد التسويات ويمارسون كجماعة انواع المفاوضات والتسويات المتبادلة التي تدعم الحكومة الديمقراطية الناجحة ."

ولفهم هذا التعريف نحتاج الى تفكيكه الى عناصره الاولية الثلاثة وهي: الوضع العام، والقائمون بالمشاركة، و المشاركة نفسها) :موضوعها، وخصائصها وتسويغها واشكاله وضماناتها وقيودها ومستلزماتها وربما غير ذلك من التفاصيل.(

اولا، الوضع العام

الوضع العام يعني حالة في المجتمع، تشمل العوامل المؤثرة في اعمال المواطنين ذات العلاقة بالشأن العام. وهي عوامل متعددة ومتنوعة ومختلفة ومتغيرة، اقتصادية وقانونية واجتماعية وثقافية وغير ذلك. وعبارة "وضع عام "اشمل واعم من كلمة نظام.

كما ان الوضع العام قابل للتنوع. فقد نجد الديمقراطية في ظل نظام ملكي، واخر جمهوري، وثالث اسلامي. كما نجدها في ظل نظام رئاسي، واخر برلماني. ويمكن ان تزدهر الديمقراطية في ظل نظام الحزبين او الاحزاب الكثيرة. لكن لا يمكن تصورها في ظل نظام الحزب الواحد، او الدولة الايديولوجية الصارمة، او الحاكم المستبد.

الديمقراطية حالة عامة في المجتمع، تجدها في اعلى مستويات الدولة، كما تجدها في منظمة صغيرة، مرورا بكل اشكال التنظيمات في المجتمع.

ومع وصفها بانها" وضع عام"، الا ان الديمقراطية تقوم على التنوع والاختلاف. فلسنا نتوقع ان تتوحد اراء كل الافراد والمواطنين ازاء اي موضوع من موضوعات المشاركة العامة. ولهذا تستبطن الديمقراطية ضرورة قبول التعايش مع الرأي الاخر، وقبوله، والتحاور معه،والتفاعل معه. يصح القول ان الديمقراطية هي نظام اختلاف وتنوع، اكثر من كونها نظام اتفاق وتوحيد. عبارة "توحيد الخطاب السياسي للمجتمع "مثلا لا معنى لها في ظل الوضع الديمقراطي.

ثانيا، المشاركة:

القائمون بالمشاركة

بديهي ان القائم بالمشاركة، او القائمين بها، هم الافراد الذين صاروا مواطنين فعّالين.

الانسان الديمقراطي هو الانسان الذي يؤمن بالمشاركة له ولغيره، وهو الانسان الذي يشارك فعلا، ولا يترك الامر على علاته، ولا يكتفي بمشاركة غيره، و لا يدخل في متاهة الواجب العيني والواجب الكفائي. فالمشاركة الديمقراطية هي عين مواطنيته، وعين عضويته في المجتمع.

في هذا يقول ارسطو اننا نعرف المواطن من خلال مشاركته في اتخاذ القرارات وتولي المسؤوليات.

واذا كان بعض المجتمعات يعتبر المشاركة حقا، فان البعض الاخر يعتبرها واجبا. والاسلام يقول للفرد الواحد من البشر":لا تكن امعة"، ويقول عن الجميع":قفوهم انهم مسؤولون."

وطبيعي ان مشاركة الافراد في الحياة العامة لا تتحقق مالم يؤمن هؤلاء بان هذا حقهم او واجبهم، من جهة، وان القيام بذلك يحقق مصالحهم الفردية والجماعية، من جهة ثانية، وان المبادئ الديمقراطية ذاتها تنسجم

مع هذه المصالح وتحققها من جهة ثالثة، وان الالتزام بهذه المباديء يضمن تحقيق المصالح، الامر الذي يجب ان يؤدي الى احترام الالتزام الحقيقي بها، من جهة رابعة .

وفي الديمقراطية يتعين ان يسهم الافراد بشكل متساو في المشاركة .وهذا الامر ليس موضع تساؤل في الوضع الديمقراطي":ان يتاح للافراد جميعا، كائنا من كانوا، ان يؤثروا بوزن متساو في القرار واضفاء الشرعية السياسية، فقد بات ذلك بالنسبة لنا امرا بديهيا ومعطى طبيعيا في حياة المجتمع ".

موضوع المشاركة وخصائصها

المشاركة كلمة كبيرة وواسعة تضم في جنباتها الكثير من المفردات الاخرى، مثل اضفاء الشرعية السياسية على الحاكمين والممثلين، و التشريع وتداول السلطة وتطبيق القانون، وحرية الكلمة والتعبير، وحرية العمل السياسية، وغير ذلك، من المفردات الكثيرة التي تندرج تحت عناوين المؤسسات الديمقراطية والاليات الديمقراطية. فمن المؤسسات المجالس التمثيلية، ومن الاليات الانتخابات، ومن القواعد خضوع الجميع للقانون.

موضوع المشاركة هو القرارات المتعلقة بحياة الناس، سواء كانت قرارات تشريعية ام تنفيذية اوعسكرية وما شابه ذلك. اي القرارات المتعلقة بالشأن العام الذي يشير اليه القران الكريم بقوله":وامرهم شورى بينهم ."وهذه يشمل ايضا تداول السلطة بطبيعة الحال.

وقد تمكنت البشرية من جعل المسائل التالية موضوعا للمشاركة:

اختيار الحكام والممثلين، ومنحهم الشرعية السياسية، وذلك عن طريق الاقتراع العام.

تشريع القوانين. تملك البشرية الان حق التشريع على طريق المجالس التشريعية المنتخبة. وتوسع بعض المجتمعات هذه الممارسة، مثل سويسرا، التي تعطي للافراد الحق في اقتراح مشاريع قوانين.

مراقبة الحكام واستبدالهم، يتاح للبشرية الان اسقاط حكامها وممثليها في دورة انتخابية تالية. لكنها لا تملك الحق في اقالة مسؤولين تنفيذيين على مستوى اداري ادنى كالوزراء والمحافظين والمدراء العامين.

اتخاذ القرارات التنفيذية ذات العلاقة بحياة الناس. في بريطانيا تتطلب الموافقة على فتح بار في منطقة جديدة موافقة سكان المنطقة على ذلك، حيث تقوم البلدية باستطلاع رأي الناس، ثم اعطاء الموافقة او رفض الطلب بناء على ذلك.وتمثل ممارسة هذه الصلاحيات استعادة لحق السيادة المعقودة اصلا للبشرية كما تنص اية الاستخلاف في القران الكريم.

المشاركة الديمقراطية فعل ايجابي، تعبر عن ايجابية الفرد وحصره على المساهمة في الحياة العامة، وعدم عزوفه عن ممارسة حقه الطبيعي في ذلك وهي تعبير عن وجود المواطن الفعال، الذي يرى ان من مسؤوليته وحقه وواجبه ان يشارك في الشأن العام، كما ان المشاركة تتصف بالايجابية، وليست سلبية،

وهي مشاركة سلمية، فليس من الديمقراطية في شيء رفع السلاح في المجتمع لتحقيق اهداف سياسية او غير سياسية، في ظل الوضع الديمقراطي القائم. هذا هو الفرق الاساسي بين الديمقراطية وبين غيرها من اشكال الحكم الاخرى. فالديمقراطية لا تجيز استخدام العنف والسلاح بين افراد المجتمع ومجموعاته على الصعيد المحلي، او بين المجتمعات المختلفة على الصعيد العالمي، ولهذا قيل ان الديمقراطيات لا تتحارب فيما بينها. ويمكننا ان نستشهد على ذلك بحالة اوروبا بعد ان سادت فيها الديمقراطية. فقد كانت هذه القارة مسرحا لحربين عالميتين حصدت الملايين من البشر، وهما حربان شنتهما وساهمت فيهما انظمة غير ديمقراطية، بل دكتاتورية فاشية. ولكن رسوخ الديمقراطية في هذه القارة منذ منتصف القرن العشرين الماضي، رجح قضية السلام فيها، وجعل العودة الى الحرب داخلها من قبل الانظمة الديمقراطية من الامور اللامفكر فيها.

وهي مشاركة في اطار القانون. ذلك القانون الذي تمت صياغته او اقراره من قبل الناس، او من قبل ممثليهم المنتخبين. فليس في المشاركة الديمقراطية ما يخرج عن القانون المتبع والمقر.

تسويغ المشاركة

المشاركة هي الديمقراطية. والمشاركة تعبير عن موقف اصيل يرى بان الاصل في الانسان انه سيد، على نفسه وماله ومصيره. فالانسان حر مختار مسؤول. ومن هذا الموقع فان اليه يعود امر البت بشؤونه العامة

والخاصة. ولا يجوز ان يقرر اي انسان اخر امرا يخصه بالنيابة عنه، الا في حالات معينة اتفقت البشرية على تشخيصها، مثل الجنون والغيبوبة والطفولة والتوكيل والانابة وما شابه ذلك.
اذا كانت هذه المسألة تعاني من الغموض او الالتباس او الاقصاء في فترات مرت من حياة البشرية، فان جهود الانبياء، وخاصة نبي الاسلام، جنبا على جنب المفكرين والفلاسفة، اوضحت المسألة الان بما لا يقبل الشك والاشتباه. هذه هي "الفطرة "التي يحدثنا عنها القران، وهذا هو "الاستخلاف "الذي تقرره اياته، وهذه هي الفكرة التي شرحها افلاطون وارسطو وروسو ومونتسكيو ولوك وجون ستيوارت ميل وماركس وغيرهم الكثيرون.
يولد الانسان حرا. ويمارس الانسان حياته حرا. ويقرر مصيره بنفسه حرا. و لايتولى امره احد بدون رضاه وموافقته. ولا يفرض عليه احد قانونا او ضريبة بدون موافقته. تلك هي الديمقراطية.
اشكال المشاركة
وتعدد اشكال وطرق واليات المشاركة الديمقراطية، ولا يجوز حصرها وتقييدها الا بقانون مصادق عليه بطريقة ديمقراطية ايضا. غاية ما في الامر ان هذه الاليات والطرق يجب ان تكون ضمن القانون المقر ايضا بنفس الطريقة.
الاقتراع العام
تكوين الاحزاب والجمعيات والمنظمات
مراقبة السلطات ومحاسبتها ونقدها وتقويمها
اصدار الصحف ووسائل الاعلام الاخرى للتعبير عن الرأي
التظاهرات والمسيرات الشعبية
الترشيح للانتخابات
المشاركة في الحكم وتولي المسؤوليات في الدولة
المعارضة السياسية
ضمانات المشاركة
ويجب توفير كل شروط الامان والحرية للمواطنين وهم يمارسون المشاركة الديمقراطية في الشأن العام. فليس من الديمقراطية ان يشعر المواطن بالخوف والرهبة وهو يشارك في الشأن العام. يجب ان تضمن قوانين الدولة هذه الحرية والامان لكل مواطنيها.
وفي ضوء هذا التعريف يكون من غير المفيد والمجدي اللجوء الى اللغة اليونانية، باعتبار الاصل اللغوي المدعى للكلمة، لمعرفة معنى المصطلح. معنى الكلمة الحقيقي يتجسد في الارادة الاستعمالية له.نعرف معنى مصطلح الديمقراطية الان من خلال ما يقصده مستخدموه الان. ربما تغيرت الارادة الاستعمالية للناس بعد فترة او ربما كانت هذه الارادة تقصد شيئا اخر في وقت سابق. هذا يعني ان المصطلح، شأنه شأن كل الكلمات والمصطلحات، يمكن ان يغير معناه، طبقا لتغير الارادة الاستعمالية للناس الذين يستخدمونه في كلامهم وفي حياتهم وفي ممارساتهم العملية.
ومن اجل تنظيم ممارسة هذه الحرية، ومن اجل تنظيم ممارسة هذه المشاركة الواسعة، جاءت الديمقراطية، فوضعت اليات ومؤسسات وقواعد للممارسة، لضمان سلامة الممارسة، ولضمان قدرتها على تحقيق الهدف الاساسي من ورائها، وهو المشاركة الفردية في الشؤون العامة.
تتسع الديمقراطية وتضيع بموجب اتساع وضيق هذه المشاركة.
المشاركة الخفيفة
المشاركة العميقة

يقول الباحثون في الديمقراطية، اننا ربما لا نجد مصطلحا سيال المعنى كمصطلح الديمقراطية. فهناك تعريفات كثيرة لهذا المصطلح توحي للقارئ بعدم وجود معنى له. والواقع ان التعريفات الكثيرة تشير من جهة اولى الى نمط فهم الباحث للكلمة، ولمحمولاتها السياسية والاجتماعية والعقائدية، كما تشير من جهة ثانية الى مراحل المصطلح نفسه عبر العصور. فالديمقراطية مصطلح تاريخي لا تنفع معه العودة الى قواميس اللغة، سواء كانت يونانية ام انجليزية ام عربية. وانما لا بد من البحث عنه في سياق تطوراته المفهومية وتحولاته التاريخية، عبر زمن طويل جدا.

واذا كانت الديمقراطية تعني في فجر ظهورها ادارة شؤون الناس عن طريق المجالس، كما بينا، فان القائد الاثيني الشهير بيركلس (Percles 495 ق م 429-ق م (عرفها بانها تعني بانها حكم الاغلبية من المواطنين. وقال في خطاب له ان "حكومتنا تدعى ديمقراطية لأنها ليست بيد الاقلية انما بيد الاكثرية ".هذا رغم ان معنى مصطلحي الاغلبية والاكثرية في عهد بيركلس يختلفان عن معناهما في عصرنا الراهن. فربما كان الاثينيون المسموح لهم بالمشاركة العامة اقلية بالقياس الى عدد سكان المدينة التي حرمت النساء و"غير المقيمين في اثينا "والعبيد والفقراء من حق المشاركة . وحتى معنى مصطلح "الاجانب "كان يختلف عن معناه الراهن. فالاجنبي هو من لم يكن اثينيا من ام واب اثيني، حتى لو كان يونانيا من مدينة اخرى.

لكن هذا لا يعني انه ليس للديمقراطية معنى جوهري سعت البشرية الى تحقيقه وتجسيده منذ فجرها الاول، و هذا المعنى هو تحقيق اوسع مشاركة ممكنة للناس في ادارة شؤونهم. الديمقراطية هي المشاركة، مشاركة الكل في كل ما يتعلق بشؤون حياتهم. انها التعبير عن "الدور المتعاظم لعامة الناس في شؤون الدولة ."

ليس من الصحيح ان تصدر السلطة الحاكمة مثلا قانون يهم عددا من الناس، قل او كثر، دون ان يكون لهم رأي فيه، رفضا او قبولا او تعديلا او ماشابه.و ليس من المعقول مثلا ان تفرض السلطة الحاكمة على الناس ضرائب عامة دون مشورتهم. وليس من المعقول ان تزج بهم في حرب دون مشورتهم وهكذا. والاهم من ذلك ليس من المعقول ان تتأمر السلطة التنفيذية على الناس بدون مشورتهم وموافقتهم. هذه الممارسات وغيرها مما شابهها تشكل انتهاكا لقانون اولي طبيعي والهي اسمه سيادة الانسان على نفسه. فالاصل ان الافراد هم الاولياء، وانهم انما يولون عليهم من يتولى امورهم لبداهة استحالة ان ياخذ كل فرد مسؤليات الادارة والحكم وتنفيذ القانون بيده. ان شرعية الحكم تنطلق من هذه النقطة: من تولي الحكم برضا المحكومين. وهذا اصل تقول به الديمقراطية كما تقول به الاديان. لقد خلق الله الانسان حرا، وجعله اهلا لحكم نفسه بنفسه .وهذه هو مؤدى مفهوم الخلافة الذي نجده في القران الكريم.

لكن اختلاف معاني هذه الكلمات ومحمولاتها في العصور والامكنة المختلفة هو الذي يعطي للديمقراطية تعريفات كثيرة ومختلفة. فالمشاركة قد تعني حق اختيار الحاكم الفعلي، اي رئيس الوزراء، دون اختيار الملك، كما هو الحال الان في الديمقراطية البريطانية، في حين انها تعني حق اختيار الرئيس دون الوزراء، كما هو الحال في الديمقراطية الاميركية، ويقيد حق المشاركة في الديمقراطية العراقية الناشئة والوليدة بمبدأ المحاصصة، الذي يشير الى عدم امكانية تطبيق الديمقراطية القائمة على مبدأ المواطنة والكفاءة في المرحلة الراهنة في هذا البلد، وهكذا. الديمقراطية التمثيلية

واذا كانت ديمقراطية المجالس التي ولدت اولا في بلاد الرافدين، فان الديمقراطية التمثيلية ربما تشير الى مرحلة ثانية من تاريخ تطور هذه الظاهرة السياسية، كما كتب جون كين.

لكن مع سقوط الجمهورية في روما اختفى الحكم عن طريق المجالس الشعبية في جنوب اوروبا وغيرها من مناطق العالم لحوالي الف سنة تالية.

لكن مع سقوط الجمهورية في روما اختفى الحكم عن طريق المجالس الشعبية في جنوب اوروبا وغيرها من مناطق العالم لحوالي الف سنة تالية.

الديمقراطية في القرن العشرين

بدأت البشرية تدرك منذ عام 1945بان مؤسسات الديمقراطية التمثيلية)الانتخاب الدوري، الحكومة المنتخبة والبرلمان المنتخب (لم تعد تكيفي لضمان صلاحية الحكم، ومنعه من الفساد والطغيان، ولضمان اوسع مشاركة للناس في الحكم، ولضمان قدرتهم على مراقبة الحكومة والحد من سلطانها.

وقد حاول الكثير من المفكرين اصلاح الديمقراطية وقدموا مساهمات كثيرة في هذا المجال، لعل من اهمها مساهمات كل من ، جوزيف شومبيتر، و ارندت ليبهارت، وكارل بوبر و الين تورين. وربما شكلت هذه التطورات مرحلة ثالثة في تطور الديمقراطية.

الديمقراطية الاجرائية: شومبيتر (1883-1950)

شومبيتر اقتصادي وعالم اجتماع اميركي ولد في مورافيا في تشكيا وتوفي في الولايات المتحدة. اشتهر بنظرياته حول التنمية والدورات الاقتصادية. تمثلت مساهمته الكبرى في تطور معنى مصطلح الديمقراطية في كتابه الكبير "الراسمالية والاشتراكية والديمقراطية "الذي اصدره عام .1942ففي هذا الكتاب سجل شومبيتر السبق على غيره من المفكرين في تحليل الديمقراطية الكلاسيكية وكشف نقاط الضعف فيها.

في هذا الكتاب رفض شومبيتر مقولتي "المصلحة العامة "و "ارادة الشعب "في سياق تحليله ونقده لما سماه المذهب الكلاسيكي للديمقراطية الذي كان متداولا منذ القرن الثامن عشر، والذي ينص، حسب شومبيتر، على ان الديمقراطية هي ذلك الترتيب المؤسساتي للوصول الى القرارات السياسية التي تتعلق بالمصلحة العامة عن طريق جعل الشعب يقرر المسائل من خلال انتخاب الافراد الذي سوف يجتمعون من اجل تنفيذ ارادة الشعب ."

فقد اضحى من الواضح صعوبة اتفاق الفاعلين السياسين، فضلا عن عامة الشعب، عن تحديد ماهية المصلحة العامة. والا فان اتفاقهم على هذا التحديد ينفي الحاجة الى الاختلاف والحاجة الى قيام احزاب سياسية مختلفة مثلا. ويفرض ان يقوم حزب واحد يقوم بتقديم قراءة واحدة ومتفق عليها للمصلحة العامة. ونحن نعلم ان هذا يمثل وصفة نموذجية للدكتاتورية، حيث ان ادعاء احتكار المعرفة، وادعاء فردانية تشخيص المصلحة العامة هي اسهل طريق نحو الدكتاتورية .واذا ما تم تقرير تعذر الاتفاق على تشخيص المصلحة العامة بين جميع الافراد، اصبح الحديث عن ارادة الشعب تعبيرا رومانسيا لا يمكن تلمسه في الواقع العملي.

وبناء على هذا، رأى شومبيتر انه لا يوجد اسمه المصلحة العامة التي يمكن ان يتفق على تشخيصها كل الافراد. وقال ان المصلحة العامة يمكن ان تعني اشياء مختلفة بسبب الاختلاف بين الافراد والجماعات.

وفي مقابل ذلك، طرح شومبيتر مفهومه الجديد للديمقراطية التي عرفهابانها ذلك الترتيب المؤسساتي للوصول الى قرارات يمكن من خلالها ان يتولى الافراد السلطة عن طريق التنافس على اصوات الناخبين.

العالم السياسي لاري دايموند صنف تعريف شومبيتر ضمن ما سماه الديمقراطية الرقيقة.

وقد لاحظ صامويل هانتنتون (1997) ان التعريف الاجرائي الذي اطلقه شومبيتر على الديمقراطية يحظى بقبول الباحثين المشتغلين في هذا الموضوع. وقال انه منذ الحرب العالمية الثاني اصبح الاتجاه الغالب في تعرف الديمقراطية هو ذلك الذي يربطها بصورة تكاد تكون كاملة بالانتخابات، بحيث صار ينظر الى الديمقراطية باعتبارها مجموعة وسائل لأقامة السلطة ووضعها تحت طائلة المسؤولية وذلك في مقابل الوسائل الاخرى المعتمدة في الانظمة السياسية التي تمكن الافراد من ان يصبحوا حكاما عن طريق الولادة او الثروة او الاكراه. وذلك على عكس ما هو حاصل في الديمقراطية، حيث يكون الحكام هو نفس المحكومين كما في الديمقراطية المباشرة او ان الحكام ينتخبون من قبل المحكومين. وهكذا فان الدولة المعاصرة هي ديمقراطية بقدر ما يتم اختيار صناع القرار فيها من خلال انتخابات حرة ونزيهة وعادلة يستطيع فيها المرشحون ان يتنافسوا بحرية ويتمتع فيها كل البالغين بحق ا لتصويت. وطبقا للتعريف الاجرائي للديمقراطية فان الانتخابات

هي جوهر الديمقراطية. ومن هذا المفهوم تتفرع الخصائص الاخرى للديمقراطية مثل حرية التعبير والتجمع والصحافة والنقد بلا خوف .

الديمقراطية التوافقية

طرح ارندت ليبهارت مفهوم الديموقراطية التوافقية في اواخر الستينيات من القرن الفائت، واستخدم المصطلح في عام .1975ويقول روبرت دال في كتابه »الديموقراطية ونقادها «ان ليبهارت استعاره من كتاب جونز الثيوسوس Politicia Methdice Digesta (1557-1638)الصادر في العام ١٦٠٣، رغم ان ليبهارت يشير، من جهته، الى أن اول من استخدم المصطلح في العصر الراهن هو ديفيد ابتر في العام .1961

في العام 1977قدم ليبهارت الديموقراطية التوافقية consociational democracyفي كتابه »الديموقراطية في المجتمعات التعددية «بوصفها حلاً لمشكلة تعذر تطبيق الديموقراطية التعددية، او نموذج ويستمنستر -حكم الاغلبية، بسبب الانقسامات الاتنية والدينية واللغوية في المجتمع التعددي او المنقسم.

وعرف الديمقراطية التوافقية بخصائصها الاربع وهي: الائتلاف الواسع، الفيتو المتبادل، التمثيل النسبي، واخيرا الحكم استقلالية القطاعات في ادارة شؤونها الداخلية.

لكنه طور اطروحته في العام 1999في كتابه »نماذج الديموقراطية «ليؤكد ان ديموقراطية الاجماع consensus democracyهي طريقة الحكم المثالية لكل المجتمعات وليس فقط المجتمعات التعددية.

والاجماع consensusالذي اشتق منه ليبهارت نموذجه الجديد يفترض وجود اتفاق عام بين الاطراف السياسية، يتميز بخصائص عدة منها (1) :عدم وجود معارضة في المسائل الاساسية من قبل طرف مهم ذي علاقة بالمصالح ذات الاهتمام، (2)الأخذ في الاعتبار وجهات نظر كل الاطراف، و (3)تسوية كل الخلافات المثيرة للنزاع بطريقة الترضية والمصالحة، أي ليس بطريقة التصويت .وميز نموذجه عن نموذج ويستمنستر بعشرة نقاط شرحها في كتابه المذكور.

الديمقراطية التوقعية : Anticipatory democracy

يعود الى توفلر امتياز صك مصطلح الديمقراطية التوقعية، في كتابه الشهير "صدمة المستقبل"، ويقول راجي عنايات ان من اهم الكتب التي تناولت هذا النمط من الديمقراطية، كتاب "الديمقراطية التوقعية "لمؤلفه كلمينت بيزولد . ولم يتسن لي قراءة الكتابين مع الاسف حتى الان.

وتوفلر كاتب ومفكر أمريكي وعالم في مجال دراسات المستقبل (Futurology)تم ترجمة كتبه إلى عدة لغات عالمية. وقام بتدريس رؤساء دول مثل ميخائيل غورباتشوف رئيس الاتحاد السوفيتي الأخير والرئيس الهندي أبو بكر زين العابدين عبد الكلام ورئيس وزراء ماليزيا السابق مهاتير محمد.

وتدعو هذه الديمقراطية الى اوسع مشاركة للمواطنين في اتخاذ القرارات، لكن ليس على اساس ما هو قائم الان فقط، وانما على اساس ماهو متوقع غدا، أي في المستقبل.وهذا هو الجديد في هذه النظرية، انها تربط الحاضر بالمستقبل، وتجعل المستقبل اساسا في اتخاذ القرارات للحاضر" .وهذا هو السر في ان الديمقراطية التوقعية تصر على دمج التغذية المرتدة للمواطنين بتوفر الوعي المستقبلي لديهم ".

الديمقراطية التوقعية (Anticipatory democracy)هي مفهوم يشير إلى نظام حكومي أو طريقة في اتخاذ القرارات تتضمن إشراك المواطنين بشكل مباشر في عملية التخطيط وصنع القرار للمستقبل. في هذا النمط من الديمقراطية، يتم الأخذ برأي الأفراد وتوقعاتهم بالنسبة للتحديات والفرص المستقبلية كجزء أساسي من العملية الديمقراطية. يتمثل الهدف من الديمقراطية التوقعية في إنشاء سياسات واستراتيجيات تأخذ في الحسبان التغييرات المستقبلية وتعمل على تحقيق الصالح العام.

الفكرة الأساسية وراء الديمقراطية التوقعية هي الاعتقاد بأن من المهم للمجتمعات أن تكون قادرة على التنبؤ والاستعداد للتحديات والفرص المستقبلية بطريقة شمولية وديمقراطية. بدلاً من الاعتماد فقط على الساسة أو

الخبراء لتحديد ما هو أفضل للمجتمع، تشجع الديمقراطية التوقعية على المشاركة الواسعة من قبل المواطنين لضمان أن تكون القرارات المتخذة مستنيرة وتعكس توقعات واحتياجات المجتمع ككل.
تشمل الأساليب المستخدمة في الديمقراطية التوقعية ورش العمل التخطيطية، استطلاعات الرأي، المنتديات العامة، واستخدام تكنولوجيا المعلومات لتسهيل المشاركة الجماهيرية. من خلال هذه الأساليب، يتم جمع آراء وتوقعات المواطنين بشأن قضايا مهمة مثل التغيرات المناخية، التكنولوجيا، الصحة العامة، والتنمية الاقتصادية لإعداد وتنفيذ خطط تستجيب لتلك التحديات والفرص.
باختصار، تعد الديمقراطية التوقعية نهجًا مبتكرًا لصنع القرار والتخطيط في المجتمعات الديمقراطية، حيث تعزز من مشاركة المواطنين في رسم مستقبلهم، وتؤكد على أهمية الاستعداد والاستجابة للتغيرات المستقبلية بطريقة فعالة وشاملة.
وهذه نقطة مهمة. حيث ان توسيع افق المواطن، المشارك في العملية السياسية الديمقراطية، وتحريره من اسر الحاضر، وفك قيود وعيه ونظره من الانحباس في النظر الى ماهو كائن فقط، ومد افق تفكيره الى ابعد من ذلك، الى المستقبل القريب والمتوسط والبعيد، يجعل قراراته ذات حركية تواصلية مع ابعاد الزمن الثلاثة، وقادرة على استيعاب التطورات المحتملة والمتوقعة. وبهذا تكون الرؤية المستقبلية، كما يقول الامام الصدر، احدى محركات التاريخ، ودوافع المجتمعات الى التقدم الى الامام.
واليوم لم يعد توقع المستقبل من الالغاز، بل اصبحت "المستقبلية"، واستشراف المستقبل، علما يمكن الركون اليه، وتخطيط حركة المجتمعات في ضوئه، حيث لم يعد من الصحيح ان تترك حركة المجتمعات سائبة، بل لابد من ضبط ايقاعها في ضوء التطورات المستقبلية المتوقعة. فلا يصح لمجلس محافظة بغداد و امانتها، مثلا، ان يضعوا مخططا لمدينة بغداد بناء على عدد السكان الان، انما يجب ان يدخل في حسابهم تطور السكان بعد ٥٠ سنة مثلا لكي يمكنهم حساب كل الاحتياجات والمتطلبات، كما ان التصويت على أي مشروع بهذا الخصوص يجب ان يكون قائما على اساس هذه التوقعات المستقبلية.

الديمقراطية القوية

في عام ١٩٨٤ نشر بنجامين باربر كتابا دعا فيه الى نوع متقدم من الديمقراطية اعطاه اسم "الديمقراطية القوية"، انتقد فيه الديمقراطية الليبرالية، واعتبر انها صارت عاجزة عن تقديم اساس قوي لنظرية متماسكة عن المواطنة، والمشاركة، والمصالح العامة، والفضائل المدنية.
واعتبر باربر الديمقراطية الليبرالية ديمقراطية رقيقة، ما يدعو الى اقامة ديمقراطية قوية تكون بديلا عن الديمقراطية الليبرالية. وتركز الديمقراطية القوية على مبدأ تحويل الافراد الى مواطنين احرار، وتحويل المصالح الخاصة الى ادوات معرفية للتفكير العام، وتحويل النزاعات الى تعاون.

حماية الاقلية

اثار عالم الاجتماع السياسي الفرنسي الين تورين، في كتابه "ما الديمقراطية؟ "الذي كتبه عام 1993و صدرت ترجمته العربية عام " 2000ازمة التمثيل السياسي "التي اعتبرها نقطة الضعف في الانظمة الديمقراطية وغير الديمقراطية على حد سواء، وهي ازمة تؤدي الى "عدم احساس الناخبين بانهم ممثلون"
وقال ان الديمقراطية لا تعني حكم الاغلبية، وانما تعني حماية الاقلية. وقال ان الديمقراطيين الاوروبيين يعرفون انفسهم من وقوفهم خصوما للتطهير العرقي.
وكان تورين الف كتابه في ذورة تصاعد حروب التطهير العرقي التي شهدتها دولة يوغسلافيا السابقة بين عامي 1991و 1995بعد موت زعيمها جوزيف بروز تيتو .1892-1980)وقداعتبر ان حملات التطهر العرقي تناقض الديمقراطية بالصميم. وقد اثرت هذه الحوادث على التصور الذي طوره العالم الفرنسي عن الديمقراطية.
حكم الاغلبية تحصيل حاصل، لأنه الاغلبية يمكنها بسهولة ان تتولى الحكم بسبب تفوقها العددي، لكن التزام الاغلبية الاخلاقي يتمثل في حماية الاقليات في بلدها، وخاصة الاقليات العرقية او الدينية. وبين ان الديمقراطية

لا يقتصر تعريفها بوصفها مجموعة من الضمانات القانونية فقط او انها سيادة الاغلبية، بل هي قبل كل شيء احترام التطلعات الفردية والجماعية. وعرف الديمقراطية بانها النظام الذي تعترف فيه الاكثرية بحقوق الاقلية.
وحاول الان تورين الانتقال بالديمقراطية الى افق جديد منتقدا اعلان فوكوياما المتسرع من ان الديمقراطية قد انتصرت "وانها فرضت نفسها اليوم باعتبارها الشكل الطبيعي للتنظيم السياسي فضلا عن كونها المظهر السياسي الذي تتجلى من خلاله حداثة قائمة على اقتصاد السوق من حيث شكلها الاقتصادي وعلى العلمانية من حيث تعبيرها الثقافي "قائلا ان "هذه الفكرة التي يرتاح اليها الغربيون هي من الخفة بمكان بحيث ينبغي ان تكون مدعاة لقلقهم. فلا السوق السياسية المنفتحة والقادرة على المنافسة هي الديمقراطية ولا اقتصاد السوق يشكل بحد ذاته مجتمعا صناعيا "بل حذر من ان الديمقراطيات الحالية معرضة للخطر و اخذت تضعف وصار من الممكن القضاء عليها اما انطلاقا من فوق على يد سلطة سلطوية واما انطلاقا من تحت على يد الفوضى والعنف والحرب الاهلية او انطلاقا منها هي بالذات عبر الرقابة التي تمارسها على السلطة اوليغارشيات او احزاب تراكم الموارد الاقتصادية او الساسية لتفرض اختياراتها على مواطنين باتوا مجرد ناخبين وحسب .
وفي سياق هذه المحاولة طرح تعريفا اوليا للديمقراطية يقوم على القول بثلاثة مبادئ مؤسساتية هي:
اولا، انها مجموعة من القواعد الاساسية التي تحدد من هو المخول حق اتخاذ القرارات الجماعية ووفقا لاية اجراءات.
ثانيا ، ان النظام المعين انما يتصف بالمزيد من الديمقراطية كلما ازداد عدد الاشخاص الذين يشاركون بصورة مباشرة او غير مباشرة باتخاذ القرار.
وثالثا ، ان الاختيارات ينبغي ان تكون فعلية.
ودعا الى البحث ، خلف القواعد الاجرائية التي هي ضرورية بل لا غنى عنها لوجود الديمقراطية، عن كيفية تكون الارادة التي تمثل مصالح الاكثرية وعن كيفية تعبيرها عن نفسها وعن كيفية تطبيقها، الى جانب البحث عن وعي الجميع بكونهم مواطنين مسؤولين عن الشان المجتمعي.
ودعا الى ديمقراطية تحررية وليس مجرد ديمقراطية تشاركية او تشاورية، ديمقراطية تحرر الافراد والجماعات الذين يتحكم بهم منطق السلطة. مؤكدا ان الذهنية الديمقراطية انتعشت بفضل جميع الذين اصروا على حقهم الاساسي بالحياة احرارا في وجه سلطات مطلقة كانت اطلاقيتها تزداد يوما بعد يوم.
وحذر من ان تتحول الديمقراطية الى مجرد قانون اجرائي وانتخابي لانها ستفقد في هذه الحالة اهليتها للدفاع عنها ولا يعود هناك من يخاطر في حياته من اجلها الا حفنة من المرشحين.

التغيير السلمي للسلطة

يرى كارل بوبر (1902-1994)ان "المشكلة لم تعد مشكلة الحكم، ولا معرفة من يحكم، لكنها مشكلة الحكومة وكيف تحكم"، فالاساسي عند بوبر "هو ان لاتكون للحكومة سلطة مفرطة "وبعبارة اخرى "هي مشكلة كيف يتم ادارة الدولة".
تمثلت المساهمة الاساسية لبوبر في الدعوة الى مغادرة التعريف الكلاسيكس للديمقراطية القائل بانها حكم الشعب. فقد قال":لم تكن الديمقراطية ابدا حكم الشعب، لا يمكنها ولا يجب ان تكون كذلك ".انما الديمقراطية عنده اصبحت تعني "القدرة على التخلص من الحكومة دون اراقة دماء ".وكرر ان النقطة الاساسية هي ان نكون قادرين على خلع الحكومة من دون اراقة دماء"، مضيفا "اهم شيء هو قدرتنا على اقالة الحكومة دون اراقة دماء، قبل ان تتولى حكومة اخرى زمام الحكم."
وهكذا اصبحت الديمقراطية عند بوبر تعني قدرة المجتمع تغيير حكومته بدون اراقة دماء. فقد قال في محاضرة القاها في 25اغسطس/اب عام 1958ونشرت لأول مرة في عام 1967، ":تكون الدولة حرة من الناحية السياسية اذا كانت مؤسساتها السياسية تمكن مواطنيها من الناحية العملية من تغيير حكومة قائمة دون

سفك دماء، متى ما كانت الأغلبية راغبة بذلك ."ويقول ايضا في محاضرة القاها عام 1987ان المبدأ الاخلاقي للديمقراطية هو "شكل الدولة الذي يسمح باقالة حكومة من دون اراقة دماء ".

المشاورات الواسعة

ومن اجل فتح اوسع الابواب نحو مشاركة الناس في القرارات التي تتعلق بحياتهم، وبما يشبه العودة الى مفهوم الشورى، يعرف الباحث الاميركي تشارلز تيللي (1929-2008)الديمقراطية بمقدار ما تتيحه للافراد من المشاورات.

يقول في كتابه "الديمقراطية "الصادر عام2007، ان نظام الحكم يكون ديمقراطيا الى الحد الذي تظهر فيه العلاقات السياسية بين الدولة والمواطنين مشاورات واسعة ومتساوية ومحمية وذات التزام متبادل.

تتسع الديمقراطية او تضيق بمقدار اتساع او ضيق المشاورات التي يتم اجراؤها بين الفاعلين السياسيين. وحين يضيق نطاق هذه المشاورات على الطريقة العراقية، فان الحديث عن الديمقراطية يبدو صعبا ومطعونا فيه، بل ان افضل تسميه لمثل هذه الديمقراطية ستكون "الديمقراطية الاوليجارشية!"

الديمقراطية التداولية:

الديمقراطية التداولية أو التشاورية deliberative democracyهي نموذج من نماذج الديمقراطية يركز على أهمية المناقشة والحوار في اتخاذ القرارات السياسية والاجتماعية. تعتمد هذه الفكرة على مبدأ أن القرارات السياسية يجب أن تكون نتيجة لمداولات عقلانية ونقاشات جماعية، حيث يمكن للمشاركين الاستماع إلى وجهات نظر بعضهم البعض وتقديم الحجج والأدلة لدعم وجهات نظرهم، وبالتالي الوصول إلى قرارات أكثر شمولاً وعدالة.

تسعى الديمقراطية التداولية إلى تحسين جودة النقاش الديمقراطي وتعزيز المشاركة المدنية من خلال إعطاء المواطنين دورًا أكثر فعالية في عملية صنع القرار. من خلال التركيز على المداولة والنقاش، تهدف إلى بناء إجماع واسع النطاق بين المشاركين حول القضايا المهمة، بدلاً من الاعتماد على التصويت الأغلبي البسيط الذي قد لا يعكس بالضرورة الإجماع أو الفهم المتعمق للمسائل المطروحة.

أبرز من نادى ونظر للديمقراطية التداولية:

** .1جورجون هابرماس **:(Jürgen Habermas)فيلسوف وناقد اجتماعي ألماني، يعتبر من أبرز منظري الديمقراطية التداولية. يركز هابرماس على أهمية "الفضاء العام "كمكان للنقاش والمداولة، حيث يمكن للمواطنين المشاركة في حوارات مفتوحة وحرة حول القضايا العامة.

** .2جون راولز **:(John Rawls)فيلسوف سياسي أمريكي، على الرغم من أنه ليس منظرًا للديمقراطية التداولية بشكل مباشر، إلا أن أعماله حول العدالة كإنصاف والنقاش العام لها تأثير كبير على النظرية التداولية.

** .3سيمور مارتن ليبسيت **:(Seymour Martin Lipset)سوسيولوجي وعالم سياسي أمريكي، قدم مساهمات في دراسة الديمقراطية وشروط استقرار النظم الديمقراطية التي يمكن ربطها بالمفاهيم التداولية.

** .4أيمي غوتمان **(Amy Gutmann)و**دينيس طومسون **:(Dennis Thompson)من العلماء الذين عملوا معًا لتطوير فكرة يمكن اعتبارها جزءًا من الديمقراطية التداولية، وهي "الديمقراطية التفاعلية "التي تركز على أهمية التفاعل بين الحكومات والمواطنين.

الديمقراطية التداولية تعكس إيمانًا بأن النقاش والحوار المفتوح والمسؤول يمكن أن يؤدي إلى قرارات أكثر شرعية وقبولًا واسعًا في المجتمع.

الديمقراطية الرقابية

لكن ابرز محاولة لتجاوز الديمقراطية التمثيلية ومعالجة مساوئها تمثلت في طرح مفهوم الديمقراطية الرقابية او التحذيرية monitoring Democracy وهي ديمقراطية تتضمن اليات عدة)يصل بها بعض الباحثين الى اكثر من 100الية (لفحص ومراقبة الحكومة.

استخدم هذا المصطلح عالم الاجتماع السياسي الاميركي مايكل شودسون Michael Schudson في حوار له في شهر مايس من عام .1998واستخدم المصطلح ونظر له الباحث الاميركي جون كين John Keaneفي كتابه حياة وموت الديمقراطية الصادر عام .2009

الديمقراطية الرقابية ملتزمة بتعزيز تاثير المواطن المتنوع على القرارات التي تؤثر في حياته، بغض النظر عن نتائج الانتخابات. كما تركز على مفردات فحص السلطة ومراقبتها والحد منها اكثر من تركيزها على الانتخابات.

في عصر الديمقراطية الرقابية حصل المزج بين الديمقراطية وحقوق الانسان، وبرزت اهمية الاعلام، فضيحة ووتر غيت عام 1974وفضيحة صرفيات النواب البريطانيين عام (2009، واهمية الانترنيت، والمعلوماتية، وتنشيط دور المجتمع المدني.

تؤدي الديمقراطية الرقابية الى توسيع مشاركة هيئات شعبية غير منتخبة في الحياة العامة وفي التعبير عن المواطنين.

تتلخص الديمقراطية الرقابية بوجود هيئات واليات واساليب غير منتخبة، كالصحافة ومنظمات المجتمع المدني وغيرها، قادرة على مراقبة الحكومة وفحصها وتقييدها وكشفها، اضافة الى وجود المؤسسات التقليدية الثلاث التي تؤلف الديمقراطية التمثيلية)الاقتراع الدوري، البرلمان المنتخب، الحكومة المنتخبة(

ويذهب باسكال سلان (2010)الى القول بان الديمقراطية "تشكل في حقيقة الامر نمطا للمراقبة يتوخى من خلاله تفادي الاستغلال المفرط للنفوذ من طرف رجال السلطة ".

كل هذه التعريفات تحاول تحقيق امر واحد وهو ضمان اوسع مشاركة للناس في اختيار حاكميهم وممثليهم وذوي السلطة فيهم. وحاول كل مفكر ممن سبق ذكرهم ان يركز على جانب من الجوانب مما انتهى اليه فكره وتحليله. لكن الجوهر يبقى واحدا، وهو العمل على توسيع نطاق المشاركة، والحفاظ على سيادة الانسان، ومنع مصادرة هذه السيادة والاستيلاء عليها من قبل اي كان.

حاول بعض الباحثين، مثل سورينسن ولاري دايموند، تنضيد هذه النظرات الى الديمقراطية، على اساس التمييز بين بين مستويين او حدين للديمقراطية، هما الديمقراطية الرقيقة او الخفيفة من جهة، والديمقراطية الواسعة او السميكة من جهة ثانية.

المستوى الاول: الديمقراطية الضيقة narrow democracy، او الديمقراطية الرقيقة thin democracy.

يعتبر شومبيتر من ابرز ممثلي هذا المستوى، كما تقدم. فهو يكاد يحصر معنى الديمقراطية بالانتخابات. وقرأت ذات يوم كلاما لصامويل هنتنغتن يقول فيه":ان الديمقراطية لا تعني شيئا غير الانتخابات ".ويشرح هذا المفهوم بقوله":تعتبر الانتخابات العامة الحرة والنزيهة بمثابة جوهر الديمقراطية. وقد تكون الحكومات التي تفرزها الانتخابات معدومة الكفاءة، وقصيرة النظر، وتفتقر للشعور بالمسؤولية، وتهيمن عليها المصالح الخاصة، وغير قادرة على تبني السياسات التي يتطلبها الصالح العام. ان تلك الصفات تجعل مثل هذه الحكومات غير مرغوب فيها. ولكنها لا تجعلها غير ديمقراطية ".

واطلق لاري دايموند على هذا المستوى اسم الديمقراطية الانتخابية، باعتبار ان الانتخابات تمثل الحد الادنى الذي يمكن تصوره للديمقراطية .لكنه وضع شروطا للانتخابات التي يمكن بوجودها يمكن القول ان البلد المعني ديمقراطي. وقال انه اذا كان الناس قادرين على استبدال قادتهم، عن طريق الانتخابات الدورية الحرية والنزيهة، فانه يمكن القول ان هناك ديمقراطية انتخابية.

وهذا يعني ان الانتخابات التي تفتقد الى هذه المواصفات، وغيرها مما يذكر عادة في وصف الانتخابات الديمقراطية، لا تعني بالضرورة اقامة نظام ديمقراطي سليم. واما اذا اجريت انتخابات تنعدم فيها فرصة المنافسة الحقيقية، وفرصة الاختيار الحقيقية، والحرية، والنزاهة، على الطريقة التي كانت تجري فيها في العراق ومصر مثلا، فهذه ليست انتخابات ديمقراطية، بطبيعة الحال، ولا يمكن وصف النظام الذي يجريها بانه نظام ديمقراطي، بل هي دكتاتورية مغلفة بورق التوت.

وكلمة الديمقراطية، في الديمقراطيات الانتخابية، بحد ذاتها لا تتضمن اشادة او مدحا لهذا النظام، واعتباره مفضلا ومرغوبا، او اننا لا نحتاج الى الاهتمام بتطويره بعد ذلك؛ ذلك ان الانتخابات وحدها، حتى لو اتصفت بالحرية والنزاهة، لا يعني انها سوف تنتج نظاما عادلا او نزيها او صالحا. فالمهم هنا ما يحصل بعد الانتخابات على مستوى الادارة والانجاز وحماية حقوق الانسان وحماية الاقليات وصيانة دور المرأة، وغير ذلك.

لكن فريد زكريا، رئيس تحرير مجلة نيوزويك الاميركية، يقول ان الديمقراطية بالنسبة للشعوب الغربية تعني "ديمقراطية ليبرالية :"نظام سياسي لا يتميز بالانتخابات الحرة النزيهة فحسب، وانما يتميز ايضا بسيادة القانون، والفصل بين السلطات، وحماية الحريات الاساسية للتعبير والتجمع والديانة والتملك ".

وهذا هو بالضبط ما جعل دوغلاس فيث يعدد مؤسسات ضرورية لأزدهار الديمقراطية، وهي: حكم القانون، حدود لسلطة الدولة، احترام النساء، الملكية الخاصة، حرية التعبير، العدالة المتساوية، والتسامح الديني.

وهذا النظر الى الديمقراطية هو الذي ينتج المستوى الثاني التالي من فهمها.

المستوى الثاني: الديمقراطية الواسعة comprehensive democracyاو السميكة thick democracy :

في اجابته عن السؤال الذي طرحه عام " 1987ما الذي يجب ان تعنيه الديمقراطية اليوم؟"، قدم ديفيد هيلد رؤية للديمقراطية في اطار ما سماه مبدأ الاستقلال الذاتي الديمقراطي democratic autonomy، وهي رؤية تتجاوز كثيرا مفهوم الديمقراطية الرقيقة . ووصف سورينس هذه الرؤية بالديمقراطية الواسعة او الشاملة.

وطور روبرت دال، في عام 1989، تصورا اشمل للديمقراطية، حدد فيه خمسة معايير للعملية الديمقراطية، وهذه المعايير هي:

المعيار الاول: المساهمة الفاعلة، الذي ينص على ضرورة ان تتوفر للمواطنين على مدى عملية صنع القرارات الملزمة فرصة مناسبة وفرصة متساوية من اجل التعبير عن افضلياتهم بخصوص النتيجة النهائية.

المعيار الثاني: المساواة في الاقتراع في المرحلة الحاسمة، حيث لا بد ان تعطى لكل مواطن فرصة متساوية لتمكنه من التعبير عن اختيار يتم اعتباره متكافئا في الاهمية مع ذلك الذي تم التعبير عنه من قبل مواطن اخر.

المعيار الثالث: الفهم المستنير، الذي ينص على ضرورة ان يتوفر لكل مواطن ما يكفي من الفرص المتساوية من اجل اكتشاف الاختيار وتأييده، حول الموضوع المراد اتخاذ القرار بشأنه.

المعيار الرابع: مراقبة جدول الاعمال، الذي ينص على وجوب ان تتوفر لهيئة المواطنين الفرصة المقصورة عليهم لأتخاذ القرار حول الكيفية التي يتم بموجبها ضع القضايا على جدول اعمال الامور التي يراد اقرارها على طريق العملية الديمقراطية.

المعيار الخامس: شمولية المواطنة، الذي ينص على انه لا بد لهيئات المواطنين من ان تشمل كافة البالغين من اعضاء التجمع، باستثناء العابرين، ومن يثبت انهم متخلفون عقليا .مع الاشارة هنا الى ان جوهر المواطنة يتعلق بفكرة ان يكون للمواطن وضع واحد فقط، بحيث يتمتع الجميع بالحقوق القانونية والسياسية نفسها، ويجب ان تمنح هذه الحقوق للمواطنين كأفراد، من دون ان تكون هناك حقوق خاصة)او حالات عدم الاهلية (يختص بها البعض دون غيرهم على اساس انتمائهم لأحدى الجماعات.

وموخرا، وتحديدا في عام 2008، حدد لاري دايموند 10عناصر يجب توفرها لكي يكون الوضع ديمقراطيا.

.1الحرية الفردية في الاعتقاد والرأي والنقاش والكلام والبث العام، والتجمع، والتظاهر، والتنافس، والانترنيت.

.2حرية الجماعات الاثنية والدينية والعرقية واية اقليات اخرى في ممارسة شعائرها الدينية وقيمها الثقافية وفي المشاركة على قدم المساواة مع الاغلبية في الحياة السياسية والاجتماعية.

.3حق جميع البالغين من الذكور والاناث في الاقتراع والترشيح للمناصب.

.4الشفافية و التنافس الحقيقي في المجال الانتخابي، بما يمكن اية جماعة تلتزم بالمبادئ الدستورية من تشكيل حزبها السياسي والتنافس الانتخابي لتولي المناصب.

.5المساواة القانونية لجميع المواطنين امام حكم القانون، حيث تكون القوانين واضحة ومعروفة للراي العام، وشاملة، ومستقرة، غير ذات اثر رجعي.

.6القضاء المستقل والحيادي والقادر على حماية حقوق الافراد والجماعات.

.7حماية الافراد من الاضطهاد والخوف والاعتقال التعسفي، والنفي، والتدخل في الشؤون الشخصية لحياتهم، سواء من قبل الدولة او من قبل فاعلين غير حكوميين.

.8التعددية الحقيقية في مصادر المعلومات واستقلالية المنظمات عن الدولة، اي المجتمع المدني.

.9الرقابة المؤسساتية على المسؤولين المنتخبين، من قبل هيئات قضائية مستقلة، ونظام محاكم، وهيئات اخرى مستقلة.

.10السيطرة على القوات المسلحة وقوى الامن من قبل مسؤولين مدنيين معرضين للمحاسبة من قبل الجمهور من خلال الانتخابات.

...ومازال المجال مفتوحا للمفكرين والباحثين ان يطورا المزيد من التصورات والمعايير للديمقراطية التي تستهدف في نهاية المطاف توسيع نطاق مشاركة البشر في صياغة واقتراح واتخاذ القرارات التي تؤثر على حياتهم، بما في ذلك اختيار القادة والممثلين والحكام. فهذا هو الهدف النهائي للديمقراطية، ان يكون الانسان سيد نفسه، ومالك مصيره، و"...خليفة لله "في الارض.

الديمقراطية والرأسمالية

كثيرا ما يربط بعض الكتاب العلمانيين والاسلاميين بين الديمقراطية والرأسمالية ربطا عضويا وكأنه ليس بالامكان الاخذ باحدهما دون الثاني. ويتجاهل هذا الربط التاريخ المعقد للعلاقة بين الرأسمالية والديمقراطية.

ففي البداية، كان للرأسمالية تأثير سلبي على الديمقراطية، حيث كانت السلطة الاقتصادية تكون في يد الأقلية الثرية والأثرى، مما سمح لهم بالتلاعب بالعملية السياسية والمؤسسات الديمقراطية لصالحهم. وكان الرأسماليون لا يشعرون بالارتياح لتصاعد الحركة الديمقراطية في اوروبا.

مع مرور الوقت وتطور الحركات التضامنية والنقابات والحركات الاجتماعية، ظهر توازن غير مستقر بين الرأسمالية والديمقراطية. تحققت بعض الإصلاحات الاجتماعية وتمكنت الفئات العاملة من الحصول على حقوق أكثر، وتأثرت هذه الإصلاحات بصورة كبيرة بفلسفة الديمقراطية وحقوق الإنسان.

مع ذلك، لا تزال هناك انتقادات حول كيفية تفاعل الرأسمالية مع الديمقراطية. فبينما يعتبر البعض أن الرأسمالية تعتمد على مفهوم الحرية الشخصية والتجارة الحرة وتشجع التنافس والأفكار الجديدة، فإن آخرين يرون أن الطبيعة المتنامية للرأسمالية تؤدي إلى عدم التوازن في الثروة وزيادة التفاوت الاقتصادي، مما يهدد المساواة والعدالة الاجتماعية ويقتصر فعالية الديمقراطية.

إذاً، يمكن القول أن العلاقة بين الرأسمالية والديمقراطية لا تزال تحتاج إلى توازن ومراجعة مستمرة.

ليست حتمية

العلاقة بين الرأسمالية والديمقراطية ليست حتمية بمعنى أنها لا تفرض ضرورة وجود الأخرى. على الرغم من أن الرأسمالية والديمقراطية قد تعملان بشكل أفضل معًا في العديد من الحالات، إلا أنهما ليستا مترابطتين بشكل لا يمكن فصلهما.

الديمقراطية تركز على الشراكة والشفافية وحكم الأغلبية، بينما تهتم الرأسمالية بالملكية الفردية وتشجيع المبادرة الخاصة والربح. قد يظهر توازن إيجابي بين الرأسمالية والديمقراطية عندما يتم ضمان مساواة الفرص وحماية حقوق العمال والبيئة في إطار اقتصاد السوق.

مع ذلك، قد يكون هناك صراع بين الرأسمالية والديمقراطية في حالة الانحراف أو التطرف الذي يتمثل في استغلال السلطة الاقتصادية لصالح الأقلية الثرية أو تدخل الدولة المفرط في الاقتصاد. في هذه الحالات، يمكن أن تتضرر المساواة والعدالة الاجتماعية، وقد تُقلل من فاعلية الديمقراطية في تحقيق مصالح الأغلبية.

بالتالي، على الرغم من وجود تفاعل وتأثير بين الرأسمالية والديمقراطية، فإن العلاقة بينهما تتطلب مراجعة ومؤازرة مستمرة لضمان تحقيق العدالة والمساواة في خدمة المصلحة العامة.

الدولة الحضارية الحديثة

في الدولة الحضارية الحديثة، فإن الرأسمالية والديمقراطية غالبًا ما تكون مترابطتين بشكل كبير. يعتبر هذا التوازن بين النظام الاقتصادي والنظام السياسي أمرًا هامًا لضمان الاستقرار والتنمية الشاملة.

الرأسمالية في الاقتصاد تتطلب حرية الملكية الفردية وحرية شراء وبيع الممتلكات والحرية في اتخاذ القرارات الاقتصادية. تشجع الرأسمالية على المنافسة والابتكار وعادة ما تؤدي إلى زيادة الإنتاجية والازدهار الاقتصادي. ومع ذلك، فإنه يجب أن يتم تنظيم النظام الرأسمالي بما يضمن عدالة التوزيع وحقوق العمال وحماية البيئة.

أما الديمقراطية في الحكم، فتهدف إلى توفير سيادة الشعب ومشاركته في صنع القرار. تعتبر الديمقراطية نظامًا سياسيًا يحمل مبادئ حكم الأغلبية وحقوق الأقلية وحماية الحقوق الأساسية والحريات الفردية. تسمح الديمقراطية للمواطنين بالمشاركة السياسية والاختيار بحرية من خلال الانتخابات والحوار العام.

وبالتالي، في الدولة الحضارية الحديثة، يُعتبر توفير كلا من الرأسمالية في الاقتصاد والديمقراطية في الحكم أمرًا أساسيًا للتنمية المستدامة والازدهار الشامل وممارسة الحقوق والحريات الأساسية للأفراد.

نظام اقتصادي غير رأسمالي

وأنت من الممكن أن يطور البشر نظامًا اقتصاديًا غير رأسمالي يتناسب مع الديمقراطية في الدولة الحضارية الحديثة. في الواقع، هناك تجارب ونماذج عديدة في العالم تستكشف هذه الفكرة.

تعتمد الرأسمالية على الإشباع الذاتي وتحقيق الربح، بينما يمكن أن يركز النظام الاقتصادي البديل على المبادئ الاجتماعية والتوزيع العادل للثروة والفرص. فعلى سبيل المثال، يمكن تحقيق ذلك من خلال الاقتصاد الاشتراكي الديمقراطي الذي يتم فيه توجيه الاقتصاد بواسطة الدولة أو بالتعاون الجماعي بدلاً من القطاع الخاص. كما يمكن ذلك من خلال الاقتصاد المستند الى الاسلام.

علاوة على ذلك، يمكن أيضًا استكشاف نماذج اقتصادية أخرى تحتوي على عناصر من النظامين الاقتصادي والسياسي. على سبيل المثال، يمكن تبني نظام الاقتصاد الاجتماعي السويدي الذي يمزج بين عناصر الرأسمالية الحرة ورفاهية الدولة والمشاركة الشعبية في صنع القرار. وهناك أيضاً الاقتصاد التعاوني الذي يركز على تعاون الأفراد والمشاركة الديمقراطية في اتخاذ القرارات الاقتصادية.

لذلك، فإنه في الدولة الحضارية الحديثة، لا تحتاج الديمقراطية إلى أن تكون مرتبطة حصرًا بالرأسمالية في الاقتصاد. هناك مجموعة واسعة من النماذج الاقتصادية والسياسية يمكن استكشافها وتطويرها لتحقيق التوازن المطلوب بين الديمقراطية في الحكم وأنظمة اقتصادية تعزز العدالة الاجتماعية.

الاقتصاد الاسلامي

من المعروف أن الإسلام يوفر مجموعة من المبادئ والتوجيهات الاقتصادية التي يمكن تطبيقها في نمط اقتصادي يتماشى مع القيم الدينية والمتطلبات الاجتماعية. تشمل هذه المبادئ إقرار التعامل العادل في التجارة، المنع من الاحتكار والربا، والتوزيع العادل للثروة والفرص.

وبين السيد محمد باقر الصدر (١٩٣٥-١٩٨٠) في كتابه "اقتصادنا" الهيكل العام للاقتصاد على اساس الاسلام، و المؤلف من ثلاثة اركان رئيسية هي: مبدأ الملكية المزدوجة، ومبدأ الحرية الاقتصادية في نطاق محدود، ومبدأ العدالة الاجتماعية. اضافة الى ذلك اوضح ان الاقتصاد القائم على اساس الاسلام يتصف بصفتين هما: الاخلاقية والواقعية. وقد استنبط الصدر هذه الامور من النصوص التأسيسية ذات العلاقة.

ومن الممكن تحويل هذه المبادئ إلى نظام اقتصادي قائم على أسس الإسلام يمكن تطبيقه في الدولة الحضارية الحديثة، جنبًا إلى جنب مع الديمقراطية. وقد تم بالفعل تطبيق بعض جوانب الاقتصاد الإسلامي في بعض الدول التي تتبنى النظام الديمقراطي، وتشمل هذه الجوانب البنوك الإسلامية والتأمين والممتلكات البارزة.

ومع ذلك، يجب الإشارة إلى أن تطبيق نظام اقتصادي قائم على أسس الإسلام في الدولة الحضارية الحديثة قد يواجه تحديات وصعوبات في التوافق بين التطلعات الدينية والاحتياجات الاقتصادية المتغيرة والتطورات العالمية. يعتمد نجاح أي نظام اقتصادي على قدرته على تحقيق التوازن بين الأهداف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

الخاتمة

والخلاصة، ماهي الديمقراطية؟
الديمقراطية مفهوم سيّال تعرض للكثير من التغيرات والتحولات . الكتب المدرسية تقول ان الديمقراطية هي حكم الشعب بالشعب ولاجل الشعب.
وقد تعرض هذا التعريف لكثير من النقد ولم يعد قائما.
وسوف اقوم هنا بطرح تعريف للديمقراطية يقول انها" :الية مؤسساتية محايدة لتداول السلطة سلميا بدون اراقة دماء عن طريق الانتخابات العامة الدورية".
وتعود اصول هذا التعريف الى الكثير من الكتابات على رأسها كتاب شومبيتر حول الديمقراطية.
ويمثل هذا التعريف الحد الادنى للديمقراطية. او كنا يقول لاري دايموند .thin democracy
وفيما يلي اتناول مفردات التعريف المقترح مفردةً مفردةً.
الديمقراطية:
شاعت كلمة democracyالانكليزية منذ القرن السادس عشر. وتقول المراجع ان الانكليز اخذوها من الفرنسيين، عن اللغة اللاتينية، عن الاغريقية demokratiaالمأخوذة من demos اي الناس، و kratia اي الحكم او السلطة. وتتوقف المراجع الى هنا في تعقب اصل الكلمة.
لكن الباحث الاميركي المتعمق جون كين تعقب اصل كلمة demosالى اصولها في اللغات السابقة على اللغة الاغريقية.
وبين في كتابة الكبير the life and death of democracy ان الجذر اللغوي للكلمة يعود الى السومريين حوالي ٢٥٠٠ ق م.
فقد استعمل السومريون كلمة dumuحيث بدات المرحلة الاولى للديمقراطية في بلاد وادي الرافدين في تلك الفترة، وهي ديمقراطية المجلس، التي استمرت الى حدود عام ١٠٠٠ م، لتبدأ مرحلة الديمقراطية التمثيلية، ثم مرحلة الديمقراطية الرقابية بعد الحرب العالمية الثانية.
ويبدو ان الفينيقيين حملوا الكلمة الى جزيرة كريت، حيث الحضارة الميسينية التي حولت الكلمة الى damos ثم تحولت الى demosحوالي عام ١٢٠٠ ق م، قبل ان تنتقل من كريت الى اثينا، لتصبح .democratia
وبسبب نزعة المركزية الثقافية الاوروبية، اشاع الكتاب الاوروبيون ان كلمة ديمقراطية اغريقية معناها حكم الشعب.
وكان افلاطون وارسطو قد استخدما الكلمة في مؤلفاتهما الجمهورية، والسياسة.
و تمت ترجمة الكلمة الى العربية، بعبارة "المدينة الجماعية "كما في كتابات الفارابي وابن رشد. ولو كان المترجمون العرب عرّبوا الكلمة كما نفعل الان مع كلمة تلفون وتلفزيون وغيرهما، لدخلت كلمة الديمقراطية القاموس العربي منذ ذلك الحين.
والديمقراطية الية: فهي وسيلة او مجموعة اليات لتنظيم تولي السلطة وتداولها في المجتمع. ولهذا يمكن تطبيقها في مختلف المجتمعات بدون التأثر بالمعتقدات الدينية للافراد.
وهي ليست عقيدة دينية او سياسية.
وهي الية محايدة، ويتجلى ذلك مثلا في موقفها من الدين، فهي ليست ضد. اما المخرجات الاخرى فهي ذات علاقة بالانظمة القيمية والاخلاقية والثقافية والاقتصادية للمجتمع.
وهي الية مؤسساتية بمعنى انها تعمل من خلال مؤسسات وليس من خلال الشارع. وعلى راس هذه المؤسسات المجالس التمثيلية والاحزاب والمؤسسات الاعلامية.
ووظيفة الديمقراطية تنظيم تداول السلطة في المجتمع:

ا.السلطة او الحكومة هي العمود الفقري للدولة. وهي العنصر الثالث بعد الوطن والشعب، يليها السيادة)والنظام القيمي بالنسبة للدولة الحضارية الحديثة.(
ولا يمكن تصور مجتمع او دولة بدون سلطة او حكومة.
ب. والعقدة الاساسية في السلطة تكمن في طريقة توليها او تداولها بين الناس. فلئن رضي الناس ان يكونوا قسمين: حاكمين ومحكومين، فان عليهم ان يتفقوا يكون بعضهم حاكمين فيما يكون البعض محكومين.
وقد مرت البشرية بتجارب كثيرة في هذا الامر، وسفكت دماء كثيرة بسببه وفي سبيله.
واليوم تدرك البشرية ان تداول السلطة افضل من احتكارها وتوارثها.
فلا يملك اي انسان حق احتكار السلطة لنفسه او لذريته، ولم يعد لفرضية التفويض الالهي من وجود.
واصبح تداول السلطة بطريقة مؤسساتية وسلمية من معالم الدولة الحضارية الحديثة .
فالديمقراطية الية لتداول السلطة سلميا:
حيث ادركت قطاعات واسعة من من البشرية ان الطريق السلمي لتداول السلطة اسلم واقل كلفة. وهذا الطريق هو الديمقراطية .
ولهذا نقول الديمقراطية الية لتداول السلطة سلميا بدون اراقة دماء. فبدلا من الانقلابات العسكرية والحروب الاهلية ومؤمرات القصر الخ، يذهب الناس الى صناديق الاقتراع دوريا لاستبدال الطبقة الحاكمة.
ولهذا تشكل الانتخابات الدورية الالية الاساسية في الديمقراطية. ويجب ان تكون الديمقراطية عادلة وشفافة ومنصفة.
وهذا يتطلب وجود قانون للانتخابات يحقق ويضمن هذه المواصفات.
وافضل صيغة للانتخابات هي الانتخابات الفردية.
ولا يفترض ان تحقق الانتخابات الاجماع في الاختيار؛ فهذا من شبه المستحيلات في المجتمع البشري. لذا اختارت البشرية مبدأ الاكثرية الانتخابية .ويكون على الاقلية الاذعان لقرار الاغلبية.
والديمقراطية من ركائز الدولة الحضارية الحديثة.
-

نموذج الدولة الدستورية الحديثة لهيجل والدولة الحضارية الحديثة

المقارنة بين نموذج الدولة الدستورية الحديثة لهيجل والدولة الحضارية الحديثة تستلزم النظر في عدة جوانب مختلفة تشمل الأساس الفلسفي، الأهداف، والمبادئ التي تقوم عليها كل من النظريتين.

###الأساس الفلسفي:

** -نموذج هيجل للدولة الدستورية :**يقوم على فلسفة الروح العالمية، حيث يرى هيجل الدولة كتجسيد للعقل الأخلاقي ويعتبرها مرحلة ضرورية في تطور الوعي البشري نحو الحرية. الدولة بالنسبة له تمثل الأخلاق في هيكلها السياسي وهي المسؤولة عن تحقيق مصلحة العامة.

** -نموذج الشبوط للدولة الحضارية :**يتأسس على النظر إلى الدولة ككيان يجب أن يضمن تقدم الحضارة بمعناها الشامل، ليس فقط في الجوانب الاقتصادية والسياسية، وإنما في الجوانب الثقافية والروحية أيضًا. الشبوط يؤكد على ضرورة حوار الحضارات والتكامل بين القيم الروحية والعقلانية.

###الأهداف والمبادئ:

** -هيجل :**يركز على أهمية القانون والنظام الدستوري في حماية الحريات الفردية والملكية. يعطي أهمية كبرى لفكرة الوطنية والإحساس بالانتماء إلى الدولة كمجتمع أخلاقي. وفقًا لهيجل، الدولة هي التجسيد الأعلى للروح الأخلاقية.

** -الشبوط :**يرى أن الدولة يجب أن تعمل على تعزيز التفاهم المتبادل والاحترام بين الثقافات المختلفة وتشجيع التنوع الثقافي والديني. يُعلي من قيمة التعليم والعلم كأساس لتطوير الحضارة ويظهر أهمية التوازن بين التقدم المادي والتطور الروحي.

###التطبيق والنتائج:

** -في نظرية هيجل :**الدولة القانونية تهدف إلى تحقيق العدالة وتوفير الأمن وتمكين الفرد من تحقيق ذاته داخل المجتمع.

** -في نظرية الشبوط :**الدولة الحضارية تشدد على بناء مجتمعات تراعي التنوع وتعزز الحوار الحضاري وتسعى نحو تحقيق التوازن بين جميع أوجه الحياة.

###الخلاصة:

بينما يقدم هيجل نموذجًا للدولة يركز على البنية القانونية والأخلاقية كأساس لتحقيق الحرية والعدالة، يوسع الشبوط الرؤية ليشمل البعد الحضاري بكل مكوناته من تقدم مادي، ثقافي، وروحي. كلا النظريتين تقدمان أسسًا مهمة لفهم دور الدولة والمجتمع في تحقيق تطور شامل ومتوازن، لكن بمنظورين مختلفين حول الطريقة الأمثل لتحقيق ذلك.

الفصل
الهوية الوطنية والهويات الفرعية

لا يخلو مجتمع في عالم اليوم من تعددية بشكل ما. تعددية دينية او لغوية او قومية الخ. يقع الفرد في مركز شبكة من الانتماءات المختلفة: الانتماء للدولة، الانتماء للوطن، الانتماء للدين، الانتماء للطائفة أو المذهب، الانتماء للعائلة أو العشيرة، الانتماء للمنطقة، الانتماء للحزب. وهكذا. نسمي واحداً من هذه الانتماءات بأنه الانتماء الجامع؛ في حين نصف الانتماءات الأخرى بالانتماءات الفرعية. الانتماء الجامع وكما يبدو من اسمه يجمع كل أفراد المجتمع الواحد بغض النظر عن انتماءاتهم الفرعية الأخرى، حينما نقول عراقي نقصد كل الأفراد الذين يحملون الجنسية العراقية بغض النظر عن انتماءاتهم الأخرى. كلمة "العراقي" هي التي تعبر عن الانتماء الوطني، في حين تعبر الكلمات الأخرى عن الانتماءات الفرعية داخل المجتمع العراقي أو داخل الانتماء الوطني.

بناء على هذا نعرّف الهوية الوطنية بانها مفهوم يشير إلى الشعور بالانتماء والولاء للدولة أو الأمة ككل، متجاوزًا الانقسامات الفردية أو الجماعية استنادًا إلى العرق، الدين، اللغة، أو أية خصائص أخرى. تقوم الهوية الوطنية على قيم ورموز وتقاليد مشتركة توحد أفراد المجتمع، وتركز على تعزيز الوحدة والتضامن بين مواطني الدولة.

من ناحية أخرى، الهوية الفرعية هي تعبير عن الانتماءات الأصغر داخل المجتمع الأوسع التي تستند إلى العرق، القومية، الدين، المذهب، الثقافة، اللغة أو أي مجموعات أخرى ذات خصائص مميزة. هذه الهويات يمكن أن تكون مصدر قوة وثراء ثقافي، ولكنها أيضًا قد تقود إلى التجزئة أو النزاعات عندما يتم استخدامها لتصنيف الأفراد والمجموعات على أساس الفروق بدلاً من العمل على تعزيز التفاهم المتبادل والاحترام.

بينما تسعى الهوية الوطنية إلى بناء إحساس جامع بين جميع مكونات الشعب، تهتم الهويات الفرعية بالتعبير عن تفرد وتميز مجموعات معينة داخل الدولة. التحدي يكمن في كيفية تعزيز الهوية الوطنية دون إلغاء أو تهميش الهويات الفرعية، بل العمل على تقديرها وإدماجها ضمن النسيج الوطني الأوسع.

التوتر بين الهوية الوطنية والهويات الفرعية يشير إلى الصراع أو الخلاف الذي يحدث عندما تتعارض مصالح وأولويات الهوية الوطنية الجامعة مع تلك الخاصة بالهويات الفرعية، كالهويات العرقية، الدينية، الطائفية، أو الثقافية.

يمكن دراسة التوتر بين الهوية الوطنية والهويات الفرعية الطائفية والعرقية على ثلاثة مستويات: الاجتماعي، الحزبي، ومستوى النظام السياسي.

١. المستوى الاجتماعي

على المستوى الاجتماعي، يؤدي التوتر بين الهوية الوطنية والهويات الفرعية إلى فجوات وانقسامات داخل المجتمع. الهوية الوطنية تسعى لتعزيز إحساس بالانتماء والوحدة بين جميع المواطنين، بغض النظر عن انتماءاتهم الطائفية أو العرقية. في المقابل، الهويات الفرعية تستند إلى الانتماء لمجموعات ضيقة قد تميل إلى تفضيل مصالحها الخاصة وقد تشعر بالتمييز أو الإقصاء من قبل الدولة أو المجموعات الأخرى. هذا الانقسام يمكن أن يؤدي إلى عدم الاستقرار الاجتماعي، الصراعات، وحتى العنف.

٢. المستوى الحزبي

على المستوى الحزبي، يمكن أن يؤدي تركيز الأحزاب السياسية على الهويات الفرعية إلى تعزيز التقسيم بدلاً من التوحيد. الأحزاب التي تمثل مصالح طائفية أو عرقية معينة قد تعمل على تحقيق أجنداتها الخاصة، مما يعزز الشعور بالانقسام السياسي والاجتماعي. هذا يقلل من القدرة على تحقيق سياسات تشمل المجتمع بأسره ويعرقل محاولات بناء أمة موحدة ومتماسكة.

الفرق الأساسي بين حزب سياسي تأسس على أساس الهوية الوطنية وآخر تأسس على أساس هوية عرقية أو طائفية يكمن في أساس التجمع والأهداف التي يسعى كل منهما إلى تحقيقها:

** .1حزب قائم على الهوية الوطنية**:

- يركز على تعزيز الوحدة والهوية الجامعة لجميع مواطني الدولة بغض النظر عن اختلافاتهم الطائفية، العرقية، أو الثقافية.
- يسعى إلى تحقيق أهداف تنموية وسياسية تستجيب لحاجات وتطلعات جميع المواطنين على أساس الهوية الوطنية المشتركة.
- يدعو إلى سياسات تعزز الاندماج وتقوي من شعور الانتماء للدولة ككل.
- يمكن أن يكون أكثر قدرة على تجاوز الانقسامات الداخلية وبناء توافق واسع النطاق حول المصالح الوطنية.

** .2حزب قائم على الهوية العرقية أو الطائفية**:

- يستند إلى هوية محددة تميز مجموعة عرقية أو طائفية بعينها داخل الدولة، مما يجعل أهدافه موجهة بشكل أساسي نحو تحقيق المصالح الخاصة بهذه المجموعة.
- يمكن أن يسهم في تعميق الانقسامات والتوترات القائمة على أساس الهويات الفرعية داخل الدولة، مما يقوض الوحدة الوطنية.
- قد يعزز من التمايز والعزلة بين مختلف المكونات السكانية للدولة، ويحول دون تحقيق تماسك اجتماعي وطني.
- في بعض الحالات، تصبح المطالب العرقية أو الطائفية أساسًا للنزاعات وعدم الاستقرار السياسي والاجتماعي.

بشكل عام، الفارق بين النوعين من الأحزاب يؤثر بشكل كبير على طبيعة المشهد السياسي والاجتماعي للدولة، حيث إن الأحزاب القائمة على الهوية الوطنية تميل إلى تعزيز الوحدة والتماسك الوطني، بينما الأحزاب القائمة على الهوية العرقية أو الطائفية قد تسهم في تعميق الانقسامات وتوتر العلاقات بين مختلف مكونات المجتمع.

###٣. مستوى النظام السياسي

على مستوى النظام السياسي، تظهر تأثيرات التوتر بين الهوية الوطنية والهويات الفرعية من خلال سياسات الدولة وتوزيع السلطة. نظام سياسي يعزز الهوية الوطنية فوق الهويات الفرعية قد يعمل على اتباع سياسات تهدف إلى الاندماج والتوحيد، في حين أن نظاماً يعطي الأولوية للهويات الفرعية يمكن أن يؤدي إلى تفضيل مجموعات على حساب أخرى، مما يؤدي إلى تعميق الانقسامات وقد يقوض شرعية النظام السياسي ويعرقل الحكم الفعال.

الفرق بين حياة سياسية قائمة على أساس الهوية الوطنية وحياة سياسية قائمة على أساس الهويات الفرعية يكمن في طريقة تنظيم المجتمع ومنهجية توزيع السلطة والموارد، وطبيعة العلاقات بين مختلف المكونات الاجتماعية. هذا الفرق يؤثر بشكل مباشر على الاستقرار، التنمية، والتماسك الاجتماعي داخل الدولة.

** .1أساس الهوية الوطنية **:في الحياة السياسية التي تقوم على أساس الهوية الوطنية، تُعطى الأولوية للمفهوم الشامل للمواطنة والانتماء للدولة-الأمة. السياسات والممارسات الحكومية تهدف إلى تحقيق المصلحة العامة، مع التأكيد على القيم المشتركة، الوحدة، والتضامن الاجتماعي. تُمنح الفرص والموارد بناءً على الجدارة والحاجة، بدلاً من الانتماء الطائفي أو العرقي، ويتم التركيز على بناء مؤسسات ديمقراطية شاملة تمثل وتخدم جميع المواطنين بالتساوي.

** .2أساس الهويات الفرعية **:بالمقابل، في الحياة السياسية المبنية على أساس الهويات الفرعية، تصبح الولاءات الطائفية، العرقية، أو القبلية أساساً لتنظيم المجتمع وتوزيع السلطة والموارد. هذا النهج يؤدي إلى التفتيت والانقسامات داخل المجتمع، حيث تتنافس الجماعات المختلفة على النفوذ والموارد، مما يضعف النسيج

الاجتماعي ويمكن أن يؤدي إلى الصراع. الحكومة والمؤسسات في هذا السياق قد تُدار بما يخدم مصالح هذه الجماعات الفرعية بدلاً من المصلحة العامة، مما ينتج عنه تمثيل وخدمة غير متساوية للمواطنين.

هذا التوتر يمكن أن يؤدي إلى عدة مشاكل:

** .1الصراعات والانقسامات :**يمكن أن تنشأ صراعات بين مجموعات مختلفة ضمن الدولة لأن كل مجموعة تسعى إلى تعزيز مصالحها وحماية هويتها الخاصة، مما قد يؤدي إلى انقسامات عميقة داخل المجتمع.

** .2ضعف الانتماء الوطني :**عندما تغلب الهويات الفرعية، قد يصعب على الأفراد الشعور بالانتماء إلى الهوية الوطنية الأكبر، مما يؤدي إلى ضعف الولاء للدولة وتقويض الشعور بالوحدة الوطنية.

** .3تحديات للحكم والاستقرار :**التوتر بين الهويات يمكن أن يعرقل عملية صنع القرار ويعوق التنمية، حيث تسعى كل مجموعة للحصول على مكاسب خاصة بها، مما قد يعيق تنفيذ السياسات الشاملة والمفيدة للجميع.

** .4تحديات للتماسك الاجتماعي :**الهويات الفرعية القوية قد تقوض جهود التماسك الاجتماعي والتعايش بسلام، حيث تصبح الثقة المتبادلة والتفاهم بين المجموعات المختلفة صعبة.

لمعالجة هذا التوتر، غالبًا ما يُنصح بتعزيز مبادئ الشمولية، التسامح، والاحترام المتبادل، وبناء هوية وطنية تتخطى الانقسامات الفرعية وتعكس التنوع داخل الدولة، مع العمل على ضمان تمثيل ومشاركة جميع المجموعات في العمليات السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

إدارة هذا التوتر تتطلب جهوداً متعددة الأبعاد تشمل تعزيز قيم المواطنة والانتماء الوطني، الإصلاح السياسي والقانوني الذي يضمن تمثيل جميع الجماعات بشكل عادل، وتنفيذ سياسات تعليمية وإعلامية تعزز التفاهم والاحترام المتبادل بين مختلف مكونات المجتمع.

الحالة العراقية

مشكلة الحياة السياسية في العراق تعد من المعضلات المعقدة التي تعود جذورها إلى التاريخ الطويل والمتشابك للبلاد، خصوصًا فيما يتعلق بتركيبة المجتمع المتنوعة عرقيًا وطائفيًا. الصراعات والتقسيمات على أساس هويات طائفية وعرقية أسهمت بشكل كبير في تعقيد الساحة السياسية العراقية، وأحدثت فجوات عميقة بين مكونات المجتمع المختلفة.

في العقود الأخيرة، عانى العراق من عدة أزمات سياسية وأمنية جاءت نتيجة للانقسامات العميقة فيه. هذه الانقسامات ليست فقط بين الكتل السياسية داخل البرلمان أو الحكومة، بل تمتد لتشمل القاعدة الشعبية للمجتمع العراقي. العراق، بتاريخه الطويل والغني، يضم مجموعة متنوعة من الأعراق والطوائف، بما في ذلك العرب والأكراد والتركمان والشبك، بالإضافة إلى تنوع طائفي يشمل السنة والشيعة والمسيحيين وغيرهم. هذا التنوع يمكن أن يكون مصدر قوة، لكنه أصبح، بسبب السياسات الخاطئة والأجندات الخارجية، محوراً للصراع والانقسام.

تقوم المشكلة الأساسية على فكرة أن النظام السياسي والانتخابي في العراق يشجع على التقسيمات الطائفية والعرقية. هذا النظام يمنح الأفضلية للهويات الفرعية على حساب الهوية الوطنية الجامعة، ما يعزز التنافس على أسس غير وطنية ويبرز الولاءات الضيقة. النتيجة هي تفتيت القوة السياسية والشعور بالاستبعاد بين الجماعات التي لا تشعر بالتمثيل الكافي في العملية السياسية.

من أجل تجاوز هذه المعضلة، يتطلب الأمر تعزيز مفهوم الهوية الوطنية العراقية التي تتجاوز الانقسامات الطائفية والعرقية. يعني هذا العمل على إنشاء نظام يقوم على المواطنة والمساواة وحقوق الإنسان، ويهدف إلى بناء دولة تستوعب جميع مكوناتها دون تمييز. السبيل إلى ذلك يكمن في الإصلاحات السياسية والقانونية التي تضع مصلحة الوطن أولًا وتشجع على المشاركة السياسية الفعالة لجميع المواطنين بمختلف خلفياتهم.

إن التحول نحو الهوية الوطنية يتطلب جهودًا مشتركة من القيادات السياسية، ومنظمات المجتمع المدني، وجميع أطياف المجتمع العراقي، لبناء رؤية مشتركة تحترم التنوع وتحتضنه في إطار وحدة وطنية شاملة.

الانتقال من نظام قائم على أساس الهويات الفرعية إلى نظام يعتمد الهوية الوطنية يتطلب بناء وعي مشترك حول أهمية التماسك الوطني، وإعادة تشكيل السياسات والممارسات بما يعزز المساواة والعدالة لجميع المواطنين. يتطلب هذا الجهد أيضاً تعزيز المؤسسات الديمقراطية التي تحمي حقوق الإنسان وتشجع على المشاركة السياسية الفعالة والمسؤولة من قبل جميع مكونات المجتمع.

الفصل
المواطنة والدين
(١)

في الدولة الحديثة، تُعتبر المواطنة مفهومًا ينطوي على حقوق وواجبات متساوية لجميع الأفراد، بغض النظر عن خلفياتهم الدينية. هذه الرؤية للمواطنة تقوم على مبدأ الانتماء إلى الوطن والدولة بدلاً من الدين كأساس للحقوق المدنية والسياسية. وهذا يضمن الحرية الدين للافراد بحيث يستطيع كل شخص اعتناق أي معتقدات دينية أو عدم اعتناق أي منها دون أن يؤثر ذلك على مركزه القانوني كمواطن.

مبدأ المساواة يعتبر أحد الأركان الأساسية للمواطنة في الدول الحضارية الحديثة. فالقوانين والسياسات يجب أن تطبق على الجميع بصورة متماثلة، ولا يُسمح باستخدام الدين كسبب للتمييز. هذا يساعد في بناء مجتمع يحترم التنوع ويُكّرم التعددية الثقافية والدينية.

لتعزيز المواطنة على هذا الأساس، تعتمد الدول دساتير توفر الحماية القانونية للحريات الفردية وتضمن الحق في المساواة أمام القانون. كما تتضمن التشريعات وجوب احترام حق الأفراد في ممارسة شعائرهم الدينية أو العقائدية بحرية، طالما أن ذلك لا يخرق القانون أو ينتهك حقوق الآخرين.

السيد محمد باقر الصدر اكد حق الامة (=الشعب) في "الرعاية وحمل الامانة وافرادها جميعا متساوون في هذا الحق امام القانون ولكل منهم التعبير من خلال ممارسة هذا الحق عن ارائه وافكاره وممارسة العمل السياسي بمختلف اشكاله، كما لهم جميعا حق ممارسة شعائرهم الدينية والمذهبية. وتتعهد الدولة بتوفير ذلك لغير المسلمين من مواطنيها الذين يؤمنون بالانتماء السياسي اليها والى إطارها العقائدي ولو كانوا ينتسبون دينيا الى اديان اخرى". ويمثل هذا القول امتدادا للرؤية الحضارية للدين التي قدمها السيد الصدر وهو يجيب فكريا على اسئلة النهضة في العراق وبقية مجتمعات العالم الاسلامي.

وبهذا فان المواطنة في الدولة الحديثة تسمو فوق الانقسامات الدينية لتؤسس مجتمعاً قائماً على أسس المساواة والتضامن والاحترام المتبادل والتعايش السلمي. وهذا يؤدي إلى دولة أكثر تماسكًا واستقرارًا ومجتمع اكثر تألفا وتعاونا ورحمة حيث يشعر الجميع بأنهم جزء لا يتجزأ من النسيج الوطني، بصرف النظر عن معتقداتهم الدينية أو عدمها.

وهذا ما نجده عند السيد علي السيستاني حيث طرح فكرة قانون الاحترام المتبادل (١٤٠٩ هجرية) ومفادها انه "اذا كان بناء المجتمع المتشكّل من الاديان والمذاهب المختلفة على التعايش السلمي فان ذلك يستدعي احترام كل من الاطراف قانون الطرف الاخر" ."وذلك لان عدم الاحترام ينافي التعايش السلمي المشترك الذي هو اساس الذمة والهدنة والتعاون ."

ان المواطنة تُبنى على مفهوم الانتماء إلى دولة معينة وتحمل الالتزامات والحقوق التي تنبثق من هذا الانتماء. وتشمل الحقوق السياسية والمدنية والاجتماعية وغيرها. من ناحية أخرى، يُعد الدين والعقائد الشخصية جزءًا مهمًا من هوية الفرد وقد تشكل جزءًا أساسيًا من الثقافة والتقاليد داخل الدولة.لا يوجد تعارض بالضرورة بين هذين المفهومين. في دولة تُقدّر المواطنة القائمة على أساس الديمقراطية والمساواة، يتم احترام الحق في حرية العقيدة والدين كجزء من حقوق الإنسان. يشمل ذلك الحق في ممارسة الشعائر الدينية، وحماية الأماكن الدينية، والتعبير عن المعتقدات الدينية.

في الواقع، يمكن لمفهوم المواطنة الشامل أن يعزز التنوع والتعددية داخل الدولة. وذلك من خلال الاعتراف بأن جميع المواطنين، بغض النظر عن اعتقاداتهم الدينية، لديهم نفس الحقوق ويجب أن يكونوا موضوعين لنفس الالتزامات القانونية.

عند وضع القوانين والسياسات، يجب على الحكومات مراعاة التنوع الديني والثقافي لمواطنيها والعمل على حماية الحقوق الأساسية للجميع. يجب أيضًا أن تكون هناك آليات لضمان عدم وجود تمييز على أساس الدين أو المعتقد، ولتوفير الفرص المتساوية لجميع المواطنين.
التوازن بين المواطنة واحترام الدين يتطلب حوارًا مستمرًا، فهمًا متبادلاً وسياسات تكون شاملة، سواء على مستوى القوانين الوطنية أو الممارسات الاجتماعية. وبذلك، يمكن للدولة أن تعزز التماسك الاجتماعي وقبول التنوع كإثراء للمجتمع الوطني.

(٢)

تقام المواطنة على مفهوم الانتماء إلى دولة معينة وتحمل الالتزامات والحقوق التي تنبثق من هذا الانتماء. وتشمل الحقوق السياسية والمدنية والاجتماعية وغيرها. من ناحية أخرى، يُعد الدين والعقائد الشخصية جزءًا مهمًا من هوية الفرد وقد تشكل جزءًا أساسيًا من الثقافة والتقاليد داخل الدولة.
لا يوجد تعارض بالضرورة بين هذين المفهومين. في دولة تُقدّر المواطنة القائمة على أساس الديمقراطية والمساواة، يتم احترام الحق في حرية العقيدة والدين كجزء من حقوق الإنسان. يشمل ذلك الحق في ممارسة الشعائر الدينية، وحماية الأماكن الدينية، والتعبير عن المعتقدات الدينية.
في الواقع، يمكن لمفهوم المواطنة الشامل أن يعزز التنوع والتعددية داخل الدولة. وذلك من خلال الاعتراف بأن جميع المواطنين، بغض النظر عن اعتقاداتهم الدينية، لديهم نفس الحقوق ويجب أن يكونوا موضوعين لنفس الالتزامات القانونية.
عند وضع القوانين والسياسات، يجب على الحكومات مراعاة التنوع الديني والثقافي لمواطنيها والعمل على حماية الحقوق الأساسية للجميع. يجب أيضًا أن تكون هناك آليات لضمان عدم وجود تمييز على أساس الدين أو المعتقد، ولتوفير الفرص المتساوية لجميع المواطنين.
التوازن بين المواطنة واحترام الدين يتطلب حوارًا مستمرًا، فهمًا متبادلاً وسياسات تكون شاملة، سواء على مستوى القوانين الوطنية أو الممارسات الاجتماعية. وبذلك، يمكن للدولة أن تعزز التماسك الاجتماعي وقبول التنوع كإثراء للمجتمع الوطني.
وفي سياق البحث الأكاديمي والعلمي حول المواطنة والدين في الدولة الحديثة، من المهم الاعتماد على المبادئ والنظريات القانونية والسياسية التي تشكل فهمنا للمواطنة في إطار دولة متعددة الثقافات والأديان.
لكن القران الكريم تعرض للموقف من اتباع الديانات الاخرى في عدد من الايات مثل قوله تعالى:
"لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ.") المائدة (72
"إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ".) البقرة (62
"إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ." (الحج ١٧)
هذه الايات تشرع الموقف الديني من اصحاب الديانات المذكورة، ولا تحدد موقفهم القانوني في الدولة. ولهذا فان الاستشهاد بها في سياق بحث اوضاع غير المسلمين في دولة حديثة قد لا يعزز الفهم المطلوب ويمكن أن يكون غير مناسب في هذا البحث.
الآيات الدينية عموماً تحمل قيمة روحانية ودينية كبيرة للمؤمنين بها، ولكن الاستشهاد بها في البحوث الأكاديمية قد يتطلب سياقاً معيناً يتعلق بدراسة التأثير الديني أو التاريخي، وليس بالضرورة في نقاش قانوني أو مدني حول المواطنة.

إذا كان البحث يتناول العلاقة بين الدين والدولة، فمن المفضل التركيز على كيفية التوفيق بين حقوق المواطنة وحرية الأديان والمعتقدات في سياق الدول الحديثة، وأي استشهادات يجب أن تكون في إطار دعم هذا المنظور.
الدولة الحديثة لا تتدخل بدين المواطن ولا ترتب اثارا قانونية عليه. وهذا القول ينسجم من حيث المبدأ مع قوله تعالى: "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ". وهذا هو اساس قولنا بعدم التعارض بين مفهوم المواطنة والانتماء الى الدين في الدولة الحديثة.

(٣)

في الممالك الأوروبية خلال العصور الوسطى، كان الولاء يقوم إلى حد كبير على أساس الدين، وبخاصة الدين الذي يتبعه الملك أو الحاكم. كان معظم الناس خلال تلك الفترة يعتنقون المسيحية، وتحديداً الكاثوليكية في معظم أنحاء غرب ووسط أوروبا، والأرثوذكسية في الشرق الأوروبي. الكنيسة كانت لها قوة ونفوذ كبير، وغالباً ما كان الحكام يعتبرون أن سلطتهم مشتقة من الله، وهو ما يعرف بمبدأ "حق التفويض الالهي."
كان الولاء للدين يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالولاء للملك، حيث كان يُنظر إلى الفرد باعتباره "رعية" في مملكة معينة إذا شارك في الدين الرسمي للمملكة. فقد كان يُتوقع من الرعايا أن يعتنقوا دين الملك وأن يدعموا الكنيسة الرسمية. تعزيز الدين الرسمي أدّى أيضًا إلى صراعات دينية وحروب، خاصة عندما تظهر حركات دينية منشقة أو تنتشر أديان أخرى غير المسيحية.
بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك مراتب ووظائف دينية تعتبر جزءًا هامًا من الهيكل السياسي للمملكة، حيث كان بعض رجال الدين يحملون ألقابًا نبيلة ولديهم سلطة سياسية وعسكرية. الكنيسة كان لها دور مهم في التعليم والشؤون اليومية للدولة، وكثيرا ما كانت تتدخل في الشؤون السياسية.
بالمختصر، الدين كان يشكل الأساس الذي يُبنى عليه الولاء في الممالك الأوروبية خلال العصور الوسطى، والعلاقة بين الدين والحكم كانت متداخلة بشكل كبير.
هذا التداخل بين السلطة السياسية والسلطة الدينية أدى إلى عدة نتائج وآثار سلبية، منها:
.1الحروب الدينية: تسبب الولاء الديني في نزاعات وحروب طائفية، كالحروب الصليبية وحروب الأديان في فرنسا.
.2الاضطهاد الديني: الأقليات الدينية غالبًا ما كانت تواجه الاضطهاد، كاليهود والمسيحيين الذين لا يتبعون النسخة الرسمية للمسيحية والمسلمين في الاندلس بعد عام ١٤٩٢ وانتهاء الحكم الإسلامي فيها حيث واجه المسلمون مرحلة صعبة تم خلالها فرض قيود وسياسات تمييزية ضدهم وذلك تحت حكم الملوك الكاثوليك فيرديناند وإيزابيلا. تم إجبار الكثير من المسلمين على التحول إلى المسيحية، وأولئك الذين اختاروا البقاء على دينهم تعرضوا للطرد أو الاضطهاد. إن الفترة التي تلت فقدان المسلمين للحكم في الأندلس كانت محفوفة بالتحديات الشديدة، بما في ذلك التهجير، مصادرة الأملاك، وفقدان الحرية الدينية والثقافية.
.3السيطرة الكنسية على السلطة: سيطرت الكنيسة على الأمراء واستغلت السلطة لتعزيز نفوذها، مما أدى إلى فساد وتناقضات أخلاقية.
.4المحاكمات الدينية: أجهزة مثل محاكم التفتيش كان لها الحق في تعذيب وإعدام الأشخاص المتهمين بالهرطقة أو الانحراف عن العقيدة الرسمية.
.5القمع الفكري: تعرض العلماء والمفكرون للرقابة والقمع إذا ما اعتبرت أفكارهم تهديدًا للتعاليم الدينية القائمة.
.6المزايا الكنسية: منحت الكنيسة والحكومة الأراضي والامتيازات لأفراد الكنيسة، مما رسخ الطبقية وعدم المساواة.

7.استخدام الدين كأداة للسيطرة: استغل الحكام الدين كوسيلة للسيطرة على الشعوب وتبرير حكمهم.
هذه النتائج السلبية كانت لها تأثير عميق على المجتمع الأوروبي، حيث غذت الانقسامات الاجتماعية والسياسية وأعاقت التقدم العلمي والثقافي في بعض الأحيان. كما لعبت دورًا في تشكيل البيئة التي أدت في نهاية المطاف إلى الإصلاح الديني وتغيرات جذرية في البنية الأوروبية في القرون التالية.
بعض الحركات "التكفيرية" الاسلامية، مثل داعش، استعادت هذه الصيغة الاوروبية القروسطية من افراد الدولة وحكمت بتكفير كل من لا يقول برؤيتها الدينية. هذه الرؤية عقبة في طريق بناء الدولة الحديثة في المجتمعات الاسلامية. الدولة الحضارية الحديثة التي ندعو الى اقامتها سوف تحترم الاديان بما فيها الاسلام لكنها لن تضع الدين شرطا للمواطنة المتساوية والمعاملة العادلة.

فصل
سؤال النهضة

(١)

عبارة "سؤال النهضة "قد تستخدم بسياقات مختلفة، لكن بشكل عام هي تشير إلى الاستفسارات والتساؤلات الهامة حول العملية، الظروف، أو العوامل التي تؤدي إلى نهضة أو إحياء ثقافي، اجتماعي، أو اقتصادي في مجتمع ما. في السياق العراقي و العربي والاسلامي، قد تتعلق بالاهتمامات حول كيفية تحقيق تقدم وتطور في العراق و العالمين العربي والإسلامي مشابه للنهضة الأوروبية التي حدثت في القرون الوسطى وأدت إلى تغيرات جوهرية في المجتمع الأوروبي. سؤال النهضة يمكن أن يشمل البحث عن الأسباب التي أدت إلى تأخر بعض المجتمعات وكيفية إعادة النشاط والحيوية إلى هذه المجتمعات من خلال التركيز على التعليم، الابتكار، والتنمية الشاملة.

يطرح سؤال النهضة ردا على حالة التخلف التي يعاني منها المجتمع. وهذا يتطلب توفر وعين في ان معا: وعي التخلف ووعي النهضة.

التخلف هو مصطلح يستخدم لوصف الحالة التي تكون فيها دولة أو مجتمع ما أقل تطوراً من ناحية اقتصادية، تكنولوجية، اجتماعية، أو تعليمية مقارنةً بغيرها من الدول أو المجتمعات التي تعتبر متقدمة. تتضمن علامات التخلف عوامل مثل انخفاض مستوى الدخل القومي، محدودية البنية التحتية، ضعف مستويات التعليم والصحة، انخفاض معدلات الإنتاجية، وسوء إدارة الموارد. والتخلف في جوهره خلل حاد يصيب المركب الحضاري للمجتمع.

و الحكم على إذا ما كان مجتمع متخلفاً يشتمل عادة على تقييم مجموعة من المعايير والأسس الأساسية. وتتضمن هذه الأسس ما يلي:

** .1التطور الاقتصادي :**النظر إلى معدلات النمو الاقتصادي، مستوى الدخل القومي، معدل البطالة، وتوزيع الثروة لتحديد ما إذا كان الاقتصاد يواجه تحديات كبيرة.

** .2البنية التحتية :**البنية التحتية الضعيفة التي تشمل الطرق، الكهرباء، الماء الصالح للشرب، والمرافق العامة الأساسية تعد مؤشراً للتخلف.

** .3التعليم :**ارتفاع معدلات الأمية، نوعية التعليم الضعيفة، ونقص الفرص التعليمية تعتبر دلائل رئيسية على التخلف.

** .4الصحة :**النظم الصحية غير الكفوءة، ارتفاع معدلات الوفيات، وانخفاض متوسط العمر المتوقع تعد من الدلائل البارزة على التخلف.

** .5التقدم التكنولوجي :**تأخر استخدام أو تطوير التكنولوجيا يعتبر علامة على التخلف.

** .6المؤسسات السياسية والقانونية :**الافتقار إلى الاستقرار السياسي، الفساد، وضعف النظام القانوني يمكن أن يعيق التقدم ويوحي بالتخلف.

** .7التنمية الاجتماعية :**مستويات عالية من التفاوت الاجتماعي والاقتصادي، وقضايا مثل الجريمة وسوء المعاملة يمكن أن تكون مؤشرات للتخلف الاجتماعي.

** .8الاستدامة البيئية :**إدارة الموارد الطبيعية بشكل سيء وعدم وجود سياسات بيئية مستدامة تشير إلى التخلف في إدارة البيئة.

** .9التوزيع الديموغرافي والحضري :**توزيع السكان غير المتوازن والهجرة الكثيفة من الريف إلى المدن من دون تخطيط يمكن أن تكون علامات للتخلف.

من المهم أن نلاحظ أن هذه المعايير لا تعمل بمعزل عن بعضها البعض وأنه عادةً ما يكون هناك تداخل بين عوامل عديدة تساهم في الحالة الإجمالية للتخلف في المجتمع. كما أن تقييم هذه الجوانب يجب أن يأخذ بعين الاعتبار السياقات التاريخية والثقافية لكل مجتمع.
كما ان تقييم مدى تطور أو تخلف المجتمعات يعتبر موضوعا معقدا وحساسا للغاية ويتطلب تحليلاً دقيقًا للعديد من البيانات والمؤشرات.
ويجب أن ندرك أيضًا أن حالة تطور أو تخلف المجتمعات ليست ثابتة وإنما دائمة التغير، ويمكن للمجتمعات أن تتغير مع الوقت من خلال الجهود المحلية والدولية للتغلب على التحديات وتحقيق التطور في مختلف المجالات عن طريق الابتكارات والاستثمار في التعليم والصحة، وتحسين البنية التحتية، وتطوير سياسات التنمية المستدامة.

(٢)

تحرر العراق من سلطة الدولة العثمانية في ١١ اذار ١٩١٧ بواسطة الاحتلال البريطاني وهو بلد "متخلف" بكل المعايير، الاسلامية والعلمانية، الغربية والشرقية. ومتخلف في مختلف نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والادارية والتكنولوجية والتعليمية والصحية والخدمية وحقوق الانسان وغير ذلك.
ومنذ عام ١٩١٧ الى عام ١٩٦٠ لا اعرف شخصا عراقيا شغله "سؤال النهضة" بصورة جدية وعلمية ومعرفية شاملة اكثر من الفقيه الشهيد السيد محمد باقر الصدر، الذي تحدث عن الموضوع لاول مرة في مقالته الشهيرة " الشرط الاساسي لنهضة الامة" في العدد الاول لمجلة "الاضواء" النجفية (٩ حزيران ١٩٦٠) والذي قال فيه:"إنّ الشرط الأساسيّ لنهضة الامّة -أيّ امّةٍ كانت -أن يتوفّر لديها المبدأ الصالح الذي يحدّد لها أهدافها وغاياتها، ويضع لها مثلها العليا، ويرسم اتّجاهها في الحياة، فتسير في ضوئه واثقةً من رسالتها، مطمئنةً إلى طريقها، متطلّعةً إلى ما تستهدفه من مثلٍ وغاياتٍ مستوحية من المبدأ وجودها الفكري وكيانها الروحي".
ولما كان الاسلام هو "المبدأ الصالح" للنهضة بنظر محمد باقر الصدر فقد عكف في السنوات الاولى من حياته الفكرية على تعريف الناس بالاسلام وكتب العديد من المؤلفات في هذا الشأن من ابرزها: اقتصادنا وفلسفتنا والاسس المنطقية للاستقراء والبنك اللاربوي والاسلام يقود الحياة والتفسير الموضوعي للقران وغيرها.
هذا دون ان انسى الاهمية التاريخية لكتاب "تنبيه الامة وتنزيه الملة" الذي الفه الفقيه الكبير الشيخ محمد حسين النائيني باللغة الفارسية وطبع سنة ١٣٢٧ /١٩٠٩ . وكذلك الشذرات المهمة التي نثرها السيد محمد حسين الطباطبائي في كتابه الكبير "الميزان في تفسير الميزان" والاحتمال الكبير ان يكون السيد الصدر قد تأثر بهما واستفاد منهما.
وكان هاجس الصدر في هذا المقال، وكذلك في مقدمة الطبعة الثانية لكتاب "اقتصادنا"، هو التخلف الحضاري الذي يعاني منه العراق شأنه شأن بقية بلدان العالم الاسلامي منذ الغزو المغولي لها. وكان همه ان يقدم للناس المركب الحضاري المناسب للقضاء على التخلف والسير بالعراق نحو النهضة.
واظهر الصدر في مجمل كتاباته ان وعيه للاسلام كان وعيا حضاريا، فضلا عن الوعي الديني له. ولهذا قال، على سبيل المثال، ان اقامة الدولة الاسلامية "ضرورة حضارية وشرعية".
وبذا سجل الصدر سبقا على الاحزاب السياسية العلمانية والاسلامية التي نشطت منذ تأسيس الدولة العراقية حتى تاريخه. فقد انشغلت تلك الاحزاب بشعارات ايديولوجية لم تعر قضية النهضة والتخلف اهتماما كافيا: الحزب الشيوعي: الماركسية والمادية الديالكتيكية؛ حزب البعث: امة عربية واحدة ذات رسالة خالدة؛ حزب الدعوة: الدولة الاسلامية وتطبيق الشريعة الاسلامية. ايٌّ من هذه الشعارات لم يطرح رؤية عن التخلف ولا رؤية عن النهضة. ومع ان تأسيس حزب الدعوة ينسب الى السيد الصدر، الا ان الذين تولوا امور الحزب بعد

خروج الصدر لم تشغلهم قضية النهضة والتخلف كما شغلت تفكير الصدر. وكان هذا من اسباب ضياع فرص التغيير الحقيقي في العراق.
لعلنا نستطيع الان ان نعدد عدة فرص اتيحت للعراق للنهوض لكن نمط التفكير لأحزابه السياسية لم يسمح باستثمارها. احدى تلك الفرص كانت في السبعينات مع الارتفاع الكبير لاسعار النفط التي انتجت بطبيعة الحال ثروة هائلة كان بالامكان توظيفها في مشروع كبير للنهضة، لكن حزب البعث الحاكم انذاك كان مشغولا بترسيخ نظرية "القائد الضرورة" المتمثل بشخص صدام حسين والاستعارة النصية لبعض عبارات الماركسية ثم زج العراق بمغامرات حربية خارجية اكلت كل ثروة العراق. وأتيحت فرصة اخرى بعد سقوط نظام البعث، لكن الاحزاب التي ورثت الحكم انشغلت بتقاسم الارث بطريقة المحاصصة العرقية والطائفية والحزبية. وفي كل الاحوال لم يكن سؤال النهضة هو الشغل الشاغل لتفكير الذين تولوا الحكم خاصة في الفترة من عام ١٩٦٨ والى اليوم. بل كان شغلهم الشاغل اموراً لا تمت بصلة الى قضية النهضة والتخلف وكيفية الخلاص من الثاني والطريق الى تحقيق الاول.
في كل مرة كان العراق يقف امام طريقين: طريق النهضة وطريق التخلف كان صناع القرار يسيرون في طريق التخلف وكأنهم لا يرون طريق النهضة. وفي كل مرة، وقد استغرق الامر ١٠٠ عام، كانت المليارات النفطية تضيع ، والسنوات الطويلة تهدر، ودماء العراقيين تسيل في حروب خارجية او صراعات داخلية لا علاقة لها بالمعركة التاريخية ضد التخلف والثورة الشاملة من اجل النهضة الحضارية.

(٣)

العراق الآن يقف عند مفترق طرق، وهو بأمس الحاجة إلى استراتيجية شاملة تستهدف تحقيق نهضة حضارية مستدامة، تُعنى بكل من التطور السياسي، وتنمية الاقتصاد، وتطوير البنية التحتية، والارتقاء بالمستوى التعليمي والصحي، وكذلك تحسين جودة الخدمات العامة واحترام حقوق الإنسان. هذا جنبًا إلى جنب مع العمل على إعادة بناء النسيج الاجتماعي، تعزيز الوحدة الوطنية، وتجاوز الصراعات الطائفية والعرقية.
العراق اليوم يواجه تحديات هائلة تفرض عليه الوقوف عند مفترق طرق حاسم لمستقبله. في أعقاب سلسلة من الصراعات الداخلية والخارجية وسنوات من الاضطراب السياسي والتدهور الاقتصادي، تبرز الحاجة الملحة لاعتماد استراتيجية حكومية ومجتمعية شاملة تستهدف إحياء العراق ودفع عجلة تقدمه في مختلف المجالات.
التطور السياسي يعد ركيزة أساسية لاستقرار البلاد وازدهارها، حيث يجب على العراق تحديث نظامه السياسي ليعكس الطموحات الديمقراطية لشعبه. هذا يشمل تكريس مبدأ الشفافية في الحكم، الفصل بين السلطات، وتشجيع المشاركة الشعبية في صناعة القرار.
النهوض بالاقتصاد العراقي يتطلب تنويع مصادر الدخل والابتعاد عن الاعتماد الكلي على صادرات النفط. من الضروري تنشيط القطاعات الأخرى مثل الزراعة، الصناعة، والسياحة، وكذلك جلب الاستثمارات الأجنبية والخلق فرص عمل جديدة لمحاربة البطالة.
تطوير البنية التحتية هو أيضًا عنصر حيوي لضمان وصول الخدمات الأساسية لجميع العراقيين. يتضمن ذلك تحسين شبكة المواصلات، الطاقة، والمياه، فضلاً عن استثمارات في العمارة البيئية والمستدامة.
الارتقاء بالمستوى التعليمي والصحي ضروري لتنمية القدرات البشرية. من الأهمية بمكان إصلاح المناهج الدراسية وتعزيز البحث العلمي، بجانب توفير الرعاية الصحية الكافية للجميع.
تحسين جودة الخدمات العامة وإعلاء كرامة الإنسان وحقوقه يسهم في تشكيل مجتمع مدني فعال، حيث تُحترم الحقوق الأساسية وتُصان الحريات الفردية والجماعية.

بالإضافة إلى النواحي الاقتصادية والسياسية، يجب على العراق العمل على إعادة بناء نسيجه الاجتماعي وترسيخ الوحدة الوطنية، عبر معالجة الصراعات الطائفية والعرقية التي مزقت البلاد. من خلال تعزيز الهوية الوطنية واحترام التنوع الثقافي، يمكن للعراق أن يبني مجتمعًا متماسكًا يتشارك في روح الأخوة والتعاون.
تنطوي الرؤية لعراق مستقر ومزدهر على تحديات كبيرة وتتطلب إصلاحات جريئة وشجاعة في مختلف الميادين. لكن، بالتزام العراقيين ودعم المجتمع الدولي، يمكن تحويل هذه الطموحات إلى واقع ملموس يعود بالنفع على جميع مواطنيه.
إن التركيز على تمكين المواطنين من خلال التعليم والثقافة، بالإضافة إلى إصلاح الإطار القانوني والمؤسسي، من شأنه تعزيز الديمقراطية والشفافية، وقد يجلب الاستقرار السياسي اللازم لإنعاش الاقتصاد.
الاعتراف بالإنجازات الجزئية المتحققة يمكن أن يعمل كنقطة انطلاق لتحقيق التقدم المستقبلي؛ حيث يجب البناء على الموارد البشرية والطبيعية للبلاد، مستفيدين من الموقع الاستراتيجي والتاريخ الغني، لتحويل النجاحات الصغرى إلى موجة كبيرة من التقدم الشامل.
اكتب هذا المقال وانا انظر بقلق الى تطور المسار الديمقراطي في العراق. رغم ان الدستور العراقي ينص على ان العراق دولة ديمقراطية، الا ان معطيات الواقع السياسي تؤشر الى تراجع الديمقراطية العراقية على المستوى الواقعي والحقيقي.ولم تعد مراكز الابحاث الدولية المعنيّة بالديمقراطية تدرج العراق ضمن قائمة الدول الديموقراطية لان اجراء الانتخابات الدورية وحدها لا تكفي لوصف الدولة بالديمقراطية. تشير الدراسات الى ان النظام السياسي العراقي انزلق بصورة سريعة الى وصفّ الاوتوقراطية الانتخابية. وهذا نظام ليس ديمقراطيا.
مع ذلك، يبقى التفاؤل ضروريًا، فالعراق ذو تاريخ عريق وإمكانات هائلة. من خلال الإرادة السياسية والدعم الدولي، بالإضافة إلى الجهود الداخلية المتضافرة، يمكن للعراق تحقيق نهضة حضارية تضمن رخاءً لأجياله المقبلة.

(٤)

العراق اليوم يواجه تحديات جسيمة تتطلب قرارات حاسمة تحدد مستقبل البلاد. هناك خياران أساسيان أمام العراقيين: الأول هو خيار التطوير والتحديث نحو بناء دولة حضارية حديثة تعتمد على مبادئ الديمقراطية والشفافية وتدعم التنمية الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية، وتسعى لتحقيق العدالة وتكافؤ الفرص لجميع المواطنين. تحتضن هذه الدولة التنوع والإبداع، وتعزز من دور التعليم والبحث العلمي كحجر الزاوية لنهضتها.
الخيار الثاني هو الاستمرار في نهج الحكم الاستبدادي المغلق الذي يحد من الحريات ويتجاهل التنمية المستدامة، بما يقود إلى المزيد من التخلف والعزلة. يتسم هذا الطريق بالفساد وغياب القانون واستشراء البطالة والتفاوت الاجتماعي والاقتصادي.
الخيار الأمثل لا يقف عند حدود الأمنيات وإعلان النوايا، بل يتطلب عملاً مؤسسياً وثقافياً مشتركاً يستند إلى رؤية وفلسفة واضحة لبناء الدولة العراقية على أسس سليمة. يحتاج العراق لتوافق وطني شامل يضم جميع مكونات المجتمع لرسم خارطة طريق تستجيب لتطلعات الشعب وتواكب التحديات المعاصرة.
من الضروري الاستثمار في الإنسان كأولوية أولى، وتمكين الشباب وإشراكهم بفاعلية في العملية السياسية وعمليات صنع القرار. كما يجب فتح الأفق أمام الاستثمارات الداخلية والخارجية بإيجاد بيئة تجارية وصناعية جاذبة، وإصلاح النظام القانوني والقضائي لضمان العدالة ومكافحة الفساد.
الطريق نحو الدولة الحضارية الحديثة ليس بالمسار السهل ولكنه ممكن بالإرادة الصادقة والعمل المشترك والدعم الدولي للشعب العراقي في نضاله من أجل بناء مستقبل أفضل.

النهضة، من ناحية أخرى، تعني التجديد أو الازدهار وتحقيق التقدم على المستويات الثقافية، الاقتصادية، والعلمية.
تحقيق النهضة في المجتمعات يعتمد على مجموعة متنوعة من العوامل التي تتداخل وتتفاعل مع بعضها البعض. بالرغم من أن الخطوات المحددة يمكن أن تختلف بناءً على السياق الخاص بكل مجتمع، هنا اذكر بعض الخطوات العامة التي يرى العديد من الخبراء أنها ضرورية لتحقيق نهضة مجتمعية:
** .1تعزيز التعليم والبحث **:تحسين جودة التعليم والتأكيد على البحث العلمي لتطوير القدرات الفكرية والمهارات المهنية. وهذا يتطلب التركيز على النظام التعليمي والتربوي واعادة تصميمه وبنائه بشكل يضعه في المجرى الاساسي للنهضة، ويوفر متطلباتها على المستوى الانساني والبشري. وبهذه المناسبة اعلّق على حملات الابتعاث الى الخارج التي تعلن عنها الحكومات العراقية. مرة في عهد تولي الاخ علي الاديب مسؤولية وزارة التعليم العالي ومرة في عهد الوزارة الحالية. اقول يجب ان تكون حملات الابتعاث جزءا من ستراتيجية للتغيير الحضاري وليست عملا مستقلا بذاته.
** .2تشجيع الابتكار وريادة الأعمال **:دعم الابتكار وتشجيع الإبداع لتطوير منتجات وخدمات جديدة تدفع بالنمو الاقتصادي.
** .3استثمار في البنية التحتية **:تحديث البنية التحتية وتطويرها لتعزيز الاقتصاد وتحسين مستوى المعيشة.
** .4إصلاح النظام السياسي **:تطوير نظام سياسي يدعم الديمقراطية، العدالة، والشفافية ويكفل حقوق الإنسان.
** .5تنمية القطاعات الاقتصادية الأساسية **:دعم وتنمية القطاعات الاقتصادية مثل الزراعة، الصناعة، والخدمات.
** .6الاستثمار في الصحة العامة **:تحسين نظم الرعاية الصحية والوقاية من الأمراض لضمان صحة المجتمع.
** .7تعزيز المساواة والعدالة الاجتماعية **:القضاء على أشكال التمييز والحرص على توزيع الثروات بعدالة.
** .8التحول نحو اقتصاد معرفي **:الاستثمار في التكنولوجيا والخدمات المتقدمة للانتقال من اقتصاد يعتمد على الموارد الطبيعية إلى اقتصاد يعتمد على المعرفة.
** .9التعاون الإقليمي والدولي **:تعزيز العلاقات مع دول أخرى للتعلم من التجارب الناجحة والحصول على الدعم الفني والتكنولوجي.
** .10المشاركة المجتمعية **:تفعيل دور المجتمع المدني وتشجيع مشاركة المواطنين في قضايا وشؤون بلدهم.
هذه بعض الخطوات الأساسية التي يمكن أن تساعد في تحقيق نهضة في مجتمعاتنا. من الجدير بالذكر أن كل خطوة تحتاج إلى خطط تفصيلية، استراتيجيات محددة، وتنسيق جهود الأفراد والمؤسسات.

(٥)
طبيعة المجتمع العراقي

انا مدرك لطبيعة او حالة المجتمع العراقي. وهي حالة التخلف الحضاري. واعني بالتخلف الحضاري، كما ذكرت سابقا، الخلل الحاد بالمركب الحضاري للمجتمع ومنظومة القيم العليا الحافة بعناصر المركب الخمسة وهي: الانسان والارض والزمن والعلم والعمل. يفرز الخلل الحاد في المركب الحضاري الكثير من الظواهر السلبية في السياسة والاقتصاد والاجتماع والدين والفكر والتربية والادارة والتكنولوجيا والعلاقات الدولية الخ.

ومن هذه الظواهر السلبية: الفقر، البطالة، ضعف القطاع الخاص، انخفاض انتاجية المجتمع، الاعتماد على مورد واحد، العشائرية، عدم قدرة المجتمع على انتاج احزاب سياسية كبيرة جامعة، انخفاض منسوب الثقافة السياسية عامة والديمقراطية خاصة، ضعف اللحمة الوطنية، هشاشة الدولة، الفهم الشعبي التقليدي للدين .. الخ
ثمة ظواهر سياسي- دينية تبدو متناقضة فيما بينها. هناك عدد كبير من الناس في ملتزمون بهذه الدرجة او تلك بالخط الديني. يقابلهم عدد لا يقل عنه من الناس المخالفين للدين ويرفعون شعارات مناهضة.
لا اريد ان اكرر ما ورد في الرسالة المنسوبة الى الملك فيصل الاول والتي يقول فيها: "أقول وقلبي ملآن أسى، أنه في اعتقادي لا يوجد في العراق شعب عراقي بعد، بل توجد تكتلات بشرية خيالية خالية من أي فكرة وطنية، متشبعة بتقاليد وأباطيل دينية، لا تجمع بينهم جامعة، سمّاعون للسوء، ميّالون للفوضى، مستعدون دائماً للانتفاض على أي حكومة كانت". لكن الصورة التي رسمها الملك للمجتمع العراقي ليست بعيدة عن الحقيقة اليوم.
وللخروج من هذه الصورة، فاني اخاطب الفريقين الاساسيين في المجتمع العراقي: فريق المتمسكين بالدين، وفريق غير الدينيين
الذين قد يلقبون بالعلمانيين او المدنيين. وهدفي الا يكون التمسك بالدين او رفضه عقبة في وجه محاولات الخروج من حالة التخلف الحضاري، واسعى الى اخذهم الى دائرة يمكن ان تجمعهم على كلمة سواء. و قد اطلقت على هذه الدائرة عنوان: الفهم الحضاري للقران او للدين عموما وهدفي ان يتقبل الطرفان في نهاية المطاف هذا العنوان.
وما دام الدين مؤثرا في حياة الناس، كما هي الحال في العراق، فان اي جهد لمعالجة التخلف الحضاري في المجتمع العراقي يجب ان يتعامل مع المسألة الدينية بطريقة صحيحة وسليمة ومنتجة للتغيير الحضاري.
واجهت مجتمعات اخرى هذه المسألة من قبل، وسلكت احد طريقين: اما التطرف لصالح الدين، وبالتالي الدعوة الى اقامة دولة دينية بغض النظر عما يمكن ان تلعبه هذه الدعوة في معالجة التخلف ، او التطرف ضد الدين بالدعوة الى الدولة العلمانية او اللادينية بغض النظر عن الدور الذي يمكن ان تلعبه هذه الدعوة في معالجة التخلف. وبالتجربة وبالتحليل الواقعي اتضح ان الدعوتين ليستا صالحتين للمجتمع العراقي. لان ايا منهما لا تشكل مساحةً مشتركة ، وسيادة احديهما تؤدي الى اكراه الثانية. وهذا خلاف المطلوب.
ومن هنا جاءت دعوتي الى الدولة الحضارية الحديثة باعتبارها الطريق الذي يوفر ستراتيجية خروج من حالة التخلف الحضاري. ومن متطلبات هذه الدعوة امران: الفهم الحضاري للقران، والذي به يتحول الدين الى قوة رافعة للتغيير الحضاري، والنظام التربوي الحديث الذي به تتحول المدرسة الى حاضنة للقيم العليا الحافة بالمركب الحضاري. ومعنى هذا اننا سنوظف الفهم الحضاري للقران والعلم الحديث في معركة القضاء على التخلف.
سيقول العلمانيون ان الدين مسألة شخصية فلماذا تزجه في عملية القضاء على التخلف،؟واقول لهم حتى لو سلمنا ان الدين مسألة شخصية، فهذا الشخص المتدين اليس عضوا في المجتمع؟ الا يؤثر فهمه للدين على سلوكه في المجتمع وعلى علاقاته الاجتماعية وعلى ادائه في اي موقع او دور يقوم به؟ الا تؤدي الممارسات الدينية الى خلق ظواهر اجتماعية ؟ الجواب على كل هذه الاسئلة هو: نعم. وعليه فيجب ان يحمل هذا الفرد فهما حضاريا للقران والدين ليكون عاملا ايجابيا في التغيير وليس العكس.
ختاما، انني ازعم ان اية ستراتيجية للتغيير لا تأخذ بنظر الاعتبار الفهم الحضاري للقران والعلم الحديث ستفشل في تحقيق اهدافها.

———

سؤال التخلف

(١)

الاصل في المجتمعات البشرية بصورة عامة انها تتقدم وتتطور وتتحسن طبيعة معيشتها وتزداد معارفها بفعل النزعات الغريزية في الفطرة الأنسانية والعلاقة التبادلية بين الإنسان والطبيعة .

واعني بذلك انها تواصل العمل من اجل الابداع والابتكار وتنمية الانتاج وتحسين نوعية ومستوى حياتها وتزداد علما ومعرفة عن طريق التجربة والتأمل واعمال العقل.

هذا كله مما تبرهن عليه سيرة المجتمعات او الجماعات البشرية منذ وجد الانسان العاقل على الارض قبل مئات الالاف من السنين والى اليوم. صحيح ان التقدم العلمي والتكنولوجي كان بطيئا في البداية لكنه اخذ يتسارع بشكل يقطع الانفاس منذ ٥٠٠ سنة والى اليوم. يمكن تقديم برهان على هذه المقولة من خلال عدة نقاط:

** .1الفطرة الإنسانية والحاجة للتقدم **:الرغبة في التحسين المستمر لظروف الحياة هي غريزة بشرية، حيث يسعى الأفراد دائمًا لتحسين جودة معيشتهم. هذا التوجه الفطري يدفع البشر لتبني الابتكارات والاستفادة من الموارد المتاحة بأفضل شكل ممكن.

** .2التفاعل مع الطبيعة **:تقوم الحضارات والمجتمعات بتطوير مهاراتها ومعارفها من خلال التفاعل المستمر مع البيئة. هذا التفاعل يقود للابتكار والتطور في مجالات مثل الزراعة، الهندسة، والطب.

** .3العلم والمعرفة **:مع مرور الزمن، تبني المجتمعات أرصدة من المعارف، والتي تتم مشاركتها وتحديثها عبر الأجيال، مما يؤدي لتسارع وتيرة التقدم وتحسين الظروف المعيشية.

** .4التكنولوجيا **:التطور التكنولوجي نتاج مباشر للفطرة الإنسانية المتجهة نحو البحث عن حلول أفضل وأكثر فعالية للمشكلات، مما يقود إلى تحسينات في مختلف أشكال الحياة.

** .5التأثير التراكمي للابتكار **:كل ابتكار جديد يُبنى على ما سبقه من اكتشافات وابتكارات، مما يخلق تأثيرًا تراكميًّا يعزز من التقدم المستمر للمجتمعات.

** .6التحديات والضغوط البيئية **:التحديات البيئية، كندرة الموارد والكوارث الطبيعية، تُعطي الدافع للابتكار والبحث عن حلول مستدامة.

** .7التفاعل الثقافي والتجارة **:التبادل الثقافي والتجاري بين المجتمعات يعزز من انتقال الأفكار والمعارف، مما يساهم في تسريع التقدم.

مثال على ذلك، الثورة الصناعية التي كانت نقطة تحول في تطور الحضارة البشرية، إذ أدت إلى تغيرات جذرية في الإنتاج وأساليب العمل، ونتج عنها زيادة في الثروة وتحسين في نوعية الحياة.

بهذا نرى أن النزعات الغريزية للإنسان واستجابته لضغوط البيئة تلعب دورًا أساسيًا في دفع عجلة التقدم والتطور في مجتمعاته، وهي الأسس التي تبرهن على صحة المقولة أعلاه.

فعلى الجانب السياسي، مثلا، وجدنا كيف ان المجتمعات البشرية تطورت من العائلة البدائية الى العشيرة والقبيلة، الى دول المدن، الى الدول القومية، وهكذا.

كما تطورت المجتمعات البشرية من الديمقراطية البدائية الى ديمقراطية المجلس الى الديمقراطية التمثيلية، وما زالت الخبرة البشرية تقدما انواعا متطورة من الممارسات الديمقراطية.

وفي الجانب التكنولوجي رأينا كيف ان البشرية كيف بدأت مسيرتها بصقل الحجارة لصنع سكاكين او اسنة رماح بدائية لتصل اليوم الى سبر اغوار الفضاء وتصوير المجرات البعيدة عن طريق تلسكوب جيمس ويب الفضائي.

ونلمس جوانب التقدم العلمي والتكنولوجي في المجتمعات المتقدمة في كل نواحي الحياة في الاسواق والمدارس والمستشفيات والدوائر الحكومية والمؤسسات الاهلية.

وكل هذا من ثمرات الثورة الزراعية و الثورة الصناعية والثورة التكنولوجية وثورة المعلومات. وليس في الافق ما يشير الى نهايات لهذا التقدم والتطور المستمرين بشكل تصاعدي كبير.
وكأن ما يحصل هو ترجمة عملية لقوله تعالى: "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ".) فصلت (53
وتزامن كل هذا مع التطور الروحي والعقلي للانسان الذي مكنه من تقبل "الامانة" التي عرضها الله عليه عرضا تكوينيا، فجعله الله خليفته في الارض المكلف بادارة شؤونها، كما في قوله تعالى:"وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ") البقرة (30، وقوله تعالى:"إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا".) الاحزاب (72

(٢)

التقدم هو القاعدة العامة لسير حركة التاريخ الانساني. لكن لكل قاعدة استثناء.
المقولة أعلاه تشير إلى أن التقدم والتطور هما الحالة الطبيعية للمجتمعات البشرية، وهذا يتوافق مع الرغبة الأساسية للبشر في تحسين ظروفهم المعيشية واستغلال البيئة من حولهم لتطوير تكنولوجيا ومعارف جديدة.
ولكن، كما هو الحال مع أي قاعدة، هناك استثناءات.
تُشير الاستثناءات إلى تلك المجتمعات التي تتوقف – لسبب ما – عن التقدم والابتكار. يمكن تقسيم الأسباب إلى داخلية وخارجية:
** .1الأسباب الداخلية **:تتعلق هذه الأسباب بالعوامل التي تحدث داخل المجتمع نفسه، مثل:
** - الخلل الحاد في المركب الحضاري **:يمكن أن يعني هذا وجود مشكلات أساسية في النسيج الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للمجتمع، والتي يمكن أن تؤدي إلى الجمود أو تراجع الحضارة.
** - قصور النظم التعليمية والبحثية **:النظم التي لا تشجع على الإبداع والنقد البناء ولا توفر الدعم الكافي للابتكار.
** - الفساد وغياب الشفافية **:عوامل يمكن أن تعطل التوزيع العادل للموارد وتُفسد الأنظمة الإدارية والمالية، مما يخلق معوقات أمام التقدم.
** - الصراعات وعدم الاستقرار السياسي **:هذه الحالات تستهلك الموارد التي كان من الممكن استغلالها في عمليات التنمية والابتكار.
** .2الأسباب الخارجية **:هي العوامل القادمة من خارج المجتمع والتي يمكن أن تؤثر على قدرته على التقدم، مثل:
** - الاستعمار **:من المعروف أن الاستعمار يؤدي إلى استنزاف موارد المجتمعات المستعمرة وتقويض بنيتها الاجتماعية والاقتصادية، مما يعوق تقدمها.
** - التدخلات السياسية والحروب **:التي قد تؤدي إلى تدمير البنية التحتية وخسارة الأرواح وتبديد الموارد.
** - العزلة الاقتصادية أو العقوبات **:التي قد تحرم المجتمع من الوصول إلى الأسواق والتكنولوجيات الجديدة.
إذًا، هذه المقولة تعترف بأنه على الرغم من التوجه الطبيعي للمجتمعات باتجاه التقدم، هناك جملة من العوامل الداخلية والخارجية التي يمكن أن تكسر هذه القاعدة وتؤدي إلى توقف المجتمعات عن التطور والابتكار.
والاستثناء الذي اتحدث عنه ظهر ويظهر في حالتين. الاولى في مجتمعات توقفت عن التطور ونزلت من قطار التقدم البشري، واطلق عليها علماء الأنثروبولوجيا اسم "المجتمعات البدائية "، وما زالت بقاياها موجودة في بعض بقاع الارض في افريقيا واميركا الجنوبية واستراليا.

والحالة الثانية تشمل مجتمعات موجودة في قطار التقدم لكنها حركة تقدمها تباطأت او تراجعت بعض الشي فتخلفت عن ركب الحضارة البشرية والحداثة والتقدم العلمي والتكنولوجي، مثل عموم المجتمعات الاسلامية التي خسرت سباق الريادة رغم انها كانت المتقدمة على غيرها من المجتمعات وبخاصة المجتمعات الاوروبية. وصرنا نطلق على هذه المجتمعات عنوان "المجتمعات المتخلفة".

واذا كان التقدم هو الحالة الاصيلة في المجتمعات البشرية، فان التخلف هو الحالة الطارئة والاستثنائية.

داخليا، تبدأ الاصابة بالتخلف حين تتعرض القيم العليا الحافة بالمركب الحضاري للخلل جراء حدث معين، داخلي او خارجي.

يتالف المركب الحضاري من العناصر الخمسة (الانسان والارض والزمن والعلم والعمل) اضافة الى القيم العليا الحافة بهذه العناصر.

الخلل الواحد في المركب الحضاري يؤدي الى احداث حالات خلل اخرى الى ان يعم ويتوقف المركب الحضاري عن الاشتغال. في المجتمعات الاسلامية، وبخاصة المجتمع العربي، بدأ الخلل الحاد يتسلل الى المركب الحضاري للمجتمع منذ الانقلاب السياسي الذي حول الحكم الشوروي للخلافة الاسلامية الى حكم ملكي وراثي مستبد على يد معاوية بن ابي سفيان .

ومع ان الطاقة الحضارية التي اوجدها الاسلام في المجتمع العربي بقيت متقدة لفترة من الزمن، الا ان مضاعفات الخلل السياسي المذكور انفا استمرت في التراكم بشكل كان اقوى من التراكم في المسار الحضاري التقدمي للمجتمع.

ومع ان ذلك الخلل السياسي حدث في سوريا، الا ان هذه المضاعفات السلبية انتقلت الى العراق منذ يومها الاول.

(٣)

قلت ان الخلل الحاد في المركب الحضاري للمجتمع العربي، والمجتمع العراقي فرع منه، حدث في سوريا. وقصدت بذلك الاحداث التي كان بطلها معاوية بن ابي سفيان. صحيح ان وصول معاوية الى هذا المنصب الرفيع كان حدثًا لافتا للنظر. فهذا الرجل لم يكن من السابقين والاولين بل انه من الطلقاء، و "اسلم" في وقت متأخر من تاريخ الاسلام ومن المستحيل ان يكون قد استوعب الاسلام في هذه الفترة الوجيزة. لكن وصوله الى هذا المنصب كان ايضا حصيلة تراكمات في تطورات سلبية شهدها الاسلام بعد وفاة الرسول. فرغم ان الرسول قال للناس: "تركتُ فيكم أمرينِ ؛ لن تَضلُّوا ما إن تمسَّكتُم بهما : كتابَ اللهِ وسُنَّتي ، ولن يتفَرَّقا حتَّى يردا عليَّ الحوضَ"، الا انه سرعان ما افترقا قبيل وفاة الرسول ربما بلحظات. فقد روى البخاري في حديث صحيح عن عبد الله بن العباس قوله: "لَمَّا اشْتَدَّ بالنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وجَعُهُ قَالَ: ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لا تَضِلُّوا بَعْدَهُ قَالَ عُمَرُ إِنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ غَلَبَهُ الوَجَعُ، وعِنْدَنَا كِتَابُ اللهِ حَسْبُنَا. فَاخْتَلَفُوا وكَثُرَ اللَّغَطُ، قَالَ: قُومُوا عَنِّي، ولَا يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ فَخَرَجَ ابنُ عَبَّاسٍ يقولُ: إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ، ما حَالَ بيْنَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وبيْنَ كِتَابِهِ.". وبهذه الحادثة الكبيرة حصل الانفصال بين القران والسنة، واعطى المسلمون لانفسهم الحرية والصلاحية في اختراع سنة او سنن اخرى غير سنة النبي. وكان هذا هو الخلل الاول في المركب الحضاري للامة الاسلامية الحديثة النشأة والتكون. ثم جاء تمرّد معاوية على الخليفة الشرعي، وانتصاره عليها، الخلل الاخر الكبير في المركب الحضاري.

كتب سيد قطب في كتابه القديم "كتب وشخصيات" (ص ٢٤١-٢٤٣) ما يلي:

"إن معاوية وزميله عَمراً)إبن العاص (لم يغلبا عليّاً لأنهما أعرف منه بدخائل النفوس ، وأخبر منه بالتصرف النافع في الظرف المناسب.. ولكن لأنهما طليقان في إستخدام كل سلاح، وهو مُقيَّد بأخلاقه في إختيار وسائل الصراع..

وحين يركن معاوية وزميله إلى الكذب والغش والخديعة والنفاق والرشوة وشراء الذمم لا يملك عليّ أن يتدلى إلى هذا الدرك الأسفل..
فلا عجب ينجحان ويفشل، وإنه لفشل أشرف من كل نجاح..
على أن غلبة معاوية على عليّ، كانت لأسباب أكبر من الرجلين:
كانت غلبة جيل على جيل، وعصر على عصر، وإتجاه على إتجاه.
كان مدّ الروح الاسلامي العالي قد أخذ ينحسر وارتد الكثيرون من العرب إلى المنحدر الذي رفعهم منه الإسلام ، بينما بقي عليّ في القمة لا يتبع هذا الإنحسار ، ولا يرضى بأن يجرفهُ التيار.
من هنا كانت هزيمتهُ ، وهي هزيمة أشرف من كل إنتصار.
فما كانت خديعة المصاحف ولا سواها خديعة خير لأنها هزمت علياً ونصرت معاوية.
فلقد كان إنتصار معاوية هو أكبر كارثة دهمت روح الإسلام التي لم تتمكن بعد من النفوس ولو قُدّر لعلي أن ينتصر لكان إنتصاره فوزاً لروح الإسلام الحقيقية: الروح الخُلقية العادلة المترفعة التي لا تستخدم الأسلحة القذرة في النضال ولكن إنهزام هذه الروح ولمّا يمض عليها نصف قرن كامل ، وقد قُضى عليها فلم تقم لها قائمة بعد – إلاّ سنوات على يد عمر بن عبد العزيز -ثم انطفأ ذلك السراج ، وبقيت الشكليات الظاهرية من روح الإسلام الحقيقية ..
على أننا لسنا في حاجة يوماً من الأيام أن ندعو الناس إلى خطة معاوية فهي جزء من طبائع الناس عامة إنما نحن في حاجة لأن ندعوهم إلى خطة عليّ، فهي التي تحتاج إلى إرتفاع نفسي يجهد الكثيرين أن ينالوه..
وإذا احتاج جيل لأن يدعى إلى خطة معاوية ، فلن يكون هو الجيل الحاضر على وجة العموم. فروح "مكيافيلي "التي سيطرت على معاوية قبل مكيافيلي بقرون ، هي التي تسيطر على أهل هذا الجيل، وهم أخبر بها من أن يدعوهم أحد إليها !لأنها روح "النفعية "التي تظلل الأفراد والجماعات والأمم والحكومات" !
وبعد فلست "شيعياً "لأقرر هذا الذي أقول إنما أنا أنظر إلى المسألة من جانبها الروحي الخُلقي، ولن يحتاج الإنسان أن يكون شيعياً لينتصر للخلق الفاضل المترفع عن)الوصولية (الهابطة المتدنية، ولينتصر لعليّ على معاوية وعمرو. إنما ذلك إنتصار للترفع والنظافة والإستقامة.
ويخطئ من يعتقد إن النجاح العملي هو أقصى ما يطلبه الفرد وما تطلبه الإنسانية. فذلك نجاح قصير العمر ينكشف بعد قليل.

(٤)

لم تكن دولة الرسول في شبه الجزيرة العربية اول دولة عربية، فقد سبقتها دول وممالك مثل سبأ (المذكورة في القران)، معين، الانباط، حمير، المناذرة، الغساسنة. لكن دولة الرسول امتازت عن تلك الدولة بعدة خصائص نذكر منها لاغراض هذا المقال ثلاث خصائص هي: اولا، انها لم تكن محلية، وانما كانت شاملة لكل العرب ومن دخل الاسلام من غير العرب، ثانيا، انها كانت بقيادة واشراف الهي نبوي مباشر. فمنذ سليمان وداود لم تقم دولة بقيادة نبي؛ ثالثا، انها قامت طبقا لمركب حضاري خاص تمثل في القران الكريم الذي جعل من العرب امة كتاب، اسوة بامة اليهود وامة النصارى. ولقد سجل القران هذه الحقيقة بقوله:"لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟") الانبياء (10
لكن وفاة الرسول بعد ١١ سنوات من إقامة الدولة الإسلامية في المدينة كشفت عن هشاشة المركب الحضاري للمجتمع الإسلامي آنذاك. ومن اسباب هذه الهشاشة ان التأسيس الحقيقي (الثاني) للدولة انما حصل بعد فتح مكة، في شهر رمضان سنة ٨ هجرية، وتوفي الرسول بعد فتح مكة بحوالي سنتين ونصف، ولم تكن هذه الفترة القصيرة كافية لصقل المجتمع العربي، وقد اصبح امة اسلامية اخرجت للناس حديثا، بموجب منظومة القيم الحضارية العليا التي جاء بها القران. ومن المفردات الاساسية في هذه المنظومة التوحيد، واستخلاف الانسان،

والشورى، والعدل، والسلم، وغير ذلك. وكان الرسول قد بيّن ان دولته ستظل قائمة ما وليها اثنا عشر رجلا. فقد اخرج البخاري ومسلم في صحيحهما حديث جابر بن سمرة عن النبي محمد قوله: "يَكونُ اثْنَا عَشَرَ أَمِيرًا، فَقالَ كَلِمَةً لَمْ أَسْمَعْهَا، فَقالَ أَبِي: إنَّه قالَ: كُلُّهُمْ مِن قُرَيْشٍ."، وفي رواية اخرى: "إنَّ هذا الأَمْرَ لا يَنْقَضِي حتَّى يَمْضِيَ فِيهِمِ اثْنا عَشَرَ خَلِيفَةً، قالَ: ثُمَّ تَكَلَّمَ بكَلَامٍ خَفِيَ عَلَيَّ، قالَ: فَقُلْتُ لأَبِي: ما قالَ؟ قالَ: كُلُّهُمْ مِن قُرَيْشٍ." وقد احتار المؤرخون بعد ذلك تسمية هؤلاء الخلفاء الاثني عشر، لان الامراء الذين قصدهم النبي لم يتولوا الحكم من بعده. (اقرأ: تاريخ الخلفاء للسيوطي، ت ٩١١ هجرية، ص ٧-١٠) وكان الاحرى بالكتاب، بدل محاولاتهم البائسة البحث عن ١٢ خليفة تنطبق عليهم الاوصاف، كتابة "تاريخ ما لم يقع"، وهو التعبير الذي استخدمه في حديثه معي سماحة الامام محمد مهدي شمس الدين في باريس قبيل وفاته. تاريخ ما لم يقع: هو تاريخ الرجال الاثني عشر الذين عناهم النبي لرعاية الدولة الاسلامية والمجتمع الاسلامي ومنظومة القيم الحضارية العليا حتى تترسخ في المجتمع، وهذا ما لم يقع.

ثمة لغز يكتنف الرقم ١٢. كأننا هنا امام مخطط أو ستراتيجية تشترط ان يتولى ١٢ خليفة او امام شؤون الدولة الاسلامية لضمان ثباتها على الخط وديمومتها. كاننا امام ١٢ خليفة يمثلون ١٢ جيلا من عمر الدولة الاسلامية وهو عمر طويل ينطبق عليها قوله تعالى:"أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ)ابراهيم (24. والمفهوم من هذا المنطوق امران: الاول، ان عدم تولي هولاء الخلفاء ال ١٢ يغير مستقبل الدولة الاسلامية لغير ما خطط لها؛ والثاني: ان مسألة الحكم بعدهم سوف تأخذ بعدا اخر مستقرا على الاسس القيمية والدستورية لهذه الدولة. كانت دولة الرسول بحاجة الى ١٢ خليفة ذكرهم لكي تستقر وتحقق اهدافها المذكورة في القران على المستوى العالمي. فاذا لم يتحقق هذا، اخذت الامور منحى اخر. والمنحى الاخر هو الخلل الحاد في المركب الحضاري للدولة والمجتمع والذي قاد الى حالة التخلف التي نتحدث عنها الان.

(٥)

ينطبق على المجتمعات الشرقية القول الماثور بأن الناس على دين ملوكهم وهذا ينطبق على المجتمع العراقي قديما وحديثا. بدأ الخلل السياسي في المجتمع الإسلامي والعربي ومنه العراقي حينما حول معاوية ابن أبي سفيان الخلافة إلى حكم وراثي واستبدادي فكان هذا الخلل السياسي راس كل مظاهر الفساد والاختلالات والتخلف التي ظهرت في المجتمعات العربية والإسلامية و أدت إلى انهيار الدولة العباسية في بغداد عام 1258.

استطاع معاوية بن أبي سفيان أن يحدث الشرخ الأكبر في منظومة القيم العليا للمجتمع الإسلامي آنذاك حينما تجاوز على مبدأ الشورى في اختيار الحاكم واعلن نفسه خليفة بقوة السلاح أولا ثم غير آلية تولي الخلافة حينما سن سنة التوريث للأبناء في الخلافة التي كان من المفترض أن تكون كخلافة لرسول الله وليس خلافة للآباء.

كان هذا تحولا كبيرا في نظام الحكم في المجتمع الإسلامي والعربي. أدى هذا التحول إلى ظهور العديد من المشكلات والاختلالات السياسية والاجتماعية في العالم الإسلامي والعربي.

اولا، الانتقال إلى الحكم الوراثي والاستبدادي: قبل فترة معاوية بن أبي سفيان، كانت الخلافة تُعتبر منصبا يتم انتخابه عن طريق الشورى بغض النظر عن طريقة اختيار الخلفاء الثلاثة الاول، ومن ثم الخلاف الشيعي السني حول هذا الموضوع..

و بعد أن أصبح معاوية خليفة، سعى إلى تأسيس نظام حكم يضمن استمرار سلالته في الحكم، ما أدى إلى تحول الخلافة إلى منصب وراثي يشبه الملكيات في الأنظمة الغربية. وكان هذا التحول من اسباب عدم الاستقرار السياسي في المجتمع العربي والاسلامي والى سقوط الدولة العثمانية ووقوع البلدان العربية تحت براثن الاستعمار الغربي.

كما ادى الحكم الوراثي إلى ظهور نخب حاكمة متمسكة بالسلطة، مما خلق بيئة ملائمة للفساد والاستبداد ومن ثم التخلف. هذه الأنظمة عملت على تعزيز مصالحها الخاصة على حساب الناس.
و هذا الخلل الحاد في نظام الحكم أسهم على المدى البعيد في تخلف المجتمعات وانهيار العديد من الدول الإسلامية والعربية، على غرار انهيار الدولة العباسية في بغداد عام 1258، والذي يُعتبر أحد أكثر الأمثلة إثارة للصدمة في التاريخ الإسلامي.
و يُظهر هذا التحليل أن الأنظمة السياسية وطريقة الحكم لها تأثير بعيد المدى على استقرار المجتمعات وتطورها.
بالنسبة للمجتمعات الشرقية، خصوصاً المجتمع العراقي، فأن التأثيرات المترتبة على هذا الانحراف في الحكم لا تزال ملموسة حتى العصر الحديث، ما يؤكد على أهمية النظام السياسي في تشكيل ملامح المجتمع.
اما ما يسمى بالحضارة العربية والاسلامية وانجازاتها العلمية والفكرية فقد كانت من ثمار الطاقة الخلاقة التي فجرها الاسلام في لحظة ظهوره الاولى واستمرت حوالي ثلاثة الى خمسة عقود قبل ان تخبو تدريجيا متأثرة بالمضاعفات السلبية والسياسات الخاطئة للحكم الوراثي خاصة فيما يسمى بالعصر العباسي الثاني الذي بدأ بخلافة المتوكل على الله سنة 232 هجرية. وكان من المضاعفات السلبية لذلك اضافة الى عدم الاستقرار السياسي تحلل امر الخلافة وتفكك منظومة القيم القرانية وانقسامات العالم الاسلامي وظهور الدويلات العسكرية والطائفية الفقهية والمجتمعية وتدهور الزراعة والصناعة والابتكار العلمي الامر الذي هيأ المجال للاحتلالات الاجنبية من عام ١٢٥٨ الى عام ١٩١٧ بسقوط بغداد ١١ اذار من ذلك العام تحت الاحتلال البريطاني.
ومع ان العالم الاسلامي استطاع امتصاص الغزو المغولي وطرد الغزو الصليبي الا ان مضاعفات الخلل الحاد في المركب الحضاري كانت تتفاقم. وباءت بالفشل محاولات العثمانيين ورواد النهضة وعلى رأسهم جمال الدين الافغاني تدارك الامر لاسباب ذاتية وموضوعية كثيرة، حتى سقط العالم الاسلامي تحت براثن التخلف والاحتلالات الاجنبية بانتهاء الحرب العالمية الاولى بين عامي ١٩١٤و ١٩١٨.

(٦)

بعد الانهيار الكبير قامت دول قطرية هي نتاج خطط المستعمرين واحزاب محلية هي نتاج المجتمعات المتخلفة علما بان التخلف ظاهرة قابلة لاعادة الانتاج عن طريق المحايثة والوراثة الاجتماعية. وهكذا لم تتمتع احزاب تلك المرحلة بالحصانة من امراض التخلف مما انعكس على طرق تفكيرها وعملها وممارساتها واساليبها وعلاقاتها البينية ونظرتها للعالم، فكانت نسخة محسنة من مجتمعاتها المتخلفة. وعبثا حاولت التظاهر بانها احزاب تغييرية وتقدمية وحضارية ومدنية اسلامية او علمانية، لأنها كانت في الحقيقة احزاب متخلفة. وحينما تمكن بعضها من تولي الحكم في بلدانها، مثل حزب البعث في العراق، وهو حزب علماني تبنى مايسمى "الاشتراكية العلمية" في وقت ما، اقامت حكما استبداديا لم يتمكن من تحقيق اهداف التنمية الاقتصادية ولا تلبية الحاجات الضرورية للشعب.
ان الاحزاب الاسلامية والعلمانية بشقيها القومية والشيوعية التي تسيدت المسرح السياسي العراقي منذ عام ١٩٥٨ الى اليوم هي احزاب متخلفة من منظور المركب الحضاري ومنظومة القيم العليا الحافة بعناصره الخمسة. فلا هي تؤمن حقا بالمواطنة العراقية (مقابل المواطنة القومية او المواطنة الاسلامية او المواطنة الشيوعية التي تتجاوز الحدود العراقية)، ولا تؤمن بالديمقراطية والتداول السلمي للسلطة وحماية حقوق الانسان، ولا تؤمن او ربما لا تفهم نموذج الدولة الحضارية الحديثة بديلا عن نموذج الدولة التقليدية السلطانية. وللاسف لم يكن لافكار دعاة الدولة الحديثة امثال الشيخ النائيني وغيره الكلمة العليا في بداية تشكل الدولة العراقية الحالية، كما تواجه اليوم افكار السيد السيستاني حول بناء الدولة العراقية الحديثة نفس المعوقات بسبب طمع وجشع وفساد وتخلف الماسكين بالسلطة حاليا وضيق افقهم السياسي والمعرفي.

ان تقييم الأحزاب السياسية من حيث تقدمها أو تخلفها يعتمد على منظورات مختلفة ومؤشرات متعددة. لكن، للبرهنة على الادعاء بأن الأحزاب الإسلامية والعلمانية القومية والشيوعية في العراق متخلفة من منظور المركب الحضاري ومنظومة القيم العليا، يمكننا النظر إلى عدة جوانب:

** .1التطور والابتكار :**يجب أن نتساءل إذا كانت هذه الأحزاب تشجع على التطور والابتكار أو إذا كانت تتمسك بأيديولوجيات وممارسات قديمة قد تعيق التقدم.

** .2الشمولية والتنوع :**هل تعكس هذه الأحزاب التنوع الثقافي والديني والعرقي للعراق، وهل تعمل على دمج جميع شرائح المجتمع في العملية السياسية بشكل فعال؟

** .3حقوق الإنسان والحريات الأساسية :**من المهم التحقيق في مواقف وسجلات هذه الأحزاب بخصوص حقوق الإنسان والحريات الفردية ومدى التزامها بحماية هذه الحقوق والحريات.

** .4الديمقراطية والمشاركة السياسية :**يتعلق التخلف أو التقدم الحضاري أيضاً بمدى تشجيع الأحزاب والنظم الحاكمة على المشاركة الديمقراطية وتوفير بيئة للمواطنين للإدلاء بآرائهم واختيار ممثليهم. وهل تطبق الديمقراطية في حياتها الداخلية

** .5التعامل مع القضايا الاقتصادية والاجتماعية :**كيف تعاملت هذه الأحزاب مع القضايا الاقتصادية والاجتماعية؟ هل كانت استراتيجياتها فعالة في النهوض بالاقتصاد وتحسين معيشة الشعب العراقي؟

6. **الرؤية ستراتيجية لمعالجة التخلف من جميع جوانبه**: هل تملك مثل هذه الرؤية وتتصرف على اساسها في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية والتربوية والدينية الخ..؟

7. **منظومة القيم العليا**: هل تتبنى منظومة قيم عليا للمركب الحضاري للدولة والمجتمع وتنصرف لبناء الدولة على اساسها

** .8التعاون والتكامل الإقليمي والدولي :**هل تدعم هذه الأحزاب التعاون والتكامل مع المجتمع الدولي بطرق تعزز من مكانة العراق وتسهم في تحقيق السلام والاستقرار الإقليميين؟

من هذه النقاط، يمكننا استخلاص مؤشرات ودلائل على مدى تقدم أو تخلف هذه الأحزاب. إن كانت هذه الأحزاب تفتقر إلى التزام جاد بتطوير المجتمع واحترام الديمقراطية وحقوق الإنسان، فقد يُعتبر ذلك دليلاً على تخلفها من منظور المركب الحضاري ومنظومة القيم العليا.

تطبيق هذه المؤشرات على الأحزاب العراقية يتطلب تحليلًا معمقًا لسياسات وممارسات كل حزب على حدة، مع الأخذ بعين الاعتبار التنوع الكبير في الطيف السياسي العراقي. يمكن النظر إلى عدة جوانب لتقييم مدى التزام هذه الأحزاب بالمؤشرات المذكورة:

من الجدير بالذكر أن تطبيق هذه المؤشرات وتقييم الأحزاب بناءً عليها قد يواجه تحديات بسبب التعقيدات السياسية، والتنوع الكبير بين الأحزاب العراقية، والتغيرات المستمرة في السياسة العراقية. كما أن البيئة الأمنية والإقليمية المتقلبة يمكن أن تؤثر على قدرة الأحزاب على الالتزام بالمعايير المذكورة.

وبالنهاية، لا سبيل الى الخروج من التخلف الا بمعالجة الاختلالات الحادة في المركب الحضاري ومنظومة القيم العليا واقامة الدولة الحضارية الحديثة.

———

فصل
التخلف الحضاري والنزعة الدينية

امران يشغلان تفكيري وهما: التخلف الحضاري والنزعة الدينية في المجتمع العراقي.
اعترف بداية ان مقالي هذا لا يستند الى معطيات احصائية او امبريقية، انما يعتمد على الملاحظات الانطباعية التي تكونت لدى منذ وعيت وجودي الاجتماعي والسياسي اعتبارا من عام ١٩٥٨ فما بعده. عنصر الذاتية لعب دورا كبيرا في هذا المقال.
اما التخلف الحضاري فاعني به الخلل الحاد في المركب الحضاري ومنظومة القيم العليا الحافة او المصاحبة لعناصره الخمسة وهي الانسان والارض والزمن والعلم والعمل.
وحالة التخلف الحضاري في المجتمع العراقي قديمة بعض الشيء تعود بجذورها او بذرتها الاولى الى بسقوط حكم الامام علي (الديمقراطي) وخضوع العراق للحكم الاستبدادي الوراثي الذي بدأه معاوية بن ابي سفيان، واستمر مع حكم العباسيين، وتفاقم مع سقوط بغداد في ١٠ شباط من عام ١٢٥٨ تحت حكم المغول ، ثم توالي الاحتلالات الايرانية والعثمانية والبريطانية والاميركية، مرورا بالنظام الدكتاتوري لحزب البعث ونظام المحاصصة للاحزاب.
وقد تجلى التخلف الحضاري في العديد من الاختلالات في المجتمع العراقي، سياسيا واقتصاديا وغير ذلك.
ولعل من اخطر هذه الانعكاسات الفهم والممارسات غير الحضارية المنسوبة الى الدين.
اما النزعة الدينية فقد كانت ملموسة منذ مطلع القرن العشرين في ثورة العشرين التي مارست فيها المرجعية الدينية دورا كبيرا من خلال تأثيرها على العشائر وعامة الناس.
النزعة الدينية هي ميل أو توجه قوي نحو الدين أو الممارسات الدينية. تتضمن هذه النزعة تأكيد الإيمان والقيم الروحية كأساس لتفسير الحياة وكدافع للسلوك الإنساني. الأشخاص ذوو النزعة الدينية غالباً ما يرون الدين كعنصر مركزي في حياتهم ويميلون إلى اتباع تعاليم وطقوس دينهم بانتظام وجدية.
هذه النزعة قد تؤثر على جوانب متعددة من حياة الفرد، بما في ذلك اختياراته الأخلاقية، العلاقات الاجتماعية، السياسة، والقرارات المتعلقة بالصحة والتعليم والمهنة. وفي المجتمعات، قد تؤثر النزعة الدينية على القانون والسياسة العامة والعلاقات الثقافية.
من الجدير بالذكر أن النزعة الدينية يمكن أن تظهر بدرجات متفاوتة من الشدة والتعبير، وقد تكون صحية وبناءة عندما تحفز على التعاون والتسامح والصدقة، ولكن في بعض الحالات قد تصل إلى درجة الانغلاق أو التعصب عندما تقود إلى رفض الآخر أو العنف.
وهذا ما نشاهده في العراق. فقد شهدت هذه النزعة حالات صعود وهبوط باختلاف الظروف، لكنها تميزت كما بيّن السيد محمد باقر الصدر بعدم الفهم الواعي للاسلام. ومع ان الصدر حاول معالجة هذه الحالة الا ان صدام الذي ادرك خطورة دعوة الصدر اجهضها بقسوة بالغة من خلال التصفية الجسدية للصدر واخته والدعاة الذين ساروا على نهجه. وفي سنوات العقوبات الاقتصادية (الحصار حسب مصطلح النظام) والفقر وتعاظم الجهل وما يسمى بالحملة الايمانية التي اطلقها صدام، ثم اغتيال المرجع الكبير السيد محمد صادق الصدر، سادت تدريجيا النزعة الدينية البعيدة عن الفهم الحضاري للدين، والمتصالحة مع التقليد الاعمى، والجهل، والخرافة، والتقاليد البالية، والتعصب، والصنمية الحزبية والشخصية، وكل هذا ادى في نهاية المطاف الى ما سميته باسلمة التخلف، واعني به إضفاء الطابع الديني على الممارسات الاجتماعية المتخلفة. وهذا من عمل المجتمع والمصادر الدينية المستفيدة من اسلمة التخلف.
هذا التزاوج بين التخلف الحضاري والنزعة الدينية المفتقدة للفهم الحضاري للدين ادى الى نتيجتين مزدوجتين هما: تكريس التخلف الحضاري، و تعطيل قدرة الدين على لعب دور ايجابي في النهوض الحضاري والتقدم

الاجتماعي، فيصبح "الدين افيون الشعوب"، كما قال كارل ماركس (١٨٤٣) في نص اقتطع من سياقه الطبيعي.
وهذا ما يشغل تفكيري كما قلت في بداية المقال. فمن اجل معالجة للتخلف الحضاري يجب التخلص من النزعة الدينية المفتقدة للفهم الحضاري للدين، من بين أمور أخرى بطبيعة الحال. وهذا لا يعني التخلص من الدين كما يرى بعض العلمانيين قصيري النظر، (لاسباب لا مجال لعرضها هنا) ، او كما يفعل بعض الشباب محدودي الثقافة، وانما يعني اشاعة الفهم الحضاري للدين، وبخاصة القران، وبالتالي توظيف النزعة الدينية الحضارية في معالجة التخلف. وفي هذه الحالة سيكون الدين، ليس افيون الشعوب، وانما قوة رافعة للنهوض الحضاري والتقدم الاجتماعي.
وهنا اتحدث عن تجربة عملية ناجحة حينما دعوت الى تشجير طريق الحسين. وهي حركة استهدفت استخدام العامل او الدافع الديني في انجاز عمل حضاري. وقد نجحت هذه الدعوى بدفع مئات او ربما الاف الناس من محبي الامام الحسين الى المشاركة في تشجير طريق المشاة الى كربلاء.
وهناك تجربة اكثر ظهورا هي فتوى الجهاد الدفاعي التي اطلقها الامام السيستاني ردا على الغزو الداعشي (الديني المتخلف) على العراق، وهب مئات الالاف من الشباب الى تلبيتها.
الفكرة: يمكن استخدام النزعة الدينية في التغيير الاجتماعي بشرط بنائها وفق الفهم الحضاري للدين والقران بالتحديد.

فصل
عن التنمية ودور الحكومة والشعب فيها

منذ أن أصدر السيد محمد باقر الصدر كتابه "اقتصادنا" (عام ١٩٥٩) وبخاصة مقدمة الطبعة الثانية للكتاب أصبحت مفردات التنمية والتنمية الاقتصادية من المرتكزات الاساسية في الفكر الإسلامي الاقتصادي في العراق. وقد أكد السيد الصدر في هذا الكتاب على أن الإسلام جعل تنمية الثروة والاستمتاع بالطبيعة إلى اقصى حد ممكن هدفا للمجتمع يضع في ضوئه سياساته الاقتصادية والبرامج العملية للدولة والحكومة.
وكان الصدر واضحا وصريحا في مقدمة الطبعة الثانية حين قال أن التنمية الاقتصادية المعركة ضد التخلف في العالم الإسلامي يجب أن تتم في اطار مركب الحضاري قادر على تحريك الأمة وتعبئة كل قواها وتاريخها للمعركة ضد التخلف.
ومنذ صدور "اقتصادنا" الى اليوم لم يشهد العراق حركة حقيقية للتنمية الاقتصادية خاصة والتنمية الحضارية عامة لا على صعيد الدولة والحكومات، ولا على صعيد المجتمع والاحزاب السياسية، فبقي العراق يراوح في مكانه ولم يستطع قطع خطوات حقيقية في طريق النهوض الحضاري والتنمية الشاملة المستدامة والقضاء على التخلف. والسبب الاساس في ذلك ان الجذر الحقيقي للتخلف وهو الخلل الحاد في المركب الحضاري ومنظومة القيم الحافة به في المجتمع بقي بعيدا عن وعي وفكر واهتمامات المتصدين للشأن العام.
التنمية الاقتصادية عملية متعددة الجوانب تسعى لتحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية في منطقة معينة أو دولة. تشمل هذه العملية زيادة مستويات المعيشة، و تحقيق النمو الاقتصادي المستدام، وتقليص الفقر. كما يتطلع هذا المفهوم إلى تحقيق التوازن بين النمو الاقتصادي والعدالة الاجتماعية، وذلك من خلال التركيز على تحسين التعليم، الخدمات الصحية، العمل، والبنية التحتية.

###المقومات الأساسية للتنمية

** .1الموارد الطبيعية :**تعتبر الموارد الطبيعية، مثل الأراضي الزراعية، المعادن، والنفط عاملاً حاسماً في دعم عملية التنمية.
** .2رأس المال البشري :**يشمل تحسين مستويات التعليم والمهارات للافراد، ما يعزز الإنتاجية ويدعم الابتكار.

** .3البنية التحتية :**الاستثمار في البنية التحتية مثل الطرق، الجسور، الموانئ، وشبكات الاتصالات يسهل التجارة ويحسن الوصول إلى الأسواق.
** .4النظام الاقتصادي والسياسي :**نظام قانوني فعال وحكومة مستقرة لتحفيز الاستثمار وتوفير بيئة مناسبة للنمو الاقتصادي.
** .5الابتكار والتكنولوجيا :**الاستثمار في البحث والتطوير لإنتاج تكنولوجيا جديدة للمساهمة في تحسين الكفاءة ودفع عجلة النمو الاقتصادي.

###المستلزمات الخاصة بعملية التنمية

** .1التخطيط الاستراتيجي :**تحديد أهداف واضحة وواقعية للتنمية مع تصميم خطط عمل مفصلة لتحقيق هذه الأهداف.

** .2التمويل :**تأمين الموارد المالية اللازمة للاستثمار في المجالات الحيوية مثل التعليم، الصحة، والبنية التحتية.
** .3الحوكمة الرشيدة :**إنشاء نظام حكم يتسم بالشفافية، المساءلة، والكفاءة يعزز الثقة ويجذب الاستثمارات.
** .4الشراكة بين القطاعات :**تعزيز التعاون بين القطاع العام والخاص والمجتمع المدني لتحقيق أهداف التنمية.
** .5الاستدامة البيئية :**التأكد من أن عمليات التنمية لا تضر بالبيئة وأنها تحافظ على الموارد للأجيال القادمة.
التنمية الاقتصادية تتطلب نهجاً شمولياً يأخذ في الاعتبار جميع هذه المقومات والمستلزمات، بالإضافة إلى الاحتياجات الخاصة لكل مجتمع أو دولة. من خلال التركيز على بناء اقتصاد متوازن وشامل، يمكن الوصول إلى تحقيق التنمية الاقتصادية المنشودة.

###دور الحكومة:

١. **وضع السياسات والتشريعات :**الحكومة مسؤولة عن تطوير وتنفيذ السياسات والتشريعات التي تحفز التنمية الاقتصادية والاجتماعية والبيئية. قال الصدر: "إن على الدولة أن تدرس الشروط الموضوعية للحياة الاقتصادية وتحصي ما في البلاد من ثروات طبيعية و تستوعب ما يختزنه المجتمع من طاقات وما يعيشه من مشاكل وتضع على ضوء ذلك كله وفي الحدود المذهبية السياسة الاقتصادية التي تؤدي إلى زيادة الإنتاج ونمو الثروة وتضمن يسر الحياة وسائل المعيشة".
** .2توفير البنية التحتية :**بناء وصيانة البنية التحتية الضرورية كالطرق، المستشفيات، المدارس، وشبكات المياه والكهرباء.
** .3التعليم والصحة :**الاستثمار في التعليم والرعاية الصحية من أجل تحسين جودة حياة المواطنين وتعزيز قدراتهم.
** .4تعزيز الاقتصاد :**تطوير الأسس الاقتصادية عبر دعم القطاعات الإنتاجية، تحفيز الاستثمار، وخلق فرص العمل.
** .5الحفاظ على البيئة :**وضع القوانين والسياسات لحماية البيئة وتحقيق التوازن بين النمو الاقتصادي والحفاظ على الموارد الطبيعية للأجيال القادمة.
** .6الدعم الاجتماعي :**تقديم الدعم والمساعدات للفئات الضعيفة والمهمشة في المجتمع.

###دور الشعب:

** .1المشاركة والمسؤولية :**المشاركة الفعالة في العملية التنموية من خلال الانخراط في الحياة العامة، والمشاركة في الانتخابات، والتعبير عن الآراء والمقترحات.
** .2العمل والإنتاج :**الإسهام في الاقتصاد من خلال العمل الجاد وزيادة الإنتاجية.
** .3التعليم والتدريب :**السعي نحو التعلم والتطور المستمر لتعزيز المهارات والقدرات الشخصية والمهنية.
** .4الحفاظ على الموارد :**تحمل المسؤولية تجاه البيئة من خلال الحفاظ على الموارد الطبيعية والمشاركة في أنشطة الحفاظ على البيئة.
** .5التعاون والتضامن :**العمل سوية مع الآخرين في المجتمع لتحقيق أهداف التنمية، ودعم الأفراد والجماعات الأقل حظًا.

** .6الابتكار والمبادرة :**تشجيع الابتكار والمبادرات التي يمكن أن تسهم في تحسين المجتمع وخلق حلول جديدة للتحديات التي تواجهه.
التنمية المستدامة تتطلب جهودًا مشتركة وتكاملًا بين الحكومة والشعب، حيث يتحمل كل طرف دورًا هامًا في تحقيق مستويات عالية من الرفاهية والتقدم.
لا يعاني العراق من نقص في عدد علماء الاقتصاد والتنمية، لكن الحكومات والاحزاب تعاني من عدم القدرة على توظيف هذه الطاقة الفكرية البشرية في المعركة ضد التخلف.

فصل
تطور منظومة القيم الحضارية

(١) مقدمة

يتألف المركب الحضاري لكل مجتمع من خمسة عناصر هي: الانسان والارض والزمن والعلم والعمل. وتحيط بهذه العناصر الخمسة منظومة قيم عليا.

ويشكل الانسان والارض النواة الصلبة للمركّب الحضاري، كما في قوله تعالى:"قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ". والعلاقة بينهما هي التي تشكل بداية الحراك الحضاري للمجتمع، كما في قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ."

وتتم هذه العلاقة من خلال الزمن والعلم والعمل. والعلاقة بين العلم والعمل جدلية. فمن خلال العمل ينمو العلم، ومن خلال العلم يتحسن الاداء العملي. وكل هذا يتم في اطار منظومة متشعبة من القيم الاخلاقية والسلوكية.

ومنذ بداية المجتمع او المجتمعات البشرية الاولى المؤلفة من اعداد صغيرة من البشر كانت هذه القيم تتشكل وتنمو تدريجيا، بدءاً من العلاقة بين الرجل والمرأة (الجنس وما يتعلق به)، ثم القيم العائلية، والعلاقة مع افراد المجتمع الاخرين، والعلاقة مع الارض، وعلاقات الاقتصاد في مراحله المختلفة، وغير ذلك.

ومنذ البداية ايضا كان الدين مصدرا مهما من مصادر القيم، فضلا عما يقول به كبار السن والحكماء وما تفرضه المصالح الحيوية للجماعة.

ومع تطور وعي الانسان، وتعقد حياته الاجتماعية والاقتصادية، كانت هذه القيم تتطور بطريقة تراكمية، ومعها تطورت ايضا الدعوات النبوية التي رافقت مسيرة الانسان منذ القدم، قبل ان تتوقف قبل حوالي ١٥ قرنا، ببعثة النبي محمد (ص). وكانت هذه القيم تنتقل من جيل الى اخر عبر التربية ومحاكاة الاباء والاجداد في ما يمكن تسميته الوراثة الاجتماعية. ومع ان المجتمعات البشرية وجدت منذ بعيد قبل اختراع الكتابة، الان ان الاخيرة وفرت اداة مهمة لتدوين القيم على شكل قوانين وتشريعات ونصوص وكتب تتناقلها الاجيال من جيل الى اخر.

وحين اخترع الانسان الورق والطباعة اصبح الحفاظ على القيم وانتقالها اسرع وايسر. وحينما وصل الانسان الى العصر الحديث اخذت الحدود الحضارية او القيمية بين المجتمعات تختفي لتتكامل وتتلاقح القيم الحضارية فيما بينها. والملفت للنظر هنا، ان القيم الحضارية تكاد تكون في الاعم الاغلب متشابهة ومتقاربة بين المجتمعات القديمة رغم بدائية وسائل التواصل فيما بينها، ما قد يوحي بان منشأ انتزاع هذه القيم قد يكون واحدا. وربما يرى بعض الباحثين ان الدين الالهي هو منشأ هذه القيم، فيما قد يقول اخرون ان الفطرة الانسانية هي منشأ هذه القيم. ولا تناقض او تنافر بين الامرين. فما كان الدين السماوي ليبتعد عن الفطرة الانسانية بحال.

وهذا ما يطلق عليه القران الكريم عنوان "الدين القيم" في الاية ٣٠ من سورة الروم: "فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ."

ونستطيع، بعد استقراء ما لا يقل عن ١٠ الاف سنة من تاريخ البشرية، ان نقول ان التفاعل بين المجتمعات البشرية، وحضاراتها المتنوعة، وقيمها الحضارية العليا، معززا بالتقدم التكنولوجي والثورة المعلوماتية، اوصل البشرية الى حافة التوافق على منظومة مشتركة، حتى لا اقول موحدة بدرجة كبيرة، من القيم العليا التي تحدد ضوابط ومؤشرات السلوك والعلاقات في مختلف مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والعلمية والثقافية وغيرها. وما الاعلان العالمي لحقوق الانسان الذي صادقت عليه البشرية في عام ١٩٤٨ الا واحد من الادلة الساطعة على تكامل منظومة القيم الحضارية العليا للمجتمع البشري.

٢. القيم السومرية

منذ بداية الانتقال الى الزراعة قبل حوالي ١٢ الف سنة، وبدء تكون "القرى" او المجتمعات الزراعية البسيطة، ظهرت الحاجة الى القواعد الاخلاقية والقانونية التي تنظم حياة تلك القرى والمجتمعات البسيطة. ولعل هذا التطور هو ما تشير اليه الاية ٢١٣ من سورة البقرة في القران الكريم حيث تقول:"كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ"، حيث تشير عبارة "كان الناس امة واحدة" الى المرحلة التي كان الانسان يقتات فيها على ما يجمعه من ثمرات الارض في الغابات وغيرها، وهي المرحلة التي يطلق عليها بعض الباحثين "مرحلة الفطرة" او "الطبيعة"، قبل ان يبدأ بالانتاج الزراعي. وقد فسر السيد محمد باقر الصدر هذه الاية بقوله:"ان الناس كانوا امة واحدة في مرحلة تسودها الفطرة وتوحد بينها تصورات بدائية للحياة وهموم وحاجات بسيطة. ثم نمت - من خلال الممارسة الاجتماعية للحياة- المواهب والقابليات وبرزت الامكانيات المتفاوتة واتسعت افاق النظر وتنوعت التطلعات وتعقدت الحاجات فنشأ الاختلاف وبدأ التناقض بين القوي والضعيف واصبحت الحياة الاجتماعية بحاجة الى موازين تحدد الحق وتجسد العدل وتضمن أستمرار وحدة الناس في اطار سليم".

وادى ذلك الى بداية ظهور "السلطة الاجتماعية"، قبل ظهور السلطة السياسية او الدولة، حيث كانت السلطة تمارس من قبل جميع الاطراف فيما يسميه جاكوبسن "الديمقراطية البدائية"، التي نشأت في بداية الامر في قرى وادي الرافدين. وربما هذا هو ما دعا هوبز وجان جاك روسو ولوك وفيلمر الى افتراض نظرية العقد الاجتماعي في تفسير ظاهرة نشوء الدول في التاريخ. واغلب الظن ان هؤلاء لم يكونوا على اطلاع على تطور المجتمع البشري في وادي الرافدين وظهور الدول فيه. وقد تم هذا بفعل تطور طبيعي في حياة المجتمع بالانتقال من مرحلة جمع الثمار الى الزراعة الى السلطة الاجتماعية الى السلطة السياسية واخيرا قيام دول المدن. وهذا التطور الطبيعي ليس بحاجة الى افتراض العقد الاجتماعي المتخيّل.

واغلب الظن ان ظاهرة الانبياء بدأت في هذا الظرف، حيث بدأ اشخاص بدعوة الناس الى التقيد بالقيم السلوكية التي يحتاجها المجتمع لتحقيق الاستقرار والسلام والخير والعدل في المجتمع. واخذت هذه القيم بالتراكم والاتساع لتغطية مختلف مجالات الحياة، سواء على يد الانبياء او الحكماء او الحكام الذين بدأوا بالظهور مع تكون السلطة السياسية وقيام دول المدن في وادي الرافدين واولها اريدو. والملفت ان وثيقة "ثبت الملوك السومرية" تشير الى "نزول الملوكية من السماء" وهي اشارة واضحة الى ادراك كتاب الوثيقة لدور "الدين السماوي" في تنظيم تلك المجتمعات. ولعل هذا هو ما يشير اليه القران في قوله:"وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ". وكانت قيم الدين و العدل والحرية وسيادة القانون فضلا عن الديمقراطية بشكلها المجلسي من ابرز عناصر منظومة القيم المذكورة. وتحفظ الوثائق السومرية والبابلية والاكدية والاشورية الكثير من النصوص التي تحتوي على عناوين هذه القيم. وفي تطور بارز اخذت منظومة القيم تتجسد على شكل لوائح قانونية وتشريعات. ويرى بعض الباحثين "أن ضمانات تحقيق العدالة في حضارة وادي الرافدين يمكن ردها إلى مبدأ خضوع الحاكم لسيادة القانون ، والقضاء". وهذا من اسس الدولة الحضارية الحديثة. و "هذا المبدأ كان معمولاً به في العراق القديم فإذا كان الملوك هم الذين يصدرون القوانين وإذا كانت أوامرهم وكلماتهم هي القانون فان خضوع سلطانهم كان مقيداً بقواعد العدالة". وسجل لنا تاريخ العراق القديم إصلاحات اوروكوجينا حاكم مدينة لكش. والمعروف أن إصلاحات اوروكوجينا هي الوثيقة الأولى في تاريخ البشرية التي وردت فيها كلمة الحرية. وهناك قانون اشنونا، المدون باللغة السومرية والاكدية ، ويتضمن حقوق الإنسان في العراق القديم. و قانون لبت عشتار الذي أصدره الملك لبت عشتار والذي استمر حكمة في الفترة 1924)– 1934ق.م (. وقانون اورنمو الذي أصدره الملك السومري اورنمو مؤسس سلالة أور الثالثة 2111-2003)ق.م (واخيرا قانون حمورابي المعروف بمسلة حمورابي الملك البابلي الذي حكم بابل بين عامي 1750 - 1792ق م.

(٣) القيم الاسيوية

واصلت منظومة القيم الحضارية تطورها وتكاملها في المجتمعات البشرية الى الشرق (الهند والصين) والغرب (مصر وبحر ايجة واليونان) من بلاد وادي الرافدين.

وقد سار خط الانبياء الالهيين وخط الحكماء الوضعيين جنبا الى جنب في ارشاد البشرية الى القيم العليا التي تتطلبها عملية اقامة مجتمعات صالحة قائمة على اساس العمل والعدالة والسلام والحرية.

وسواء جاءت هذا التعاليم من خلال التواصل والتكامل مع حضارة وادي الرافدين، او من خلال النشأة المستقلة، فانها في الواقع كان بعضها يكمل ويتمم بعض. وقد صوّر النبي محمد (ص) هذه الحقيقة التاريخية بقوله: "إنَّ مَثَلِي ومثلَ الأنبياء منْ قَبلي، كَمَثَلِ رجلٍ بنى بَيْتًا، فأحْسَنَهُ وأجْمَلَهُ، إلا مَوْضعَ لَبِنَةٍ من زاوية، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفونَ بِهِ، ويَعْجَبونَ له، ويقُولونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هذه اللَّبِنَة؟"، قال: "فأنا اللَّبِنَة، وأنا خاتمُ النَّبيّينَ". رواه الشيخان، واللفظ للبخاري.

وقد اصطف في هذا الموكب المهيب رجال رائعون امثال نوح وابراهيم وموسى يحيى وزكريا وعيسى ومحمد فضلا عن بوذا وكونفوشيوس وزرادشت وسقراط وافلاطون وارسطو وماركوس اوريليوس وغيرهم من الذين اناروا طريق البشرية نحو الرقي والتطور بفكرهم واحيانا بدمهم، وخلفوا وراءهم كتبا مقدسة مثل التوراة وكنزا ربا والانجيل والقران والفيدا وغيرها.

فصل
الحضارة المؤمنة والحضارة الوثنية

(١) تمهيد عام

القيم هي المعتقدات والمبادئ الأساسية التي توجه سلوك الأفراد وتحدد ما هو مهم وذو قيمة بالنسبة لهم. تشمل القيم مجموعة واسعة من المفاهيم مثل الصدق، العدالة، الكرامة، المساواة، الاحترام، والحرية. هي أساس الأخلاق والسلوكيات في المجتمعات وتعكس ثقافة وتقاليد وتاريخ الشعوب.

القران يقدم صفات الله باعتباره قيما عليا، وباعتبار ان الله سبحانه وتعالى هو المثل الاعلى المطلق، بالمقارنة مع المثل النسبية والمثل التكرارية حيث تغطي المثل النسبية قطعة صغيرة من المستقبل فيما تعيد المثل التكرارية انتاج الماضي، ولذلك فهي لا تشكل دافعة حقيقية للتقدم ولا رافعة فعلية للرقي.

اما الحضارة، من ناحية أخرى، فهي درجة تطور معينة تحققت في المجتمعات البشرية والتي تشمل تطورات في مجالات مثل الفن، العلم، التكنولوجيا، السياسة، والمعيشة الاجتماعية والاقتصادية. تعكس الحضارة تراكم المعرفة، الخبرات، القيم، والإبداعات التي مرت بها المجتمعات عبر الزمن.

وقد عرفت البشرية نوعين من الحضارات هما: الحضارة المؤمنة، والحضارة الوثنية.

والحضارة المؤمنة هي: هي تلك الدرجة من تطور وتكامل المجتمع التي يبلغ فيها الانسجامُ التامُ بين الانسان والطبيعة من جهة، والتوزيعُ العادلُ للثروة الناتجة عن ذلك في اطار العلاقات التعاونية المتبادلة بين البشر من جهة ثانية، درجتَهما القصوى الممكنةَ، بفعل التطابق النسبي بين ارادة الانسان الحر وارادة الله وصفاته، بوصفه المثل الاعلى للمجتمع.

واما الحضارة الوثنية فهي في افضل تعريفاتها ما ذكره انجلز من انها: "تلك الدرجة من تطور المجتمع التي يبلغ فيها تقسيم العمل والتبادل الناجم عنه بين الأفراد والإنتاج البضاعي الذي يجمع هاتين الظاهرتين الازدهارَ التام"، خارج العلاقة بالله. من امثلة الحضارة الوثنية: الحضارة السومرية والحضارة الصينية والحضارة الاغريقية والحضارة الرومانية.

والفرق بين الحضارتين يعود الى تحليلهما لعناصر المجتمع.

فالحضارة المؤمنة ترى ان المجتمع مؤلف من ثلاثة عناصر هي الانسان و الارض والعلاقة المزدوجة بين الانسان والانسان والانسان والارض. وتؤمن الحضارة المؤمنة بالصيغة الرباعية للعلاقة وهي: انسان+انسان+ارض+ الله.

ووجود الله في الصيغة الرباعية وجود قيمي، لا شخصي ولا عددي.

اما الحضارة الوثنية فهي ايضا ترى ان المجتمع مؤلف من ثلاثة عناصر، لكنها تؤمن بالصيغة الثلاثية للعلاقة وهي: انسان+انسان+ ارض. فقط

القيم

القيم الحضارية الإنسانية الأساسية ترتبط بالمبادئ والمعتقدات التي تعزز التعايش والتفاهم والازدهار المشترك بين الشعوب في إطار الحضارة الإنسانية. تشمل هذه القيم:

هذه القيم تشكل أساسًا مهمًا للتعايش بين الناس في المجتمعات حول العالم وتحدد الأساس الذي يمكن عليه بناء مجتمعات أكثر عدلاً وسلاماً. دعنا نتعمق قليلاً في كل منها:

١** .الحياة :**تعتبر الحياة أسمى الحقوق، وهي الأساس الذي تقوم عليه جميع الحقوق الأخرى. حمايتها واحترامها يعتبر أولوية في القوانين والأعراف الدولية.

٢** .الحرية :**تشمل حرية الفكر، والتعبير، والمعتقد، والتنقل، وهي ضرورية لتطور الفرد والمجتمع. الحرية تسمح للأفراد بأن يعيشوا حياة تتماشى مع قيمهم ومعتقداتهم دون خوف من الاضطهاد أو القمع.

٣** .العدل :**يشير إلى الإنصاف وعدم التمييز وتطبيق القانون بشكل متساوٍ على الجميع. نظام العدالة النزيه هو حجر الزاوية للحفاظ على السلام والنظام في أي مجتمع.
٤** .المساواة :**يعني أن يتمتع جميع الأفراد بنفس الحقوق والفرص دون تمييز على أساس العرق، الجنس، الدين، الميلاد، أو أي عوامل أخرى. المساواة تعزز العدالة الاجتماعية والشمولية.
٥** .السلام :**لا يعني فقط غياب الحرب، بل يتضمن أيضاً الاستقرار، والأمان، وغياب العنف بأشكاله المختلفة. السلام يسمح بالتنمية والازدهار للمجتمعات ويفتح المجال للحوار والتفاهم المتبادل.
هذه القيم مترابطة وتعزز بعضها بعضًا؛ فمثلاً، لا يمكن تحقيق السلام الحقيقي بدون عدل ومساواة، ولا يمكن للأفراد التمتع بالحرية والحياة بشكل كامل بدون الأمن والاستقرار الذي يوفره السلام. في مسعانا لبناء مجتمعات أفضل، يجب علينا السعي دائمًا لتعزيز هذه القيم والعمل على تحقيقها في جميع أنحاء العالم.

موقف القران

القرآن الكريم يعالج القيم الحضارية الإنسانية الأساسية بشكل مفصل ويحث على تعزيزها كجزء من الحياة اليومية للمؤمن. ويقدم منظومة للقيم العليا بالاستناد الى ركني العقيدة الاسلامية وهما: توحيد الله ونفي الشرك به، واستخلاف الانسان في الارض.
إليكم بعض الأمثلة على هذه القيم:
١** .الحياة :**القرآن الكريم يقدس الحياة الإنسانية ويحرم قتل النفس دون الحق. يقول تعالى في سورة المائدة)الآية " :(32مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا."
٢** .الحرية :**القرآن يعترف بحرية الإنسان في الاعتقاد والعمل ويؤكد أن الإكراه غير جائز في الدين. قال تعالى في سورة البقرة)الآية " :(256لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ."
٣** .العدل :**يشدد القرآن على أهمية العدل ويعده من القيم الأساسية في المجتمع. ورد في سورة النساء)الآية " :(135يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ."
٤** .المساواة :**يعلم القرآن أن جميع البشر سواسية أمام الخالق، ويؤكد على المساواة بين البشر في الحقوق والواجبات. قال تعالى في سورة الحجرات)الآية " :(13يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ."
٥** .السلام :**الإسلام دين السلام والقرآن يدعو إلى السلام والتسامح. في سورة الأنفال)الآية (61يقول الله تعالى" :وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ."
هذه القيم توضح أن القرآن الكريم يؤكد على أهمية الحفاظ على كرامة الإنسان ويشجع على بناء مجتمع يسوده العدل، المساواة، الحرية، والسلام.

(٢) التوحيد

منظومة القيم العليا هي مؤشرات السلوك الحاكمة والحافة بعناصر المركب الحضاري، اي الانسان والطبيعة والزمن والعلم والعمل، والتي تتقرر بموجبها وجهة حركة هذه العناصر وطبيعة ومستوى اشتغالها.

بما اني اكتب في مجتمع كتاب هو القران، فانني لاحظت ان القران يجعل التوحيد قاعدة للقيم الحضارية العليا الحافة بالمركب الحضاري وعناصره الخمسة، والتي تتفرع منها المنظومات الفرعية الاخرى مثل القيم السياسية.

والقيم السياسية من العناصر الاساسية في منظومة القيم العليا. ذلك ان الانسان سياسي بالطبع، وان الاجتماع الانساني محكوم بدرجة كبيرة بهذه القيم خاصة بعد انقسام المجتمع الى طبقتي الحاكمين والمحكومين. وتحافظ القيم السياسية السليمة بدورها على سلامة بقية القيم في جوانب الاجتماع الانساني الاخرى.

يتمثل التوحيد كقيمة حضارية سياسية بكلمة "لا اله الا الله". وتنقسم هذه الكلمة الى قسمين: نفي (لا اله) واثبات (الا الله).

فاما كلمة النفي فهي لكل البشر، وتبقى كلمة الاثبات لمن يؤمن بالله ونبوة محمد. وانا هنا اكتب عن الكلمة الاولى التي تنفي صفة الالوهية عن كل شيء. فلا شيء غير الله يمكن ان يكون الها، والاله هو المعبود والسلطان والحاكم. وهذا ما يجعل الكلمة سياسيةً بامتياز، لانها تنفي شرعية كل حاكم يزعم لنفسه السلطة المطلقة على الناس. وهذا امر عمد الى فعله الملوك والسلاطين منذ قديم الزمان. قالها فرعون مصر، كما يروي القران الكريم: "وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى"، وفي اية اخرى: "فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ". وقد ادعى بعض حكام بلاد الرافدين في قديم الزمان، وبعض اباطرة الروم، الالوهية لفرض سلطانهم على النفوس.

وقد ادرك العرب الوثنيون القدامى، بما لديهم من وعي عميق للغة العربية ودلالاتها البعيدة، المغزى السياسي الخطير لكلمة "لا اله" فناقشوا النبي عليها. قال المثنى بن حارثة لرسول الله ردا على كلمة "لا اله الا الله": "ولعل هذا الامر الذي تدعونا إليه مما تكرهه الملوك". (ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣، ص ١٧٦)

وقال له رجل آخر من العرب: "إذن تحاربك العرب والعجم." (سيد قطب، في ظلال القران، ج ٣، ص ١٣٤٨).

وقال له رجل اخر من بني عامر بن صعصعة:"ارأيت ان نحن بايعناك على امرك، ثم اظهرك الله على من خالفك، ايكون الامر لنا من بعدك؟" (سيرة ابن هشام، ج ٢، ص ٥١)

كلمة "لا اله ..." ثورة تحررية شاملة ضد الاستبداد والاستعباد وعبادة الشخصية والاتباع الاعمى وعبادة الطبيعة والعبودية الطوعية والظلم.

والمجتمع السياسي القائم على التوحيد يتطلب الحرية والمساواة. الحرية لان التوحيد يرفض الخضوع، ولأن التوحيد يضع جميع الناس في موقف حقوقي متساوٍ امام الله.

وهذه هي القيمة الحضارية للتوحيد، لانه الاساس الذي تنبثق منه كل القيم الاخرى التي تتطلبها الحضارة.

واما بالنسبة لمن لا يؤمنون بالله، فان الحد الادنى الذي يتطلبه التوحيد منهم ان يكونوا "احرارا في دنياهم" كما عبر الامام الحسين بحيث لا يرتضون الخضوع والانقياد للبشر المستبد الطاغية الذي يسحق حريتهم وحقهم في الاختيار وتقرير المصير. والشرك في حقيقته هو تنازل من قبل الانسان عن حريته. وهذا تصرف لا يقبله التوحيد من الانسان. ولهذا قال القران: "إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ، وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا"، وقال: "إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ".

ان الاجتماع الانساني القائم على اساس التوحيد هو اجتماع افراد متساوين واحرار، حسب تعريف جون راولز للمجتمع. وهذان هما من الشروط الاساسية للمجتمع المتحضر القادر على احياء الارض والاستمتاع بخيراتها وتعظيم انتاجها على اساس العدالة في التوزيع: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ".

(٣)
التوحيد والحرية

يولد الانسان في الاصل حرا. وهذه هي الحرية الطبيعية. (جون لوك ١٦٣٢-١٧٠٤ استخدم مصطلح "الحرية الطبيعية" في كتابه "في الحكم المدني" الصادر سنة ١٦٩٠) وهي الحق الفطري الذي يملكه الانسان في الحياة، في الاكل والشرب والجنس وتحسين مستوى الحياة والحركة والانتقال وتحصيل الطعام، على سبيل المثال وليس الحصر. الحرية الفطرية من محتويات الفطرة التي تحدث عنها القران ووصفها بالدين القيم، اي القيم على ما سواه، كما في الاية:"فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ؛ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ".) الروم (30. يعني اقم وجهك للفطرة والحرية والاجتماع الانساني.

وكما كانت الحرية فطرية، فان الحاجة الى الاجتماع الانساني فطرية ايضا، او بعبارة ابن خلدون "ضروري"، فلا تستقيم حياة الانسان لوحده، لابد من انسان اخر، في الدائرة الاولى للاجتماع الانساني امرأة ورجل، ثم تتوسع الدائرة حتى يقوم المجتمع الانساني الكبير. والاجتماع الانساني يفرض التعاون، والتعايش، وتقسيم العمل، وتنوع المهام، وفوق ذلك كله، وقبل كل شي، التنازل عن الحرية الطبيعية. وهذا التنازل الطوعي عن الحرية الطبيعية مما تفرضه ضرورة الحياة الاجتماعية. فاذا كان الاجتماع الانساني ضروريا، فان التنازل عن الحرية الطبيعية من ضرورات هذا الاجتماع. بهذا التنازل ينتقل الانسان من الحياة البهيمية الحيوانية الى الحياة الانسانية المدنية الحضارية. وبهذا الانتقال تولد الحرية الاجتماعية التي ينظمها القانون. فلا حرية اجتماعية بدون قانون. لان الحرية الاجتماعية تستبطن المسؤولية. والمسؤولية تنظم بقانون.

وبهذا اصبح لدينا نوعان من الحرية: الحرية الطبيعية والحرية الاجتماعية. الحرية الطبيعية هي ما تتيحه الطبيعة للانسان من حرية التصرف، فيما الحرية الاجتماعية هي ما يتيحه المجتمع من حرية التصرف المسؤول وفق القانون.

قلنا ان الحرية الاجتماعية تتطلب التنازل الطوعي عن الحرية الطبيعية. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: لمن يتنازل الانسان الحر طوعيا عن حريته الطبيعية؟ والجواب المباشر ان الانسان يتنازل عن حريته الطبيعية الى "المعبود" الذي يسلم له رقبته. وشهد التاريخ انواعا مختلفة من المعبودين والمعبودات تضمنت تنازلات طوعية او قسرية عن حرية الانسان الطبيعية للظواهر الطبيعية المختلفة، او الالهة المتخيلين، او للطغاة والفراعنة والقياصرة والملوك الذين ادعوا الالوهية، او غير ذلك كثير. وكل هذه التنازلات تضمن "عبودية طوعية" لمن لا يستحقها خاصة من البشر الاخرين الذين يستعبدون الانسان. وهنا جاءت دعوات الثوار والمفكرين الاحرار والانبياء برفض هذا النوع من التنازل الطوعي او القسري، فكان الرفض هو نقطة انطلاق الثورات التحررية على طول التاريخ. وهذا ما لخصه الاسلام بكلمة "لا اله الا الله". هنا يبدأ التحرير التوحيدي بالرفض. وهذا معنى كلمة : لا اله الا الله. فقد رفضت هذه الكلمة اي "اله"، حتى قبل ان تثبت وجود الله. فالرفض طاقة ايجابية تصون الانسان من العبودية لغير الله، سواء كان وجوده حقيقيا ام متخيلا.

وهذا ما نجده في السردية الرمزية التي يذكرها القران الكريم حول قصة ايمان النبي ابراهيم عليه السلام . اقرأ معي المقطع القراني التالي:

"وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ▪

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ
فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ
فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ

إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ"
ففي هذه السردية نرى الانسان يرفض العبوديات الاخرى قبل ان يتعرف على الله، فلما ايقن ان لا شيء في الوجود يستحق ان يتنازل له عن حريته يمم وجه صوب الله، وافرده بالعبودية. العبودية هنا تعني التنازل الطوعي عن الحرية الطبيعية لصالح المعبود، الذي سوف يتولى تنظيم الحرية الاجتماعية وفق قانونه. والمعبود هنا هو الله. توحيد الله في العبادة يحفظ حرية الإنسان ويصونه من السقوط في العبوديات الأخرى.
من خلال عدة وسائل:
** .1الإدراك الحر :**يقدم توحيد الله رؤية شاملة وحرة للإله الواحد الذي لا شريك له، مما يمكن الإنسان من اتخاذ قراراته الدينية بحرية ووعي.
** .2الوعي الروحي :**يساعد توحيد الله في بناء وعي روحي يجعل الإنسان أكثر قدرة على التمييز بين ربّ الكون وبين العبوديات الزائلة والمحدودة.
** .3المسؤولية الشخصية :**يعزز توحيد الله مفهوم المسؤولية الشخصية أمام الله وحده، وبالتالي يحث الإنسان على اتخاذ القرارات الدينية والحياتية بمسؤولية وحرية.
** .4الرفض للعبوديات البشرية :**بوصفه توحيدًا صافيًا لله الواحد، ينبغي للإنسان أن يرفض الانحياز لأي عبودية للبشر أو الأشياء الدنيوية، مما يحافظ على حريته واستقلاله الروحي.
باختصار، توحيد الله في العبادة يساهم في تعزيز حرية الإنسان من خلال توجيهه نحو تقدير الإله الواحد والابتعاد عن العبوديات البديلة التي من شأنها أن تحد من حريته وتقييد رؤيته الروحية.

الله، بوصفه الضامن الاعلى للحرية

ليست الدولة الحضارية الحديثة ملحدة، ولا ينبغي لها ذلك، فهي تؤمن بالله باعتباره الخالق والضامن الاعلى للحرية، وتثق به.
خلق اللهُ الانسان حرا، لكن مع ظهور الدولة اضحت حرية الانسان معرضة للخطر .يميل الحكام الى الطغيان والاستبداد، وهم في لحظات معينة قد يتصورون انفسهم الهة، سواء اعلنوا ذلك ام اضمروه في مكنونات انفسهم.
عراقيا نعرف ان اول حاكم اعلن نفسه الها هو نارام-سين ملك) ٢٢٧٣-٢٢١٩ ق م(، واخر حاكم تقمص شخصية اله هو صدام حسين)١٩٦٨-٢٠٠٣ .(
وقد قدم القران صورة حية لاستبداد الحاكم حين يعلن نفسه الها في قوله تعالى" :إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ"، وقوله" :وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي"، وقوله":قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ؟ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ"، "وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟"، "قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ"، "فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ"، "قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ."
وهذا ما يقوم به بالحرف الواحد كل الطغاة والمستبدين امثال ستالين وهتلر وصدام واضرابهم. ليس من ضامن يمنع مثل هؤلاء من الظهور سوى ايمان الشعب القوي باله خلق الانسان حرا، واستخلفه في الارض، ومنع استعباده، ذلك هو الله القوي العزيز.
وفي كلا الحالتين)الاظهار او الاضمار (فان ممارساتهم تكشف عن ذلك: ضيقهم من النقد، تضييقهم على الحريات، اصطناع التماثيل والرموز الاخرى لأنفسهم وغير ذلك. واذا كان الانسان /الشعب هو ضحية هذه الميول الغرائزية فان الله هو الكائن الاعلى المقاوم لها. لذا اعلن الله الحرب على الاستعباد والطغيان منذ لحظته الاولى. سواء في ذلك الله المتخيل ام الله الحقيقي.لجأت الشعوب الى الله المتخيل لمقاومة الاستبداد، واعان الله

الحقيقي هذه الشعوب في مقاومتها للطغيان، فكان الانتقام الالهي المباشر تارة، وكان ارسال الرسل والانبياء لقيادة مسيرة الشعوب نحو الحرية تارة اخرى. على مر التاريخ سقطت الدول الملحدة وخرج الله منتصرا، ومعه الشعوب المستضعفة، وكان اخر مثال على ذلك سقوط دولة الشيوعية الملحدة في الاتحاد السوفيتي السابق. والقائمة طويلة. الحفاظ على الايمان بالله عودة الى الفطرة التي يحاربها المستبدون. والفطرة قوية لا تدحر. ومعركة المستبدين معها خاسرة. قد تهزم في معركة على الطريق، لكنها تنتصر في الحرب على المدى الطويل. الايمان بالله اتجاه تاريخي غالب.

لكن الدولة الحضارية الحديثة لا تجبر الانسان على الايمان بالله الخالق المحرر؛ فهذا امر يخص كل امريء فيما بينه وبين نفسه، واكراه الانسان على الايمان بالله مصادرة لحريته، مصادرة على المطلوب كما يقال، ولذلك اعلن القران" :لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ."

لكن عدم الايمان بالله يجعل حرية الانسان هشة، قابلة للاختراق، ويجعل الانسان قابلا للعبودية، مهيئا للقبول بها، او مايسميه الكاتب الفرنسي الشاب إيتيان دو لا بويسيه في عام " 1576العبودية الطوعية "او "المختارة"، او "القابلية للاستعباد"، على غرار "القابلية للاستعمار"، حسب المصطلح الذي اطلقه الكاتب الجزائري مالك بن نبي.

لا تؤمن بالله !انت حر. ولكن عليك ان تعلم ان عدم ايمانك بالله سوف يخلي قلبك من اله، فيأتي من يسد الفراغ طوعا او كرها، فتفقد بذلك حريتك، ولا تحسبن نفسك حرا بعدها، حتى لو اتخذت من هوى نفسك الها" :أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ."

الدولة الحضارية الحديثة دولة مواطنين احرار. والايمان بالله، الصادر عن قرار حر بتقرير المصير، وحده هو الضامن الاخلاقي لهذه الحرية.

(٤)
استخلاف الانسان في الارض

الاستخلاف، اي استخلاف الانسان في الارض، هو القيمة المركزية في منظومة القيم القرانية العليا الحافة بالمركب الحضاري وعناصره الخمسة، اي الانسان والارض والزمن والعلم والعمل. وهو يعني تخويل الانسان، اي منحه السلطة والصلاحية، على تقرير مصيره بنفسه، واعمار الكون طبيعيا وبشريا.

والقيم هي الاهداف العليا للفرد والمجتمع والدولة، والتي تشكل مؤشرات السلوك لهذه الدوائر الثلاث.

نص القران الكريم على هذه القيمة في مواضع كثيرة منها الاية ٣٠ من سورة البقرة: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ". والاية ٩٣ من سورة الانعام:"وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ". وغيرهما كثير.

الاستخلاف يفترض وجود اربعة عناصر هي:

العنصر الاول: المستخلِف (بكسر اللام) وهو الله بالنسبة للمؤمنين به، والطبيعة بالنسبة لمن لا يؤمنون بالله. ولهذا الفرق اثار وتبعات ليست موض هذه المقالة الان.

العنصر الثاني: المستخلَف (بفتح اللام)، وهو الانسان الخليفة.

العنصر الثالث: المستخلف فيه، وهو الارض.

العنصر الرابع: معنى الاستخلاف وهو القيام مقام الله المستخلف في الحكم والتشريع واعمار الارض واستثمارها.

واجه المفسرون صعوبة في تفسير معنى الاستخلاف اذا كان الانسان خليفة الله. فقد فهموا ان الخليفة هو من (١) يأتي بعد المستخلف وهو الله، او هو من (٢) يحل في محل او مكان المستخلف وهو الله ايضا. والامران لا يصحان بالنسبة لله حيث لا يخلو منه زمان او مكان. وبقي المعنى الثالث للخليفة وهو الذي يقوم مقام المستخلف وهو الله. ولله، اولا،

مقام الخلق والتدبير، وهذا مما لا يصح بالنسبة للانسان، وله ثانيا مقام الحكم والتشريع وهو مما يمكن ان يكون للانسان بتخويل واجازة من الله.
للاستخلاف مستلزمات لابد ان توفر حتى يمكن تحقيقه على افضل وجه. ومن هذه المستلزمات: العقل والحرية والعدل والمسؤولية والعلم والعمل والتعاون والايثار والشورى وغيرها. وهذه كلها قيم فرعية متفرعة من القيمة المركزية واعني بها الاستخلاف.

المفسرون القدامى

وقد لخص ابن كثير فهم المسلمين القدامى لهذه الاية كما يلي:"وقد استدل القرطبي وغيره بهذه الآية على وجوب نصب الخليفة ليفصل بين الناس فيما يختلفون فيه ، ويقطع تنازعهم ، وينتصر لمظلومهم من ظالمهم ، ويقيم الحدود ، ويزجر عن تعاطي الفواحش ، إلى غير ذلك من الأمور المهمة التي لا يمكن إقامتها إلا بالإمام ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب".
وقال الشيخ الطوسي (٣٨٥-٤٦٠) في "التبيان في تفسير القران": "الخليفة: الفعيلة من قولهم خلف فلان فلانا في هذا الامر: اذا قام مقامه فيه بعده". ونقل عن ابن مسعود قوله:"اراد اني جاعل في الارض خليفة يخلفني في الحكم بين الخلق"، وقيل: "يخلفني في انبات الزرع واخراج الثمار وشق الانهار". ونقل عن الحسن البصري قوله:"في اقامة الحق وعمارة الارض".
وفسر الراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢ هجرية) في المفردات؛"قام مقامه" "ويقال لمن خلف اخر فسد مسده" والخلافة "النيابة عن الغير اما لغيبة المنوب عنه، واما لموته، واما لعجزه، واما لتشريف المستخلف". ثم طوّر الاصفهاني فكرته عن الاستخلاف في كتابه "الذريعة الى مكارم الشريعة". وعرّف المكارم بانها "اسم لما لا يتحاشى من ان يوصف الباري جل ثناؤه بها او باكثرها نحو الحكمة والجود والحلم والعلم والعفو"، واوضح انه "باكتساب المكرمة يستحق الانسان ان يوصف بكونه خليفة لله تعالى".
وذكر محمد عابد الجابري ان الاصفهاني وظف نحو ٤٥٠ اية قرانية و ٢٠٠ حديث من اجل اعادة بناء منظومة القيم القرانية على اساس الاستخلاف. لكن الجابري زعم ان مشروع الاصفهاني يتلخص "بأسلمة الاخلاق اليونانية" رغم ان يعود بعد صفحتين الى القول بان "اهم فكرة في مشروع الراغب الاصفهاني هي المنظور الذي فسر به فكرة الاستخلاف استخلاف الله الانسان في الارض". وبين ان وجود الانسان عند الراغب الاصفهاني وجود هادف يتلخص بثلاثة اهداف هي: خلافة الله، وعبادته، وعمارة الارض. "والخلافة تستحق بالسياسية". والخلافة، عند الاصفهاني، هي الاقتداء به تعالى على الطاقة البشرية في تحري الافعال الالهية.
ومنذ استيلاء معاوية على الحكم، تم تغييب القيمة المركزية في منظومة القيم القرانية العليا، واعني بها الخلافة، والقيمة الاخرى المرتبطة بها والمجسدة لها، اي الشورى.

العصر الحديث

و خصص محمد رشيد رضا (١٨٦٥-١٩٣٥) صاحب تفسير "المنار" تسع صفحات ونصف في تفسير اية الاستخلاف لكنه استغرق معظمها في الحديث عن اول البشر وهل هو ادم ام غيره، في حين ان الاية لا تتحدث عن اول البشر، وانما عن استخلاف ادم، والفرق بين الموضوعين بيّن. ومما قاله بخصوص الخلافة ان المراد منها "ادم ومجموع ذريته" وليس شخص ادم فقط. وان معنى الخلافة عام "في كل ما ميز الله به الانسان على سائر المخلوقات".
وقال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: "قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ"]الأعراف [129 :
"قَالَ لهم موسى مرجيا]لهم [الفرج والخلاص من شرهم: عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ أي: يمكنكم فيها، ويجعل لكم التدبير فيها فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ هل تشكرون أم تكفرون؟. وهذا وعد أنجزه الله لما جاء الوقت الذي أراده الله".

وقال العلامة محمد حسين الطباطبائي في "الميزان في تفسير القران"، الجزء الاول: ان الخلافة المذكورة إنما كانت خلافة الله تعالى، لا خلافة نوع من الموجود الأرضي كانوا في الأرض قبل الإنسان و انقرضوا ثم أراد الله تعالى أن يخلفهم بالإنسان كما احتمله بعض المفسرين، و ذلك لأن الجواب الذي أجاب سبحانه به عنهم و هو تعليم آدم الأسماء لا يناسب ذلك، و على هذا فالخلافة غير مقصورة على شخص آدم) عليه السلام (بل بنوه يشاركونه فيها من غير اختصاص، و يكون معنى تعليم الأسماء إيداع هذا العلم في الإنسان بحيث يظهر منه آثاره تدريجا دائما و لو اهتدى إلى السبيل أمكنه أن يخرجه من القوة إلى الفعل، و يؤيد عموم الخلافة قوله تعالى» إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح«: الأعراف69 - ، و و قوله تعالى» ثم جعلناكم خلائف في الأرض«: يونس14 - ، و قوله تعالى» و يجعلكم خلفاء الأرض«: النمل.62 -

عبد القادر عودة (١٩٠٦-١٩٥٤) انتبه في كتابه "الاسلام واوضاعنا السياسية" (عام ١٩٨٤) الى اية الاستخلاف وجعلها المنطلق في شرحه لنظرية الاسلام السياسية.

وتحدث سيد قطب (١٩٠٦-١٩٦٦) في كتابه "في ظلال القران" (الطبعة الشرعية الاولى ١٩٧٢) عن الاستخلاف بلغة ادبية انشائية قائلا؛"فهي اذن المشيئة العليا تريد ان تسلم هذا الكائن الجديد في الوجود زمام هذه الارض وتطلق فيها يده وتكل اليه ابراز مشيئة الخالق في الابداع والتكوين ..."، "واذن فهي منزلة عظيمة، منزلة هذا الانسان في نظام الوجود على هذه الارض الفسيحة".

وذكر السيد كاظم الحائري في كتابه "اساس الحكومة الاسلامية" الصادر عام ١٩٧٩ ان هناك اساسين للولاية العامة، احدهما الناس، او الديمقراطية، وقد رفضه، والثاني وهو الله، بمعنى "استمداد حق السيادة من الله تعالى باعتباره المالك والمشرع الحقيقي لا غير"، معتبرا ان هذا "هو المبدأ الصحيح الوحيد الذي يجب ان تستمد الحكومة قدرتها وولايتها منه". ولم يستشهد بايات الاستخلاف.

ويرى الجابري ان "القيمة المركزية" في اخلاق القران هو "العمل الصالح" انطلاقا من اعتقاده بان "قيمة القيم في كل دين هي الايمان به" لكن الاسلام اضاف اليها قيمة اخرى هي "العمل الصالح" الذي اعتبره "محور القيم الاسلامية القرانية"، ومن الجمع بين هاتين القيمتين نتجت قيمة ثالثة هي "التقوى". ويصدر حكما بان اي مؤلف في الاخلاق الاسلامية لن يستحق هذا الاسم الا اذا بني على اساس ان القيمة المركزية في هذه الاخلاق هي العمل الصالح. لكن الخطأ الذي وقع فيه الجابري هو انه لم يستطع ان يرى ان "العمل الصالح" متفرع عن قيمة الاستخلاف، وهو اداة تحقيقها وتجسيدها.

وفاته ان العمل هو العنصر الخامس في المركب الحضاري اضافة الى الانسان والارض والزمن والعلم.

السيد الصدر

اما السيد محمد باقر الصدر فقد كان اوضح من تحدث عن استخلاف الانسان، بحسب اطلاعي المتواضع . وكان من اخريات ما كتبه عن هذا الموضوع في الكراسات الصغيرة التي الفها قبيل استشهاده وهي: لمحة تمهيدية عن دستور الجمهورية الاسلامية، وصورة عن اقتصاد المجتمع الاسلامي، وخلافة الانسان وشهادة الانبياء. وكان مما كتبه في هذا الشأن:

أ. ان الخلافة ليست لشخص ادم فقط، وانما للجنس البشري كله.

ب. ان عملية الاستخلاف من جانب الله للانسان هي امانة عظيمة ينوء الكون كله بحملها، كما في قوله تعالى:"إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا."

ت. وان الخلافة الربانية للجماعة البشرية توفر فرصة النمو الحقيقي الذي عرّفه بانه "ان يحقق الانسان الخليفة على الارض في ذاته تلك القيم التي يؤمن بتوحيدها جميعا في الله"، حيث تكون "صفات الله واخلاقه من العدل والعلم والقدرة والرحمة بالمستضعفين والانتقام من الجبارين والجور الذي لا حد له مؤشرات للسلوك في مجتمع الخلافة واهدافا للانسان الخليفة".

ث. ان الخلافة هي اساس للحكم، حيث اناب الله الجماعة البشرية في الحكم وقيادة الكون واعماره اجتماعيا وطبيعيا، وعلى هذا الاساس تقوم نظرية حكم الناس لانفسهم وشرعية ممارسة الجماعة البشرية حكم نفسها بوصفها خليفة عن الله.

ج. وعملية الاستخلاف تعني انتماء البشرية كلها الى محور واحد وهو المستخلف اي الله. وهذا هو التوحيد الخالص الذي يشكل اساس الحرية.

ح. اقامة العلاقات الاجتماعية على اساس التوحيد وتحرير الانسان من كل اشكال العبوديات.

خ. تجسيد روح الاخوة العامة والمساواة في كل العلاقات الاجتماعية.

د. يتفرع من الخلافة الاحساس بالواجب والشعور بالمسؤولية.

ذ. تمارس الجماعة البشرية مسؤوليتها في الخلافة عن طريق الشورى (النقاش العام) والاخذ برأي الاكثرية عند الاختلاف.

ر. ان الجماعة البشرية مستخلفة على مصادر الثروة وهي مسؤولة عن العدل في توزيع الثروة، وعن بذل الجهد في رعاية الثروة وتنميتها واعمار الارض.

ز. ومن الناحية الدستورية فان الله هو مصدر السلطات، وقد خول البشرية ممارسة السلطتين التشريعية والتنفيذية.

منظومة القيم

وباعتماد الاستخلاف بوصفها القيمة المركزية ينفتح الطريق امام القيم العليا الاخرى الحافة بالمركب الحضاري وعناصره الخمسة، اي الانسان والارض والزمن والعلم والعمل.

ينطوي المركب الحضاري على شبكة علاقات تشكل طبقات متراكمة تجمع بين عناصره بعدة اذرع.

(٤) الله

قدم السيد محمد باقر الصدر رؤية لعناصر المجتمع، مشتقة من قوله تعالى:"وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً"، حيث ذهب الى القول ان المجتمع البشري يتألف من ثلاثة عناصر هي: الانسان، الارض، ومنظومة العلاقات التي تربط الانسان بالانسان، والانسان بالطبيعة

وفي تفصيل العنصر الثالث، اي منظومة العلاقات، بيّن الصدر ان هناك صيغتين لها، وهما الصيغة الثلاثية (انسان+انسان+ارض)، والصيغة الرباعية (انسان+انسان+ارض+الله).

وبين ان وجود الله في الصيغة الرباعية "ليس مجرد اضافة عددية، و ليس مجرد طرف جديد يضاف الى الاطراف الاخرى"، وانما هو اضافة نوعية.

وذلك ان الطرف الرابع، اي الله، قد منح الطرف الاول، الانسان، موقعا متميزا في هذه التركيبة او العلاقة، وهو موقع الخلافة، انطلاقا من قوله تعالى:"وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً". والخلافة تعني، عند الصدر، ان "يحقق الانسان الخليفة على الارض في ذاته تلك القيم التي يؤمن بتوحيدها جميعا في الله عز وجل الذي استخلفه و استرعاه امر الكون. فصفات الله تعالى واخلاقه من العدل والعلم والقدرة والرحمة بالمستضعفين والانتقام من الجبارين والجور الذي لا حد له هي مؤشرات للسلوك". ثم يترجم الصدر مفهوم الخلافة سياسيا فيقول:"ان الله سبحانه وتعالى اناب الجماعة البشرية في الحكم وقيادة الكون واعماره اجتماعيا وطبيعيا وعلى هذا الاساس تقوم نظرية حكم الناس لانفسهم وشرعية ممارسة الجماعة البشرية حكم نفسها بوصفها خليفة عن الله".

وعلى هذا فوجود الله في تركيبة المجتمع وجود قيمي معنوي، وليس وجودا شخصيا ماديا. فالله موجود في المجتمع من خلال منظومة القيم المشتقة من صفاته، وليس بصفته الشخصية. وهذا هو ما يطلق عليه القران الكريم مصطلح "الدين القيم"، الذي يقرب من مصطلح "دين القيم"، كما في قوله:"فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ". اي لا يعلمون الرابطة بين حضور الله القيمي، و فطرة الانسان، والدين القيم.

هذا الكلام يصح بالنسبة لمن يؤمن بالله، والله هو احد طرق الوصول الى هذه القيم، ولكن اذا استطاع العقل الانساني ان يصل الى نفس القيم، من خلال تطوره الفكري والفلسفي والعلمي، فيكون قد حقق المطلوب، لان العبرة في بناء المجتمع هو القيم نفسها وليس طريق الوصول اليها. فالنتيجة عند الصدر واحدة، وهي لقاء الله بالمعنى القيمي وليس الشخصي،

وهذا هو ما فهمه الصدر من قوله تعالى:"يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ" حيث يقول في نص طويل":ان كل سير وكل تقدم للانسان في مسيرته التاريخية الطويلة الامد فهو تقدم وسير نحو الله سبحانه وتعالى. وهذا يشمل حتى الجماعات التي تمسكت بالمثل المنخفضة والالهة المصطنعة واستطاعت ان تحقق لها سيرا ضمن خطوة على هذا الطريق الطويل. نعم !حتى هذه الجماعات التي يسميها القران بالمشركين تسير هذه الخطوة نحو الله. وهذا التقدم، بقدر فاعليته وبقدر زخمه، هو اقتراب نحو الله سبحانه وتعالى، ولكن مع حفظ الفارق بين تقدم مسؤول وبين تقدم غير مسؤول".

ولعل هذا الدي جعل الصدر يقول في مكان اخر ان ... "سبيل الله هو التعبير التجريدي عن السبيل لخدمة الانسان ؛ لأن كل عمل من اجل الله فإنما هو من أجل عباد الله ؛ لأن الله هو الغني عن عباده ، ولمّا كان الإله الحق فوق أي حدٍّ وتخصيصٍ لا قرابة له لفئة ولا تحيز له إلى جهةٍ ، كان سبيله دائماً يعادل من الوجهة العملية سبيل الإنسانية جمعاء ، فالعمل في سبيل الله ومن أجل الله هو العمل من أجل الناس ولخير الناس جميعاً " ...

(٥) المعادلة الحضارية

الحضارة هي عنوان عريض يشمل كل ما يحصل بين الانسان والطبيعة، سلبا او ايجابا. الحضارة بالايجاب هي التقدم، والحضارة بالسلب هي التخلف. والعلاقة بين الانسان والطبيعة تفاعلية. فكما يؤثر الانسان في الطبيعة، فان الطبيعة تؤثر فيه. ولا ننسى ان الانسان بلحاظ اخر هو جزء من الطبيعة. وقد اشار القران الكريم الى هذه الحقيقة بقوله:"مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ".)طه (55

تختلف "الحضارات" فيما بينها، ومن هنا تعددت الحضارات، منها ما بقي واندثر، وبقيت اثاره المعرفية او المادية، ومنها مازال باقيا. ورصدها جميعا توينبي (١٨٨٩-١٩٧٥) فوجدها ٢١ حضارة. سبع منها باقيات و ١٤ مندثرات.

ومهما اختلفت الحضارات فيما بينها، فانها انما تختلف في خصائصها الظاهرية والخارجية، لكنها جميعا تشترك في معادلة واحدة، او تحكمها معادلة واحدة هي:

ح=م **x** ق

ويمكن ان تقرأ المعادلة على النحو التالي ايضا، كما بينها الصديق الدكتور حميد رياح:

ح= مجموع)الانسان xق + 1الطبيعةxق+2العلمxق + 3العملxق + 4الزمنxق(5

حيث ان ح= الحضارة

و م =المركب الحضاري، وهو مؤلف من خمسة عناصر هي: الانسان والطبيعة والزمن والعلم والعمل

و ق =منظومة القيم العليا الحافة بالمركب الحضاري و التي تحكم علاقة عناصر المركب الحضاري فيما بينها، وبدرجة اهم علاقة الانسان بالانسان (العلاقة الاجتماعية)، وعلاقة الانسان بالطبيعة (العلاقة الطبيعية).

و (ق ١،٢،٣،٤،٥) القيم الفرعية المتعلقة بكل عنصر من عناصر المركب الحضاري الخمسة.

وهذا ما نسميه "المعادلة الحضارية".

وهذا ما فهمه السيد محمد باقر الصدر (١٩٣٥-١٩٨٠) من قوله تعالى:"وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً". (البقرة ٣٠). وقد سبقه الى اكتشاف علاقة الاستخلاف بدرجات مختلفة كتاب وعلماء اخرون مثل عبد القادر عودة (١٩٠٦-١٩٥٤)، والراغب الاصفهاني (ت ١١٠٨). لكن ينسب الى الصدر تحليل هذه الاية وتفكيكها بالصورة المنتجة لنظرية الاستخلاف، بشكل لم اجده عند غيره، استخلاف الانسان في الارض من قبل الله سبحانه وتعالى.

وقد فكك الصدر الاستخلاف الى امرين هما: الاستخلاف السياسي والاستخلاف الاقتصادي. وينتج من الاول القول بحق الجماعة البشرية في حكم نفسها بنفسها. وينتج من الثاني القول بالملكية العامة للثروة كأصل في بناء الحياة الاقتصادية. وهذا الاصل لا يلغي الملكية الخاصة التي تتأتى من العمل. وطرق اخرى مذكورة في مصادر البحث.

ويمكن اثبات صحة المعادلة الحضارية وعموميتها بالعودة الى كل الحضارات المعروفة التي نشأت على امتداد التاريخ البشري منذ اكثر من ستة الاف سنة والى اليوم.
وبناء على هذه المعادلة نقول: ادا اردنا ان نبني حضارة (دولة، مجتمع) جديدة، او نعالج سلبيات حضارة (دولة، مجتمع) موجودة، فيجب ان نعود الى "المعادلة الحضارية" وننطلق منها في البناء او الاصلاح.
وهذا يعني اننا بحاجة الى هذه المعادلة في حالتين:
الحالة الاولى اذا اردنا الانطلاق فورا وقصديا لاقامة الدولة الحضارية الحديثة.
الحالة الثانية، اذا اردنا معالجة المشكلات التي يعاني منها مجتمعنا ودولتنا مثل الفساد، والنظام السياسي، والنظام الاقتصادي، والنظام الإداري، والنظام التربوي الخ.
وفيما يتعلق الامر في الحالة الراهنة في العراق، نقول ان كل ما يعانيه المجتمع العراقي من مشكلات شتى في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية وغيرها انما هو نتائج ومضاعفات الخلل الحاد، بل الاختلالات الحادة في هذه المعادلة. واي توجه للاصلاح لا يكون جادا وصادقا ومثمرا ما لم يضع في حسبانه اصلاح هذه الاختلالات في المعادلة الحضارية. هذا هو نمط التفكير العلمي بالاصلاح، وهو يختلف كثيرا عن النمط الشعبوي او الاستهلاكي الذي يتشدق به الجهلاء "**ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا**"!

المواطنة والدين

(١)

في الدولة الحديثة، تُعتبر المواطنة مفهومًا ينطوي على حقوق وواجبات متساوية لجميع الأفراد، بغض النظر عن خلفياتهم الدينية. هذه الرؤية للمواطنة تقوم على مبدأ الانتماء إلى الوطن والدولة بدلاً من الدين كأساس للحقوق المدنية والسياسية. وهذا يضمن الحرية الدين للافراد بحيث يستطيع كل شخص اعتناق أي معتقدات دينية أو عدم اعتناق أي منها دون أن يؤثر ذلك على مركزه القانوني كمواطن.

مبدأ المساواة يعتبر أحد الأركان الأساسية للمواطنة في الدول الحضارية الحديثة. فالقوانين والسياسات يجب أن تطبق على الجميع بصورة متماثلة، ولا يُسمح باستخدام الدين كسبب للتمييز. هذا يساعد في بناء مجتمع يحترم التنوع ويُكّرم التعددية الثقافية والدينية.

لتعزيز المواطنة على هذا الأساس، تعتمد الدول دساتير توفر الحماية القانونية للحريات الفردية وتضمن الحق في المساواة أمام القانون. كما تتضمن التشريعات وجوب احترام حق الأفراد في ممارسة شعائرهم الدينية أو العقائدية بحرية، طالما أن ذلك لا يخرق القانون أو ينتهك حقوق الآخرين.

السيد محمد باقر الصدر اكد حق الامة (=الشعب) في "الرعاية وحمل الامانة وافرادها جميعا متساوون في هذا الحق امام القانون ولكل منهم التعبير من خلال ممارسة هذا الحق عن ارائه وافكاره وممارسة العمل السياسي بمختلف اشكاله، كما لهم جميعا حق ممارسة شعائرهم الدينية والمذهبية. وتتعهد الدولة بتوفير ذلك لغير المسلمين من مواطنيها الذين يؤمنون بالانتماء السياسي اليها والى إطارها العقائدي ولو كانوا ينتسبون دينيا الى اديان اخرى". ويمثل هذا القول امتدادا للرؤية الحضارية للدين التي قدمها السيد الصدر وهو يجيب فكريا على اسئلة النهضة في العراق وبقية مجتمعات العالم الاسلامي.

وبهذا فان المواطنة في الدولة الحديثة تسمو فوق الانقسامات الدينية لتؤسس مجتمعاً قائماً على أسس المساواة والتضامن والاحترام المتبادل والتعايش السلمي. وهذا يؤدي إلى دولة أكثر تماسكًا واستقرارًا ومجتمعٍ اكثر تألفا وتعاونا ورحمة حيث يشعر الجميع بأنهم جزء لا يتجزأ من النسيج الوطني، بصرف النظر عن معتقداتهم الدينية أو عدمها.

وهذا ما نجده عند السيد علي السيستاني حيث طرح فكرة قانون الاحترام المتبادل (١٤٠٩ هجرية) ومفادها انه "اذا كان بناء المجتمع المتشكّل من الاديان والمذاهب المختلفة على التعايش السلمي فان ذلك يستدعي احترام كل من الاطراف قانون الطرف الاخر" ."وذلك لان عدم الاحترام ينافي التعايش السلمي المشترك الذي هو اساس الذمة والهدنة والتعاون ."

ان المواطنة تُبنى على مفهوم الانتماء إلى دولة معينة وتحمل الالتزامات والحقوق التي تنبثق من هذا الانتماء. وتشمل الحقوق السياسية والمدنية والاجتماعية وغيرها. من ناحية أخرى، يُعد الدين والعقائد الشخصية جزءًا مهمًا من هوية الفرد وقد تشكل جزءًا أساسيًا من الثقافة والتقاليد داخل الدولة.لا يوجد تعارض بالضرورة بين هذين المفهومين. في دولة تُقدّر المواطنة القائمة على أساس الديمقراطية والمساواة، يتم احترام الحق في حرية العقيدة والدين كجزء من حقوق الإنسان. يشمل ذلك الحق في ممارسة الشعائر الدينية، وحماية الأماكن الدينية، والتعبير عن المعتقدات الدينية.

في الواقع، يمكن لمفهوم المواطنة الشامل أن يعزز التنوع والتعددية داخل الدولة. وذلك من خلال الاعتراف بأن جميع المواطنين، بغض النظر عن اعتقاداتهم الدينية، لديهم نفس الحقوق ويجب أن يكونوا موضوعين لنفس الالتزامات القانونية.

عند وضع القوانين والسياسات، يجب على الحكومات مراعاة التنوع الديني والثقافي لمواطنيها والعمل على حماية الحقوق الأساسية للجميع. يجب أيضًا أن تكون هناك آليات لضمان عدم وجود تمييز على أساس الدين أو المعتقد، ولتوفير الفرص المتساوية لجميع المواطنين.
التوازن بين المواطنة واحترام الدين يتطلب حوارًا مستمرًا، فهمًا متبادلاً وسياسات تكون شاملة، سواء على مستوى القوانين الوطنية أو الممارسات الاجتماعية. وبذلك، يمكن للدولة أن تعزز التماسك الاجتماعي وقبول التنوع كإثراء للمجتمع الوطني.

(٢)

تقام المواطنة على مفهوم الانتماء إلى دولة معينة وتحمل الالتزامات والحقوق التي تنبثق من هذا الانتماء. وتشمل الحقوق السياسية والمدنية والاجتماعية وغيرها. من ناحية أخرى، يُعد الدين والعقائد الشخصية جزءًا مهمًا من هوية الفرد وقد تشكل جزءًا أساسيًا من الثقافة والتقاليد داخل الدولة.
لا يوجد تعارض بالضرورة بين هذين المفهومين. في دولة تُقدّر المواطنة القائمة على أساس الديمقراطية والمساواة، يتم احترام الحق في حرية العقيدة والدين كجزء من حقوق الإنسان. يشمل ذلك الحق في ممارسة الشعائر الدينية، وحماية الأماكن الدينية، والتعبير عن المعتقدات الدينية.
في الواقع، يمكن لمفهوم المواطنة الشامل أن يعزز التنوع والتعددية داخل الدولة. وذلك من خلال الاعتراف بأن جميع المواطنين، بغض النظر عن اعتقاداتهم الدينية، لديهم نفس الحقوق ويجب أن يكونوا موضوعين لنفس الالتزامات القانونية.
عند وضع القوانين والسياسات، يجب على الحكومات مراعاة التنوع الديني والثقافي لمواطنيها والعمل على حماية الحقوق الأساسية للجميع. يجب أيضًا أن تكون هناك آليات لضمان عدم وجود تمييز على أساس الدين أو المعتقد، ولتوفير الفرص المتساوية لجميع المواطنين.
التوازن بين المواطنة واحترام الدين يتطلب حوارًا مستمرًا، فهمًا متبادلاً وسياسات تكون شاملة، سواء على مستوى القوانين الوطنية أو الممارسات الاجتماعية. وبذلك، يمكن للدولة أن تعزز التماسك الاجتماعي وقبول التنوع كإثراء للمجتمع الوطني.
وفي سياق البحث الأكاديمي والعلمي حول المواطنة والدين في الدولة الحديثة، من المهم الاعتماد على المبادئ والنظريات القانونية والسياسية التي تشكل فهمنا للمواطنة في إطار دولة متعددة الثقافات والأديان.
لكن القران الكريم تعرض للموقف من اتباع الديانات الاخرى في عدد من الايات مثل قوله تعالى:
"لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ.") المائدة (72
"إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ".) البقرة (62
"إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ." (الحج ١٧)
هذه الايات تشرع الموقف الديني من اصحاب الديانات المذكورة، ولا تحدد موقفهم القانوني في الدولة. ولهذا فان الاستشهاد بها في سياق بحث اوضاع غير المسلمين في دولة حديثة قد لا يعزز الفهم المطلوب ويمكن أن يكون غير مناسب في هذا البحث.
الآيات الدينية عموماً تحمل قيمة روحانية ودينية كبيرة للمؤمنين بها، ولكن الاستشهاد بها في البحوث الأكاديمية قد يتطلب سياقاً معيناً يتعلق بدراسة التأثير الديني أو التاريخي، وليس بالضرورة في نقاش قانوني أو مدني حول المواطنة.

إذا كان البحث يتناول العلاقة بين الدين والدولة، فمن المفضل التركيز على كيفية التوفيق بين حقوق المواطنة وحرية الأديان والمعتقدات في سياق الدول الحديثة، وأي استشهادات يجب أن تكون في إطار دعم هذا المنظور.
الدولة الحديثة لا تتدخل بدين المواطن ولا ترتب اثارا قانونية عليه. وهذا القول ينسجم من حيث المبدأ مع قوله تعالى: "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ". وهذا هو اساس قولنا بعدم التعارض بين مفهوم المواطنة والانتماء الى الدين في الدولة الحديثة.

(٣)

في الممالك الأوروبية خلال العصور الوسطى، كان الولاء يقوم إلى حد كبير على أساس الدين، وبخاصة الدين الذي يتبعه الملك أو الحاكم. كان معظم الناس خلال تلك الفترة يعتنقون المسيحية، وتحديداً الكاثوليكية في معظم أنحاء غرب ووسط أوروبا، والأرثوذكسية في الشرق الأوروبي. الكنيسة كانت لها قوة ونفوذ كبير، وغالباً ما كان الحكام يعتبرون أن سلطتهم مشتقة من الله، وهو ما يعرف بمبدأ "حق التفويض الالهي."
كان الولاء للدين يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالولاء للملك، حيث كان يُنظر إلى الفرد باعتباره "رعية" في مملكة معينة إذا شارك في الدين الرسمي للمملكة. فقد كان يُتوقع من الرعايا أن يعتنقوا دين الملك وأن يدعموا الكنيسة الرسمية. تعزيز الدين الرسمي أدّى أيضًا إلى صراعات دينية وحروب، خاصة عندما تظهر حركات دينية منشقة أو تنتشر أديان أخرى غير المسيحية.
بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك مراتب ووظائف دينية تعتبر جزءًا هامًا من الهيكل السياسي للمملكة، حيث كان بعض رجال الدين يحملون ألقابًا نبيلة ولديهم سلطة سياسية وعسكرية. الكنيسة كان لها دور مهم في التعليم والشؤون اليومية للدولة، وكثيرا ما كانت تتدخل في الشؤون السياسية.
بالمختصر، الدين كان يشكل الأساس الذي يُبنى عليه الولاء في الممالك الأوروبية خلال العصور الوسطى، والعلاقة بين الدين والحكم كانت متداخلة بشكل كبير.
هذا التداخل بين السلطة السياسية والسلطة الدينية أدى إلى عدة نتائج وآثار سلبية، منها:
1. الحروب الدينية: تسبب الولاء الديني في نزاعات وحروب طائفية، كالحروب الصليبية وحروب الأديان في فرنسا.
2. الاضطهاد الديني: الأقليات الدينية غالبًا ما كانت تواجه الاضطهاد، كاليهود والمسيحيين الذين لا يتبعون النسخة الرسمية للمسيحية والمسلمين في الاندلس بعد عام ١٤٩٢ وانتهاء الحكم الإسلامي فيها حيث واجه المسلمون مرحلة صعبة تم خلالها فرض قيود وسياسات تمييزية ضدهم وذلك تحت حكم الملوك الكاثوليك فيرديناند وإيزابيلا. تم إجبار الكثير من المسلمين على التحول إلى المسيحية، وأولئك الذين اختاروا البقاء على دينهم تعرضوا للطرد أو الاضطهاد. إن الفترة التي تلت فقدان المسلمين للحكم في الأندلس كانت محفوفة بالتحديات الشديدة، بما في ذلك التهجير، مصادرة الأملاك، وفقدان الحرية الدينية والثقافية.
3. السيطرة الكنسية على السلطة: سيطرت الكنيسة على الأمراء واستغلت السلطة لتعزيز نفوذها، مما أدى إلى فساد وتناقضات أخلاقية.
4. المحاكمات الدينية: أجهزة مثل محاكم التفتيش كان لها الحق في تعذيب وإعدام الأشخاص المتهمين بالهرطقة أو الانحراف عن العقيدة الرسمية.
5. القمع الفكري: تعرض العلماء والمفكرون للرقابة والقمع إذا ما اعتبرت أفكارهم تهديدًا للتعاليم الدينية القائمة.
6. المزايا الكنسية: منحت الكنيسة والحكومة الأراضي والامتيازات لأفراد الكنيسة، مما رسخ الطبقية وعدم المساواة.

.7استخدام الدين كأداة للسيطرة: استغل الحكام الدين كوسيلة للسيطرة على الشعوب وتبرير حكمهم.
هذه النتائج السلبية كانت لها تأثير عميق على المجتمع الأوروبي، حيث غذت الانقسامات الاجتماعية والسياسية وأعاقت التقدم العلمي والثقافي في بعض الأحيان. كما لعبت دورًا في تشكيل البيئة التي أدت في نهاية المطاف إلى الإصلاح الديني وتغيرات جذرية في البنية الأوروبية في القرون التالية.
بعض الحركات "التكفيرية" الاسلامية، مثل داعش، استعادت هذه الصيغة الاوروبية القروسطية من افراد الدولة وحكمت بتكفير كل من لا يقول برؤيتها الدينية. هذه الرؤية عقبة في طريق بناء الدولة الحديثة في المجتمعات الاسلامية. الدولة الحضارية الحديثة التي ندعو الى اقامتها سوف تحترم الاديان بما فيها الاسلام لكنها لن تضع الدين شرطا للمواطنة المتساوية والمعاملة العادلة.

———

فصل
التعايش السلمي

تقوم الدولة الحضارية الحديثة، من بين امور اخرى كثيرة كسيادة القانون والديمقراطية، على اساس المواطنة. والمواطنة في الدولة الحضارية الحديثة لا تشترط وحدة الدين او المذهب او القومية او الحزب. فالدولة الحضارية الحديثة تتقبل التعددية في هذا المجال، وهي تعددية اقرها القران الكريم ايضا قبل اكثر من ١٤٠٠ سنة مضت كما في قوله:"وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ". لكن الدولة الحضارية ترفض الظلم و التمييز في الحقوق والواجبات والمكانة الاجتماعية او السياسية على اساس الدين او الطائفة او العرق. وتؤمن بالمساواة امام القانون وفرص العمل. وقبل كل هذا تؤمن الدولة الحضارية بالتعايش السلمي بين مواطنيها، وترفض تسوية المنازعات والخلافات عن طريق العنف والسلاح والاكراه.

ويتطلب اقامة الدولة الحضارية الحديثة في العراق تعزيز مبدأ المواطنة، والمساواة، والتعايش السلمي، ورفع الحيف والظلامات والتحيز بين العرب والكرد والتركمان الخ، والشيعة والسنة، والمسلمين وغيرهم من اتباع الديانات والشرائع.

وتشكل العلاقات الشيعية السنية محور مفهوم التعايش السلمي في العراق. وقد عاش الشيعة والسنة سوية منذ زمن قديم في هذا البلد. ورغم ان العراق، وخاصة مدينة بغداد، شهد صدامات عسكرية بين الشيعة والسنة في اوقات معينة بعد بدء الغيبة الكبرى لامام الشيعة الامام المهدي سنة ٣٢٩ هجرية، الا ان الطرفين لم يختاروا في نهاية الامر الانفصال او التقسيم واختاروا دائما البقاء معا والعيش سوية.

وفي العصر الحالي طرح الامام السيستاني مفهوم التعايش السلمي كقاعدة في بناء المجتمع التعددي.

وجاء ذلك وهو يبحث في احد الاحكام الشرعية على اساس قاعدة الالزام (سنة ١٤٠٩ هجرية)، حيث طرح فكرة او قانون الاحترام المتبادل ومفادها انه "اذا كان بناء المجتمع المتشكّل من الاديان والمذاهب المختلفة على التعايش السلمي فان ذلك يستدعي احترام كل من الاطراف قانون الطرف الاخر". "وذلك لان عدم الاحترام ينافي التعايش السلمي المشترك الذي هو اساس الذمة والهدنة والتعاون". (كتاب "قاعدة الالزام"، تقرير السيد محمد علي الرباني، المطبوع سنة ١٤٣٦، ص ٧٢-٧٣). ويلاحظ هذه النقطة ان السيد السيستاني عالج المسألة الفقهية في ضوء طبيعة المجتمع وهو مجتمع تعددي قائم على التعايش السلمي بين مكوناته المختلفة، ولم يتعامل مع النص الديني بمعزل عن الواقع الاجتماعي.

ومع ان مصطلح ومفهوم التعايش السلمي طُرح قبل طرحه من قبل السيستاني، حيث ينسب الى زعيم الاتحاد السوفييتي السابق نيكيتا خروشوف الذي طرح فكرة التعايش السلمي بين المعسكر الاشتراكي انذاك والمعسكر الرأسمالي، الا ان طرحه من قبل فقيه اسلامي كبير يؤصّل لهذا المبدأ في المجتمعات الاسلامية التعددية ومنها المجتمع العراقي بطبيعة الحال.

ويعتمد التعايش السلمي بين المجموعات العرقية والدينية المختلفة في المجتمع الواحد على عدة أسس مهمة، من بينها:

1. الاحترام المتبادل: يجب أن يكون الاحترام المتبادل هو الأساس الأساسي للتعايش السلمي. يتعين على جميع الأفراد والمجموعات احترام وتقدير التنوع العرقي والديني والاعتراف بالحقوق المتساوية للجميع. الاحترام المتبادل لا يستلزم بالضرورة تنازل احد الاطراف عن عقائده الدينية.

2. المساواة والعدالة: يجب أن تكون المساواة والعدالة هما الأساس للتفاعل والتعاون بين المجموعات المختلفة. من المهم أن يحظى الجميع بفرص متساوية ومعاملة متساوية أمام القانون، دون تمييز على أساس العرق أو الدين.

3.التواصل والحوار: يجب تشجيع التواصل والحوار المفتوح بين المجموعات المختلفة. تعزيز فهم الآخر وتبادل الخبرات والمعرفة يساهم في بناء الثقة وتعزيز التعاون والتفاهم المتبادل.
4.التعليم والوعي: يلعب التثقيف والتوعية دورًا حاسمًا في تعزيز التعايش السلمي. يجب تعزيز التعليم بشأن حقوق الإنسان والتنوع الثقافي والديني وتشجيع الفهم العميق للتفاوتات الثقافية والاحترام لها.
5.القانون وحقوق الإنسان: يجب أن يكون هناك الالتزام بمبادئ حقوق الإنسان وتكافؤ الفرص وعدم التمييز في القوانين والسياسات العامة. يعزز ضمان حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية الثقافة التعايش السلمي.
تساعد هذه المباديء على بناء مجتمُع متعدد الثقافات يتسم بالتضامن والسلام والتفاهم بين المجموعات العرقية والدينية المختلفة.(الذكاء الاصطناعي).
في سياق حديثه عن الخلاف الشيعي السني، طرح قبل سنوات العالم الفيزياوي العراقي البارز (وهو سني المذهب) الدكتور محمد باسل الطائي مقترحا لتسوية الخلاف من الممكن ان يكون قاعدة للتعايش السلمي بين الطرفين.
يورد محمد باسل الطائي نصين مهمين في الادبيات الاسلامية هما: اية "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ") المائدة ٥٥) وهي اية مدنية يكاد يتفق معظم مفسري الشيعة والسنة على القول بانها نزلت في الامام علي بن ابي طالب بغض النظر عن تفسيرهم لمعنى كلمة "وليكم". وقد اقر الطائي بذلك. كما اقر بوجود حدث اسمه غدير خم شهد خطبة الوداع للنبي في ١٨ ذي الحجة. وقال ان هذا امر "متفق عليه". وقال ان المتفق عليه ايضا ان النبي قال في هذه الخطبة:"من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه ... "الى اخر الخطبة. وهذا هو النص الثاني. رفض الطائي القول بانقلاب الصحابة على هذا القول. لكنه وبناء على ما اطلق عليه اسم "المنهج الاجمالي" في فهم القران الكريم عمل على الجمع بين النصين، رافضا اهمال حديث الغدير. مؤكدا ان النبي اعطى عليا "ولاية"؛ فما هي هذه الولاية؟ فسر معنى "الولاية" بناء على حادثة اعلان الايات الاول من سورة التوبة في القصة المعروفة. جوهر القصة يتمثل في ان الرسول محمد جعل ابا بكر اميرا للحج عام ٩ للهجرة، وطلب منه، كما تقول بعض صيغ القصة، ان يتلو على الناس الايات الاولى من سورة التوبة النازلة حديثا. وبعد انطلاق ابي بكر الى مكة، جاء جبرائيل واخبر الرسول ان يكلّف ابن عمه علي بن ابي طالب بذلك، بدل ابي بكر. وقد عزّ ذلك على نفس ابي بكر فسأل النبي لاحقا عن سبب هذا التغيير، فقال له النبي:"لا يؤدّي عني إلا رجلٌ من أهلِ بيتي"، او "مني"، حسب الروايات المختلفة.
واستنتج الطائي من هذه القصة ان تبليغ الدين يتم عن طريق النبي او رجل منه وكان علي هو الرجل. وفهم من هذه الحادثة ان الولاية التي اعطيت الى الامام علي هي "ولاية دينية ..فهو ولي المؤمنين بعد الرسول" وقال ان المسألة مقسمة: ادارة دنيوية وهذه تتم عن طريق الشورى حسب نص القران، و هي الحكم والسياسة وادارة شؤون الدولة. وهناك امارة دينية تتم بالتعيين من قبل الرسول، وقد عين الرسول الامامَ علي. قال ان على السنة ان يعترفوا بمكانة الامام علي الشرعية والدينية وعليهم ان يراجعوا مصادر التشريع وان يحققوها مرة اخرى ويستفيدوا من فقه الامام علي، وعلى الشيعة ان يعترفوا بصحة ولاية وخلافة الخلفاء الثلاثة الاول. اما ما حصل بعد استشهاد الامام علي فامر اخر مختلف كليا حيث تحولت الخلافة الى ملك عضوض. ودعا الى وقف التثقيف السلبي، وفي نفس الوقت قال انه لا ينبغي ان نساوي بين الامام علي وبين من هو اقل منزلة منه او من جاء بعده او من ناصبه العداء او من قاتله او من قتل ابناءه. واكد ان الامام علي هو ولي الدين ثم امير المؤمنين، اما ابو الصديق فهو امير المومنين معلنا ان ولاية الدين بدأت مع الامام علي. طرحت هذه الفكرة في مقال سابق، لكنها واجهت ردود فعل مختلفة، بين رافض لها، او قابل بها، او قائل انها فكرة سطحية لا تصمد للنقاش. ولكني ارى ان الفكرة جديرة بالتأمل والنقاش، لانها تؤدي الى تسوية الخلاف على قاعدة win-win المعروفة، على ان يجري النقاش بين اشخاص يتمتعون بالمرونة والرغبة في التوصل الى تسوية تاريخية للخلاف الذي مزّق الامة.

المواطنة والتعايش السلمي

محمد عبد الجبار الشبوط

في اطار نموذج الدولة الحضارية الحديثة، فان العلاقة قوية جدا بين فكرة المواطنة وفكرة التعايش السلمي. فكرة المواطنة تشير إلى حقوق ومسؤوليات الأفراد كأعضاء في مجتمع معين أو دولة، بينما فكرة التعايش السلمي تعني القدرة على العيش معًا بسلام وتعاون في المجتمع، رغم تعدد الانتماءات الدينية والطائفية والسياسية والثقافية.

فكرة المواطنة تتطلب اعتراف الأفراد بحقوق وحريات الآخرين والاحترام المتبادل. يتضمن ذلك عدم التمييز أو التفضيل بسبب العرق أو الجنس أو الدين أو أي صفة أخرى (بالنسبة لي هذا لا يشمل الشذوذ الجنسي لانه انحراف عن الفطرة الانسانية). فكرة المواطنة تشجع على التعاون والاندماج في المجتمع بصورة متساوية.

من ناحية أخرى، فكرة التعايش السلمي تعتمد على احترام وتقبل التنوع واحترام حقوق الأفراد. يجب أن يكون الجميع قادرين على العيش معًا بشكل سلمي وتعاوني بغض النظر عن اختلافاتهم. مفهوم التعايش السلمي يتطلب التعاون والتفاهم والحوار بين الأفراد.

إذًا، فكرة المواطنة وفكرة التعايش السلمي ترتبطان ارتباطًا وثيقًا، حيث يعتبر احترام وتقدير حقوق الآخرين والقدرة على التعايش بصورة سلمية أساسًا لتحقيق مجتمع يعتد به الجميع مواطنين كاملي الحقوق.

لكن تعزيز مفهوم المواطنة يتطلب جهودا مشتركة من جميع أفراد المجتمع، بما في ذلك الحكومة والمؤسسات التعليمية ووسائل الإعلام والمنظمات غير الحكومية. فيما يلي بعض الطرق التي يمكن أن تساعد في تعزيز فكرة المواطنة:

1. التعليم: يجب أن يكون التعليم عن المواطنة جزءًا أساسيًا من المنهاج التعليمي. يمكن تضمين مبادئ المواطنة والقيم الأخلاقية في الدروس والأنشطة التعليمية. يجب تعزيز قيم التسامح والعدالة والتعاون.
2. التوعية العامة: من المهم زيادة الوعي والفهم لدى الناس حول حقوقهم وواجباتهم كمواطنين. يمكن ذلك من خلال حملات توعية في وسائل الإعلام المختلفة والمنتديات العامة.
3. المشاركة المجتمعية: يجب تشجيع المشاركة المجتمعية لدى الناس وتمكينهم من المشاركة في صنع القرارات المحلية والمشاركة في الأنشطة المجتمعية. يمكن تعزيز الشفافية والمساواة في الفرص المشاركة.
4. تعزيز التنوع والشمول: يجب أن يتم تعزيز التسامح وقبول التنوع في المجتمع، بغض النظر عن الاختلافات في العرق والجنس والدين والثقافة. يمكن توفير فرص تعلم وتفاهم بين الثقافات المختلفة.
5. مكافحة التمييز: يجب مكافحة التمييز وظلم المجتمع بجميع أشكاله، سواء كان ذلك على أساس العرق أو الجنس أو الدين. يجب أن يتم التعامل بشكل عادل ومتساوٍ مع جميع الأفراد.

يتطلب تعزيز مفهوم المواطنة الجهود المستمرة والتعاون الشامل من جميع أفراد المجتمع، وهذا يمكن أن يؤدي إلى بناء مجتمع أكثر تلاحمًا وتسامحًا وتعاونًا.

يمكن للدين يمكن أن يكون عاملاً إيجابياً في تعزيز فكرة المواطنة والتعايش السلمي ، ولكن في بعض الأحيان يمكن أن يكون له أيضًا تأثير سلبي. يعتمد ذلك على كيفية تفسير وتطبيق المبادئ الدينية وكيفية تعامل المؤمنين بها مع الآخرين.

عندما يتم فهم الدين بشكل سليم وتطبيقه بشكل صحيح، يمكن أن يشجع الدين على قبول التنوع والتسامح والعدالة والرحمة. يمكن أن يواجه الدين التحديات فيما يتعلق بتفسير الكتاب المقدس (القران او الانجيل او غيرهما) أو العقائد أو التقاليد الدينية بطريقة سيئة أو بطرق تتعارض مع قيم التعايش السلمي.

مع ذلك، يمكن للمجتمع تعزيز فكرة المواطنة والتعايش السلمي من خلال تعزيز المفاهيم ذات العلاقة بالدين مثل العدل والتعاون وحب الجار والتسامح. يمكن توفير التربية الدينية والتثقيف الديني السليم لتوضيح قيم التعايش والمساواة التي تدعم المواطنة الايجابية.

من المهم أيضا التعامل بإحترام ومرونة مع تنوع المعتقدات الدينية في المجتمع. يمكن تعزيز الحوار البناء والتفاهم المتبادل بين الأديان المختلفة وتبادل المعرفة والثقافة لتعزيز التفاهم المتبادل والتسامح.
في النهاية، الدين له القدرة على تعزيز فكرة المواطنة الإيجابية والتعايش السلمي عندما يتم تطبيقه بطرق تدعم القيم الأساسية للحقوق الإنسانية والمساواة والعدالة.

فصل
"المستبد المصلح"
(١)

اظهر استطلاع بسيط اجريته في صفحتي على الفيسبوك ان ٢٩٪ ممن شاركوا بالاستطلاع يفضلون حاكما مستبدا على الحكم الديمقراطي. وهذه نسبة غير مرعبة تماثل تقريبا نسبة المواطنين البريطانيين الذين يرغبون بالغاء الملكية واعلان الجمهورية في بلادهم. ولكنها مع ذلك تعبر عن وجود شريحة من المواطنين لا بأس بحجمها العددي غير مؤمنة بالنظام الديمقراطي. ولهذا عدة اسباب لابد من اخذها بنظر الاعتبار من اجل فهم هذه الشريحة من المواطنين. لعل من ابرز هذه الاسباب هو الاداء السيء لحكومات متعاقبة تصف نفسها بانها ديمقراطية بعد سقوط النظام الدكتاتوري في عام ٢٠٠٣. فقد قدمت هذه الحكومات نموذجا سيئا لحكم يصفه الدستور بانه ديمقراطي، وهي ابعد ما تكون عن الديمقراطية. ويرتبط بهذا السبب بحقيقة ان محاولة اقامة نظام ديمقراطي في العراق لم تنجح حتى الان في تحقيق هذه الهدف لعدة اسباب منها عدم ايمان او عدم فهم الطبقة السياسية للديمقراطية، عدم ايمان او عدم فهم شرائح واسعة من المجتمع للديمقراطية، عيوب التأسيس الكثيرة، وغير ذلك من الاسباب والعوامل التي اجهضت التجربة الديمقراطية تدريجيا وانتهت بها الى نظام حكم اوليجارشي (تحكم عدد قليل من الافراد بعضهم غير منتخبين وبعضهم لا يحتلون مواقع رسمية في الدولة) يمكن فيه تسليم الرئاسات الثلاث الى اشخاص غير مؤهلين وغير منتخبين، وسط سكوت او رضا الشعب عن ذلك.

يقدم لنا التاريخ اكثر من حالة تبين ان الشعوب لا تستطيع ان تتحمل الى ما لا نهاية الحروب، والفقر، والبطالة، وغلاء الاسعار، وشح المواد الغذائية، وصعوبات الحياة، والكوارث الطبيعية الاخرى.

وتتوقع الشعوب من الطبقة السياسية ان تكون قادرة على معالجة الحالة غير المرضية والا فانها اذا فشلت في ذلك فسوف تكون موضوع نقمة الشعب وغضبه وسبب ثورته على الطبقة السياسية الحاكمة.

وقدم لنا التاريخ حالة واحدة على الاقل ينطبق عليها الوصف السابق، الامر الذي جعل الشعب يطالب بحكم مستبد يكون قادرا على انفاذ البلاد والعباد.

وهذا ما حصل في روما الجمهورية التي تاسست في عام ٥٠٨ ق م واستمرت الى عام ٣٠ ق م. وشهدت الجمهورية الوليدة نضالا من اجل الديمقراطية استمر الى عام ٢٦٤ ق م. وهي ديمقراطية مشابهة لتلك التي نشات في دول مدن وادي الرافدين، والتي اطلق عليها جون كين اسم ديمقراطية المجلس assembly democracy، او كما سماها جاكوبسون primitive democracy وهي اولى مراحل الديمقراطية في التاريخ، وعمادها الحكم عن طريق مجلس او مجلسين، يمثلان المحكومين. وكان المجلس في روما يسمى مجلس العشرة هو الذي كان يمنح الحكام صلاحية وسلطة الحكم الى اخر ايام الجمهورية. كما طبقت الجمهورية نظام الاقتراع الفردي الشخصي المباشر. وكانوا يرون ان الحرية اساس الديمقراطية. لكن الفساد تسلل الى الجمهورية الرومانية وديمقراطيتها بعد فترة من قيامها واخذ مؤشرها بالتراجع اعتبارا من عام ١٤٥ ق م واستمر في التدهور لمدة ١٠٠ عام شهدت الكثير من الحروب الاهلية والثورات المحلية، الى ان آل الامر بالشعب الى السأم من الحرية والديمقراطية. بعد ان انحطت السياسة الرومانية الى الدرك الاسفل من الفساد والعنف، بما في ذلك شراء اصوات الناخبين. وسادت الفوضى، والاضطراب في جميع المجالات الزراعية والصناعية والمالية والتجارية.

في ظل هذه الاوضاع وللخروج من الازمة، منحت الطبقة السياسية ممثلة في مجلس الشيوخ سلطات مطلقة للقائد العسكري اوكتافيان عام ٣٠ ق م. وقبل الشعب هذا الحل "ذلك انه لم يعد حريصا على الحرية، مولعا بها، بل كان قد مل الفوضى وتاقت نفسه الى الامن والنظام وكان يرضى ان يحكمه اي انسان"، كما قال ديورانت.

(٢)

ما حصل في الجمهورية الرومانية عام ٣٠ ق م ان الطبقة السياسية الحاكمة انذاك، والممثلة في مجلس الشيوخ، فقدت القدرة على الحكم وضبط الاوضاع والعطاء ومقاومة الفساد، وللتغطية على عجزها وفشلها سلّمت الحكم الى القائد العسكري اوكتافيان وتخلت عن مبادىء الدستور الجمهوري، ونظام ديمقراطية وحكم المجلس، ومنحته سلطات مطلقة ليتحول الى ملك او امبراطور في كل شيء سوى الاسم. وقبل الشعب هذا الحل "ذلك انه لم يعد حريصا على الحرية، مولعا بها، بل كان قد مل الفوضى وتاقت نفسه الى الامن والنظام وكان يرضى ان يحكمه اي انسان"، كما ذكرتُ في الجزء السابق من هذا المقال.

حكم اوكتافيان (اغسطس العظيم) روما، التي لم تعد جمهورية الا بالاسم، من عام ٣٠ ق م الى عام ١٤ بعد الميلاد.وكان في بداية حكمه "مستبدا مصلحا"، وتمثلت اصلاحاته بتحقيق ما نسميه الاصلاحات "الشعبوية الزبائنية"، اي الاجراءات التي تحقق رضا شعبيا عاجلا، فالغى الضرائب، واقام الالعاب، وقدم المال لجميع المواطنين، وشرع باقامة المشاريع العامة لحل مشكلة البطالة، وفي مقابل ذلك كان يستحوذ على السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية التي كانت بيد المجلس، واطلق على نفسه لقب الزعيم، الذي اصبح عنوان الحكم في روما(الزعامة) من عام ٣٠ ق م الى عام ١٩٢ ب م. ولما كانت السلطة مفسدة بقدرها للحاكم وللمحكوم معا، فقد اخذ يتصرف كأله، فيما صار الناس ينظرون اليه نظرتهم الى اله معبود. وما هي الا فترة من الزمن حتى اعلن اوكتافيان نفسه الها، ضمن قائمة الالهة الرومانية، ولما زار اسيا اليونانية عام ٢١ وجد ان عبادته قد انتشرت انتشارا واسعا في البلاد.

ولم يكن هذا غريبا على البشر في ذلك الوقت. فقد سبق للحاكم الاكدي نارام سن (٢٢٩١-٢٢٥١)، حفيد سرجون الاكدي المشهور، ان كان اول ملك يعلن نفسه الهاً. وكان البشر من احفاد ادم يعرفون بوجود اله غيبي غير منظور، لكن طول الامد جعل كثيرا من الناس ينحرفون عن توحيد الاله، ويتصورون وجود الهة اخرى الى جانب الاله الخالق، وهذا هو الشرك الذي عرفته كل الحضارات القديمة رغم انها كانت حضارات ذات صبغة دينية. وكان فراعنة مصر يعتبرون انفسهم الهة، وقد نقل القران عن احدهم قوله:"أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ". وقد شهد القرن العشرون ظهور حكام مستبدين اعلنوا انفسهم الهة، وعلى راسهم كيم ايل سونغ، جد الرئيس الكوري الشمالي الحالي، وقد رأيت بنفسي وعيني اثناء زيارتي لكوريا الشمالية في عام ١٩٨٤ كيف يعبد الكوريون الشماليون رئيسهم الاله. وقد سار صدام حسين على نهج كيم ايل سونغ، ولم يبق له من الالوهية الا اسمها.

وهذه امثلة على ان فكرة "المستبد الصالح" ليست فكرة صائبة، لان من اكبر مساوئها، اي مساوىء السلطة المطلقة التي تستبطنها، انها تحرف "الصالح المستبد" عن طريق الصلاح، ولا يبقى منه الا الاستبداد.والاستبداد فساد كبير. وقد شرح ذاك باستفاضة جون ستيوارت ميل (١٨٠٦-١٨٧٣) في كتابه "الحكومات البرلمانية" لمن رغب بالاستزادة.

واذْ تنفعنا الخبرة التاريخية بالذهاب الى القول ان الاستبداد ليس حلا حتى وان بدا "صالحا"، فان حل مشكلة الفساد وتدهور الاوضاع السياسية والاقتصادية في البلد لا يكون بالنكوص عن الديمقراطية واستعادة الدكتاتورية باي شكل من الاشكال، كما فعل مجلس الشيوخ في روما قبل اكثر من الفي سنة، وكما تفعل الطبقة السياسية العراقية (طبقة الاوليجارشية) الان، وانما بالذهاب الى الاصلاح السياسي الشامل باتجاه تعزيز الديمقراطية وتعميقها وتوسيعها. ان نسبة ال ٧١٪ من الذين اكدوا تمسكهم بالديمقراطية ورفضهم للدكتاتورية، انما يتوقون الى هذا النوع من العمل.

فصل
العبودية الطوعية

ليس عنوان هذا المقال لي؛ بل هو عنوان مقالة كتبها شاب فرنسي في عمر ١٦ او ١٨ سنة، اسمه إيتيان دو لا بويسي (١٥٣٠-١٥٦٣)، ومن المحتمل انه كتب هذه المقالة في عام ١٥٤٦-١٥٤٨ ، وهو التاريخ الذي شهد بدايات تحول ميزان القوى الحضاري بين "العالم الاسلامي" و"اوروبا"، بعد فتح القسطنطينية في عام ١٤٥٣ ثم سقوط الحكم الاسلامي في الاندلس في عام ١٤٩٢ وهو نفس العام الذي وصل فيه المغامر كروستوف كولومبوس الى القارة الجديدة باحثا عن طريق جديد الى الهند والصين لا يمر بالبلاد الاسلامية.

والعبودية الطوعية مصطلح يشير الى استعداد مسبق لدى الفرد او المجتمع الى التنازل عن حريته والقبول بالاستعباد لطاغية، فردا كان او جماعة.

وقد اشار "الشيطان" الى هذا الاستعداد الطوعي لدى بعض الناس للعبودية، كما يذكر القران الكريم في الاية التالية:

"وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ: إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ، فَاسْتَجَبْتُمْ لِي، فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ".

واذا كان الفيسبوك يعبر جزئيا عن الاتجاهات السائدة في المجتمع، فان بعض التعليقات تعبر عن وجود اتجاه في المجتمع العراقي يفضل في النتيجة النهائية الدكتاتورية و الاستبداد على الديمقراطية، العبودية على الحرية.

في تعليق على منشور لي حذرتُ في من عودة الدكتاتورية وتأليه الحاكم، كتب احد اصدقائي باللهجة العامية:

"خليهم استاذ ايغنون الناس تريد تتعلق بأي منقذ ينقذها من الذي هيه فيه.... وصلنا إلى حالة اليأس بكل شيء ماعندنا دوله الطب منتهى والتعليم والخدمات وكل شيء والان القتل بالكيف متعرف منو عدوك وصديقك.... هاي الكوابيس دمرتنا فوق امراضنا البلد يحتضر ننتظر المنقذ.....".

وواضح ان اليأس من الوضع الراهن السيء، يدفع هذا المواطن الى القبول باي بديل حتى ولو كان الاسوأ، اعني الاستبداد.

الخطورة في هذا الاتجاه، مهما كان قليل العد ومحصور المساحة، انه يعبر عن خلل حاد وكبير في المركب الحضاري. فالحرية من اهم مفردات منظومة القيم الحضارية المحيطة بالمركب الحضاري، وحصول اي خلل في هذه المنظومة من شأنه ان يعيق التقدم الحضاري للمجتمع واقامة دولته الحضارية الحديثة، ويعبر عن انعدام مخيف للوعي الحضاري.

وليس هذا وليد حالة اليأس التي ولدتها الاوضاع السيئة الحالية فقط، انما هو من المضاعفات السلبية لنظام الحكم الدكتاتوري الذي جثم قرابة ٣٥ سنة على صدور العراقيين بحيث حرم بعضهم من التعرف على الحرية والايمان بها والدفاع عنها. ولم تركز مناهج التربية في المدارس العراقية على قيمة الحرية في المئة سنة الاخيرة بما يكفي لجعلها جزء لا يقبل المساومة من الثقافة الشعبية السائدة.

واعود مرة اخرى الى الشاب الفرنسي الذي ابتدع مصطلح "العبودية الطوعية" لأستعير قوله:"ان الشعب الذي يستسلم بنفسه للاستعباد يعمد الى قطع عنقه".

ومن اجل ان تجنب ان يصل شعبنا الى هذه الحالة المأساوية يكون من الضروري ان تتم اشاعة حب الحرية والتعلق بها، ورفض كل اشكال العبودية والاستبداد السياسي والديني، الفردي والجماعي.

لقد شهد العراق اولى الثورات من اجل الحرية في التاريخ، بقيادة الثائر اوتو-حيگال في ١٤ تموز من عام ٢١٢٠ ق م، وجاء بعده الامام الحسين ليعلن ثورته في العراق من اجل الحرية، وليس هناك ما يمنع من ان يحمل شباب العراق راية الحرية في بلادهم، كاحد مستلزمات محاربة التخلف والفساد والاصلاح السياسي.

فصل
شكل الدولة والحكومة في الاسلام
(١)

الدولة في الحد الادنى من تعريفاتها المعتمدة في كتب القانون الدستوري هي "مجموعة من الافراد يستقرون في اقليم معين ويخضعون في تنظيم شؤونهم الى سلطة سياسية معينة". ومن هذا التعريف نعرف الأركان الرئيسية للدولة وهي الشعب والاقليم والسلطة السياسية. (القانون الدستوري، د. محمد كاظم المشهداني، ص ٧-٨).

وهناك ما يسمى بشكل الدولة من حيث كونها بسيطة او اتحادية.

وهناك التوصيف الايديولوجي للدولة فنقول الدولة الاسلامية والدولة الشيوعية والدولة الرأسمالية.

وهناك التوصيف السياسي للدولة فنقول الدولة الملكية، والجمهورية، والديمقراطية الخ.

وهناك النظام البرلماني، والنظام الرئاسي ، والنظام المختلط.

وعندما نتحدث عن مصطلحات مثل شكل الدولة والنظام السياسي والحكومة، فإنه من المهم فهم دقيق لكل منها وفهم الفروق الدقيقة بينها. تتعلق هذه المصطلحات بالسياسة والتنظيم السياسي في الدولة، ولا بد من فهم كيفية استخدامها بشكل صحيح لتحقيق تميز في الحوار السياسي.

فمصطلح الدولة يستخدم لوصف التنظيم القانوني والسياسي الذي يحكم الدولة. يشمل هذا المصطلح عناصر مثل نظام الحكم وتقسيم السلطة والعلاقة بين الحكومة والمواطنين. يمكن أن يكون شكل الدولة ملكياً أو جمهورياً أو ديمقراطياً أو اشتراكياً، ويمكن أن يكون لها نظام انتخابي ملكي أو رئاسي أو برلماني. في العديد من الدول، يكون لها دستور يحدد شكل الدولة ويحدد القوانين والحقوق والواجبات التي تحكم العلاقة بين الحكومة والمواطنين.

من ناحية أخرى، النظام السياسي يشير إلى المؤسسات والقوانين والسياسات التي تحكم العملية السياسية في الدولة. يشمل هذا النظام السياسي الأحزاب السياسية والمنظمات والمؤسسات الحكومية وكيفية تكوين الحكومة والعملية التشريعية والقضائية وغيرها من العوامل التي تؤثر على الحكم في الدولة. يمكن أن يكون للنظام السياسي نطاق واسع من التنوع، مثل الديمقراطية الليبرالية والديكتاتورية ونظام الحزب الواحد والنظام البرلماني وغيرها.

أخيرًا، الحكومة تمثل السلطة التنفيذية في الدولة وتشمل الرئيس أو رئيس الوزراء والوزراء والمسؤولين الحكوميين الآخرين الذين يديرون شؤون الدولة. تعتمد صلاحيات الحكومة وصلاحيات أفرادها على نظام الحكم والدستور والقوانين في الدولة. كما أن الحكومة تقوم بتنفيذ السياسات والقرارات وتوجيه العملية التنفيذية وإدارة الموارد وتطبيق القوانين.

يمكن أن يكون هناك بعض التداخل بين هذه المصطلحات، حيث أن شكل الدولة يحدد الإطار العام للنظام السياسي والحكومة، والنظام السياسي يحدد كيفية تشكيل الحكومة وكيفية ممارسة السلطة السياسية. إذا، الفرق الرئيسي بين هذه المصطلحات يكمن في أن شكل الدولة هو الإطار القانوني والسياسي الذي تعتمد عليه النظام السياسي والحكومة، بينما النظام السياسي يتعلق بالمؤسسات والقوانين والسياسات التي تحكم العملية السياسية، والحكومة هي المؤسسة التنفيذية التي تدير شؤون الدولة وتنفذ السياسات والقرارات.

باختصار، فهم الفروق بين شكل الدولة والنظام السياسي والحكومة أمر مهم لفهم كيفية سير الأمور في السياسة والحكومة في الدولة. يمكن لتحليل هذه الفروق أن يسهم في تحسين الحوار السياسي وتعزيز فهمنا لعملية صنع القرار السياسي والحكم في الدولة.

والدولة الإسلامية تشير إلى دولة تقوم على أسس الشريعة الإسلامية وتقوم بإدارة شؤونها وتشريع قوانينها وفقاً لتلك الشريعة. وتعتبر السياسة والدين أمرين مترابطين في هذا ال نوع من الدول.

الدولة الرأسمالية هي الدولة التي يكون فيها الملكية الفردية والقطاع الخاص هما المحركين الرئيسيين للاقتصاد. وتعتمد هذه النظام الاقتصادي على الأسواق المفتوحة والتنافس الحر بين المؤسسات الاقتصادية.
و الدولة الشيوعية هي الدولة التي يكون فيها الاقتصاد تحت سيطرة الدولة بشكل شامل، ولا يوجد ملكية فردية للإنتاج والموارد ولا توجد حرية اقتصادية للأفراد والمؤسسات.
و الدولة الدينية هي الدولة التي تستند في إدارتها لشؤونها إلى الدين وتتفق قوانينها مع تعاليم الدين الرسمي لها.
اما الدولة العلمانية فهي الدولة التي تكون فيها الدين منفصل تماما عن الدولة وتتبع لها وتكون السياسة مستقلة تماما عن الدين.

(٢) الدولة في الاسلام

وعند الحديث عن الدولة في الاسلام يجب ان نلاحظ ان الاسلام (واعني تحديدا القران و ماثبت سندا ومتنا وعقلا وعلما من احاديث المعصومين) وبخاصة القران لم يستخدم مصطلح الدولة الاسلامية ولم يدعُ الى اقامتها بهذا المصطلح، ولم يتعرض لهذه التفاصيل. وان كان دعا الى اقامة الدين، كما في قوله تعالى:"أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ". (الشورى ١٣). واقامة الدين تعني تطبيق كل ما يعتبر من الدين وفي هذا تدخل امور، لكن تخرج منه امور ايضا. فما لا يعتبر من الدين بدلالة معتمدة لا يدخل في هذا الامر بطبيعة الحال.
كما استخدم مصطلح "التمكين" كما في قوله تعالى:"الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ".) الحج (41
وتفريعا على ذلك نقول ايضا ان القران لم يتحدث عن "شكل الدولة"، بالمعنى الذي ذكرناه قبل قليل، ولم يتطرق الى التوصيفات الايديولوجية والسياسية التي نعرفها الان.
ولم يرد مصطلح الدولة او الدولة الاسلامية في "صحيفة المدينة" التي كتبها الرسول عند وصوله الى يثرب، رغم انها ثبتت واقرت سلطة الرسول في المدينة باعتباره حاكمها الاعلى كما ورد فيه:"وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله)صلى الله عليه وسلم(، وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره." وهذا النص يتوافق مع قاعدة دستورية ثبتها القران الكريم في العديد من اياته مثل قوله:"وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا.") النساء (83. كما تردد الامر باطاعة الله ورسوله كثيرا في الايات القرانية الكريمة مثل قوله تعالى: "قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ".) النور (54 وجعل القران طاعة الرسول دليل الايمان وشرطه: "فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.") النساء (65
لكن التطور السياسي للعرب، والذي تزامن مع بعثة النبي محمد ونزول القران، والذي حقق لهم "سلطان محمد" كما قال احد الصحابة، والسلطان يقتضي وجود السلطنة، اي الدولة حتى وان بمقاييس ذلك الزمان، جعل من البديهي ان يحافظ المسلمون على "سلطان محمد" اي دولته، بعد وفاته، وان كانوا اختلفوا عمن يتولى "الامر" اي الحكم من بعده، فانقسموا بشكل اساسي الى قسمين اعتقد الاول منهما باحقية الامام علي، فيما قبل الاخرون بترتيب الخلفاء الراشدين الاربعة (او الخمسة).
ومن الضروري ان نلاحظ هنا ان الشخص الذي كان يعتقد باولويته في تولي الحكم، عنيت الامام علي عليه السلام، جعل من استمرار الدولة وبقائها ومصلحتها هدفه الاول وتعايش مع فترة تولي غيره الحكم، رغم شعوره بالاسى لابعاده عن حقه، كما يرى، وقال كلمته المشهورة حينما عزموا على بيعة عثمان:"لقد علمتم أنى أحق بها من غيري، ووالله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا على خاصة، التماسا لأجر ذلك وفضله، وزهدا فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه."(شرح نهج البلاغة -ابن أبي الحديد -ج ٦ -الصفحة

١٦٦) وكان قبل ذلك قال لعمر حين استشاره بالخروج لغزو الروم:"إِنَّكَ مَتَى تَسِرْ إِلَى هَذَا الْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ ، فَتَلْقَهُمْ فَتُنْكَبْ ، لَا تَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ كَانِفَةٌ دُونَ أَقْصَى بِلَادِهِمْ . لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْه ، فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِحْرَباً ، واحْفِزْ مَعَه أَهْلَ الْبَلَاءِ والنَّصِيحَةِ ، فَإِنْ أَظْهَرَ اللَّه فَذَاكَ مَا تُحِبُّ ، وإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى ، كُنْتَ رِدْءاً لِلنَّاسِ ومَثَابَةً لِلْمُسْلِمِين".(نهج البلاغة، الخطبة ١٣٤)، وكذلك ما قال له وقد استشاره في الخروج لقتال الفرس:"ومَكَانُ الْقَيِّمِ بِالأَمْرِ مَكَانُ النِّظَامِ مِنَ الْخَرَزِ يَجْمَعُه ويَضُمُّه : فَإِنِ انْقَطَعَ النِّظَامُ تَفَرَّقَ الْخَرَزُ وذَهَبَ ، ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَذَافِيرِه أَبَداً . والْعَرَبُ الْيَوْمَ ، وإِنْ كَانُوا قَلِيلًا ، فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالإِسْلَامِ ، عَزِيزُونَ بِالاجْتِمَاعِ فَكُنْ قُطْباً ، واسْتَدِرِ الرَّحَى بِالْعَرَبِ ، وأَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ ، فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ مِنْ هَذِه الأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وأَقْطَارِهَا ، حَتَّى يَكُونَ مَا تَدَعُ وَرَاءَكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ . إِنَّ الأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَداً يَقُولُوا : هَذَا أَصْلُ الْعَرَبِ فَإِذَا اقْتَطَعْتُمُوه اسْتَرَحْتُمْ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ لِكَلَبِهِمْ عَلَيْكَ وطَمَعِهِمْ فِيكَ". (نهج البلاغة، الخطبة ١٤٦).

وحين واصل المسلمون دولتهم على امتداد دولة الرسول في المدينة لاحظوا متغيرات الزمان والمكان واجروا طبقا لذلك التغييرات التي تتطلبها تلك المتغيرات، بما في ذلك اتساع الرقعة الجغرافية وزيادة عددة نفوسها وتعاظم مواردها المالية. ومع ان "الدولة الاسلامية" او "دولة المسلمين" ظلت تطبق الشريعة الاسلامية من حيث المبدأ الا ان ذلك لم يمنع من انحراف النظام السياسي على يد معاوية بن ابي سفيان عن المبادئ الاساسية التي جاء بها القران مثل استخلاف الانسان والشورى والعدل وغير ذلك، وحول الخلافة الى ملك وراثي عضوض، هذا اذا أغضضنا النظر عن ملاحظات الامام علي الاساسية على نظام الحكم.

(٣) الاسس القيمية للدولة

لم يحدد القران شكل الدولة، ونظامها السياسي، لان الدولة شأن بشري، دنيوي، وليست شأنا دينيا الهيا، بمعنى ان القران اباح للمسلمين اقامة دولتهم، دولة المسلمين، وترك لهم حرية التصرف في شكلها، ونظامها، وحكومتها وغير ذلك من التفاصيل المتعلقة بنظم الامر. لكنه في مقابل ذلك تحدث باسهاب عن الاسس والمبادئ التي يجب على المسلمين الاخذ بها ومراعاتها في الحكم والادارة. ولا نجد هذه الاسس والتعاليم في القران وحده، انما نجدها ايضا في احاديث الرسول وائمة مختلف المذاهب، وبخاصة ما كتبه الامام على مثل عهده الى مالك الاشتر.

ومن هذه الأسس والمبادئ:

اولا، استخلاف الانسان، كما في قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً". (البقرة ٣٠)

وهذه الاية اساس في بناء الدولة على اساس حق الجماعة البشرية في تقرير مصيرها وحكم نفسها بنفسها، كما فسرها وشرحها السيد محمد باقر الصدر.

وهذه الاية تضمن للانسان الحرية السياسية، وتحرم احتكار السلطة، والدكتاتورية ، والأستبداد، وتوريث السلطة. وهي تستمد قوتها الدستورية من توحيد الله .

ثانيا، الشورى، كما في قوله تعالى:"وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ.") الشورى (38

ثالثا، سريان الولاية في جميع المواطنين: "وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ".) التوبة ٧١)

وينتج عن النقطتين السابقتين "الاخذ بمبدأ الشورى، وبرأي الاكثرية عند الاختلاف". (محمد باقر الصدر، خلافة الانسان وشهادة الانبياء)

رابعا، العدل: كما في قوله تعالى:"إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ") العدل (90 وقوله تعالى:"وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ".
)الرحمان (9 وقوله تعالى:"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا.") النساء (135 وقوله تعالى:"لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ." (الحديد ٢٥).
خامسا، السلم والتعايش وعدم العدوان كما في قوله تعالى:"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ".) البقرة (208 وقوله تعالى: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.") ال عمران (64 وقوله تعالى:"وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ.") البقرة (190
وغير ذلك من المبادئ والاسس التي تشكل منظومة القيم التي يعتمدها الناس في بناء دولتهم. وتكون اساسا في بناء الدولة الصالحة.
ويجب ان نلاحظ ان القران يركز على بناء الفرد الصالح والمجتمع الصالح لان هذا هو الاساس في بناء الدولة الصالحة.
و دعوتنا الى الفهم الحضاري للقران تستهدف دفع الناس الى استلهام القيم الحضارية والاخلاقية والانسانية التي ذكرها القران، جنبا الى جنب مع القيم التي توصلت اليها البشرية عبر تاريخها الطويل لجعل المجتمع قادرا على اقامة الدولة الحضارية الحديثة، التي هي موضوع اهتمامنا المركزي.

فصل
الحياة الاقتصادية في د ح ح

(١) مخطط الحياة الاقتصادية

يخضع بناء الحياة الاقتصادية وتصميمها في الدولة الحضارية الحديثة، شانه شان كل مجالات الحياة الاخرى، الى الهندسة السياسية، اي علم بناء الدولة.

لا جديد في قولنا ان الاقتصاد يمثل احد اعمدة الحياة الانسانية. ولهذا من المتوقع ان تحظى المسالةغ الاقتصادية باهتمام كبير من لدن مهندسي بناء الدولة.

ولهذا قلنا ان بناء الدولة يحتاج الى خبراء في الاقتصاد، كما يحتاج الى خبراء في علم القانون الدستوري، وعلم الاجتماع السياسي، والتربية، وغير ذلك.

وقبل تصميم شكل الحياة الاقتصادية في د ح ح لابد من تحديد الهدف الاقتصادي في هذه الدولة.

ويرتبط الهدف الاقتصادي بالبعد الاجتماعي والانساني للاقتصاد.

وبناء على هذا نقول ان الاقتصاد في الدولة الحضارية الحديثة يهدف الى تحقيق هدف مزدوج، او هدفين مترابطين.

الهدف الاول هو تنمية الانتاج في مختلف المجالات.

ونكرر هنا القول ان تنمية الانتاج مرتبطة بشكل عضوي ومباشر بالمركب الحضاري للمجتمع المؤلف من العناصر الخمسة وهي: الانسان، الارض، الزمن، العلم، العمل.

ومن الطبيعي ان نقول ان الهندسة الاقتصادية للدولة والمجتمع تسعى الى ادماج هذه العناصر بالنشاط الاقتصادي بشكل محقق لهذا الهدف اي تنمية الانتاج. وهذا بدوره مرتبط بالاساس الثالث الاتي ذكره بعد قليل.

والهدف الثاني هو تحقيق العدالة الاجتماعية في توزيع الثروة قبل الانتاج وبعده.

وحد العدالة الاجتماعية هو توفير الحياة الكريمة للانسان، وفقا للمعايير الانسانية العالمية وليس المحلية فقط.

كما تتعلق العدالة الاجتماعية بمعالجة نتائج اللامساواة الطبيعية التي تحرم بعض الناس من امكانية الحصول على الحياة الكريمة.

وهذه الحالة لا يمكن ان تترك بدون معالجة، والا لحق الظلم بعض الناس الذين لا يملكون حولا ولا قوة للتخلص منه.

ويتم التوزيع على قاعدتي العمل والحاجة.

ومن اجل ذلك لابد من بناء الحياة الاقتصادية على الاسس التالية:

الاساس الاول: الملكية المتعددة الاشكال وخاصة الملكية الخاصة وملكية الدولة. وهذا يعني ان الاقتصاد الحضاري لا يمكن وصفه بانه اقتصاد راسمالي بحت، او اشتراكي بحت، انما هو اقتصاد مختلط وزيادة سوف تتضح بعد قليل.

الاساس الثاني: الحرية الاقتصادية الفردية في اطار العدالة والانصاف. والحرية هنا ليست مطلقة، وانما تتم ممارستها ما دام ذلك لا يلحق الاذى بالاخرين، او يعمق الفوارق في مستويات العيش بالنسبة للناس بشكل يتنافى مع البعد الاخلاقي للتوازن الاجتماعي.

الاساس الثالث: القيم الاخلاقية والحضارية الحاكمة للنشاط الاقتصادي. وينطلق هذا الاساس من قاعدة تقول ان مزاولة النشاط الاقتصادي بحرية لا تتم بمعزل عن الضوابط الاخلاقية التي تحافظ على التوازن والعدالة والمساواة والكرامة في المجتمع.

ولابد ان نذكر هنا ان الاسلام يقدم للانسانية حزمة قيم اخلاقية حضارية تشكل عاملا مساعدا ودافعا للتنمية والعدالة. ولا ضرر في استثمارها.

ومن هذه القيم السعي في الارض، وتسخير خيراتها للانسان، وعدم التبذير والاسراف، وتحريم الاحتكار الخ.
الاساس الرابع: تدخل الدولة لتحقيق وضمان العدالة الاجتماعية كلما تطلب الامر ذلك.
الاساس الخامس: مسؤولية الدولة والمواطن عن حفظ المال العام والثروات الطبيعية، وحسن استثماره، ومنع هدره وضياعه، والفساد.
وهنا يختلف الاقتصاد الحضاري عن الاقتصادين الاشتراكي والراسمالي في موقفهما المتطرف من دور الدولة والذي يتراوح من سيطرة الدولة المطلقة على الحياة الاقتصادية، او المنع المطلق لهذا التدخل.
الاساس السادس: تعددية مصادر الثروة في الحياة الاقتصادية.
وغني عن القول ان كل هذا يتطلب بيئة قانونية وتشريعية تشجع على النشاط الاقتصادي، والاستثمار، وتحمي العمال والفلاحين وصغار المستثمرين والمنتجين والتجار، والمستهلكين، وتحفظ حقوق الملكية، وتفرض ضرائب عادلة.

(٢) الاقتصاد الانتاجي والاقتصاد الاستهلاكي

للتميز بين الاقتصاد الإنتاجي والاقتصاد الاستهلاكي في الدولة الحضارية الحديثة، يمكن الانتباه إلى عدة عوامل ومؤشرات توضح الفروق الأساسية بينهما:

** .1تعريف النموذجين:**
** - الاقتصاد الإنتاجي :**يركز على إنتاج السلع والخدمات. الهدف الرئيسي هو زيادة القدرة الإنتاجية وتعظيم الكفاءة في استخدام الموارد.
** - الاقتصاد الاستهلاكي :**يتركز حول الاستهلاك والطلب على السلع والخدمات أكثر من الإنتاج. يؤكد على تلبية رغبات وحاجات المستهلكين.

** .2المحركات الأساسية:**
- في **الاقتصاد الإنتاجي**، المحرك الأساسي هو الابتكار، الفعالية في العمليات الإنتاجية، وزيادة الإنتاجية.
- أما في **الاقتصاد الاستهلاكي**، فإن الدافع يكون الاستهلاك، ويتجه التركيز نحو التسويق والإعلان لتعزيز الطلب.

** .3الاثار الاقتصادية:**
** - الاقتصاد الإنتاجي :**يسعى لزيادة الصادرات مقارنة بالواردات، مما يميل إلى تحقيق فائض تجاري.
** - الاقتصاد الاستهلاكي :**قد يؤدي إلى زيادة الواردات لتلبية الطلب المحلي، مما قد يسفر عن عجز تجاري.

** .4الأثر على البيئة:**
- الاقتصادات الإنتاجية قد تركز بشكل أكبر على الصناعات الثقيلة التي يمكن أن تكون لها آثار سيئة على البيئة إذا لم يتم إدارتها بشكل مستدام.
- الاقتصادات الاستهلاكية تؤدي غالبًا إلى استهلاك مفرط وإنتاج نفايات استهلاكية متزايد، مما يؤدي إلى التحديات البيئية.

** .5الجوانب الاجتماعية والثقافية:**
- في الاقتصاد الإنتاجي، يمكن أن يكون هناك تأكيد على قيم العمل الجاد والابتكار.
- الاقتصاد الاستهلاكي قد يروج لثقافة الاستهلاكية والرغبة في امتلاك أحدث الأشياء كشكل من أشكال التعبير الاجتماعي.

** .6الآثار المستقبلية:**

- الاقتصادات الإنتاجية تساعد في بناء أساس قوي لنمو مستقبلي من خلال التركيز على الابتكار وتطوير التكنولوجيا.
- الاقتصادات الاستهلاكية قد تواجه تحديات في الاستدامة بمرور الوقت، كنتيجة لاعتمادها على النمو من خلال الاستهلاك.

الإدراك المعمق لهذه العوامل يمكّن الفرد والمجتمعات من فهم التأثيرات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية لكل من الاقتصاد الإنتاجي والاقتصاد الاستهلاكي، ويساهم في اتخاذ قرارات مستنيرة تسعى لتحقيق التوازن والاستدامة.

(٣) الاقتصاد الإنتاجي والاقتصاد الاستهلاكي

في عصرنا الحديث، تواجه الدول الحضارية تحديات كبرى تطرحها ضرورة التوفيق بين نمطين اقتصاديين يختلفان جذرياً: الاقتصاد الإنتاجي والاقتصاد الاستهلاكي. الأول يعتمد على الإنتاج كركيزة أساسية للنمو، بينما يرتكز الثاني على الاستهلاك كمحرك للتطور الاقتصادي. الدول الساعية للتحول نحو مستقبل حضاري مستدام تجد نفسها مضطرة للمناورة بمهارة بين هذين النظامين، محاولةً الاستفادة من مزايا كل منهما دون الوقوع في فخ الآثار السلبية المحتملة.

###الاقتصاد الإنتاجي: أساس الاستدامة

الاقتصاد الإنتاجي يتمحور حول الإنتاج المحلي، وتعزيز الصناعات، وتحقيق الاكتفاء الذاتي في العديد من القطاعات. هذا النمط يشجع على الابتكار وتطوير التكنولوجيا، ويعمل على توفير فرص عمل جديدة، ما يسهم في تخفيف معدلات البطالة ويعزز من استقرار الاقتصاد. الدول التي تركز على الإنتاج تميل إلى تجربة نمو طويل الأجل، حيث أنها تحافظ على مواردها وتسعى إلى توسيع قاعدتها الإنتاجية، مما يجعلها أقل عرضة للصدمات الاقتصادية الخارجية.

###الاقتصاد الاستهلاكي: دافع النمو السريع

من جهة أخرى، الاقتصاد الاستهلاكي يعتمد بشكل كبير على الطلب المحلي والعالمي. هذا النوع من الاقتصاد يمكن أن يشهد نمواً سريعاً، إذ تؤثر زيادة الاستهلاك على تحفيز الإنتاج وتوفر فرصاً للشركات الجديدة لدخول السوق. ومع ذلك، يتعرض الاقتصاد الاستهلاكي للخطر في حال حدوث تباطؤ في السوق أو تغيرات في أنماط الاستهلاك، مما يمكن أن يؤدي إلى اضطرابات اقتصادية.

###الموازنة بين الإنتاج والاستهلاك

التحدي الرئيسي للدول الحضارية الحديثة يكمن في تحقيق التوازن بين الاقتصاد الإنتاجي والاقتصاد الاستهلاكي. تحقيق هذا التوازن يتطلب سياسات حكومية مدروسة واستثمارات في التعليم والبحث والتطوير لتشجيع الابتكار والإنتاجية. كما يجب على الدول تعزيز الاستهلاك المسؤول والمستدام، بما ينسجم مع قدراتها الإنتاجية وأهدافها البيئية والاجتماعية.

في الختام، الدولة الحضارية الحديثة التي تسعى للازدهار في عالم متغير يجب أن تنشد الموازنة بين كونها مجتمعاً إنتاجياً قوياً ومجتمعاً مستهلكاً واعياً. بتبني هذا النهج المتوازن، يمكن للدول العمل نحو مستقبل مستدام يعود بالنفع على شعوبها والبيئة على حد سواء.

(٤) استثمار الثروات الطبيعية

الدولة الحضارية الحديثة لا تقوم ببيع ثرواتها الطبيعية الخام، كالنفط فقط، وإنما تستخدمها في الصناعة أيضًا:

1.**تعظيم القيمة **:بدلاً من تصدير الثروات الطبيعية كمواد خام، التي يكون لها سعر سوقي معين، تقوم الدول الحضارية بزيادة قيمتها عن طريق تحويلها إلى منتجات مصنعة. هذه المنتجات تحمل قيمة مضافة أعلى بكثير من الخامات الأولية، ما يعني عوائد أكبر من الصادرات.

2.**التنويع الاقتصادي **:الاعتماد على تصدير الخامات الأولية فقط يجعل الاقتصاد عرضة للتقلبات في أسعار هذه الموارد في السوق العالمي. من خلال تطوير قطاعات صناعية، تقوم الدول بتنويع اقتصادها وبالتالي تقليل التبعية على أسعار السلع الأساسية وتخفيف هذه التقلبات.

3.**خلق فرص العمل **:العملية الصناعية تتطلب يد عاملة في مراحل مختلفة، من التصميم والتصنيع إلى التسويق والمبيعات. هذا يخلق فرص عمل متعددة ويساهم في تقليل معدلات البطالة.

4.**التطور التكنولوجي **:التركيز على الصناعة يحفز الابتكار والتطور التكنولوجي. هذا يمكن أن يؤدي إلى تحسين الكفاءة الإنتاجية وخلق منتجات جديدة يمكن تصديرها إلى الأسواق العالمية، مما يعزز مكانة الدولة بين المنافسين الدوليين.

5.**الاستدامة **:استغلال الثروات الطبيعية بشكل مستدام واعتماد أساليب إنتاج صديقة للبيئة يمكن أن يضمن استمرارية هذه الموارد للأجيال القادمة، بالإضافة إلى تحسين صورة الدولة على الصعيد الدولي كمساهم في مكافحة التغير المناخي.

بهذا، تعمل الدولة الحضارية الحديثة على تحقيق التنمية المستدامة وتعزيز الاستقلال الاقتصادي بدلاً من الاعتماد على تقلبات السوق العالمي للمواد الخام فقط.

فصل
رؤية قرانية لمراحل التاريخ

قلت في مناسبة أخرى ان "الظهور"، اي الايمان بظهور الامام المهدي، ظاهرة تاريخية، بمعنى انها حلقة من حلقات التاريخ، مرتبطة بما قبلها من حلقات، ومرتبطة بما بعدها. ولهذا من الضروري ان تُفهم هذه الظاهرة في سياقها التاريخي. ولمعرفة هذا السياق يكون من الضروري الاحاطة بالرؤية القرانية لحركة التاريخ ليكون من السهل موضعة مسألة الظهور في سياقها التاريخي الصحيح.

نقصد بحركة التاريخ سير الانسان في الزمان والمكان. وقد قدّم القران الكريم افكارا يمكن ان تشكل رؤية لهذه الحركة/ السير. ويمكن تتبع الخطوط العريضة لهذه الحركة كما يلي:

اولا، حركة انسانية:

ما افهمه من ايات القران الكريم ان الحركة التاريخية ظاهرة متعلقة بالانسان، بخيرها وشرها، بانجازاتها واخفاقاتها. ففي استعراض القوى المحركة للتاريخ (مثل الله، والقوانين التاريخية، والطبيعة، اضافة الى الانسان) يبرز الانسان بوصفه القوة الاساسية في هذه الحركة، بل هي حركته بالذات. فما يقوم به الانسان هو التاريخ. واشارات القران الكريم واضحة جدا في هذا الخصوص مثل قوله:"وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا"، وقوله تعالى: "ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ". ولهذا نجد ان القران الكريم يخاطب الانسان بالذات ويحمله المسؤولية الكبرى في حركة التاريخ. فالخطاب القراني يكثر من استخدام عبارات يا ايها الانسان، يا ايها الناس، يا بني ادم، يا اهل الكتاب، يا ايها المؤمنون.. الخ. وكلها خطابات تستند الى المقولة الاساسية التي يوردها القران وهي:"وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ"، وقوله:"لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ". وحتى التدخل الالهي في حركة التاريخ فهو مرتبط بدور الانسان من وجه، كما يتضح من قوله تعالى:"إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ"، او قوله:"وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ"، او قوله:"وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ". بل ان قوانين التاريخ، او السنن الالهية، انما تمارس دورها في حركة التاريخ من خلال حركة الانسان نفسه، كما سوف يتضح. ولهذا نحتاج الى ان نفهم الانسان لكي نفهم حركة التاريخ. والانسان كل معقد من الافكار والمشاعر والمتطلبات والمصالح الذاتية والالتزامات العامة والدوافع المختلفة والعلاقات المتعددة، الخ.

ثانيا، حركة هادفة

تدل حركة الانسان في التاريخ على انها حركة هادفة وليست عشوائية. وبالملاحظة البسيطة يمكن ان نقول ان هدف الانسان دائما هو تحسين شروط حياته. فكل بني البشر يسعون الى حياة افضل تحقق لهم السعادة والرضا، وهذا ما يحقق لهم الاستقرار النفسي والحياتي.

يسعى الانسان في سيره التاريخي الى تحقيق التكامل لنفسه ولحياته. والتكامل هو "مستقر" هذه الحركة بالتعبير القراني. وحال الانسان في هذا كحال الشمس التي "تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ". "يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ". فقد ذكر القران ان الله قال للانسان:"اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ".

والارض مصدر مهم للمعرفة التي سوف يحتاج اليها الانسان في سيره التاريخي:"قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ". وقد قاد السيرُ في الارض الانسانَ الى كل بقاع الارض فسكنها وعمرها كلها من اجل الاستمتاع بها وبخيراتها واسعاد نفسه بذلك. وفي اثناء سيره، اكتشف الانسان احد قوانين هذا السير وهو التطور المستمر. وقد عبر القران عن مآل هذا التطور وهو "ظهور الدين"، اي القانون الصالح، وهو اساس الحياة الصالحة السعيدة، وقيام الحكم الصالح الرشيد كما في قوله تعالى:"هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا"، وقوله:"وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا"، وقوله:"الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ". والدولة الحضارية الحديثة احدى مصاديق هذا التطور والسير نحو التكامل.

ثالثا، حركة تراكمية:

حتى بدون العودة الى القران نستطيع ان نعرف ان حركة الانسان في الزمان تراكمية، بمعنى ان الانسان يراكم معارفه وخبراته على مر الزمان. وهذا هو سر التطور والتقدم في التاريخ: التراكم. وهذا ما كشفته عنه واكدته البحوث التاريخية في الارض. ويمكن ان نلاحظ ان التراكمية تسير وفق التتابع التالي: معرفة ١، عمل ١، معرفة ٢، عمل ٢، معرفة ٣، عمل ٣ وهكذا. ويمكن ان يسبق العملُ ١ المعرفةَ ١ في بعض الاحيان. لكن المهم ان المعرفة والعلم يثري احدهما الاخر، ايهما اسبق. ولعل القران يشير الى ذلك في قوله:"سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ"، "وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ". ويجب ان نلاحظ ان التراكمية متنقلة بين المجتمعات البشرية ولا يفترض ان تكون مستقرة في مجتمع واحد بعينه الى الابد. وهذا ما يدلنا عليه التاريخ. فقد بدأ السياق التراكمي في وادي الرافدين، ثم انتقل الى بلاد اليونان، ثم عاد الى بلاد الرافدين، لينتقل بعدها الى اوروبا، وثم اضحى ظاهرة عالمية بفعل عولمة التراكم. وشكل هذا حقبة تاريخية جديدة يصدق عليها اسم الانثروبوسين Anthropoceneوذلك لأنّ السّمةَ الأساسيّة الّتي يتميّز بها عن غيره هي التّغيّرات العالميّة النّاجمة عن النّشاط البشريّ. ولهذا تفصيل ينوء بحمله هذا المقال.

رابعا، حركة ذات مراحل:

يشير القران الكريم بوضوح الى ان حركة الانسان التراكمية في الارض ذات مراحل واطوار، كما في قوله تعالى:"وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا". وقد اسهب العلم في بيان هذه الاطوار، او المراحل او العصور، التي مر ويمر بها الانسان. وقد تتبع السيد محمد باقر الصدر وغيره المراحل او الاطوار التاريخية التي يتحدث عنها القران الكريم من خلال قوله تعالى:"كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ". وتستغرق هذه الاية الكريمة صفحات عديدة في التفاسير التي يملك اصحابها رؤية تاريخية واضحة مثل السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب كتاب "الميزان في تفسير القران"، والدكتور محمد الصادقي صاحب كتاب "الفرقان في تفسير القران"، والشيخ عبد الله جوادي الاملي صاحب كتاب "تسنيم في تفسير القران". ويمكن للقاريء المتطلع مراجعة هذه التفاسير القيمة. و لخص السيد محمد باقر الصدر جوهر الرؤية القرانية لمراحل التاريخ بثلاث مراحل هي: مرحلة الحضانة، ومرحلة المجتمع الفطري، ومرحلة الاختلاف، ويضاف اليها مرحلة الظهور، واخيرا مرحلة المجتمع المعصوم. ونحن الان في المرحلة الثالثة، اي مرحلة الاختلاف.

و نستطيع ان نرصد المسيرة التكاملية للانسان على مستوى الدولة التي مرت بالمراحل التالية: السلطة الاجتماعية، السلطة السياسية، دولة المدينة، الدولة السلطانية، الدولة الحديثة، الدولة الحضارية الحديثة، وربما

يأتينا التطور بمرحلة اخرى قادمة في المستقبل. لكن المؤمنين يرون ان الدولة التي ستقوم بعد مرحلة الظهور هي الدولة العالمية الموحدة بقيادة الامام المهدي. وهم يرون ان هذا متضمن في قوله تعالى:"وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ".

وحاول المفكرون تصور مراحل لهذا السير الحضاري التقدمي فنجد أن اوجست كونت افترض وجود ثلاث حقب تاريخية هي المرحلة اللاهوتية ثم الميتافيزيقية واخيرا المرحلة الوضعية. وأعتقد كارل ماركس ان التاريخ يمر بمراحل اقتصادية متعاقبة تتميز بأنماط مختلفة من الإنتاج والعلاقات الاقتصادية. هذه المراحل تشمل: العبودية ثم الإقطاعية ثم الرأسمالية ثم الاشتراكية واخيرا الشيوعية حيث المجتمع اللا طبقي الذي تتحقق فيه المساواة ويزول فيه الاستغلال. اما هيجل فهو ينظر إلى التاريخ كعملية تطور واعي، مدفوعة بالصراع الديالكتيكي بين الأفكار المتضادة)الأطروحة، المضادة للأطروحة، والتوليف .(هذا التطور يتجه نحو تحقيق الحرية والتعقل. لكن مراحل هيجل ليست محددة بشكل واضح مثل ماركس، ولكن يمكن إيجازها تقريباً كالتالي: العصور القديمة ثم العالم اليوناني والروماني وبعده المسيحية/العصور الوسطى واخيراً العصر الحديث حيث ظهور الدول القومية والديمقراطية وتحقيق الحرية الفردية. وقسم لويس هنري مورغان التاريخ البشري إلى ثلاث مراحل رئيسية تمثل مستويات مختلفة من التطور الاجتماعي والثقافي هي البربرية، الهمجية، والحضارة. ويمكن استلهام القرآن لتصور المراحل التالية للتاريخ البشري او لتطور البشرية :

١. مرحلة **"**الجنة **"**الارضية. "وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ."] الأعراف [19 : تقديري: من ظهور الانسان العاقل الى اكتشاف الزراعة. كان الناس يعيشون في الغابات او الكهوف ويعيشون على قطف الثمار وجمع الطعام وصيد الحيوانات.

٢. مرحلة الامة الواحدة**:** "كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ".] البقرة [213 :

تقديري: من اكتشاف الزراعة الى النبي نوح. اكتشف الانسان الزراعة قبل حوالي ١٢ الف سنة في مناطق متفرقة مثل شمال العراق وفلسطين.

٣. مرحلة الاختلاف: "وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ") يونس (19. تقديري: من النبي نوح الى ظهور الامام المهدي. ظهرت الاختلافات بين البشر و الوثنية والشرك بالله. وفي هذه المرحلة ظهر الاتجاه التاريخي العام المتمثل في السعي إلى إقامة الدولة الحضارية الحديثة منذ قيام دولة اريدو في جنوب العراق عام ٥٤٠٠ ق م والى اليوم.

٤. مرحلة الظهور: "هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ".)الصف (9 و "هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ".) التوبة (33 و "هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا".) الفتح (28. والمقصود بها ظهور الامام المهدي وغلبة الدين.

٥. مرحلة المجتمع المعصوم: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ".) النور (55. بعد وفاة الخليفة الثاني عشر للامام المهدي حسب تصور السيد محمد الصدر.

خامسا، حركة ذات قوانين**:**

الرؤية القرانية للكون ومن ضمنه التاريخ تقول بوجود سنن تحكم الكون وتنظم حركته. وهذه السنن طبيعية واجتماعية. وهذا قول يقول به ايضا علماء الطبيعة وعلماء التاريخ. واذا كان القران قد شخّص بعض هذه السنن والقوانين، فانه ترك للانسان ان يكتشف البعض الاخر.

وقد خصص السيد محمد باقر الصدر وقتا في اخريات حياته لبحث السنن الالهية كما وردت في القران الكريم وطرحها في محاضراته المشهورة والمعروفة باسم "التفسير الموضوعي للقران". ويهمنا ان نذكر في هذه المقالة الانواع التي شخّصها الصدر وهي ثلاثة: السنن الحتمية، والسنن الشرطية، والسنن التي تشكل اتجاهات عامة في التاريخ. ويمكن للقاريء الرجوع الى تلكم المحاضرات للاطلاع التفصيلي على ما قاله الصدر بهذا الخصوص.

ويهمنا ان نسلط الضوء في هذه المقالة على طبيعة علاقة الانسان بهذه السنن. فالسنن الحتمية، كما يظهر من اسمها، لايمكن للانسان تحديها والخروج عن دائرتها كما في قوله تعالى: "سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا".

اما السنن الشرطية فتتوقف فاعليتها على توفير شرطها من قبل الانسان، ويتولى الله، او التاريخ، تحقيق نتيجتها. ففعل الشرط منوط بالانسان، وجواب الشرط منوط بالتاريخ، او الله، كما في قوله تعالى:"وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا"، وقوله تعالى:"وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ"، وقوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ".

اما السنن التي تشكل اتجاهات تاريخية عامة فيمكن ان يتحداها الانسان لفترة من الزمن تطول او تقصر لكنها تسود في النهاية وتفرض نفسها على حركة التاريخ. واعتبر الصدرُ الدينَ احد الاتجاهات التاريخية العامة استنتاجا من قوله تعالى:"فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ".

وتمثل الدولة الحضارية الحديثة اتجاها تاريخيا عاما، اي سنة من النوع الثالث. و يمكن استنتاج ذلك من متابعة السياق التاريخي العام الذي يكشف بجلاء تفاصيل حركة الانسان نحو الدولة الحضارية الحديثة. فالانسان في سعي مستمر لتطوير الدولة وتحديثها منذ قيام ابسط اشكال السلطة في المجتمعات الزراعية البسيطة التي قامت في فجر التاريخ. ثم اخذ الانسان في تطوير الدولة شكلا ومضمونا بمرور الزمن حتى وصلت الدولة الى ما وصلت اليه اليوم، وهي ما زالت تتطور وتتكامل.

ومع ان المجتمعات تختلف في نموذج الدولة الذي تقيمه، الا انه بات من الممكن رصد عدة خصائص للدولة تشكل في نهاية المطاف نموذج الدولة الحضارية الحديثة. ومن هذه الخصائص منظومة القيم الكبرى التي تقوم الدولة على اساسها، ومنها حقوق الانسان. ومن هذه الخصائص المواطنة والديمقراطية والقانون والمؤسسات والعلم الحديث، وتمايز السلطات عن شخص الحاكم، والتنمية المستدامة، وغير ذلك. واضحت خصائص ومعايير وصفات الدولة الحضارية الحديثة قابلة للقياس في السنوات الاخيرة بعد ان قامت مؤسسات عالمية غير ربحية متخصصة بقياس الجوانب المختلفة للدولة الحضارية مثل مؤشر السعادة، ومؤشر الحرية، ومؤشر النزاهة، ومؤشر سيادة القانون، ومؤشر التماسك مقابل الهشاشة، وغير ذلك.

ان الايمان بظهور الامام المهدي هو احد اشكال الايمان بامكانية تطور المجتمع البشري الى الدرجة التي تمكنه من اقامة الدولة الصالحة الحضارية سواء في علاقة الانسان بالارض او الطبيعة، وعلاقة الانسان باخيه الانسان.

ان النصوص الدينية الواردة في وصف دولة الامام المهدي هي في حقيقتها وصف لهذا النموذج المتقدم جدا من الدولة الحضارية الحديثة المحققة للرخاء والرفاهية والسلام والعدل والتكامل عبر التطور المستمر.

والمهدوية ليست مسألة غيبية او اعجازية، بل هي مسألة تاريخية تجري وفق سنن التاريخ وقوانينه، بما في ذلك دور الانسان الفاعل في اطار هذه السنن.

الدولة الحضارية الحديثة

بناء على ما تقدم، فان فكرة الدولة الحضارية الحديثة لا تنفك عن الرؤية القرانية لحركة التاريخ. وفيما يلي احاول ان استقريء الايات القرانية ذات العلاقة.

١. "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ".) الذاريات (56

٢. "يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ".) الانشقاق (6

٣. "هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ".) الصف (9 و "هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ".) التوبة (33 و "هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا".) الفتح (28

٤. "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ".) النور (55

٥. "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ".) الانبياء (105

٦. "مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا. وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا".) الاسراء ١٨- (19

٧. "وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ".) الاعراف ٩٦) و "وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا".) الجن (16

٨. "فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ".) الروم (30

٩. "إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ". (الرعد ١١)

١٠. "وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ") يونس (19

١١. "كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ".] البقرة [213 :

ان الفكرة التي نستخلصها من القران الكريم ان حركة التاريخ البشري حركة تكاملية تقدمية تطورية ذات غاية، حيث ان الله لم يخلق الانسان سدى ولم يكن يلعب او يلهو بخلق الكون. واكد القران ان الهدف النهائي من خلق الانسان هو تحريره من كل اشكال العبودية بحصر العبادة بالله سبحانه وتعالى. وهذا هو التوحيد او العمود الفقري للدين. والعبادة هي الدين، ومنظومة القيم، والبر، والفطرة الانسانية السليمة. "ذلك الدين القيم". و "لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ".) البقرة (177 ومن لم يعبد الله وحده عبد غيره. وهذا ما يفعله كثير من الناس حيث يعزفون عن عبادة الله، ليعبدوا احد مخلوقاته رجلا كان ام امرأة، حيا كان ام ميتا، شمسا قمرا كوكبا صنما الخ. وهذه هي الوثنية بعينها.

وانا اتفق مع هربرت سبنسر في قوله:"إن الحقائق الكثيرة و المتوفرة لدينا تجمع على البرهنة على أن النمو الاجتماعي يشكل جزءا من التطور بشكل عام". او قول اوجست كونت:"لقد أثبتت خبرة الماضي بشكل جازم أن المسيرة الحضارية نحو التقدم تتبع مسارا طبيعيا لا يمكن تجنبه". ولاحظ كونت أن الحضارة قد تقدمت

تقدما مطردا في كل جانب من جوانبها". واعتبر اوجست كونت أن هذا يقدم لنا دليلا على وجود قانون طبيعي ينظم تقدم الحضارة. وهذا هو ما سماه السيد محمد باقر الصدر الاتجاه التاريخي العام وهو يشكل سنة من النوع الثالث.

لكن هذا التطور لا يسير بخط مستقيم، وانما بخط متعرج. ذلك ان نهاية الخط، اي الدرجة القصوى من التكامل، وهي المعبر عنها بالقران بالعبادة، حتمية. كما في اية سورة الذاريات المتقدمة. لكن خط السير نفسه محكوم بنوعين اخرين من السنن هما: السنن الشرطية، كما في ايتي سورة الاسراء، والاتجاهات التاريخية العامة ، مثل الدين، كما في اية سورة الروم. ومن هذه الاتجاهات العامة في التاريخ: الدولة الحضارية الحديثة. ذلك ان الاستقراء التاريخي يمكننا من الاستنتاج ان حركة البشرية التاريخية تتوصل الى اقامة دول حضارية حديثة تتناسب مع درجة التطور العام في البشرية. ونعني بكلمة الحضارية قدرة الدولة على استثمار عناصر المركب الحضاري، ونعني بالحديثة مواكبة الدولة لتطورات عصرها المدنية والثقافية.

وهذا كله لا ينفك عن إرادة الإنسان التي تتصرف بحركة التاريخ في اطار السنن الشرطية والاتجاهات العامة وهو ما ذكرته اية التغيير المذكورة أعلاه.

الدلالات السياسية لقصة موسى في القران

يمكن تصنيف الدول او الانظمة او الحكومات بطريقتين؛ الطريقة الدينية، والطريقة الدستورية.
فحسب الطريقة الاولى يمكن تصور عدة انواع من الدول:
الدولة المؤمنة، والدولة الكافرة، والدولة الهجينة، على نحو التمثيل لا الحصر.
وحسب الطريقة الثانية يمكن تصور الدولة الدكتاتورية، والدولة الديمقراطية.
وبناء على هذه الانواع تتحدد المهمة الدعوية السياسية للانبياء والرسل، والحركات الدينية، الاسلامية في بحثنا هذا.
ويمكن تتبع هذه الانواع، والمهام، في قصة النبي موسى كنموذج.
ارسل النبي موسى واخوه هارون الى مصر الواقعة انذاك تحت حكم "ال فرعون "لتحرير بني اسرائيل منهم.
وكان هذا الحكم كافرا بالمعيار الديني، ودكتاتوريا بالمعيار الدستوري. وقد سجل القران المعيارين.
دينيا ذكر القران الكريم ان ال فرعون "كفروا "و "كذبوا "بايات الله.
وقال":كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ)".ال عمران ١١(
"كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللهِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ.ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَونَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَالِمِينَ)".الانفال ٥٢-٥٤(
ودستوريا، بين القران ان النظام الفرعوني كان نظاما دكتاتوريا، طاغيا، ظالما، وغير دستوري.
قال القران عن فرعون":إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾) القصص ٤(
وامر الله نبيه موسى":اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ."
ونقل عن فرعون قوله":قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى)".طه ٧١(
وقال":وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي) ".القصص ٣٨(
ومن ظلمه انه استعبد بني اسرائيل وسامهم اصناف العذاب كما يروي القران الكريم.
"قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ. وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ. قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ. فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ. وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ) ".الشعراء ١٨-٢٢(
"وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ)".ابراهيم ٦(
وازاء هذا الوضع صدر الامر الالهي الى موسى واخيه بالذهاب الى فرعون لتحقيق امرين:
الاول، دعوته سلميا الى الله سبحانه وتعالى.
الثاني، تحرير بني اسرائيل.
ولم يتضمن الامر الالهي تكليفين هما:
اولا، القتال لتحقيق التكليفين السابقين.
ثانيا، اسقاط النظام الفرعوني.
روى القران هذا المقطع من الاحداث كما يلي:
"اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي.اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى.فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى. قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى. قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى. فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا

رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى) ."طه ٤٢-٤٧(

التحرير

وقد تحقق تحرير بني اسرائيل في القصة المعروفة، في مثل قوله تعالى:

"وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ. وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ) ".البقرة ٤٩-٥٠(

"وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَونَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ) ".الاعراف ١٤١(

وبعد ذلك بدأت مرحلة اعادة تاهيل وتثقيف بني اسرائيل:

"وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ.وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ .وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ. وَقَالَ مُوسَى إِن تَكْفُرُواْ أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ) ".ابراهيم ٥-٧(

استنتاج

تتحدد المهمات الدعوية /السياسية للدعوات الاسلامية من خلال الضرورات الرسالية المتمثلة بالدعوة الى سبيل الله بصورة عامة من جهة، و من خلال الحيثيات الواقعية الموجودة في المجتمع الذي تتوجه اليه الدعوة، من جهة ثانية.

وقد كلف الله موسى واخاه بالقيام بالمحور الثابت سلميا. فيما كلفهم بالتفاوض مع فرعون لتحرير بني اسرائيل.

في النظام الديمقراطي، يتاح للدعوات الاسلامية ما لا يتاح لها في النظام الدكتاتوري. فالدولة الديمقراطية دولة دستورية يخضع فيها جميع الناس لحكم القانون.

فالدستور يمثل العقد الاجتماعي الذي من خلاله اكتسب النظام شرعيته، فيما تمثل القوانين عقودا فرعية لتنظيم حياة الناس.

وعادة يكون العمل السياسي علنيا وفق القانون، سقفه الشرعي هو الدولة القائمة ذاتها. لذلك لا يمكن للدعوات الاسلامية ان تعمل على تحقيق هدف سياسي يستبطن الغاء الدولة القائمة واقامة الدولة الجديدة. انما بمقتضى الدستور والقوانين السارية والشرعية العامة للدولة تستطيع الدعوات الاسلامية ممارسة نشاطها العلني وفق القوانين في ذات المحورين المذكورين انفا وهما:

المحور الثابت: الدعوة الثقافية الى سبيل الله.

المحور المتغير: رعاية مصالح الناس وفق القوانين السارية والقيم الحضارية التي جاء بها الاسلام.

وسيكون ارقى اشكال رعاية مصالح الناس هو العمل على تطوير الدولة القائمة)ارضا وشعبا وحكومةً (والارتقاء بها لتكون دولة حضارية حديثة.

فصل
امنيات برسم اية حكومة جديدة

مقدمة

الانتخابات، في الفكر السياسي الديمقراطي، هي الية لتداول السلطة سلميا في المجتمع. ومن هنا جاء تعريف الديمقراطية بانها "منظومة اليات محايدة لتداول السلطة سلميا ودوريا عن طريق الانتخابات ."

وهي مباراة تنافسية سياسية ودية وليست معركة بين اعداء وخصوم وليس الفوز فيها انتصار بالمعنى العسكري.

وموضوع هذه المباراة هو خدمة الانسان، او المواطن" .وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ."

ذلك ان تعريف السياسة عندنا هي: رعاية شؤون الناس.

ومن اجل تحسين الاداء الديمقراطي الخدمة للحكومة، اقدم في هذه السلسلة من المقالات مجموعة امنيات لي كمواطن، وربما تكون نصائح، ارجو ممن سوف يتولى تشكيل الحكومة نيابة عن الشعب الاخذ بها وتنفيذها.

الامنية الاولى
الدولة الحضارية الحديثة

ان تعلن الحكومة انها تعمل من اجل اقامة الدولة الحضارية الحديثة في العراق.

خلال السنوات التي مرت على العراق بعد ١٤ تموز عام ١٩٥٨ تبنت الاحزاب السياسية الرئيسية اهدافا وشعارات ايديولوجية. الحزب الشيوعي تبنى الماركسية اللينينية. حزب البعث تبنى هدف الدولة القومية العربية. الاحزاب الاسلامية تبنت الدولة الاسلامية. وعمّقت هذه الاهداف الايديولوجية الخلافات والانقسامات في المجتمع العراقي. وبسبب التخلف الحضاري للمجتمع جسدت هذه الانقسامات نفسها على شكل ممارسات صراعية عنيفة وقاسية ذهب ضحيتها الكثير من العراقيين، وهدر بسببها المال والجهد والزمن.

آن الاوان ان يكون الهدف هو اسعاد الانسان العراقي عن طريق تحسين نوعية الحياة التي يحياها، وتطويرها، وهذا ما يمكن تحقيقه عن طريق زيادة انتاجية المجتمع، والعدالة في توزيع الثروة والسلطة، وتحسين الخدمات، وتبسيط الاجراءات، وبسط الامن، والحرية والمساواة، وتوفير فرص العمل العادلة، والسكن، والرعاية الصحية، والتعليم، وغير ذلك.

وهذا ما لا يمكن تحقيقه الا في اطار ومن خلال الدولة الحضارية الحديثة، الامر الذي جربته وحققته شعوب اخرى كثيرة في اوروبا واسيا وافريقيا، كما في اليابان وماليزيا وسنغافورة، والدانمارك والنرويج وفنلندا وهولندا، ورواندا، وغيرها من الدول.

وانا اعلم ان اقامة الدولة الحضارية الحديثة لا يتحقق خلال اربع سنوات فقط، لان الامر يحتاج الى وقت اطول، الى اجيال؛ لكن الشروع في السير في الطريق المؤدي الى تحقيق هذا الهدف يتم في لحظة، هي لحظة اتخاذ الحكومة الجديدة قرارا باتخاذ الدولة الحضارية الحديثة هدفا اعلى للحكومة ومعها المجتمع كله. وهذا هدف انساني عام مشترك يمكن ان يجمع تحت مظلته العراقيين باختلاف تنويعاتهم العرقية والدينية والمذهبية والحزبية والمناطقية.

والدولة الحضارية الحديثة دولة قيمية، وهذا هو ما يميزها عن الدول المتخلفة، والاستبدادية، والدكتاتورية، وغيرها.

ومنظومة القيم العليا للدولة الحضارية الحديثة هي التي تمكن الفرد والمجتمع والدولة من تشغيل المركب الحضاري وعناصره الخمسة)الانسان، الارض، الزمن، العلم، العمل (من الاشتغال بطريقة تضمن تحقيق الاهداف الانسانية والخدمية التي ذكرتها قبل قليل. وتضم منظومة القيم العليا مفردات مثل التعاون، والتطوع، والتسامح، والحوار، والتهذيب، والنظافة، والاخلاص، والوسطية، وغير ذلك.
وتقوم الدولة الحضارية على ركائز واسس متينة منها: المواطنة والديمقراطية وحكم القانون والمؤسسات والعلم الحديث.
وبناء عليه، فان على الحكومة الجديدة ان تعمل على تعزيز هذه الاسس الخمسة، في مختلف المجالات، بحث تكون هذه الاسس اساسا ومقياسا لتصرفاتها واجراءاتها وقراراتها. وسوف تتعلق هذه الاجراءات فيما يمكن ان نطلق عليه عنوانا عريضا هو الاصلاح الحضاري الذي يشمل العديد من المفردات الاصلاحية الفرعية مثل: الاصلاح السياسي، والاصلاح الاقتصادي، والاصلاح الحزبي، والاصلاح التربوي، وغير ذلك.
كانت الحكومات السابقة تضع الكثير من التفاصيل في برامجها العملية، لكنها لم تضع تلك التفاصيل في اطار رؤية شاملة جامعة، وقد ان الاوان بعد عقود من المعاناة والحرمان ان تتصرف الحكومات العراقية بوحي رؤية مستقبلية علمية متكاملة هي الدولة الحضارية الحديثة.

الامنية الثانية:
حكومة الاغلبية السياسية

اتمنى ان يقبل من يُكلّف بتشكيل الحكومة بفكرة حكومة اغلبية سياسية تقابلها معارضة برلمانية.
جرت العادة في السنوات السابقة على تشكيل حكومة يشارك فيها الجميع، اي كل الكتل السياسية التي تفوز بعدد معين من المقاعد البرلمانية. وجرى تطبيق هذه الطريقة بموجب احد قواعد "الديمقراطية العراقية" وهو الاستحقاق الانتخابي. وهو مبدأ لم يرد في الدستور. وبموجب هذا المبدأ، توهمت القوى السياسية ان من كل من فاز بعدد من المقاعد البرلمانية ان يستحوذ على ما يعادلها من الحقائب الوزارية. وجرى تثمين الحقائب الوزارية بما يناسبها من المقاعد البرلمانية. وفي وقتها كان لهذه القوى من الاسباب التي دفعتها الى هذا التصرف الغريب مما اريد التطرق اليه هنا. لكن اريد الاشارة الى النتائج السلبية لهذه الطريقة.
اولا، ادى ذلك الى تشكيل حكومات غير منسجمة، وبالتالي غير كفوءة. المفهوم ضمنا ان تعدد الاحزاب السياسية واختلافها يعكس تعددا في البرامج السياسية واختلافها. فاذا اجتمعت كل هذه الاحزاب ذات البرامج المختلفة في حكومة واحدة، كانت الحكومة خليطا غير متجانس من الاراء والافكار والرؤى. ومثل هذه الحكومات سوف تكون غير قادرة على الانسجام والاتفاق خاصة اذا تذكرنا ان نظامنا السياسي يسير بموجب التوافق، او الديمقراطية التوافقية، او الاجماع. وهذا من عيوب التأسيس المعيقة.
ثانيا، ادى ذلك الى غياب المعارضة البرلمانية. وهذا هدم خطير للحكم الديمقراطي الذي ينبغي ان يطير بجناحين هما: حكومة الاغلبية السياسية والمعارضة البرلمانية.
وبغياب المعارضة يغيب النقد البناء والمراقبة الموضوعية، وتحل محلهما المماحكة السياسية.
ولما غابت المعارضة البرلمانية، اضطر الشعب، الذي كان يأمل ان يتحدث النواب باسمه، الى النزول الى الشارع.
وفي مجتمع كالمجتمع العراقي، يكون من الصعب ضبط الجماهير الغاضبة ضمن القانون والاساليب الحضارية في التظاهر والاحتجاج. وهذه تطورات سلبية دفع ثمنها الكثير من المواطنين.
ولتجنب هذا، فاني اتمنى تشكيل حكومة اغلبية سياسية. واشدد على كلمة "سياسية" لانها لا تعني اغلبية مذهبية او عرقية او حزبية. انما تعني تشكيلها من افراد يمثلون التعددية العرقية والمذهبية والدينية والحزبية الخ، لكنهم يتفقون على برنامج حكومي عملي واحد. ولكن لا يشترط في تشكيلها ان تضم كل من فاز في الانتخابات. انما

يشترط ان تستند حكومة الاغلبية السياسية الى كتلة او قاعدة برلمانية مؤلفة من ١٦٥ نائبا في الاقل يمثلون الاغلبية البرلمانية.
في مقابل حكومة الاغلبية السياسية، يستطيع النواب الاخرون، الذين يمثلون بدورهم نفس التنوع المذهبي والديني والعرقي (وليس الحزبي بطبيعة الحال)، ان يشكلوا المعارضة البرلمانية التي تمارس بقوة دور الرقيب والحسيب على الحكومة، اضافة الى دورها التشريعي المعتاد. ويمكن ان يشكلوا "حكومة الظل" التي تعترف بها الحكومة معنويا، وذلك على الطريقة البريطانية.

الامنية الثالثة:

التخلص التدريجي من المحاصصة

نظام المحاصصة من ابرز عيوب التأسيس التي ابتلي بها النظام السياسي الجديد. وهي تعني تقاسم مناصب الدولة بين الفرقاء على شكل حصص محددة ومقررة. وكانت المحاصصة بالاصل للمكونات الاساسية، اي الشيعة والسنة والكرد، وهذه هي المحاصصة العرقية والطائفية. ثم نزلت درجة اخرى لتقسم الحصص بين الاحزاب. وهذه هي المحاصصة الحزبية.
والمحاصصة العرقية والطائفية والحزبية انحراف خطير عن الديمقراطية. واصل هذا الانحراف يعود الى المفكر ليبهارت الذي اقترح الديمقراطية التوافقية للمجتمعات التعددية. وطبقت الديمقراطية في دول قليلة جدا ولم تنجح الا في سويسرا. وانتهت التجارب الاخرى على قلتها الى الفشل.
وبسبب التخلف السياسي في المجتمع العراقي، وهذا يشمل الطبقة السياسية ايضا، فقد انزلقت الديمقراطية التوافقية على يد احزاب السلطة الى المحاصصة بانواعها الثلاثة المذكورة انفا.
اذا جعلت الحكومة هدفها التمهيد للدولة الحضارية الحديثة، فانها يجب ان تعمل من اجل التخلص من المحاصصة، لان هذه الدولة تقوم على اساس المواطنة والكفاءة والنزاهة؛ والانتماء القومي او الطائفي او الحزبي ليس من شروط المواطنة والكفاءة والنزاهة. وقد يقال انه من الصعب التخلص من المحاصصة دفعة واحدة لاسباب لا اريد مناقشتها الان، لانها خارج الصدد، لكني استطيع اقتراح برنامج تدريجي للتخلص من المحاصصة. وسيكون ذلك على مرحلتين، الاولى تخص المحاصصة الحزبية؛ والثانية تخص المحاصصة المكوناتية. واقترح ان نتخلص في المرحلة الاولى من المحاصصة الحزبية بمعنى التخلي عن مفهوم ان يكون لكل حزب فائز عدد من الوزارات ووكلاء الوزارات والمدراء العامين وهكذا نزولا الى اخر ما يمكن الوصول اليه. وهذا ما سوف اعود اليه ثانية حين اتحدث عن الفصل بين المسار السياسي- الحزبي للدولة والمسار الاداري والتنفيذي لها. ستنظر الدولة في هذه المرحلة الى الحزبيين والمستقلين نظرة واحدة على اساس المواطنة والكفاءة. كل مواطن يملك نفس الحق في تولي المنصب الفلاني اذا كان يملك المواصفات والمؤهلات التي يملكها المواطن الثاني الذي يتطلع الى نفس المنصب. هذا بشرط ان تكون المؤهلات مما يتطلبها المنصب وينص عليها القانون المتعلق به. الانتماء الحزبي او السياسي تحديدا لا يعطي افضلية للشخص في تولي المنصب. ومن باب اولى فان الانتماء الديني أو الطائفي او العرقي لا يعطي المواطن اولوية او ميزة على غيره في تولي المنصب المعين.
نعم سوف نسمح في هذه المرحلة باعتماد المحاصصة التمثيلية للمكونات في تولي المناصب الوزارية تحديدا، لتحقيق الصفة التمثيلية للحكومة بشكل مرضي للمكونات الاثنية في البلد. بمعنى ان الحكومة لا تتشكل من وزراء من لون عرقي او طائفي واحد، انما يجب ان يكون فيها وزراء من مختلف الانتماءات. فهي حكومة يتحقق فيها التمثيل وليس بالضرورة المحاصصة.

ليكن هذا المقترح للسنوات الاربع المقبلة، على ان يتم الغاء المحاصصة تماما في السنوات الاربع التالية. وبهذا نكون قد حققنا خلال ثمان سنوات احد اهم ممهدات او متطلبات د ح ح وهو اعتماد مبدأ المواطنة ومبدأ الكفاءة في تولي الوظائف الحكومية.

الامنية الرابعة:

عدم استيزار النواب

يفترض ان العراق نظام برلماني. و"هو نظام حكم يُشكل فيه الوزراء الفرع التنفيذي من البرلمان، ويكون مسؤولًا أمام هذه الهيئة، بحيث أن السلطتين التنفيذية والتشريعية متشابكة. في مثل هذا النظام، يكون رئيس الحكومة بطبيعة الحال الرئيس التنفيذي وكبير البرلمانيين على حد سواء. تتميز النظم البرلمانية بفصل غير واضح بين السلطتين التنفيذية والتشريعية، مما يؤدي إلى مجموعة مختلفة من الضوابط والتوازنات بالمقارنة مع تلك التي وجدت في نظام رئاسي. وعادة ما يكون هناك تمييز واضح في النظم البرلمانية بين رئيس الحكومة ورئيس الدولة، فيكون رئيس الحكومة هو رئيس الوزراء، ويكون وضع رئيس الدولة في كثير من الأحيان صورياً، هو في الأغلب إما رئيس) منتخب شعبياً أو إما من قبل البرلمان (أو عاهل وراثي) غالباً ملكية دستورية(". (انتهى الاقتباس). وافضل نموذج للنظام البرلماني هو المطبق في بريطانيا.

لكن هذا الوضوح غير موجود في النظام "البرلماني" العراقي، بل ان استخدام "برلماني" لوصف النظام السياسي العراقي غير دقيق، ومستخدم على اساس قاعدة "التسامح في استخدام المصطلحات" المعمول بها في العراق. وهذا ما جعل النظام "البرلماني" العراقي هجينا. وهذا ما وقع فيه الدستور ايضا حين نصت الفقرة السادسة من المادة ٤٩ على ما يلي:"لا يجوز الجمع بين عضوية مجلس النواب، وأي عملٍ، أو منصبٍ رسمي آخر.". ولهذا جرت العادة ان يفقد النائب مقعده النيابي حين يصبح وزيرا. ويصعد الى البرلمان شخص من نفس القائمة الانتخابية للوزير بحسب قانون استبدال النواب الذي وضعه مجلس النواب للحفاظ على الاقطاعيات السياسية. وقد نصح الامام السيستاني بعدم تحول النواب الى وزراء. ولكن لم يسمع نصيحته احد، حتى النواب الشيعة!

نحن الان امام خيارين: اما تعديل الدستور والسماح بالجمع بين منصبي النائب والوزير، وهذا امر صعب الان، او عدم استيزار النواب اصلا. وهذا ما افضله في هذه المرحلة تحديدا، الى ان يتم تعديل الدستور.

ولهذا اتمنى على من يُكلّف بتشكيل الحكومة ان يبحث عن وزراء من خارج البرلمان، على ان يكون الوزراء من الخبراء المختصين في مجال عملهم. لا مشكلة، حاليا، ان يكون الوزراء حزبيين، سواء كانت الحكومة حكومة اغلبية سياسية، كما ذكرت في الامنية الثانية، او حكومة الكل كما جرت العادة عليه حتى الان. والمستقلون افضل لبعض الوزارات مثل وزارة التربية، ووزارة التعليم العالي. وسبب هذه الامنية هي ان الشخص رشح نفسه ليكون نائبا، والشعب رشحه على هذا الاساس، فليبقَ نائبا الى ان يحسم الشعب رأيه في مسألة النظام البرلماني، في استفتاء عام. وفي هذه المرحلة، سوف نقبل بنظام التمثيل المكوناتي، وليس المحاصصة الحزبية، في تشكيل الحكومة، بمعنى ان يشترك في الحكومة وزراء من مختلف المكونات، على سبيل التمثيل وليس المحاصصة.

الامنية الخامسة:

فصل المسارين التنفيذي والحزبي للدولة

ارتكبت الاحزاب العراقية خطيئة كبيرة بعد سقوط النظام البعثي الدكتاتوري. وهي افتراض ان فوزها بعدد من المقاعد البرلمانية يخولها حق الحصول على عدد مناظر من المناصب والمواقع الحكومية. بدأ الامر بالرئاسات الثلاث، ثم الوزارات والهيئات المستقلة، ثم وكلاء الوزارات، ثم بقية الدرجات الخاصة، وهكذا نزولا الى ادنى الدرجات الوظيفية في الدولة.

ونطلق على هذه الظاهرة التداخل بين الحزب والدولة، او المسار الحزبي، والمسار التنفيذي. وهذه مسالة سبق ان ناقشتها الاحزاب الشيوعية تحت عنوان علاقة الحزب بالدولة. وكان هناك دائما من يدعو الى الفصل بين الحزب والدولة. لان التداخل بينهما مفسدة للطرفين. وظيفة الحزب في النظام الديمقراطي البرلماني تثقيف المواطنين واقناعهم ببرنامجه الانتخابي، ثم الفوز باصواتهم التي توصل مرشحيه الى البرلمان، ومن البرلمان يتم تشكيل الحكومة من قبل الحزب الذي فاز باغلبية المقاعد البرلمانية زائد واحد بعضوية نواب يجمعون بين صفة النائب والوزير؛ فيما يجلس الحزب الاخر في صفوف المعارضة ليراقب اداء الحكومة ويحاسبها. لا تطالب الاحزاب الموجودة في البرلمان بمواقع حكومية لاعضائها، لان هذا ليس من "حقوق" الحزب الفائز، وليس من خصائص النظام البرلماني الديمقراطي. الوظائف الحكومية وظائف خدمة عامة تدفع اجورها من المال العام ولا يصح تقاسمها بين الاحزاب. اشدد مرة اخرى: من الممكن ان يتولى الحزب الحاكم او الائتلاف الحزبي الحاكم الحقائب الوزارية، او حتى وكالات الوزارات، لكنه لا يملك حقا ابتدائيا لانه حزبي في وظائف الدولة الاخرى. هذه الوظائف حق مشاع لكل مواطن تتوفر فيه شروطها ومتطلباتها. اما الاستحواذ على هذه المناصب بسبب انتماء الشخص الى حزب معين فهذا تمييز بين المواطنين على اساس حزبي، ومصادرة حق المستقلين من تولي الوظائف الحكومية بصورة عادلة ونزيهة وشفافة. يقف جميع المواطنين الراغبين على قدم المساواة امام الوظائف الحكومية لا يتميز بعضهم على بعض الا بمقدار ما تتوفر فيهم شروط تولي هذه الوظائف. ويمكن ادارة التنافس الحر والنزيه بين المواطنين على هذه الوظائف بشفافية وعادلة من خلال مجلس الخدمة العامة، او اية وسيلة اخرى تضمن المساواة وعدم التحيز في اسناد الوظائف العامة للمواطنين. وضمن هذا المبدأ يعامل المواطن الحزبي على قدم المساواة مع المواطن غير الحزبي.

اما الاحزاب فيمكنها ان تواصل عملها في الفرع التشريعي للدولة، اي البرلمان والمجالس الشبيهة، وبين صفوف الناس، وذلك للحفاظ على استقلالية الجهاز الاداري والتنفيذي للدولة. وهذا ما اطلقت عليه عنوان: فصل المسار الاداري والتنفيذي للدولة عن المسار الحزبي.

وفيما اقدم هذا الاقتراح الى رئيس الوزراء المقبل وحكومته العتيدة، فاني اعلم ان الامر ينطوي على صعوبة بالغة، ولكن لابد من تحمل هذه الصعوبة، لان الحكومة الجديدة انما تشكلت بعد انتخابات مبكرة اجريت بهدف اصلاح الدولة، وانيطت مهمة الاصلاح، في جانبها التنفيذي، بالحكومة الجديدة، وعليها ان تتحمل اعباء هذه المهمة الجليلة.

الامنية السادسة
النظام التربوي الحضاري الحديث

ربما كانت هذه هي اهم امنياتي ونصائحي للحكومة الجديدة. وهي امنية-نصيحة سبق ان قدمتها الى الحكومات السابقة من نوري المالكي ثم العبادي ثم عادل عبد المهدي وصولا الى مصطفى الكاظمي.

الدولة مسؤولة عن تنشئة اذفال وشباب المجتمع. وتتم هذه التنشئة في المدارس. وقد ادرك هذه المسألة قدماء المفكرين والفلاسفة ومحدثيهم، من افلاطون وارسطو، مرورا بغوستاف لوبون وجان جاك روسو، وغيرهم. ولهذا تبوأت المدرسة مكانا مرموقا في اهتمامات الدول من حمورابي الى الثورة الفرنسية وما بعدها. المدرسة هي اخطر مؤسسة في المجتمع، ووزارة التربية هي اهم وزارة في الدولة. ولهذا اتمنى من الحكومة الجديدة ان تولي هذا الموضوع اهمية قصوى وذلك بتبني المشروع الحضاري الحديث في مناهج وبرامج ومقررات المدارس، وتضع ستراتيجية تربوية متكاملة تمتد على مدى ١٢ سنة تستغرقها الدورة الدراسية عندنا في العراق، اي منذ المرحلة الابتدائية الاولى انتهاء بالمرحلة الثانوية السادسة.

وهدف المشروع التربوي الحضاري الحديث تنشئة اجيال من الطلبة تتوفر فيهم صفات وخصائص المواطن المتحضر الفعال. ويتمحور هذا المشروع حول منظومة القيم الحضارية العليا الحافة بالمركب الحضاري

وعناصره الخمسة اي الانسان والارض والزمن والعلم والعمل، فضلا عن فكرة الدولة الحضارية بركائزها الاساسية اي المواطنة والديمقراطية والقانون والمؤسسات والعلم الحديث، واهدافها في الحرية والعدالة والمساواة والامن وتنمية الانتاج وحقوق الانسان وكرامته، واخيرا الحداثة، بما تعنيه من الانفتاح الحضاري والتفاعل الحضاري والعيش في العصر وامتلاك ادواته.

ولتحقيق ذلك، بل لضمان تحققه، اتمنى من الحكومة الجديدة ان تشكل المجلس الدائم للتربية والتعليم الذي يتولى وضع المناهج الدراسية الصفية واللاصفية والمقررات التي تجسد المشروع التربوي الحضاري الحديث. اي ان المجلس يقوم بتهيئة المحتوى المعرفي للمشروع، اي مقابل ال software، فيما توفر وزارة التربية الجانب المادي للمشروع اي ال hardware، مع التمني في اخراج وزارة التربية من دائرة المحاصصة العرقية او المذهبية او الحزبية، وتكليف شخص مؤمن بالمشروع التربوي الحضاري الحديث وقادر على متابعته. اما المجلس الدائم للتربية فيتشكل من اعضاء متطوعين للعمل، على ان يتم تكوين الجهاز الاداري والتنفيذي للمجلس من موظفي وزارة التربية، على طريقة التنسيب. وبهذه الطريقة لن يكلف المجلسُ الدائمُ الدولةَ اية تكاليف مالية اضافية. وغني عن الذكر ان اللجنة المختصة في البرلمان عليها ان تنسق وتتعاون مع وزارة التربية والمجلس الدائم للتربية والتعليم من اجل توفير مستلزمات هذا المشروع على المستوى التشريعي والقانوني. وحسب علمي ان رئيسة لجنة التعليم النيابية غيداء كمبش السابقة، رحمها الله، دعت إلى" تشكيل مجلس اعلى للتربية والتعليم لوضع خطط انية ومتوسطة وبعيدة المدى يسن له قانون تضمن لقراراته الديمومة بعيدا عن التغيرات والتجاذبات السياسية ."وهذه دعوة جيدة متوافقة مع هذه الامنية.

الامنية السابعة:
المشاريع الذكية الصغيرة

تنطلق هذه الامنية من عدة ظواهر غير صحية يعاني منها البلد، وهي:

الظاهرة الاولى: الارتفاع الكبير في نسبة البطالة بين الشباب من الجنسين.

الظاهرة الثانية: انخفاض انتاجية المجتمع وتحوله الى مجتمع استهلاكي مستورد بالدرجة الاولى.

الظاهرة الثالثة: انعدام التنسيق بين الجامعات وحاجة المجتمع من حيث قوة العمل، الامر الذي يزيد من حجم البطالة سنويا.

الظاهرة الرابعة: تضخم الجهاز الاداري للدولة بشكل يفوق حاجة الدولة الفعلية.

ازاء هذه الظواهر مجتمعة، فان البلد بحاجة الى "مشروع ذكي" قادر على حل هذه الظواهر بخطوة واحدة جبارة.

ويمكن في هذا المجال الاستفادة من الخبرة اليابانية في استقطاب اليد العاملة وزيادة انتاجية المجتمع عن طريق "المشاريع الانتاجية الصغيرة"، سواء كانت مشاريع زراعية او صناعية، وما يرتبط بها من مشاريع خدمية او تجارية او غيرها.

وفكرة المشاريع الانتاجية الصغيرة بسيطة وسهلة التنفيذ. وخلاصتها تشجيع الشباب (من ١٠ فما فوق) على تأسيس شركات صغيرة تقوم بمختلف الاعمال والنشاطات في المجتمع، ومساعدتهم على توفير الرأسمال المطلوب، عن طريق القروض الميسرة من المصرف الزراعي او الصناعي او غيرهما، وتقديم الخبرات الضرورية لهم، وتوفير البيئة القانونية لعملهم. ويمكن ان تتأسس الاف الشركات من هذا النوع القادرة على استيعاب الملايين من الشباب في مختلف الاختصاصات في اعمال انتاجية مختلفة مما يزيد من القدرة الانتاجية للمجتمع. وقد اطلقت اسم "المشاريع الذكية" لانها قادرة على تحقيق عدة اهداف في ان واحد وفي وقت سريع.

ولما كانت هذه المشاريع الذكية ضمن نشاط القطاع الخاص، فيجب ان تقوم الدولة بما يلزم لتقوية القطاع الخاص وتعزيزه وخاصة فيما يتعلق بالضمانات التي يحتاج اليها العاملون فيه وخاصة فيما يتعلق بالحقوق التقاعدية.

وكانت وزارة التخطيط قد باشرت بخطوات اولى في هذا المجال، في عدد من المحافظات، واستبشر الشباب بذلك، لكن الحكومة الحالية اوقفت المشروع. وهذا من مشكلات الدولة العراقية، فما ان يأتي مسؤول جديد حتى يلغي ما قام به المسؤول السابق بحجة مكافحة الفساد وغيره، الامر الذي يؤدي الى خسارة المجتمع لخاصية المراكمة، وهي خاصية ضرورية لتحقيق التقدم.

لهذا كله اتمنى على الحكومة الجديدة ان تسرع في تبني فكرة "المشاريع الذكية/ الانتاجية الصغيرة"، وتوفير المال اللازم لتنفيذها بسرعة، وتسهيل الاجراءات الحكومية المتعلقة بها، ودعوة الشباب من الجنسين الى الانخراط في هذه المشاريع، وتوفير المحفزات التشجيعية التي يتطلبها هذا الامر. وافترض ان مجلس النواب، وبخاصة الوجوه الجديدة فيه، سوف يدعم تحرك الدولة بهذا الاتجاه، ويُسهم من جانبه بتشجيع الشباب للانخراط في المشاريع الذكية.

وارجو ان لا تكون حجة عدم توفر السيولة المالية ذريعة جوفاء لعدم الاخذ بهذه الفكرة المهمة.

الامنية الثامنة
تحسين الخدمات

الخدمات الجيدة هي من اهم معالم الدولة الحضارية الحديثة؛ بل ان هذه الدولة في تعريفها العام ليست دولة عقائد وايديولوجيات بقدر ما هي دولة خدمات. لا قيمة لقولنا ان هذه دولة اسلامية او علمانية او اشتراكية او رأسمالية الا بمقدار ما تقدمه من خدمات لمواطنيها. فالخدمات، كما يقول فؤاد بن غضبان، تستهدف "تحسين نوعية الحياة للفرد والمجتمع". ويلاحظ مازن عبد الرحمن الهيتي في كتابه "جغرافيا الخدمات أسس ومفاهيم" ان الخدمات تحظى بأهمية كبيرة ومتميزة من قبل سكان المدن ويعود السبب في ذلك لتزايد حاجة الإنسان لتلك الخدمات وخاصة بعد التطور في مستوى التحضر الذي تعيشه المجموعات البشرية وتطور التقنيات والأساليب المستخدمة في تقديم وتوفير تلك الخدمات فضلا عن اختلاف وتباين مستويات أصنافها في المكان، ونتيجة لتسارع نمو المدن وتطورها وارتفاع مستويات التحضر الذي جعل أمر توفر الخدمات بأشكالها وأنواعها المتنوعة أمرا ضروريا وأساسيا بل أصبح توافرها من مقاييس ومعايير وسمات التحضر الذي تمر به الدول، والمهم في ذلك يجب أن تكون الخدمات بكفاءة وكفاية ونوعية وكمية كمعايير تطور حضاري وتكنولوجي على اعتبار أن المظهرين يرتبطان بأهمية وجودها.

والخدمات هي أنشطة تمارسها الدولة)قطاع حكومي (أو مؤسسات غير الدولة)قطاع خاص (لتوفير منافع معينة لإشباع حاجات ورغبات الناس وتوفير مستلزمات الحياة الأساسية في الكهرباء والصحة والتربية والسكن والطرق ومياه الشرب والصرف الصحي والحدائق العامة والترفيه عن النفس وبقية مفردات البنية التحتية للدولة. ونتذكر ان حكومة نوري المالكي حاولت تحقيق ذلك عن طريق مشروع "قانون البنى التحتية" لكن المماحكات السياسية اجهضت المشروع في مجلس النواب للاسف.

لقد صنفت مؤسسة "ميرسر "العالمية للاستشارات، العاصمة العراقية، بغداد، بالمركز الأخير كأسوأ مدينة للعيش في العالم. وليست بقية المدن العراقية، باستثناء مدن كردستان، بافضل حال من بغداد، ان لم تكن اسوأ.

لذا يتعين على الحكومة الجديدة ان تولي مسألة الخدمات اهمية قصوى لان المواطن الذي مازال يعاني من تردي الخدمات في العراق، وسوء نوعية الحياة في مدنه، لا يتطلع الى شيء اكثر من تطلعه الى تحسين نوعية حياته في مختلف المجالات.

وهذا يتطلب اولا ان تدرك الحكومة ان الخدمات اضحت علما يدرس في الجامعات تحت عنوان جغرافيا الخدمات، geography of services. وهذا يتطلب ان يكون وزراء الوزارات الخدمية وكبار موظفيها من الخبراء المختصين في مجالات هذا العلم المختلفة وليسوا مجرد ممثلين لاحزابهم.
ويتطلب ثانيا وضع ستراتيجية طويلة الامد لتحسين نوعية الخدمات التي تقدمها الدولة، موازية ربما لستراتيجية النظام التربوي الحضاري الحديث، من اجل تحديث كل الخدمات التي تقدمها الدولة للمواطنين.
ويتطلب ثالثا توفير او تخصيص المال الكافي لتنفيذ هذه الستراتيجية طويلة الامد.

الامنية التاسعة:
مكافحة الفساد

الفساد ظاهرة اجتماعية تشمل المال العام والوظيفة العامة، و هو استغلال الوظيفة العامة لتحقيق منافع شخصية مثل الاثراء غير المشروع وغيره، و اساءة التصرف بالمال العام وسرقته.
لا جديد في حديثنا عن الفساد في العراق. فهذا امر مشهود معروف ملموس من قبل المواطنين قبل غيرهم. وتؤكد منظمة الشفافية العالمية هذا بقولها ان العراق يحتل المرتبة ١٦٠ من بين الـ 180دولة في العالم.
وجاء في موقع ويكيبيديا ما نصه:"يعتبر العراق من أعلى الدول في معدلات الفساد الإداري والمالي،] وهو موجود بشكل ملحوظ في عدة مرافق إدارية في العراق، من القضاء،] والوزارات الأمنية والخدمية، ويعتبر السياسيون الكبار في العراق الأوائل من ألذين تحاصرهم تهم الفساد، وبسبب ذلك يعتبر العراق مع عدة دول مثل أفغانستان و الصومال و اليمن و السودان و ليبيا من أكثر الدول في معدلات الفساد حسب إحصاء باروميتر للفساد.]بسبب الفساد الهائل في العراق، فإن هناك نقصا هائل في الخدمات وتدهور للبنى التحتية وتدهور للتنمية الصناعية والزراعية".
و يكشف الفساد عن وجود خلل حاد جدا في منظومة القيم العليا الحافة بالمركب الحضاري للمجتمع والدولة. فالفساد في حقيقته يمثل ازمة قيمية عميقة في المجتمع. ويتركز هذا الخلل القيمي في منظومة القيم الفرعية المتعلقة بالانسان. فالانسان هو اساس الفساد او الصلاح في المجتمع. ويحمّل القران الكريم الناسَ مسؤولية الفساد: "ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ".
والناس كلمة واسعة تشمل كل اعضاء المجتمع، من حكام ومحكومين، ومواطنين في مختلف مراتب الدولة والمجتمع. ولهذا قال الرسول: "كُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والأمِيرُ راعٍ، والرَّجُلُ راعٍ علَى أهْلِ بَيْتِهِ، والمَرْأَةُ راعِيَةٌ علَى بَيْتِ زَوْجِها ووَلَدِهِ، فَكُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ."
وهذه النظرة الشمولية للفساد تشكل منطلق التفكير الصحيح لمعالجة ومكافحة الفساد. والعلاج يجب ان يكون شاملا ايضا يغطي كل المجالات ذات العلاقة بالفساد، بصورة مباشرة او غير مباشرة.
واتمنى على الحكومة الجديدة وبدعم من البرلمان والمجتمع ان تتخذ خطوات جادة، قريبة المدى وبعيدة المدى، وليست دعائية، من اجل مكافحة الفساد والحد منه ثم القضاء عليه.
ومن هذه الخطوات النظام التربوي الحديث الذي يتكفل بتنشئة الاطفال على الصلاح والاخلاص والحرص على المال ورفض الفساد بكافة اشكاله.
ومنها التخلص من نظام المحاصصة السياسية والطائفية والحزبية الذي ثبت انه البيئة التي تنمو فيها جراثيم الفساد وتتكاثر.
ومنها ما يذكره أستاذ العلوم السياسية عصام الفيلي وهو" وجود قاعدة تشريعات رصينة والاستعانة بمؤسسات مالية عالمية تستطيع متابعة حركة المال في البلاد، تمثل الأسس الرئيسة لمعالجة الفساد، إلا أنها لا تزال غائبة عن المشهد العراقي".

ومنها تبسيط الاجراءات الحكومية وتسهيلها واختزالها والحد من احتكاك المواطن بالموظفين الامر الذي يساعد على سد احد اوسع ابواب الرشوة والفساد الاداري.
ومنها اعادة مكاتب المفتش العام في الوزارات ومؤسسات الدولة والغاء قرار مجلس النواب السابق بحذفها.
واخيرا محاربة الفساد عن طريق اجهزة بعيدة عن المؤثرات الحكومية او الحزبية او السياسية.

الامنية العاشرة
حماية شبكة الاعلام

حين جعلت شبكة الاعلام موضوع الامنية العاشرة لم يكن يدور بخلدي ان الشبكة سوف تشهد تطورات دراماتيكية قبيل كتابة هذه المادة. ولكن هذا ما حصل. فقد قرر مجلس الامناء انهاء تكليف نبيل جاسم لرئاسة الشبكة، الذي هرول بدوره الى محكمة القضاء الاداري ليأخذ منها في نفس اليوم امرا ولائيا بايقاف تنفيذ قرار مجلس الامناء، فيما رد رئيس الوزراء على مجلس الامناء بتكليف الدائرة القانونية في الأمانة العامة لمجلس الوزراء بإعداد مشروع قانون لتعديل قانون شبكة الإعلام العراقي النافذ، وبما يتضمن إلغاء مجلس الأمناء في الشبكة، وإعادة تنظيم بنيتها الإدارية. وهكذا تحول ما بدأ كاشكال بين مجلس الامناء ورئيس الشبكة الى نزاع وتحدي بين مجلس الامناء ورئيس الوزراء. وقد كشفت خطوة رئيس الوزراء عن نزعة عدوانية وهجومية وتدخل سافر في شؤون شبكة الاعلام العراقي بهدف السيطرة عليها، وتسخيرها لمآرب واهداف رئيس الوزراء.
اثرت هذه التطورات على مخطط كتابة هذا المقال. فاذا تولى الكاظمي رئاسة الحكومة الجديدة فليس عندي امنية اقدمها له، لاني يائس منه بعد ان تم انكشاف نواياه ليس فقط ازاء الشبكة، وانما ازاء العراق كله. فالرجل، رغم امكانياته الثقافية والعلمية والسياسية والقيادية المتواضعة جدا، يبدو انه عازم على السير في الطريق الذي سار فيه صدام حسين وانتهى الى اقامة دكتاتورية فردية مطلقة وعبادة للشخصية تنافس الله. هذا مع يقيني انه لن يستطيع تحقيق ذلك.
انما انا اتوجه بالامنية-النصيحة الى حكومة لا يرأسها الكاظمي او من هو على شاكلته بخصوص شبكة الاعلام، وعلى النحو التالي:
اولا، ان تدرك الحكومة الجديدة الفرق بين اعلام دولة واعلام الحكومة، وان تعرف ان شبكة الاعلام تندرج ضمن عنوان اعلام الدولة، او ما يعرف باسم البث العام، وليست ضمن اعلام الحكومة، ولا الناطقة باسم الحكومة، ولا خاضعة لسلطة الحكومة، وان علاقة رئيس الوزراء بالشبكة لا تمر من خلال المادة ٧٨ من الدستور، التي تقول:"رئيس مجلس الوزراء هو المسؤول التنفيذي المباشر عن السياسة العامة للدولة، والقائد العام للقوات المسلحة، يقوم بادارة مجلس الوزراء، ويترأس اجتماعاته، وله الحق باقالة الوزراء، بموافقة مجلس النواب"، وانما من خلال القانون رقم ٢٦ لسنة ٢٠١٥ الذي ينص على استقلالية الشبكة.
ثانيا، ان تحرص الحكومة على ابعاد الشبكة عن المحاصصة الحزبية او العرقية او المذهبية، خاصة على مستوى اختيار رئيسها او تعيين اعضاء مجلس الامناء او تغطياتها الخبرية.
ثالثا، ان تدرك الحكومة ان الشبكة تتمتع بالاستقلالية بمعنى "القدرة المالية والتحريرية والادارية على ممارسة العمل، بما ينسجم ويتناسب مع خصوصية العمل الاعلامي، وبدون الخضوع للمؤثرات الخارجية أو النوازع الذاتية أو الانحيازات الشخصية، وبشكل محايد.". وبناء على هذا يجب على الحكومة ان تتوقف عن التدخل بشؤون الشبكة.
رابعا، ولما كانت الشبكة احدى مؤسسات الدولة، ولما كانت الحكومة مسؤولة عن الدولة، فان عليها ان تقدم الدعم المالي والتقني والقانوني اللازم للشبكة، بدون ان تتخذ من هذا المال وسيلة للضغط على الشبكة.

خامسا، ولما كانت الشبكة احدى مؤسسات الدولة، ولما كانت الحكومة احدى مؤسسات الدولة الاكثر اهمية ودورا في الدولة والمجتمع، فان على الشبكة ان تغطي اخبار الحكومة بشكل منصف وعادل، وتوصل صوتها الى الجمهور بشكل امين، استنادا الى نص قانون الشبكة الذي يقول: "اعلام الجمهور بالتطورات السياسية والاجتماعية والثقافية والصحية والرياضية والدينية وغيرها بمهنية ومصداقية وحياد وموضوعية." الشبكة ليست معارضة للحكومة ولا مناوئة لها.

سادسا، ان تدرك الحكومة ان "مجلس الامناء" هو المؤسسة الاهم داخل الشبكة والمسؤول عن حماية الشبكة من كل اشكال التدخلات وفي مقدمتها تدخلات الحكومة، بموجب قانون الشبكة الذي ينص على ان "مجلس الامناء: هو المجلس المسؤول عن رسم السياسات العامة في الشبكة ومراقبة عملها والحفاظ على استقلاليتها بما يضمن تحقيق الاهداف المحددة بهذا القانون ويعبر عن مصالح الشعب ويعمل حاجزا يفصل ما بين الشبكة ومصادر الضغط الخارجية." وان حله يمثل خطوة كبيرة الى الوراء.

الخاتمة
مسؤولية الحكومة الجديدة

قلت في المقدمة ان الانتخابات، في الفكر السياسي الديمقراطي، هي الية لتداول السلطة سلميا في المجتمع. ومن هنا جاء تعريف الديمقراطية بانها "منظومة اليات محايدة لتداول السلطة سلميا ودوريا عن طريق الانتخابات".

وهي مباراة تنافسية سياسية ودية وليست معركة بين اعداء وخصوم وليس الفوز فيها انتصار بالمعنى العسكري.

وموضوع هذه المباراة هو خدمة الانسان، او المواطن. "وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ".

ذلك ان تعريف السياسة عندنا هي: رعاية شؤون الناس.

ومن اجل تحسين الاداء الديمقراطي الخدمة للحكومة، اقدم في هذه السلسلة من المقالات مجموعة امنيات لي كمواطن، وربما تكون نصائح، ارجو ممن سوف يتولى تشكيل الحكومة نيابة عن الشعب الاخذ بها وتنفيذها.

وفي ذروة التظاهرات الاحتجاجية التي شهدها عام ٢٠١٩ قالت المرجعية الدينية العليا في خطبة يوم الجمعة في ٢٠ كانون الاول ٢٠١٩ما نصه:

"واذا تمّ إقرار قانون الانتخابات على الوجه المقبول يأتي الدور للنخب الفكرية والكفاءات الوطنية الراغبة في العمل السياسي لتنظم صفوفها وتعد برامجها للنهوض بالبلد وحلّ مشاكله المتفاقمة في إطار خطط عملية مدروسة، لكي تكون على إستعداد لعرضها على الناخبين في أوان الانتخابات، ويتم التثقيف على التنافس فيها لا على أساس الانتماءات المناطقية او العشائرية أو المذهبية للمرشحين بل بالنظر الى ما يتصفون به من كفاءة ومؤهلات وما لديهم من برامج قابلة للتطبيق للعبور بالبلد الى مستقبل أفضل، على أمل أن يقوم مجلس النواب القادم والحكومة المنبثقة منه بالدور المطلوب منهما في إجراء الإصلاحات الضرورية للخلاص من تبعات الفساد والمحاصصة وغياب العدالة الاجتماعية في المدة السابقة."

بعد حوالي سنتين من هذا الخطاب، يمكن ان نقدم جرد حساب بما حصل وبما لم يحصل. تم تشريع قانون مشوه وهجين للانتخاب الفردي، وتم اجراء انتخابات تشوبها الشبهات. لكن لم توحد النخب الفكرية والكفاءات الوطنية لا جهودها ولا رؤيتها، ولهذا لم تستطع خوض الانتخابات كقوة موحدة كبيرة، ولم تستطع ان تحدث نقلة كبيرة في الانتخابات. لكن هذا ليس مدعاة لليأس، وانما دعوة الى مواصلة العمل في السنوات المقبلة بحسب النصيحة التي قدمتها المرجعية حتى يحصل التغيير المطلوب والمأمول ان شاء الله.

ويلاحظ ان المرجعية الدينية احالت تنفيذ البرنامج الاصلاحي الى مجلس النواب ومجلس الوزراء الجديدين، وكان هذا تعديلا مهما على شعارات ومطاليب المتظاهرين انذاك الذين كانوا يطالبون الحكومة انذاك باجراء الاصلاحات المطلوبة، وكان هذا خطأ في ترتيب الاولويات.

وقد اختصرتُ في هذه المقالات الاصلاحات المطلوب اجراؤها والقيام بها من قبل البرلمان والحكومة الجديدين وهي:

اولا، العمل وفق رؤية الدولة الحضارية الحديثة
ثانيا، تشكيل حكومة الاغلبية السياسية
ثالثا، عدم استيزار النواب
رابعا، التخلص التدريجي من المحاصصة
خامسا، فصل المسارين التنفيذي والحزبي للدولة
سادسا، النظام التربوي الحديث
سابعا، دعم المشاريع الذكية الصغيرة
ثامنا، تحسين الخدمات
تاسعا، مكافحة الفساد
عاشرا، حماية استقلالية شبكة الاعلام

ليس هذا كل ما اتمناه كمواطن عراقي، لكني ذكرت هذه النقاط حصريا لثقتي بامكانية تنفيذها دون الحاجة الى تعديل الدستور، او تخصيص اموال طائلة، او اللجوء الى اجراءات استثنائية. انها نقاط ممكنة التنفيذ في ظل الوضع الراهن ولا تتطلب تغييرا جذريا فيه.

لكن لا يفوتني في الختام ان اعبر عن امنية او نصيحة الى مجلس النواب وهي ان يُسرع الخطى بتشريع قانون جديد للاحزاب يضع من بين اهدافه تقليل عدد الاحزاب الى ادنى درجة على ان يكون احدها حزبا كبيرا بالقياسات التي اقترحتها في مناسبة اخرى.

كما ادعو مجلس النواب الى تنقية قانون الانتخاب وتصفيته من الشوائب التي الحقها به مجلس النواب السابق لتكون الانتخابات القادمة انتخابات فردية شكلا ومضمونا.

———

ملحق (١)
خطأ الاحزاب العراقية في عام ١٩٦٨

مقدمة

تسعى هذه المقالة الى فتح باب النقاش والحوار، بالاذن من سماحة السيد حسين الصدر المشرف العام على "المنبر"، حول فرضية تاريخية تقول ان احزاب التيارات السياسية الاساسية العراقية اخطأت في تقدير حجم الخطر الذي شكله استيلاء زمرة البكر-صدام البعثية على السلطة في العراق في ١٧-٣٠ تموز من عام ١٩٦٨ على المجتمع العراقي الامر الذي ساعد على بقاء هذه الزمرة في السلطة طيلة هذه الفترة من تاريخ الدولة العراقية. وهي فترة تكاد تساوي نصف عمر الدولة التي انشئت عام ١٩٢٤. فمن مجموع ٧٦ سنة هي عمر هذه الدولة حتى سنة كتابة هذا المقال (سنة ٢٠٠٠)، احتلت زمرة البكر- صدام ٣٢ سنة حتى الان، ولا نعلم متى يكتب الله للجمهورية (الثانية) في العراق السقوط وكيف؟

وتستبطن هذه الفرضية ثلاث فرضيات فرعية هي:

الفرضية الاولى: ان استيلاء زمرة البكر-صدام على السلطة في عام ١٩٦٨ شكل خطرا على المجتمع العراقي.

الفرضية الثانية: ان احزابا مهمة في المجتمع العراقي اخطأت في تشخيص هذا الخطر من جهة، وفي تقدير حجمه من جهة ثانية.

الفرضية الثالثة: ان هذا الخطأ في التشخيص والتقدير كان من العوامل التي ابقت زمرة البكر-صدام في السلطة واطالة عمرها حتى الان.

ومن الطبيعي ان تؤكد هذه المقالة انها لا تسعى الى تجريح احد او الانتقاص من احد ولا حتى انتقاد احد بقدر ما تحاول تقييم المبادرة والسلوك السياسيين لبعض الفاعليات السياسية في المجتمع العراقي بلحاظ حدث استيلاء الزمرة المشؤومة على السلطة. وهي لا تحاول نبش التاريخ، بقدر ما تحاول العمل على القاء بعض الأضواء على بعض منعطفاته. وهذه عملية ليست مشروعة فقط وانما مطلوبة ايضا، لان السنوات تمضي والاجيال تتجدد وقد يؤدي عدم تسجيل وقائع التاريخ وتحليلها وتقييمها ونسيانها. والامة التي تنسى تاريخها امة بلا هوية. كما ان هذا المقالة لا تسعى الى تفسير ظواهر التاريخ بعامل واحد؛ فهذا منهج مرفوض في البحث التاريخي منذ نبهنا الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر على عدم صوابيته.

الفرضية الاولى

تقول الفرضية الاولى ان استيلاء زمرة البكر- صدام على السلطة مثل خطرا على المجتمع العراقي.

وقد لا نحتاج الان الى اثبات صحة هذه الفرضية بعد جربنا وعايشنا وجود هذه الزمرة في السلطة لمدة ٣٢ عاما وعرفنا ما جره ذلك على المجتمع العراقي. فقد تمكنت هذه الزمرة من تدمير هذا المجتمع بل الدولة العراقية نفسها بشنها حربا متواصلة على المجتمع منذ استيلائها على السلطة وحتى اللحظة الراهنة، وهي حرب اشد واخطر من الحربين اللتين شنتهما على دولتين جارتين هما ايران (١٩٨١-١٩٨٨) والكويت (١٩٩٠-١٩٩١)، وهما حربان اتتا على البقية الباقية من نسيج المجتمع العراقي وبنية الدولة العراقية.

ولكن من حق القاريء ان يعترض علينا ويقول ان هذا الخطر لم يكن واضحا في عام ١٩٦٨. ونحن نقدر للطاقة البشرية محدوديتها في استشراف المستقبل من جهة، وفي سبر اغوار الواقع من جهة ثانية. فمن الطبيعي او على الاقل من المتوقع ان تعجز هذه القدرة البشرية المحدودة بالطبيعة عن التنبؤ باحتمالات المستقبل بناء على حدث راهن، او ان تعجز عن قراءة كل الخارطة التكوينية لكتلة سياسية ما ومن ثم التنبوء بطبيعة سلوكها السياسي اللاحق.

ولكننا نرد على ذلك بالقول ان زمرة البكر- صدام التي تمثل جناحا متخلفا في حزب البعث العربي الاشتراكي سبق ان استولت على السلطة في عام ١٩٦٣ وبقيت فيها تسعة اشهر. ولم يكن مجهولا في عام ١٩٦٨ ما قامت

به هذه السلطة البعثية من جرائم في حق المجتمع العراقي. كما لم يكن مجهولا في ذلك العام ان هذه الزمرة شكلت فعلا خطرا وخطرا كبيرا على المجتمع العراقي خلال الاشهر التسعة الدامية التي حكمت فيها. وبالتالي فان هذه الزمرة لم تكن من القوى السياسية المجهولة بالنسبة للمجتمع العراقي، ولا كانت جزءً من ماضٍ بعيد يمكن ان تكون ذاكرة المجتمع العراقي قد نسيته، فلم تكن تفصل بين التاريخين (شباط- تشرين عام ١٩٦٣ وتموز عام ١٩٦٨) سوى اربع سنوات وعدة اشهر.

الفرضية الثانية

وتقول الفرضية الثانية ان احزاب التيارات السياسية الاساسية في المجتمع العراقي اخطأت في قراءة هذا الخطر القادم الذي جسده استيلاء زمرة البكر- صدام على السلطة وفي تقدير حجمه.

اما ما نعنيه بمصطلح التيارات الاساسية فهو التيارات السياسية الاربعة الكبرى في المجتمع العراقي وهي: التيار الاسلامي والتيار الشيوعي والتيار العروبي القومي والتيار الكردي. وكان حزب الدعوة الاسلامية يمثل الرقم الاساسي في التيار الاسلامي (مع انه كان في تلك المرحلة ما يزال في المرحلة السرية)، يقابله الحزب الشيوعي. انا التيار العروبي فقد كان يشمل عدة تنظيمات سياسية متفاوتة الحجم. في حين كان الحزب الديمقراطي الكردستاني هو الحزب الاساسي في التيار الكردي.

ولسنا بحاجة الى القول ان هذه الاحزاب بل التيارات تتباين كثيرا في متبنياتها السياسية ومنطلقاتها الفكرية، مع التسجيل هنا ان حزب الدعوة والحزب الشيوعي كانا الحزبين العقائديين مقابل الهوية القومية الصارخة لاحزاب التيارين العروبي والكردي.

وتفترض هذه المقالة ان هذه الاحزاب اخطأت في قراءة الخطر البعثي وفي تقدير حجمه.

والمقصود بالخطأ عدم مطابقة الواقع في المعرفة والحكم والموقف العملي.

وقد يؤدي هذا الخطأ وبالاحرى ادى الى:

اولا، نكران وجود الخطر اصلا.

او، ثانيا، التقليل من حجمه.

او، ثالثا، القبول بمبدأ التعامل مع حزب البعث.

او، اخيرا، عدم اجراء اي تعديل في الخطط والبرامج والاستراتيجيات والتكتيكات لمواجهة التحول الجديد الذي شكله استيلاء زمرة البكر- صدام على السلطة وما مثله ذلك من خطر.

وهذه كلها كانت تجليات للخطأ الذي تفترض هذه المقالة ان احزاب المجتمع العراقي قد وقعت فيه، وهو الخطأ في تقييم حادثة استيلاء زمرة البكر-صدام على السلطة في العراق.

وكلمة "خطأ" تعبير عن حكم تقييمي نصدره الان، ويمكن ان ترفض تلك الاحزاب هذا الحكم، وهو موقف قد يتخذه الباحثون المحايدون ايضا بدعوى ان الموقف السياسي يمثل رؤية هي بنت مرحلتها وظروفها الخاصة وليس من الممكن او الصحيح الحكم عليها من زاوية الصحة والخطأ من خلال مقاييس مرحلة لاحقة.

وقد تكون هذه المحاججة صحيحة، ولكننا نفترض ان طبيعة الزمرة المقصودة لم تكن مجهولة على تلك الاحزاب وبالتالي فليس في المرحلة جديد يمكن ان يخلق تصورات جديدة بنت تلك المرحلة يمكن ان تؤدي الى تغييب طبيعة الزمرة الحاكمة الجديدة عن اذهان الفاعليات السياسية في المجتمع العراقي.

ويمكن تشخيص القدر المعروف من طبيعة وخصائص هذه الزمرة انذاك بالعبارات التالية: انها زمرة دموية يمينية علمانية (هنا بمعنى معاداتها للاسلام) شوفينية عنصرية. ونضيف انها مرابطة بقوى خارجية كانت مصنفة في تلك الفترة بانها استعمارية معادية للشعوب المحرومة والمستضعفة.

لقد اخبرني اكثر من سياسي مخضرم انهم كانوا على علم ويقين بان الاستخبارات المركزية الاميركية هي التي رتبت انقلاب ١٧-٣٠ تموز ١٩٦٨ في العراق بهدف مواجهة النهوض الشعبي التي كانت تختمر في العراق في اواخر حكم عبد الرحمن عارف.

وقد يجادل البعض الان في طبيعة حالة النهوض الشعبي انذاك وهل كانت اسلامية ام لا، ولكن الثابت ان حزب الدعوة الاسلامية ومجمل التيار الاسلامي كان قد نظم مواكب الجامعة في عملية استعراض واضحة للقوة، وان مئات الالاف من الطلبة والشباب المثقفين والكسبة وغيرهم شاركوا في تلك المواكب التي جسدت قوة التيار الاسلامي على الصعيد الشعبي انذاك.

كما قد يجادل البعض في تحديد طبيعة الخطر، فهو خطر على ماذا؟ هل هو خطر على الاسلام ام خطر على الشيوعية امر خطر على القومية العربية ام خطر على القضية الكردية؟ ام هو خطر على العراق والمجتمع العراقي والدولة العراقية؟

وطبيعي ان الاختلاف في طبيعة الخطر يؤدي الى الاختلاف في طريقة التعامل معه. فاذا اعتبرنا ان الخطر يستهدف الحركة الاسلامية فقط فلربما لم يكن هذا الخطر ليشغل بال من لا يأبه بالحركة الاسلامية. وهكذا اذا قلنا ان الخطر يستهدف الشيوعية فلربما لم يكن هذا ليثير حذر وحفيظة غير الشيوعيين. واذا قلنا انه خطر على الاكراد كان ذلك مدعاة لتجاهل العروبيين له.

لكن المقالة تفترض ان طبيعة الخطر لم تكن عقائدية فقط ولا قومية فقط ولا سياسية بنحو يخص جهة سياسية دون غيرها، وانما هو خطر شامل يشمل العراق كله والمجتمع العراقي كله والدولة العراقية برمتها. ومن الطبيعي ان يكون الاسلام والشيوعية والقومية العربية والقضية الكردية ضحية هذا الخطر البعثي فضلا عن خطورته على قضايا السلام وحقوق الانسان والسلام والتنمية والامن الاجتماعي. وهذه مفردات تعرضت كلها للخطر في عهد السلطة البعثية التي تحولت الى دكتاتورية فردية مطلقة.

الحزب الشيوعي

الحزب الشيوعي هو احد احزاب المجتمع العراقي المهمة التي اخطأت في تشخيص طبيعة نظام زمرة البكر-صدام. وادى به هذا الخطأ الى قبول التعامل مع هذه الزمرة والتحاور معها ثم القبول بالرضوخ لاساليب ضغطها التي سوف تتحول الى اساليب قمع وارهاب.

وكان الحزب اصدر بيانا في ٢٩ تموز من عام ١٩٦٨ اي بعد اسبوعين من الانقلاب البعثي تضمن فقرة ذكية حمالة اوجه جاء فيها:

"لقد وقع انقلاب تموز في ظروف تعاظم فيها سخط شعبي وتصاعد فيها نضال الجماهير والقوى الوطنية لاسقاط الدكتاتورية الحاكمة واقامة حكومة ائتلافية ديمقراطية تحل مشاكل البلاد الملحة وتلبي مطالب الشعب، ومن ناحية اخرى حدثت في ظروف كان يتزايد فيها النشاط والضغط الاستعماري والرجعي الصهيوني وركائزه الرجعية في الداخل لتصريف الازمة والحيلولة بين الشعب وقواه التقدمية لحل هذه الازمة لصالح الجماهير الشعبية لضمان مصالح الاستعمار واحتكاراته البترولية ومصالح القوى الرجعية".

وكما يظهر فقد صيغت هذه الفقرة بعناية فائقة لا يجيدها الا متمرس في العمل السياسي وكتابة البيانات السياسية.فلسنا ندري الان ماذا يريد البيان قوله بصدد الانقلاب البعثي. هل هو تتويج لنضال الجماهير والقوى الوطنية لاسقاط حكم عارف الذي يصفه البيان بالدكتاتورية، ام هو تتويج للضغط الاستعماري والرجعي والصهيوني لضرب النضال الشعبي؟

وعلى اية حال فقد اختار الحزب مسلك التعامل مع النظام البعثي الجديد بناء على تحليل نظري ماركسي يقول ان البرجوازية الصغيرة بحكم موقعها في عملية الانتاج الاجتماعي بين البرجوازية والبروليتارية معرضة الى التذبذب بين اليمين واليسار وبين التقدمية والرجعية والى الفرز المستمر في داخلها والذي يؤدي الى انحياز فئات منها الى معسكر البروليتاريا (الذي يتزعمه عادة الحزب الشيوعي حسب نفس المقولة الماركسية-اللينينية) بينما تنتقل فئات اخرى الى معسكر الرجعية وتندمج مع الرأسمالية وتخدم مصالحها الطبقية على الضد من مصالح الجمهرة الواسعة من البرجوازية الصغيرة.

وبناء على هذا التصور، راهن الحزب الشيوعي او "عوّل" بحسب العبارة الرسمية على امكانية التطور التقدمي لسلطة البعث على مختلف الاصعدة ولا سيما الصعيد الايديولوجي بل تصور امكانية كسر احتكار البعث للسلطة السياسية من خلال التحالف معه.

وتقضينا الامانة التاريخية ان نذكر ان الحزب الشيوعي العراقي يتميز وحده من بين سائر الاحزاب السياسية في المجتمع العراقي في كونه قدم تقييما صريحا وشاملا وموثقا لموقفه من حزب البعث وزمرة البكر-صدام ولعلاقته المرتبكة مع هذه الزمرة التي استمرت لغاية عام ١٩٧٩ حين فك الحزب تحالفه مع حزب البعث وانتقل الى صفوف المعارضة رافعا شعار "انهاء الدكتاتورية" الذي اعتبره تعبيرا عن الدعوة الى اسقاط حكم البعث. وجاء في هذا التقييم في وثيقة "تقييم تجربة حزبنا النضالية للسنوات ١٩٦٨-١٩٧٩" التي اقرها المؤتمر الرابع للحزب المنعقد في الفترة من ١٠ الى ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩٨٥.

فقد اكتشف الحزب بعد ١٠ سنوات من المعاناة "ان التصور بامكانية انتقال حزب البعث الى موقع الطبقة العاملة والماركسية اللينينية والسير الى الاشتراكية لم يكن مبررا"، كما قالت الوثيقة التقيمية التي اعترفت بان سبب هذا التصور (او الوهم بالتعبير المنطقي الادق) هو "النقص في استيعاب الطبيعة المزدوجة والمتذبذبة للبرجوازية الصغيرة" الامر الذي ادى الى "عدم الوضوح في تقدير افق العلاقة مع البعث العفلقي" في العراق الامر الذي "اوقع الحزب في اخطاء ذات طبيعة يمينية" حيث كان المؤتمر الثاني للحزب الذي عقد في ايلول عام ١٩٧٠ قد عد سلطة البعث "سلطة برجوازية صغيرة ذات طبيعة مزدوجة في معاداتها للاستعمار والاقطاع من جهة، وفي معاداتها للديمقراطية من الجهة الاخرى"، فاتحا الطريق امام تأييد ودعم "اي اجراء تقدمي او اي موقف ضد الاستعمار والاقطاع والرجعية تقفه السلطة".

وفي ايلول من عام ١٩٦٨ طرح الحزب الشيوعي مشروع ميثاق الجبهة الوطنية واكد على شعار الحكم الوطني الديمقراطي الائتلافي كطريق مضمون لتحقيق اهداف الحركة الوطنية، وقدم مذكرة الى احمد حسن البكر بهذا الشأن. وتبنى الحزب الشيوعي مبدأ التحالف مع حزب البعث رغم كل التشابكات التي تحيطه استنادا الى ماهيته الطبقية. ولم يرفع شعار شعار اسقاط سلطة البعث استنادا الى "ابداء البعث استعداده لتحقيق طائفة من مطالب الجماهير الميدانية وانتهاج سياسة معادية للامبريالية والصهيونية"، و"ايد كل اجراء تقدمي قامت به الحكومة". واعتبر الحزب مشروع الميثاق الذي اصدره حزب البعث في ١٥ تشرين الثاني من عام ١٩٧١ "اساسا صالحا للحوار مع البعث".

ولم يعارض الحزب الشيوعي قرار مجلس قيادة الثورة باعتبار التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن لحزب البعث قانونا للدولة والمجتمع كما لم يشن نضالا فكريا ضد الجوانب السلبية في التقرير.

كما اقتصر عمل الحزب من اجل الديمقراطية على المطالبة بذلك في تقارير اللجنة المركزية والمقالات الصحفية دون ان يطور هذه المطالبة الى اعمال نضالية من جانب الجمهور.

التيار الاسلامي
وحزب الدعوة الإسلامية

كان التيار الاسلامي في العراق يتألف من المرجعية الدينية التي كان يقف على رأسها الامام الراحل السيد محسن الحكيم والحوزة العلمية في النجف الاشرف وعلماء الدين من الشيعة والسنة والجماهير العريضة التي كانت تشارك في النشاطات العامة في المناسبات الدينية وبخاصة في شهر محرم الحرام اضافة الى التنظيمات السرية والعلنية والتي كان من ابرزها حزب الدعوة الاسلامية السري.

وكان هذا التيار قد حقق نموا واتساعا جماهيريا وشعبيا كبيرا في اثناء حكم الاخوين عارف وبخاصة في السنوات الاخيرة من حكم الثاني منهما. وكان لمرجعية الامام الحكيم ولحزب الدعوة الاسلامية دور كبير في هذا النهوض الاسلامي الكبير. وليس من المستبعد ان تكون عملية استبلاء البعثيين على السلطة محاولة خططت لها دوائر معينة معادية للاسلام وللحركة الشعبية للاسلام بهدف وقف النمو الاسلامي واجهاضه.

فكيف نظر حزب الدعوة الى القادم الجديد على السلطة وكيف تعامل معه؟

كما كان التحليل الطبقي هو الذي صاغ موقف الحزب الشيوعي، فقد كانت المرحلية هي التي حددت اتجاه الرؤية والعمل بالنسبة لحزب الدعوة. كان حزب الدعوة ما يزال في مرحلته السرية يوم استولت زمرة البكر-صدام على السلطة فجر يوم ١٧ تموز. وكان مخطط الدعوة انذاك يقضي بان يسير العمل عبر اربع مراحل هي: المرحلة السرية، والمرحلة السياسية، والمرحلة الجهادية الثورية، واخيرا مرحلة الحكم. ولم تدخل مرحلة الصراع السياسي الا بالتزامن مع انتصار الثورة الاسلامية في ايران، كما تقول وثيقة رسمية، علما بان بواكير الانتقال الى المرحلة السياسية كانت قد بدأت يوم تنفيذ حكم الاعدام بالشهداء الخمسة وعلى رأسهم الشيخ عارف البصري في ٥ كانون الاول من عام ١٩٧٤ كما تذكر نفس الوثيقة.

ولا يُعلم بالضبط ماذا كان رد فعل قيادة الدعوة على حادثة تبدل السلطة انذاك حيث لم يصدر اي بيان عام او حتى تعميم داخلي يقيم الحدث على حد علمي حيث كنت عضوا في الحزب انذاك. والمؤكد ان النشرات الحزبية الداخلية (السرية) التي صدرت في السنوات التي تلت استيلاء البعثيين على السلطة لم تتعرض لطبيعة الحكم الجديد ولا الى التحديات الجديدة التي كان يمثلها بوجه الحركة الاسلامية في العراق انذاك. واستمرت هذه النشرات في الحديث عن موضوعات مثل (نحن وما حولنا/ القسم الاول) في ربيع الثاني ١٣٨٨ و (السلوك الحزبي) في ذي الحجة ١٣٨٩ و(الوعي التغييري) في محرم ١٣٨٩، و (نحن وما حولنا/ القسم الثاني) في محرم ١٣٨٩، و (نحن وما حولنا/ القسم الثالث) في ذي الحجة ١٣٨٩، و (الخط الفكري الملتزم) في عام ١٣٩٠، و (الشخصية الاسلامية) في ١٣٩٢، و (نظرات للتأمل في التدين والتخطيط) في ربيع الاول ١٣٩٢، و (توجيهات للشيخ عارف البصري) في ١٣٩٣، و (حول الاعتقالات) في ١٣٩٣، و (من الذي يحرّك المجتمع؟)، و (التحريك) و (صور عملية من القران) و (مسائل تنظيمية: الخلل في التنظيم) وكلها في عام ١٣٩٤، ثم (ثقافة الدعوة) و (اوراق عمل) و(القراءة الكونية) و (المهاجرون) و (العمل السياسي والثقافة السياسية) و (الواقع السياسي للامة الاسلامية) وكلها في عام ١٣٩٥. ثم (المرحلية في جهاد الدعوة) و (الاستعمار) و (العمل الحزبي) و (اهمية الكتمان) و (الهزات الاجتماعية) وكلها في عام ١٣٩٦.و (الارتباط بالله) و (حول العلاقة مع التنظيمات الاسلامية) و (العراق في مهب الرياح الدولية) وكلها في جمادى الاولى عام ١٣٩٧. و (الادب الحزبي الاسلامي) و (المرحلية في عمل الداعية) و (التخلف السياسي) و (رسالة المسجد) وكلها في رمضان ١٣٩٧. و (الخطة الاميركية في الشرق الاوسط) و (توجيهات اثناء الازمة) و (توضيح بعض المسائل التنظيمية) وكلها في ذي القعدة ١٣٩٧. وهذه هي الفترة بين انقلاب ١٧-٣٠ تموز عام ١٩٦٨ وبين قيام الثورة الاسلامية في ايران في عام ١٩٧٨ والتي حصل انتقال حزب الدعوة الى المرحلة السياسية بعدها كما تذكر احدى النشرات. ولم تتعرض اي من هذه الموضوعات بالتحليل لطبيعة الحكم الجديد، فضلا عن امكانية اجراء تغيير في مخطط الدعوة لمواجهته. بل ان قياديا بارزا في حزب الدعوة هو الشيخ

عارف البصري رحمه الله واصل نشاطا علنيا ملفتا للنظر هو تكريم المتفوقين في الامتحانات العامة كل سنة، الامر الذي سلّط عليه الاضواء وما كان لحزب حاكم مثل حزب البعث ليغض الطرف عنه.

وجاءت اول اشارة واضحة الى الانقلاب في سياق نشرة طويلة صدرت في شهر شوال سنة ١٣٩٨ هجرية الموافق لسنة ١٩٧٨ ميلادية، اي بعد ١٠ سنوات من حصول انقلاب ١٧-٣٠ تموز. وكان عنوان النشرة (توضيح بعض المسائل التنظيمية: المراحل) وجاءت الاشارة تحت عنوان فرعي هو (مواقف من ثقافة الحزب). والفقرة برمتها جاءت في سياق كشف ظاهرة "غير صحيحة" بصدد الموقف من الثقافة الحزبية سمتها النشرة "التفكير الاستقلالي لدى بعض الدعاة" وهي ظاهرة قالت النشرة انها تؤدي الى جعل "سلوك الداعية متماوجا يميل الى هذه الجهة حينا والى الجهة الاخرى حينا اخر". وفيما يلي ما جاء في النشرة عن انقلاب ١٧-٣٠ تموز: "عندما اشتدت الهجمة الشرسة على المسلمين في العراق وخاصة على قيادة الحوزة العلمية المتمثلة بالمرجع الكبير المغفور له السيد محسن الحكيم قدس الله نفسه وعلى الحوزة العلمية في النجف الاشرف، ظن البعض من الدعاة الذين يغلب عليهم التفكير المستقل ان هذه المحنة تشبه المحنة التي مر بها المسلمون في الاتحاد السوفيتي ايام ستالين والفرق واضح بين الوضعين عند من يرتبط بمفاهيم الدعوة السياسية. فهولاء حكام عملاء مؤقتون يعملون ما يأمرهم الاستعمار الكافر ولا يقاس حكمهم بحكم الحزب الشيوعي في روسيا. وفي تلك الفترة الحرجة طلب الداعية ان تقوم الدعوة بعمل مناسب للمقام على اعتبار ان الاسلام والمسلمين معرضون لخطر داهم جراء اعمال السلطة. ولما اجيب بان هؤلاء اقل بكثير من ان يؤثروا تأثيرا حقيقا في البلاد وما هم الا فئة من الفئات التي تعاقبت على حكم العراق بارادة المستعمر الكافر بعد ان منح الانكليز للعراق استقلالا صوريا .. وقيل له باننا نلتزم بمرحلية العمل .. فرفض الاخ الداعية تقدير الدعوة للموقف ورفض الالتزام بالمرحلية... على اعتبارها ليست فتوى ملزمة وانما هي قول من الاقوال لا يجب الالتزام به".

ومن الواضح ان هذا النص المهم يبرز مسالتين مهمتين في موقف الدعوة، اولهما ان قيادة الدعوة قللت كثيرا من الخطر الذي يمثله مجيء حزب البعث الى السلطة ومن امكانية الحزب على التأثير على الاوضاع في العراق، ووضعته بنفس مستوى الحكومات التي مرت على الدولة العراقية منذ إنشائها والتي ربما كان تأثيرها سطحيا على الاوضاع العراقية. رغم انه لا يمكن تأثير عبد المحسن السعدون على حياة الحوزة العلمية في النجف حيث شهد عهده اول عملية ابعاد لزعيم ديني هو الشيخ الخالصي بدعوى تبعيته لايران وهي نفس الدعوى التي سوف يستخدمها نظام حزب البعث بعد سنوات قليلة من استيلائه على السلطة لابعاد قادة ومنتسبي الحوزة العلمية في النجف الاشرف وغيرها، وهي الحادثة التي اثارت اهتمام الداعية الذي تشير اليه النشرة الدعوتية.

واما المسألة الثانية في موقف الدعوة فهو تمسكها الحرفي بفكرة المراحل واعتبارها قالبا للعمل السياسي لا يجوز مخالفته قيل للداعية الذي طالب بعمل ما للرد على تصرفات السلطة البعثية:"اننا نلتزم بالمرحلية" وهو موقف لا يختلف كثيرا ومن حيث الجوهر عن موقف الحزب الشيوعي في نظرته الى حزب البعث بوصفه حزبا برجوازيا صغيرا وفي تفسيره لسلوك البرجوازية المتذبذب وتطبيق هذه النظرة ميكانيكيا على موقف حزب البعث.

لقد ورد التمسك بحرفية المرحلية كثيرا في نشرات لاحقة في حزب الدعوة الامر الذي يشي بان المطالبات بالقيام بعمل ما كانت تتزايد مع تزايد انكشاف الوجه الدموي والارهابي بل المعادي للاسلام لحزب البعث الحاكم.

وقد رفضت الدعوة اللجوء الى العنف للرد على تصرفات الحزب الحاكم وذلك في نشرة "توضيح بعض المسائل التنظيمية" التي صدرت في شهر ذي القعدة من عام ١٣٩٧ المصادف للعام ١٩٧٧م. وجاء في النشرة:"في اثناء الهجمة الشرسة وبعدها بدأ التفكير بالعنف يراود اذهان بعض الدعاة ويشغل بالهم، وقد ابدى بعضهم رغبة نفسية في مناقشة المرحلية التي تتبناها الدعوة او رغبة في ان تقوم الدعوة بانشاء حركة مسلحة

للانتقام من السلطة العميلة الكافرة"، ولكن النشرة ردت على هذا الاتجاه قائلة:"ان على الداعية ان يستبعد التفكير في تجاوز المرحلة واستعمال العنف لانه لا يستطيع ان يقدر متى يكون الانتقام من اعداء الدعوة مفيدا ومنسجما مع المرحلة والظروف الدقيقة التي تمر بها الدعوة."

لكن هذا الموقف الرافض للجوء الى العنف ما لبث ان تغير واجازت الدعوة ذلك في النشرة الحزبية الصادرة في شهر جمادى الاولى عام ١٤٠١ هجرية الموافق لعام ١٩٨١ م. وقد اوضحت النشرة ان الذي جعل الدعوة تعتمد اسلوب العنف والعمل المسلح في العراق هو "سياسة الاستعمار الشرسة القائمة على بسط الارهاب على الامة والتصميم على اطفاء نور الدعوة بالقتل الجماعي للعاملين ومن يتصل بهم بادنى سبب وكذلك هو بطء استجابة الامة للدعوة لسيطرة الخوف عليها من السلطان."

اما المحنة او الهجمة الشرسة التي اشارت اليها النشرات المار ذكرها فهي التي دفعت مجموعة من العلماء الى اصدار كراس في عام ١٩٦٩ تحت عنوان "بيان الهيئة العلمية في النجف الاشرف عن الوضع السياسي في العراق". ولا يحمل البيان اية اسماء ولكن من المحتمل ان يكون كاتبوه او حتى كاتبه من علماء الدين القريبين من مرجعية الامام الحكيم وحزب الدعوة الاسلامية في نفس الوقت دون ان بعني هذا ان البيان يعبر عن الموقف الرسمي للحزب لان هذا الموقف لم ينعكس في النشرات الداخلية للحزب كما اشرت قبل قليل. وتكمن القيمة التاريخية لهذا البيان في كونه سجل في وقت مبكر جدا تسجيلًا وثائقيا حقيقة النظام الجديد وعبر عن تشخيص دقيق للخطر الذي يمثله. فقد شن البيان هجوما عنيفا على حكم حزب البعث قائلا ان وجوما وقلقا رهيبين اصابا الناس منذ اسفر الحكم في العراق بعد السابع عشر من تموز عن وجهه الحزبي. وبعد ان استعرض ممارسات النظام الجديد القمعية والارهابية وقارنها بممارسات البعثيين في فترة حكمهم الاول عام ١٩٦٣ قال بحسم ووضوح ان "الكيان الاسلامي في العراق يواجه خطر الدمار والفناء"، وطالب المسلمين في العالم بالعمل على ايقاف "هذه الطغمة الطائفية في العراق عند حدودها".

لكننا نورد الملاحظات التالية على هذا التشخيص:

اولا، انه جاء بعد ان اسفر النظام عن وجهه القمعي المعادي للاسلام فعلا. فقد الغى النظام مشروع جامعة الكوفة وهو مشروع اهلي كانت شخصيات شيعية تقوم به، لاقامة جامعة اهلية كانت ستكون الاولى من نوعها في العراق. كما شن النظام حربا مريرة ضد المرجعية الدينية ممثلة في الامام السيد محسن الحكيم واتهم ابنه البارز العلامة المجاهد السيد مهدي الحكيم بالجاسوسية. وبدأ بشن حملات التسفير التي استهدفت افراغ الحوزة العلمية من العنصر البشري المتخصص.

ثانيا، كان هذا التشخيص مجرد صرخة في الهواء الطلق ولم يتحول الى عمل مباشر يستهدف اسقاط النظام والاستيلاء على السلطة والاتيان بسلطة لا يكون من اهدافها افناء الكيان الاسلامي في العراق. وطبيعي ان نقول ان البيان لم ينعكس على التنظيم الاسلامي الاكبر انذاك وهو حزب الدعوة الاسلامية.

التيار القومي العربي

يقول ممثلو التيار القومي انهم كانوا يعرفون حقيقة انقلاب ١٧-٣٠ تموز منذ الايام الاولى له. وكان التيار القومي مؤلفا انذاك من عدد من الاحزاب والتنظيمات منها الحزب العربي الاشتراكي الذي يعتبره القوميون امتدادا لحزب الاستقلال وكان من قادته محمد مهدي كبة وصديق شنشل وفائق السامرائي. وهناك الحزب الاشتراكي الذي تأسس قبل انقلاب ١٧-٣٠ تكوز بحوالي السنتين وتحديدا في الشهر العاشر من عام ١٩٦٦ وحزب الوحدة الذي انقرض الان فضلا عن الحركة العربية الاشتراكية وعدد من الشخصيات المستقلة.

ويقول الدكتور مبدر الويس الامين العام للحزب الاشتراكي في حديث خاص معي ان الحزب الاشتراكي وعموم اطراف التيار القومي كانوا على على بتحركات امر الحرس الجمهوري انذاك ابراهيم الداوود ومدير الاستخبارات العسكرية عبد الرزاق النايف اللذين قادا انقلاب ١٧-٣٠ تموز. ويقول ان الحزب كان على دراية كاملة وتفصيلية بهذا التحرك وكان على علم بتحركات احمد حسن البكر وصالح مهدي عماش وحردان التكريتي وعلاقتهم بالداوود والنايف.

ويقول مبدر الويس في حديثه الخاص ان انقلاب ١٧-٣٠ تموز كان من اعداد وتدبير المخابرات المركزية الاميركية وبالتعاون مع قوى خليجية (لم يسمها). وبناء على هذه المعرفة فقد اصدر الحزب الاشتراكي بيانا بعد حصول الانقلاب مباشرة دان فيه الانقلاب الذي خططت له المخابرات المركزية الاميركية وشرح خطورة هذا الانقلاب على الشعب العراقي وعلى مستقبل العراق. ولهذا فقد اتخذ التيار القومي باحزابه وشخصياته موقفا سلبيا ومناهضا للانقلاب تقديرا للمخاطر التي سوف يشكلها نظامه خاصة وانه يأتي امتدادا لانقلاب ٨ شباط عام ١٩٦٣ والذي عانت القوى الوطنية العراقية وفي مقدمتها القوى القومية من قمعه وارهابه. ويضيف مبدر الويس ان التيار القومي كان من اول القوى الوطنية التي حاربها النظام.

خاتمة

لقد كان نظام البعث في السنوات الاولى لاستيلائه على السلطة وخاصة في السنتين الاولى والثانية نظاما هشا تقبض على السلطة فيه زمرة قليلة العدد ولم يكن ذلك النظام القوي الذي عرفناه في السنوات اللاحقة.

فلماذا لم تبادر الاحزاب السياسية العراقية السرية والعلنية الى العمل سوية وبسرعة من اجل اسقاطه قبل ان يقوى عوده ويستفحل خطره وشره؟

هل كانت عاجزة عن ذلك عمليا وهي صاحبة اليد الاولى في الشارع (الذي لم يكن قد اقعده حاجز الخوف الذي اقامه البعثيون بعد ذلك) والتي لم تعدم الصلات القوية والمؤثرة في المؤسسة العسكرية التي لم تكن قد (تبعثنت) بعد؟

ام انها اخطأت في تقدير حجم الخطر الذي كان النظام البعثي على وشك ان يشكله فذهب فريق منها الى التعامل والتحاور معه ثم الائتلاف معه بوهم ان ذلك سوف يحسّن موقفه تمسكا بمقولات نظرية، في حين تجاهل القسم الاخر هذا الخطر الجديد بل قلل من خطورته انطلاقا من مقولات تنظيمية ونظرية جعلت من فكرة المراحل قانونا حديديا يحكم خط سيرها ومواقفها غير ابهة بتبدل الظروف الخارجية؟

واخيرا هل ضيعت القوى السياسية العراقية فرصة ايقاف التاريخ (او تغيير مجراه) بعيد ١٧-٣٠ تموز من عام ١٩٦٨ ودفع عجلته باتجاه اخر غير الاتجاه الذي فرضه حزب البعث؟ ام ان خيار ايقاف عجلة التاريخ او على الاقل تغيير مسارها غير متاح للبشر؟

هذه تساؤلات تبقى تستحق البحث من اجل التوصل الى اجابات مقنعة رغم مرور ٣٢ عاما على استيلاء زمرة البكر-صدام البعثية اليمينية الطائفية العنصرية القمعية على السلطة.

ملحق (٢)
التجربة الماليزية

	المؤشر	السنة	ماليزيا	العراق
1	معدل الدخل الفردي	2018	٥٩ من اصل ١٨٧	108
2	النزاهة والشفافية	2017	٦٢ من اصل ١٨٠	168
3	معدل الفقر	2015	صفر	٢,٢٪
4	التنمية البشرية	2018	٥٧ من اصل ١٨٩	120
5	الديمقراطية	2017	٥٩ من اصل ١٦٧	114
6	البلد الافضل		٣٨ من اصل ٨٠ دولة	لا يوجد
7	السعادة	٢٠١٥-٢٠١٧	35 من اصل ١٥٦	117
8	الرخاء	2018	44 من اصل ١٤٩	143
9	الهشاشة	2018	٦٣,٦	١٠٢,٢

اعداد: محمد عبد الجبار الشبوط من التقارير الدولية للمنظمات والهيئات ذات العلاقة

في عام ١٩٥٨ قامت الجمهورية العراقية وقبلها بأشهر كانت ماليزيا قد نالت استقلالها عن بريطانيافي ٣١ اب عام ١٩٥٧. في عام ٢٠١٩، اي بعد حوالي ستين سنة، حققت ماليزيا ما لم يستطع العراق تحقيقه، كما يبين الجدول أعلاه. لماذا؟ اين يكمن السبب؟ بل ان يكمن الخطأ في الفشل العراقي، وأين يكمن الصواب في النجاح الماليزي.

نطرح هذا السؤال مع علمنا بأمرين وهما:

اولا، ان حجم الانجاز الماليزي ليس في الدرجة الاولى عالميا. فكما توضح الارقام الواردة في الجدول المرفق مع هذا المقال فان هناك دولا عديدة سبقت وتفوقت على ماليزيا في سلم النجاح.

ثانيا، ان ماليزيا مثلها مثل العديد من الدول الاخرى تشهد وتعاني من قضايا فساد معروفة وكبيرة.

لكن هذا لا يمنع من النظر في اسباب وعوامل النجاح الماليزي.

ثمة حزمة من العوامل والاسباب التي قد يكون تظافرها واجتماعها هي وراء النجاح الماليزي وقد يكون غيابها من اسباب الفشل العراقي.

اليكم هذه الاسباب:

اولا، الاستقرار السياسي:

استقلت ماليزيا في عام ١٩٥٧، وبعد تفاصيل ليس من مهمة هذا المقال التعرض لها، حققت استقرارا سياسيا مازال مستمرا حتى الان. فقد أقام الماليزيون دولة اتحادية ملكية انتخابية دستورية ديمقراطية برلمانية تدير شؤونها حكومة اغلبية سياسية مع وجود معارضة برلمانية وأحزاب عابرة للمكونات العرقية والدينية.

لم تشهد ماليزيا اضطراباتٍ سياسيةً داخليةً كبيرة ولا خاضت حروبا خارجية، ولا انقلاباتٍ عسكريةً او ثورات شعبية، فمع وجود الملك المنتخب كل خمس سنوات، توالى على منصب رئيس الوزراء، حيث السلطة الفعلية، ستة رجال

تداولوا السلطة بطريق سلمي سياسي ديمقراطي انتخابي سلس. وكان ابرزهم رئيس الوزراء الأسبق مهاتير الذي حكم ماليزيا حوالي ٢٠ سنة واليه تنسب نهضتها الحالية.
واتبعت ماليزيا الديمقراطية الغربية بصيغتها القريبة من الصيغة البريطانية) نموذج ويستمنستر (، وليس الديمقراطية التوافقية، حيث يتنافس على الحكم وأصوات الناخبين تحالفان سياسيان كبيران عابران للخطوط العرقية والدينية، حيث توجد ثلاثة مكونات عرقية اساسية هي الملاويون والصينيون والهنود، واربع ديانات هي الاسلام والمسيحية والهندوسية والبوذية.
في البداية كانت الاحزاب السياسية تعبر عن مصالح المكونات الثلاثة لكن القيادة السياسية للبلاد ممثلة برئيس الوزراء في حينها تانكو عبد الرحمن تمكنت من إقناعها بالعمل في جبهة واحدة وتم تشكيل حزب الاتحاد الذي يضم الاحزاب الرئيسية للمكونات الثلاثة وقام الاتحاد على اساس المبادئ التالية: الديمقراطية الغربية، التعاون مع الكومنويلث البريطاني، التعاون بين المكونات الثلاثة، التخطيط لتحقيق التنمية. وبذا انفتح الطريق امام حكومة الأغلبية السياسية العابرة للخطوط العرقية والدينية).محمد صادق اسماعيل: التجربة الماليزية، ص ٢٦(
وطبقت ماليزيا نظام الانتخاب الفردي وليس الانتخاب بالقائمة.
ويشكل القادة السياسيون الذين تعاقبوا على منصب رئيس الوزراء جزءاً من البيئة السياسية المستقرة التي هي من اسباب النهضة الماليزية. فقد كان هؤلاء رجال دولة على مستوى الوطن وليسوا رجال سلطة على مساحة مكون او حزب. ومن ابرز هؤلاء مهاتير وكان أنموذج رجل الدولة صاحب الرؤية البعيدة والفكر الثاقب. لكن ليس من الصحيح تفسير النهضة الماليزية بالعامل الفردي والشخصي، فان الفرد مهما كان فانه يعمل ضمن بيئة سياسية واجتماعية توفر له فرص النجاح او تحكم عليه بالفشل. وقد تولى مهاتير السلطة بعد اكثر من عشرين عاما من استقلال البلاد ليجد ارضية صالحة للنهضة أرسى أسسها وقواعدها من سبقه الى تولي المنصب.
ومما يلفت النظر انه يوجد فصل في الدستور الماليزي عنوانه" التنمية الوطنية)."المادة ٩٢ .(
كل هذه العوامل ساعدت على اقامة دولة مواطنين وليس دولة مكونات، وأسفرت عن ترسيخ شعور بالمشاركة السياسية الفعلية والحقيقية في شؤون الدولة والسياسة ومكاسبها الاقتصادية.
لا يوجد ما تقدم في العراق.
فمنذ تاسيس الجمهورية في ١٤ تموز عام ١٩٥٨ لم يعرف العراق الاستقرار السياسي الداخلي والخارجي على حد سواء.
تعاقب على حكم العراق خلال هذه الفترة ١٠ اشخاص قتل ثلاثة منهم، واسقط الرابع بانقلاب عسكري فيما ازيح الاخر بانقلاب سياسي حزبي داخلي. وبعد عام ٢٠٠٣ تولى الحكم ٥ اشخاص تم تعيين احدهم من قبل سلطة الاحتلال، فيما تولى الأربعة الأخرون الحكم عبر عمليات انتخابية عسيرة جدا، يتبرأ فيها اللاحق من السابق!
على مستوى العلاقات بين الاحزاب السياسية شهد العراق صراعات دموية بين أحزابه هي أشبه ما تكون بالحروب الأهلية بين الاحزاب. فيما كانت الحكومات تخوض حروبا ضد ابناء الشعب، وبخاصة الأكراد، وتمارس سياسات التمييز العرقي والاضطهاد الطائفي.
في هذه الاثناء زج حزب البعث، الذي حكم قرابة ٣٥ عاما، العراق في حروبٍ خارجية ضد ايران والكويت، ونزاعاتٍ دولية استنزفت موارده وثرواته. وبعد الاطاحة بالبعث اصبح العراق ساحة مفتوحة للصراعات الخارجية الإقليمية والدولية. ودخل الارهاب ليشغل الدولة اكثر من ١٠ سنوات عن البناء والإعمار.
وبعد سقوط نظام البعث ارتكبت الطبقة السياسية التي تولت زمام الامور اخطاء تأسيسية قاتلة ادت الى تعذر بناء دولة ناجحة.
ويكفي ان نذكر ان العراق شهد واحدة من اعتى الدكتاتوريات التي عرفها التاريخ على يد صدام حسين ونظامه الشوفيني العنصري الدموي.
وبهذا صار العراق نموذجا للدولة الفاشلة التي يسودها الفساد الذي تفاقم في السنوات الاخيرة على مختلف المستويات.

ثانيا، بناء الانسان
الانسان هو العنصر الاول، بل الرئيسي في المركب الحضاري. وكل الدعوات الى النهوض الحضاري والتنمية الشاملة تستهدف الانسان في المقام الاول، باعتباره غاية التنمية وأداتها.فالانسان هو محور العملية الحضارية والتنموية.

والتنمية الحقيقية تعني تنمية الإنسان الذي هو رأس المال الحقيقي هدفا وغاية نهائية ومطلقة، وذلك في إطار توفير وإشباع جميع حاجاته المادية واللامادية، وتوفير الظروف والأجواء المجتمعية التي تحقق له قدر من الاستمتاع بحقوقه كإنسان. واتفقت البشرية منذ عام ١٩٩٠ على تعريف شامل للتنمية البشرية تم توثيقه في تقرير الامم المتحدة الذي صدر ذلك العام بعنوان" تقرير التنمية البشرية"، وتم تعديله لاحقا في تقرير عام ١٩٩٥ كما يلي" :التنمية البشرية هي عملية توسيع لخيارات الناس، هذه الخيارات يمكن أن تكون مطلقة ويمكن أن تتغير بمرور الوقت، ولكن الخيارات الأساسية الثلاثة على جميع مستويات التنمية البشرية هي أن يعيش الناس حياة مديدة وصحية، وأن يكتسبوا معرفة وأن يحصلوا على الموارد اللازمة لمستوى معيشة لائق ."غير ان التنمية البشرية لا تنتهي عند ذلك، فالخيارات الإضافية تتراوح من الحرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية إلى التمتع بفرص الخلق والإنتاج والتمتع بالاحترام الذاتي الشخصي وبحقوق الإنسان المكفولة.. وبالتالي فحياة الفرد لم تعد تقتصر فقط على العيش الكريم والتمتع بالصحة الجيدة والحصول على مسكن لائق بل يتعداها إلى مجموعة من الحقوق المتعلقة بالنفس البشرية ومدى قدرتها على التعبير عن ذاتها من جهة وتحقيقها من جهة ثانية.

وقد أدركت ماليزيا هذا الامر فتوجهت منذ الايام الاولى للاستقلال الى تركيز جهودها على الانسان الماليزي من اجل تثقيفه بالقيم الحضارية وإعداده ليكون عنصرا فاعلا ومشاركا في عملية التنمية. وسعت الى تحقيق ذلك من خلال عدة ادوات كان وما زال التعليم على راسها، وكانت نقطة الانطلاق في عام ١٩٥٦ حيث تم تشميل لجنة متخصصة لوضع نظام وطني للتعليم، تنسجم مخرجاته مع متطلبات التنمية وتربي النشئ الجديد على القيم الحضارية والإسلامية التي تدفع بعجلة التنمية، وجرى التاكيد على على ضرورة التمسك بالقيم الاخلاقية والعدالة الاجتماعية والمساواة الاقتصادية مع العمل على توفير وسائل تحصيل العلم في مختلف المراحل. واولت الدولةُ العملية التربوية والتعليمية اهتماما فائقا تجلى ماديا بحصة التعليم في الموازنة العامة حيث استحوذ التعليم على ٢٠-٢٥٪ من الموازنة وهو ما يشكل ثلاثة اضعاف ما يتفق على الجيش والدفاع. العلم هو العنصر الرابع في المركب الحضاري وهو من مستلزمات بناء الدولة الحضارية الحديثة وهذا ما سارت عليه ماليزيا منذ الاستقلال. والاهم من ذلك ان السياسة التعليمية الماليزية كانت امتدادا وتجسيدا لرؤيتها الشاملة للنهضة الحضارية والتنمية البشرية.

في المقابل معروف ما جرى للتعليم في العراق في الستين سنة الاخيرة وبالأخص منها سنوات حكم البعث عن جرى تسييس بل تبعيث العملية التربوية وربطها بفكر حزب البعث حول القائد الضرورة وعبادة الشخصية والحزب القائد والنظرة الشوفينية العنصرية للتاريخ والحياة. وبعد عام ٢٠٠٣ اهملت العملية التربوية وألحقت بنظام المحاصصة مع قلة التخصيصات المالية وغياب النظرة الحضارية الوطنية للعملية التربوية.

ومنذ اكثر من ١٠ سنوات ركزت على ضرورة وجود نظام تربوي حضاري حديث يكون اساسا لبناء دولة حضارية حديثة في العراق، ولكن دون جدوى.

ثالثا، الاسلام الحضاري

سجل الاسلام حضورا متميزا في بلدان العالم الاسلامي منذ سقوط الدولة العثمانية في الربع الاول من القرن الماضي. وقد تميز هذا الحضور بتمظهرات مختلفة تراوحت من التنكر للدين تحت ستار العلمانية) تركيا الاتاتوركية (او جعل الاسلام مسوغا لقيام الدولة) انفصال باكستان عن الهند (او استخدام الدين من قبل النظام العلماني لاغراض سياسية تشمل محاربة الاحزاب السياسية الاسلامية والمؤسسات الدينية التقليدية)نظام البعث في العراق.. (

وكان على ماليزيا ان تحل مسالة علاقة الدولة بالدين بشكل يساعد على دفع عجلة التنمية الى امام وجعل الدين احد محفزات النهضة.

يشكل المسلمون ما نسبته حوالي ٦٠٪ من مجموع السكان. ويكاد يكون كل المسلمين من الملاويين، واللافت للنظر ان الدستور الماليزي يعرف الانسان الملاوي بانه" شخص يقر بالإسلام دينا و يتكلم اللغة الملايوية ويلتزم بالأعراف الملايوية) "المادة ١٦٠ .(وهذا ما يجعل من الملايوية قومية قائمة على اساس الدين" .وهذا يعني تداخلا بين ما هو ديني وما هو قومي، بحيث حملت قومية الملايو صفة دينية فكان الاسلام عنصرا حاسما في تحديد هويتهم)."التجربة الماليزية، ص ٣٩(

وتمثل المقاربة الماليزية لهذه المسالة المعقدة بمحورين، مثل المحور الاول ما لم تقم به الدولة، والمحور الثاني ما قامت به الدولة.

فاما على صعيد المحور الاول فان الدولة لم تتحرك في مجالين: الاول مجال تبني اقامة دولة اسلامية على غرار باكستان، والثاني عدم اتخاذ موقف علماني نافي للدين كما فعلت تركيا الاتاتوركية. وبالتالي تجنبت ماليزيا التوتر مع مواطنيها المسلمين، والقوى او المؤسسات الدينية في البلاد.

واما على المستوى الثاني فقد قامت الدولة باربعة امور هي:

اولا، ضمان موقع واضح للاسلام في الدستور.

ثانيا، تبني سياسة علمانية معتدلة.

ثالثا، احترام الاديان الاخرى.

رابعا، وهو الاهم: توظيف القيم الحضارية في الدين الاسلامي لصالح مشروع التنمية الامر الذي شكل عامل دفع ايجابي لحركة النهضة والتنمية وتفاعل الشعب مع خططها الحكومية. ولهذا صح ان نعتبر التجربة الماليزية انموذجا اسلاميا قابلا للاحتذاء والمحاكاة.

وهذه مقاربة عملية وواقعية. فمن الصحيح ان يجري توظيف كل قدرات المجتمع في مشروع التنمية، واذا كان الاسلام بما يملكه من طاقة على التحريك هو احدى هذه القدرات المجتمعية فلماذا لا يجري توظيفه لصالح مشروع التنمية؟!

والحقيقة ان هذا المقترب التنموي) واعني به توظيف القيم الاسلامية العليا في مشروع النهوض والتنمية (سبق ان نادى به السيد محمد باقر الصدر وهو يتحدث، في مقدمة الطبعة الثانية لكتاب اقتصادنا، عن المركب الحضاري المنسجم مع نفسية الامة وضرورته لنجاح خطط التنمية في بلدان العالم الاسلامي.

وبذا تميز مقترب" الاسلام الحضاري "عن المقتربين الاخرين واعني بهما" :الاسلام الديني "و"الاسلام السياسي ."

في العراق اختلف التعاطي مع المسالة الدينية سواء من قبل الدولة او الاحزاب السياسية او الاحزاب الاسلامية.

فاما الدولة فقد كان موقفها على العموم سلبيا من الدين، وبلغت السلبية العدائية ذروتها مع صعود النظام البعثي العلماني الذي لم يتوانَ عن محاربة الدين واستغلاله في نفس الوقت.

واما الاحزاب السياسية فقد كان موقفها وما زال سلبيا من الدين تحت ستار العلمانية.

في حين اتجه الاسلاميون بقوة الى الاسلام الديني اوالاسلام السياسي.

فاما الاسلام الديني فهو لا يعنى الا بالمسلمين، وتطبيق المعايير الدينية عليهم فهذا مؤمن وذاك غير مؤمن، وهذا ملتزم او متدين وذاك غير ملتزم وغير متدين.

واما الاسلام السياسي فهو يؤدي الى الصدام المباشر مع السلطات الحاكمة.

واما المزج بين الامرين فقد ادى الى ظهور داعش ومن على شاكلتها من الحركات المتشددة والمتطرفة التي تستسهل قتل الانسان.

وكان نتيجة هذه السياسات المتضاربة حصول الصدام المزمن بين الاسلاميين وغيرهم.

لكن الاسلام الحضاري يعنى بشكل اساسي بالتصدي للتخلف ومعالجة الخلل الحاد في المركب الحضاري للمجتمع، وتحقيق التنمية الشاملة مستفيدا من كل الامكانيات المتوفرة بما في ذلك ايمان الناس الاجمالي بالاسلام، وجعله قوة محركة ودافعة في مشروع التنمية.

ولعلي لا ابالغ اذا قلت ان محمد باقر الصدر وحده رفع راية الاسلام الحضاري، لكن البيئة السياسية والاجتماعية والدينية لم تكن مستعدة للاستجابة لهذا النوع من الطرح، على عكس ما حصل في ماليزيا.

والمؤسف انه جرى في السنوات الاخيرة الخروج بالدين بعيدا عن مشروع التنمية ودخلت الى الممارسة الدينية ظواهر سلبية لا تمت الى الاسلام وقيمه الحضارية بصلة.

———

ملحق (٣)
الرهبانية و قوة الخيال البشري

سلسلة مقالات الباحث القدير الاخ #عبد_الجبار_الرفاعي عن المتخيل الديني ذات اهمية كبيرة لتناولها مسألة تتعلق مباشرة بالحالة الدينية في العراق، وضرورة التمييز بين الدين الاصلي كما عبرت عن وثيقته التأسيسية، اعني القران الكريم وما يثبت سندا ومتنا وعقلا وعلما وعدم مخالفة القران بالاولى من الاحاديث، وبين الدين الشعبي الذي أنتجه المخيال الاجتماعي. ويكفي في بيان اهمية بل خطورة هذه المقالات عنوان احدها الذي يقول: "مَنْ يمتلك وسائلَ إنتاج المتخيَّل يمتلك السلطة". ونحن نعلم ان السلطة من اهم محاور الصراع او "التدافع" بين الناس بالمصطلح القراني.

وقضية المتخيل الديني مسألة قديمة. ففي سابقة معرفية، تحدث القران عن امكانية العقل البشري على ابتداع ممارسات دينية تضاف الى الدين السماوي من باب التقرب اكثر الى الله. وهو موضوع لم يحظ بدراسة علماء الاجتماع الا في القرن التاسع عشر وما بعده تحت عناوين مختلفة مثل المخيال الديني او الدين او التدين الشعبي وهي مصطلحات تشير الى الصور والافكار والمعتقدات والطقوس والشعائر والعادات والتقاليد الذي يجترحها العقل الجماعي في المجتمع تحت راية الدين الرسمي الذي يؤمن به المجتمع، ويلحقها بالنسخة الاصلية الاولى للدين حتى تغدو في الوعي الجماعي للمجتمع وكأنها جزء لا يتجزأ من الدين الرسمي.

جاء ذلك في الاية ٢٧ من سورة الحديد: "ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ".

تستوقفنا في هذه الآية جملة "وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا - مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ - إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ" وهذا يعني أن الرهبنة كانت اختراعا من الناس الذين اتبعوا عيسى ابن مريم ولم تكن أمراً مفروضاً من الله عليهم ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله. يفهم من هذا أن الرهبنة لم تكن شيئاً مكتوباً عليهم لكنهم قد اتخذوها طريقاً لتقربهم زلفى من الله على نحو خاص بهم.

تستبطن هذه الاية اشارة إلى المخيال البشري وقدرته على انتاج تصورات واوضاع جديدة لم يأت بها الرسول. يمكن القول أن الرهبانية كممارسة ترتبط بصورة معينة أو متخيلة بكيفية عيش الحياة الروحية والتقرب إلى الله. إنها تمثل نموذجا لكيفية استخدام البشر للمخيلة في تشكيل ممارسات وطقوس روحية بهدف تحقيق السلام الداخلي والارتقاء الروحي، وكذلك التأمل في القيم الأخلاقية والروحية في حياتهم.

اتفق المفسرون على ان الرهبانية هي من اضافات البشر على دين عيسى عليه السلام.

نقل الطبري (٢٢٤-٣١٠ هجرية) في تفسيره عن قتادة في تفسير الاية:)وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً(قوله "فهاتان من الله، والرهبانية ابتدعها قوم من أنفسهم، ولم تُكتب عليهم، ولكن ابتغوا بذلك وأرادوا رضوان الله، فما رعوها حقّ رعايتها، ذُكر لنا أنهم رفضوا النساء، واتخذوا الصوامع."

قال قتادة)وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا (: لم تُكتب عليهم، ابتدعوها ابتغاء رضوان الله.

قال الطبري: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال، قال ابن زيد، في قوله:)مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ (قال: فلم؟ قال: ابتدعوها ابتغاء رضوان الله تطوّعا، فما رَعوها حقّ رعايتها.

وقال ابن كثير (٧٠١-٧٧٤ هجرية) في تفسيره: وقوله :)ورهبانية ابتدعوها (أي : ابتدعتها أمة النصارى) ما كتبناها عليهم (أي : ما شرعناها لهم ، وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم .

وقوله :)إلا ابتغاء رضوان الله (فيه قولان ، أحدهما : أنهم قصدوا بذلك رضوان الله ، قال سعيد بن جبير ، وقتادة . والآخر : ما كتبنا عليهم ذلك إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله .

وقوله :)فما رعوها حق رعايتها (أي : فما قاموا بما التزموه حق القيام . وهذا ذم لهم من وجهين ، أحدهما : في الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله . والثاني : في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة يقربهم إلى الله ، عز وجل .

وقال ابن عاشور في التنوير والتحرير: "والرهبانية: العبادة، فهم ابتدعوا من عند أنفسهم عبادة، ووظفوها على أنفسهم، والتزموا لوازم ما كتبها الله عليهم ولا فرضها، بل هم الذين التزموا بها من تلقاء أنفسهم، قصدهم بذلك رضا الله تعالى، ومع ذلك { فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا } أي: ما قاموا بها ولا أدوا حقوقها، فقصروا من وجهين: من جهة ابتداعهم، ومن جهة عدم قيامهم بما فرضوه على أنفسهم. فهذه الحال هي الغالب من أحوالهم".

وقال محمد حسين الطباطبائي في "الميزان في تفسير القران": أنهم ابتدعوا من عند أنفسهم رهبانية من غير أن نشرعه نحن لهم. و قوله: »إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها«: ما فرضناها عليهم لكنهم وضعوها من عند أنفسهم ابتغاء لرضوان الله و طلبا لمرضاته فما حافظوا عليها حق محافظتها بتعديهم حدودها. و فيه إشارة إلى أنها كانت مرضية عنده تعالى و إن لم يشرعها بل كانوا هم المبتدعين لها."

ونفهم مما قاله الطباطبائي ان القران لم يذم الرهبانية، بالخصوص، والا لكان صرح بتحريمها، فبقيت المسألة في اطار المباح على الاقل، لكنه ذم عدم الالتزام بها. والحكمة من ايراد هذه القصة قد تتمثل في ارادة القران تنبيهنا الى قدرة العقل الانساني على انتاج صور جديدة للتعبد حتى وان لم تكن مفروضة من قبل الله. وهذه القدرة حقيقة موضوعية موجودة في العقل البشري. وقد استرعت هذه القدرة اهتمام علماء النفس والأنثروبولوجيا والاجتماع في وقت لاحق حتى اصبح لدينا فرع متميز من فروع علم الاجتماع اسمه "علم اجتماع المخيال". وبين ايدينا الان كمية كبيرة من المؤلفات والكتب والدراسات حول هذا الموضوع بمختلف اللغات.

وتشرح هذه الكتب وترصد تطور فكرة المخيال الاجتماعي او المخيال الديني او المخيال الشعبي انطلاقا من تعريف "الخيال" بانه هو قوة العقل في تصور كل شيء، وربط الاشياء ببعضها، واستخراج المعقول من اللامعقول، او العكس، كما قال خليل احمد خليل، في كتابه "علم الاجتماع وفلسفة الخيال"، ١٩٩٦، حيث تحدث مطولا عن "اطروحة الانسان الخيالي" قال فيها ان الانسان حي يستحدث بخياله المعرفي ما يشاء (ص ٥) مؤكدا ان "الخيال هو امكان العقل قدرته على الخلق.وهو الخلق ذاته". (ص ١٤)

يؤكد الاستقراء التاريخي ما سجله القران من حقيقة ان الدين السماوي الذي ينزله الله على صدور أنبيائه لا يبقى كما هو، كما بلغه النبي، وانما تلحقه اضافات كثيرة، من الشعائر والطقوس والممارسات والعادات والتقاليد التي تندرج كلها تحت عنوان الدين الشعبي او التدين الشعبي او المخيال الديني وغير ذلك من العناوين. وعادة يقوم بهذه الإضافة منتجو الافكار في المجتمع الذين يملكون القدرة على ذلك. وتلك هي لحظة "الولادة الثانية" كما يقول الرفاعي.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو لماذا يزيد اتباع النبي اضافات من عندهم على دين النبي؟ لماذا لا يكتفون بما جاء به النبي من عبادات وشعائر وطقوس؟

يرى الرفاعي ان السبب هو: "كلّما ابتعد الدينُ عن لحظة التأسيس لم يعد الواقعُ كافيًا لإشباع مخيّلة الأتباع؛ لأنهم يرون الواقعَ ضحلًا واضحًا، لا لغز فيه، ولا يبوحُ بسرّ. الإنسانُ الديني مولعٌ بالمقدّس، ينجذب لما ينطوي عليه من حيرة وغموض وإبهام وسحر وأسرار، وينتهي ذلك إلى تضخّمِ المقدّس في المتخيَّل، وقوةِ حضوره في الحياة. الولادة الثانية للأديان في المتخيَّل تتشكل فيه الأديان على شاكلته."

ربما كان هذا احد الاسباب. لكن الظواهر الاجتماعية الكبرى لا تفسر بسبب واحد. ومنذ زمن طويل علمنا السيد محمد باقر الصدر ان نتوقف عن قبول نظريات العامل الواحد، خاصة اننا نملك شواهد تاريخية عن حالات انتاج تمثلات وصور جديدة للدين لم يأت بها المؤسس. وقد حدث هذا في زمن النبي محمد (ص) وزمن الامام علي (ع).

"جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، يَسْأَلُونَ عن عِبَادَةِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقالوا: وأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؟ !قدْ غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ، قالَ أحَدُهُمْ: أمَّا أنَا فإنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أبَدًا، وقالَ آخَرُ: أنَا أصُومُ الدَّهْرَ ولَا أُفْطِرُ، وقالَ آخَرُ: أنَا أعْتَزِلُ النِّسَاءَ فلا أتَزَوَّجُ أبَدًا، فَجَاءَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلَيهِم، فَقالَ: أنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وكَذَا؟ !أَمَا واللَّهِ إنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وأَتْقَاكُمْ له، لَكِنِّي أصُومُ وأُفْطِرُ، وأُصَلِّي وأَرْقُدُ، وأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فمَن رَغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مِنِّي."
(صحيح البخاري)

ومن كلام للامام علي عليه السلام بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي وهو من أصحابه يعوده فلما رأى سعة داره قال:

"ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا. أما أنت إليها في الآخرة كنت أحوج، وبلى إن شئت بلغت بها الآخرة تقري فيها الضيف وتصل فيها الرحم، وتطلع منها الحقوق مطالعها، فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة".

فقال له العلاء: يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخي عاصم بن زياد.

قال: وما له؟

قال: لبس العباءة وتخلى عن الدنيا.

قال: علي به.

فلما جاء قال: يا عدي نفسه لقد استهام بك الخبيث، أما رحمت أهلك وولدك أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها؟ أنت أهون على الله من ذلك.

قال: يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك.

قال: ويحك إني لست كأنت، إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره. (نهج البلاغة)

ولعل من اسباب ذلك الرغبة في التشدد في الدين بحسبان ان ذلك يقرب الانسان اكثر من الله . ولكن هذه الرغبة تؤول في نهاية المطاف الى وضع زيادات في الدين.

الا ان مؤلف كتاب "الاشكال الاولية للحياة الدينية اقر باستقلالية التمثلات الاجتماعية التي هي اساس كل مجتمع "لان المجتمع ليس مكونا من مجموعة افراد يشكلونه فحسب والارض التي يشغلها هؤلاء الافراد والاشياء التي يستعملونها والحركات التي يقومون بها، لكنه متشكل اولا بالفكرة التي يحملها عن نفسه". ان الكيان اللامادي المتولد من المجتمع، والذي ينعكس على ذاته لتعزيز الحياة الاجتماعية هو "الوعي الجمعي".
(مدخل الى علم اجتماع المخيال، فالنتينا غراسي، ترجمة محمد عبد النور وسعود المولى، ص ٤٩)

وهنا يمكنني القول ان المخيال الاجتماعي هو الوعي الجماعي للذات. والمخيال الديني هو العنصر الديني في الوعي الجماعي للذات. وهذا الوعي الجمعي هو ليس نتاج الكتاب التأسيسي وحده، وهو القران في حالتنا الاسلامية، انما هو نتاج ما ينسجه المجتمع من تصورات وطقوس ورموز واشياء مضافة على الدين.

وفي الختام نسأل: ماهي خطورة ذلك؟

والجواب هو عند الرفاعي: في الدين غطاءٌ ميثولوجي، لكن حين يستهلك الغطاءُ المضمونَ، تخسر الأديانُ غاياتِها الروحية والأخلاقية والجمالية وتتبدّد أهدافُها القيمية والإنسانية. عبورُ أيّ شخصيةٍ دينية من الواقعي إلى الميثولوجي، بل انقلابُها من كونِها حقيقةً إلى خيالٍ محض، لا حضورَ له في الواقع الذي عاشت فيه. وقتئذٍ تصير هذه الشخصيةُ مُنوّمة بعد أن كان مُلهِمةً، مُخدِّرةً بعد أن كان مُوقِظة. وتنقلب أهداف الأديان بعد هربها إلى عالمٍ غير عالمها، عالم تخسر فيه رسالتَها.

وهذا ما يذكرني بمقولة كارل ماركس الشهيرة (١٨٤٣): ""ان الانسان يصنع الدين وليس الدين هو الذي يصنع الانسان. يقينا ان الدين هو وعي الذات والشعور بالذات لدى الانسان الذي لم يجد ذاته او الذي فقدها.(..)الدين زفرة الانسان المسحوق(..) انه افيون الشعوب."

يقينا ان ماركس لا يتحدث هنا عن الدين بلحظة تأسيسه الاولى، لانه لا يعرفها، لكنه يتحدث عن الدين في ولادته الثانية، اللحظة التي تحدث عنها القران بعبارته الموجزة:"وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ".

الخاتمة: امل

بدون افراط في التفاؤل، فاني ارى الدولة الحضارية الحديثة (د ح ح) قادمة من خلال المبادرات الطوعية التي يشهدها المجتمع العراقي الان.

قلت في مناسبات سابقة ان هناك مرحلتين: مرحلة ما قبل نشوء الدولة الحضارية الحديثة، ومرحلة ما بعد نشوئها. مع العلم ان الفاصل بين المرحلتين ليس خطا حادا او سيفا قاطعا انما هو تحول تدريجي يتم على مكث وببطء وتدرج ذلك لان د ح ح هي ثمرة صيرورة اجتماعية تاريخية وتغيير ثقافي طويل المدى.

وفهم طبيعة التحول نحو د ح ح ضروري بالنسبة للمؤمنين بهذه الاطروحة وبالنسبة للمترددين في القبول بها حتى الان.

في مرحلة ما قبل نشوء الدولة، سوف يظهر اشخاص توصلوا الى الوعي الحضاري اللازم للاقتناع بالاطروحة، وباتخاذها هدفا لمسيرتهم، وامنوا بضرورة السعي لتحقيقها واقامتها في العراق.

ينطبق على هؤلاء قول القران الكريم:"وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا"، بعد استبدال كلمة "الاخرة" بالدولة الحضارية الحديثة، وجملة "كان سعيهم مشكورا" بعبارة حتمية تحقق د ح ح. والحتمية هنا ليست نابعة من طبيعة غيبية للامر، وانما من توفر الشروط الذاتية والموضوعية لتحقيق الهدف، وهي: وضوح الهدف، والايمان به، وتوفر الارادة لتحقيقه، والسعي او العمل من اجل الوصول اليه.

وهذا بمثابة قانون تاريخي وسنة اجتماعية مضطردة في كل الحالات المشابهة.

واليوم ارى ان المواطنين الفعالين الذي يعبّرون، بشكل مباشر او غير مباشر، عن ايمانهم باطروحة د ح ح يزدادون تدريجيا، ومثلهم يزداد عدد الذين ينشطون طوعيا في المجتمع لتحقيق اهداف تقع في طول الطريق الى د ح ح. واجد، على مستوى مواقع التواصل الاجتماعي في الاقل، مجموعات او "كروبات" وضعت لنفسها اهدافا تلتقي بهذا الشكل او ذاك باطروحة د ح ح. وتزداد الكتابات التي تتحدث عن مسائل وعناوين مرتبطة بهذا النحو او ذاك بالاطروحة. قد لا يستطيع الناقمون او اليائسون او غيرهم ممن شاكلهم رؤية هذه المعالم الايجابية في تحول المجتمع العراقي، لكني اراها بوضوح شديد يجعلني اقتنع بقوة ان الدولة الحضارية الحديثة قادمة بلا تردد.

سوف يزداد عدد هؤلاء المواطنين الفعالين الحضاريين. ويتميز هؤلاء باكتساب الوعي بصورة فردية وبمبادرة منهم. فهم رواد في هذا الطريق، وقادة للمستقبل. وسوف تزداد مبادراتهم الطوعية الخيرة المحققة لاهداف تفصيلية للدولة الحضارية الحديثة.

ولئن كانت هذه المبادرات حلقات منفصلة عن بعضها البعض، فانها سوف تلتقي وتتجمع في احدى مراحل الطريق لتشكل بمجموعها جماعة حضارية فاعلة في المجتمع العراقي. وبمزيد من التخطيط والقصدية في العمل سوف يتمكن هؤلاء من الوصول التدريجي الى مواقع تشريعية او تنفيذية في الدولة، بتعاقب الدورات الانتخابية حتى يصبح وجودهم في الدولة فعالا ومؤثرا وملموسا (ربما سوف نلمس ذلك في انتخابات عام ٢٠٣٠).

سوف يتيح لهم هذا التطور الاستفادة من امكانيات وقدرات الدولة في استكمال خطوات ومراحل تغيير المجتمع ونشر اطروحة د ح ح، بطريقة تتوافق مع الدستور والقوانين النافذة، بما في ذلك تشريع المزيد من القوانين التي تتطلبها الدولة الحضارية الحديثة لتحقيق العدالة والمساواة والامن وتحسين الخدمات وتبسيط الاجراءات ومكافحة الفساد ونشر الثقافة، وبكلمة واحدة: الارتقاء بمستوى وطبيعة الحياة.

في هذه الاثناء سوف تختفي العديد من الممارسات والتقاليد والاعراف الاجتماعية المتخلفة المعيقة للتطور والتقدم، وتظهر في المقابل انماط سلوكية واعراف اجتماعية حضارية جديدة، تتسم بالتعاون والتطوع والتهذيب وحب الخير والحرص على المصلحة العامة وغير ذلك.

صدر للكاتب

١. خطاب مفتوح
٢. المجتمع
٣. تأملات قرانية
٤. اللغة الإسلامية
٥. المشروع الحضاري الاسلامي
٦. تجديد الفكر الإسلامي
٧. مستقبل الديمقراطية في العراق
٨. الإسلام والديمقراطية
٩. الديمقراطية بين الإسلام والعلمانية (بالاشتراك مع
١٠. التخلف السياسي
١١. صلح الامام الحسن (بالاشتراك مع السيد سامي البدري)
١٢. تكامل الإنسان
١٣. الصوم
١٤. الإسلام السياسي
١٥. الهندسة السياسية (الدولة الحضارية الحديثة)